

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ آمَنَتْ هَذِهِ الطَّبَعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالنَّبَسْطِ وَالِاسْتِيعَابِ . بَحِثْ تَلَوَتْ
فِي هَذَا الشَّيْءِ جَمِيعُ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّي وَشَرَحَتْ فِيهِ الشُّوَاهِدَ وَالنَّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مَعْنِيًا عَنْ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

لِلجَمْعِ الْأَوَّلِ

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

بيروت - لبنان

مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد : فهذا شرح ديوان المتنبي أخرجهُ بعد شرحي ديوان حسان
الذي أخرجته في العام الماضي ، ورآه القراء وعرفوا من مقدمته ما كابدت فيه

أبو الطيب المتنبي : هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي
الكندى الكوفي ، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة في محلة تسمى كندة ، فنسب
إليها ، وليس هو من كندة التي هي قبيلة ، بل هو جعفي القبيلة — بضم الجيم وسكون
العين — وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج — واسمه مالك — بن أدد بن زيد
ابن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان . نشأ بالكوفة — كما ترى — ويقال : إن أباه
كان سقاء بالكوفة ، ثم انتقل إلى الشام بولده ، ونشأ ولده بالشام ، وإلى هذا
أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي حيث قال :

أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ مِنَ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا
عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَاءَ وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْحَيَاةِ

قسم الشام في صباه ، وجال في أقطاره ، وما زال إلى أن ادعى النبوة في بادية
السيارة ، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ — أمير حمص نائب
الأخشيدي — فأسرّه وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ؛ ثم استتابه وأطلقه ، ومن ثم
سمى المتنبي ؛ ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان — سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة —
وما زال منقطعاً له حتى وقع بين المتنبي وبين ابن خالويه — النحوي — كلام في
مجلس من مجالس سيف الدولة ، فوثب ابن خالويه على المتنبي ، فضرب وجهه بمفتاح
كان معه ، فشجّه ، وخرج ودمه يسيل على ثيابه ، ففضض ، وفارق سيف الدولة ،

وفي الحق : إني لم أعان في المتنبي ما عانيتُ في حسان — على بُعد ما بينهما —
وذلك أن المتنبي ربُّ المعاني الدقاق — كما قال — فلذهن في شعره جولان
وما دام هناك ذهنٌ يلفف ، وذوقٌ يستدق ، وملكةٌ بيانية ، وبصرٌ
بمذاهب الشعر : أمكن إدراك ما يتراعى إليه مثل المتنبي ، ولو بشيء من

وذهب إلى مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، ومدح كافور الأخشيدي ، وكان
يقف بين يدي كافور ، وفي رجليه خفان ، وفي وسطه سيف ومنطقة ، ويركب
بحاجبين من مماليكه ، وهما بالسيوف والمناطق ، ولما لم يرضه كافور هجاء وفارقه
ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة ، ووجه كافور خلفه رواحل إلى جهات شتى ،
فلم يلحق ، وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله ، فلما رأى تغالية في شعره وسموه
بنفسه ، خافه ، وعوتب فيه ، فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم
أما يدعى المملوك مع كافور ؟ لحسبكم ، ولما كان بمصر مرض وكان له صديق
يغشاه في علته ، فلما أبل انقطع عنه ، فكتب إليه : وصلتني - وصلك الله - معتلا
وقطعتني مبلا ، فان رأيت أن لا تشب العلة لي ، ولا تكدر الصحة علي - فعلت
إن شاء الله . ولما رحل عن كافور قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه
الديلمي ، فأجزل جائزته . (وكذلك مدح ابن العميد) ولما رجع من عند عضد الدولة
قاصداً بغداد ثم إلى الكوفة في شعبان لثمانية خلون منه - عرض له فاتك بن الجهلي
الأسدي في عنة من أصحابه ، وكان مع المتنبي أيضا جماعة من أصحابه ، فقاتلوه ، فقتل
المتنبي وابنه محسد وغلामه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية ،
وقيل جبال الصافية - من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول - وذلك
يوم الأربعاء لست بقين - وقيل ثلاث بقين ، وقيل لليلتين بقيتا - من شهر رمضان
سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، ولما قل : رثاه أبوه القاسم مظفر بن علي الطبرسي بقوله :

لا رعى الله سِرْبَ هَذَا الزَّمانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللِّسانِ
مَا رَأَى النَّاسَ ثَانِيَّ الْمُتَنَبِّي أَيُّ ثَانٍ يَرَى لِيَكْرِ الزَّمانِ
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبَرِيَاءٍ ذِي سُلْطانِ
هُوَ فِي شِعْرِهِ نَبِيٌّ وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي
داه ملخصا من ابن خلكان ،

الجهل الذّي ، والتعب المريح ، ذلك إلى أن المتنبي مخدوم ، وشروحه متوافرة ، ومادته زاخرة ، فكان شرحه لذلك يكاد يكون هينا لينا ، لا إرهاق فيه لخاطر ، ولا إعناء لرؤية . وهنا قد يبدو لك أن تقول : وإذا كان المتنبي مخدوماً وشروحه متوافرة - كما تزعم - فعلام هذا الشرح وما حاجتنا إليه ؟ فعلى رسلك

شيء من أخلاقه وشماله

حدث علي بن حمزة قال : بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة ، وذلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال مذمومة ، وذلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن . . . أما هذه الأخيرة - وهي أنه ما قرأ القرآن - فإنّي أظن الراوي يريد أنه ما قرأ القرآن تهجداً وتعبداً ، وإلا فإن مثل المتنبي في فضله وأدبه ودهائه لا يفوته أن يقرأ القرآن الكريم ويتدارسه ويستظهره ! وأى قيمة لأديب لم يقرأ القرآن ؟ ! وقال ابن قزوين : كان المتنبي رجلاً ذاهيةً من اللسان ، شجاعاً ، حافظاً للآداب ، عارفاً بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يشينه إلا بخله وشره على المال . .

أقول : وهذا بخل المتنبي هو على الحقيقة بما استتبعه طاحه وكبرياؤه وسموه إلى الرفعة والحمد والعلاء . وقد سئل في ذلك فقال : إن للبخل سبباً ، وذلك أني أذكر - وقد وردت في صحابي من الكوفة إلى بغداد - فأتخفت خمسة دراهم في جانب منديل ، وخرجت أمشي في أسواق بغداد ، فررت بصاحب دكان يبيع القاكّة ، فرأيت خمس بطيخات باكرة فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالدراهم التي معي ، فتقدمت إليه وقلت : بكم هذه الخمس بطاطيخ ؟ . . فقال - بغير اكتراث - اذهب ، فليس هذا من أكلك ؛ فهاستكت معه وقلت : أيها الرجل : دع ما يغيظ واقصد الثمن ، فقال : ثمنها عشرة دراهم ؛ فلشدة ما جبنني به ما استلمت أن أخاطبه في المساومة ، فوقفت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الحان ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من دكانه ودعا له وقال : يا مولاي : ها بطيخ باكرة بإجازتك أحمله إلى منزلك ، فقال الشيخ : ويحك ! بكم هذا ؟ فقال : بخمسة دراهم ، فقال : بل بدرهمين ، فباعه الخمسة بدرهمين ، وحملها إلى داره ودعا له ، وعاد إلى دكانه

يا هذا . فالتنبي وإن كانت شروحه كثيرة إلا أنها كثيرة قلة . . ذلك أن المتنبي وإن كان من حسن حفظه أن شَرَحَهُ وعلق عليه ، ونقده وتمصب له وعليه ، نَيَّفُ وخمسون أديباً ، بَيَّنَّ أنَّ المتداول من شروحه إنما هو العُكْبَرى والواحدى واليازجى حَسْبُ : أمّا الواحدى : فلا تَهْ لَمْ يُطَبِّعْ إلا فى أورْبته وفى الهند فقط ، كانت لذلك نسخه قليلة التداول فى أيدى الناطقين بالضاد لِنَدَرَتِهِ وغلاء ثمنه ، ومن ثَمَّ كان فى حكم غير المتداول . ثم هو - الواحدى - وَمِثْلُهُ العُكْبَرى كلاهما موضوعٌ ذلك الوَضْعَ الخلق البالى العقيم - بعثرة الأبيات وإثبات البيت ثم شرحه ، وهكذا دَوَّالِيكَ - وَضَعُ لا يَتَّفِقُ ومزاج هذا الجليل ، ولا سيما من يبتغى حفظ الديوان واستظهاره ، هذا إلى التحريف الكثير الذى أَلَمَ بالواحدى والعُكْبَرى معاً ، وهنا لا يسع المرء إلا أن يأسَفَ كل الأسف وتتقطع نفسه حَسَرَاتٍ جَرَاءَ

مسروراً بما فعل ؛ قتلت : يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك ! استمت على فى هذا البطيخ وفعلت فعلتك التى فعلت ، وكنت قد أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولا ! ! فقال اسكت : هذا يملك مائة ألف دينار ... وأنا لأزال على ماتراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار . . .

وقد كان أبو الطيب مغروراً إلى أقصى حدود الغرور ، وكان ذا طلاح وزهو وكبرياء ، بل كان لا يطاق غطرسة وشموخا وخيلاء ، ولا تنس قصته مع الخاتمي وما جره عليه هذا الكبر . وكان أبو الطيب مصاباً بذلك الداء : داء جنون العظمة . . - وكثيراً ما يصيب هذا الداء التواضع والعبريين - ولك أن تجعله علة ، ولك أن تجعله معلولاً . . . وقد كان أبو الطيب عزهاة لا تطيبه النساء . . وكان لا يشرب الخمر . . . وجملة القول أن أبا الطيب كان ذا شخصية من الشخصيات الغريبة ، وكان عظيماً ، وكان عبقرى ، وكانت حياته لذلك زاخرة بكل ما يجلب له الحب والإشفاق والإجلال من قوم ، وبكل ما يجلب عليه الحسد والبغض والعداء من آخرين : شأن كل عبقرى عظيم ، والله أعلم . .

ذلك الداء الخبيث العياء الذى ألمّ - ولا يزال يُلمّ - بالمطبوعات العربية - داء التصحيف والتحريف - حتى لا يكاد يسلم منه كتاب عربى ، فذهب بحال التأليف وشوّه خلقها وصار بها إلى حيث تنبوعها الأحداق ، وتتجافى عن قراءتها الأذواق ، ويتخاذل الذهن ، ويتراجع الفكر . ولست أدرى : ما مصدر هذا الداء ، ولأمن تقع عليه تبعه هذا الجرم : هل هو النسخ ؟ - بل الماسخ - [ولقد حاولت - أخيراً - أن أنسخ رسالة فى سرقات المتنبي بدار الكتب المصرية ، وكلفت أحد النساخين فى تلك الدار بنسخها ، ولما أتمّ نقل الكراسة الأولى ذهبت إليه وأخذنا نقابل مانسخ على الأصل ، فوجدت الأصل لا يكاد يوجد فيه بيت صحيح ، ووجدت مانسخ منه ضفتنا على إِبالة . . . فما كان إلا أن انصرفت نفسى عن المسألة برمتها] . . . أم هو الطابع وجهله وتهاونه ؟ !

ولقد لقيت الألقى فى تصحيح « بروفات » - أو تجارب - المتنبي ، ومن قبله حسان ، حتى لا أكون مغالياً إذا قلت : إنّ الجهد الذى يبذل فى سبيل التأليف أهونُ على المرء من الجهد الذى يقاسى فى سبيل التصحيح .

وتصوّر مقدار ما يعرف الإنسان من المفضل والامتعاض حين يرى الكتاب - بعد هذا العناء الذى يبذل فى التصحيح - لم يسلم من الأغاليط . ولا تنس أن المؤلف قد لا يقطن إلى الخطأ المطبعى أثناء التصحيح ويمرّ به مرّاً ، وعذره فى ذلك واضح : وهو أنه إنما يقرأ ما فى ذهنه ، لا ما هو بين عينيه ؛ ومن هنا كان له - للمؤلف - هو الآخر نصيب من هذا الخطأ وإن كان عذره فى ذلك قائماً . . .

أقول : إنّ عيب الواحدى والمكبرى هو ما ذكرت : وضع لا يتفق وروح العصر ، وتحريف كثير شائع فى الكتابين ، ذلك إلى هفوات تلحق كلاً على حدّته ، وقصور أو تقصير أو إقصار يلمّ بساحته ؛ فإذا أردت أن تجتزئ

بالعكبرى - مثلاً - وتستغني به عن غيره فإنه لا يفتنى كل الفناء ، وكذلك الواحدى .
 ويَزِيدُ الواحدى على العكبرى أنه لا يتحمل بتفسير المفردات ولا بالإعراب ، وبأنه
 لا يفسر كثيراً من الآيات ، فكأنه موضوع للفتن . ولذا لا يأتى الشادين . أما
 اليازجى أو اليازجيان - الشيخ ناصيف وابنه الشيخ إبراهيم - فهما - على فضلهما
 الذى لا ينكر ، وعلى ما طنطن به الثانى فى ذيل الشرح ، مما قد يخرج منه القارىء
 وهو مفعم يقيناً بأن هذا الشرح هو سيد الشروح ، وهو وحده الشرح الذى
 طَبَّقَ المنفصل وأصاب مقطع الحق وأوفى على الغاية ، أقول : إنهما - على الرغم من
 ذلك - يَصْدُقُ عليهما قول الواحدى فى ابن جني : وأما ابن جنى فإنه من الكبار
 فى صناعة الإعراب والتصريف ، والحسنين فى كل واحد منهما بالتصنيف ، غير أنه
 إذا تكلم فى المعانى تبلد حماره ، وَلَجَّ به عناره . . . نعم ، وحسبك أن ترجع إلى
 ما قالاه - أى اليازجيان - فى شرح هذا البيت على انسجامه ووضوحه وروعته :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دُنِيَ الدُّنْيَا مُنَاخًا لِرَاكِبٍ
 فَكُلُّهُ يَبْعِدُ الْهَمَّ فِيهَا مُعَذِّبُ

قالا : يذم الدنيا . يعنى أنها دار شقاء حتى إن من لا هم له لا يخلو فيها من
 العذاب ، فما الظن بصاحب الهموم ؟ ! ولست أدرى : كيف لم يفتننا إلى معنى هذا
 البيت وهو من الوضوح والجلاء - كما ترى - ؟ . . . على أنهما - فى شرحهما
 عامة ، لافى شرح هذا البيت - لم يجيدا عن الواحدى والعكبرى قِيدَ أَنْمُلَةَ ؛ فهما
 عمدتاها ، وعليهما معولها ، فإذا حاولا أن يتفصيلاً منهما ، ويستقللاً بالشرح
 دونهما ، ويأتيا بشيء من عندهما : زلت قدماهما ، وكبا جواداهما ، أو تبلد حماراهما .
 ووقعا فى مثل ما وقعا فى هذا البيت . . .

ذلك : إلى أن القسم الذى تولى شرحه الشيخ ناصيف قصر فيه ومَرَضَ
 ولم يتعرض لشرح المعانى ، وإنما اقتصر على شرح المفردات ، وإلى أنهما

- اليازجين - تركا كثيراً من شعر المتنبي الذي يريان فيه خشكاً لوجه الأدب ، وإلى أنهما لم يتعرضا لسرقات المتنبي وذكر الأشباه والنظائر أصلاً ، وهذه جزئية من المزايا قد وفيناها حقها في هذا الشرح ...

على أننا لا نبخس الناس أشياءهم ، ولا ننكر خصائص الطبائع البشرية وما قد يعرفوها الخطرة بعد الخطرة : من الفتور والانتكاس ، وانفلاق الذهن ، وتبدل الحس ، وإظلام البصيرة ، وغرور الروح ، وخمود الذكاء ، حتى لقد يخفى أحياناً على العليم الأملئ وجه الصواب وهو منه على حبل الذراع وطرف التمام - كما يقولون - فيعتسف الطريق ، ويتخبط تخبط العشواء ...

وهذا ابن جنى - الإمام العالم المجتهد الثبت الثقة ، بل فيلسوف اللغة العربية ، العليم بخصائصها ، الطب البصير بدقائقها - تراه في شرحه على المتنبي على الرغم من ذلك ، ومن أنه كان معاصراً للمتنبي - متعصباً له محامياً عنه ، وكان إذا سأل المتنبي سائل عن معنى بيت من أبياته يقول : اسألوا الشارح - يعنى ابن جنى - . وكان ابن جنى يراجع المتنبي في كثير من شعره ويستوضحه المعنى الذى يغزوه . ورغم ذلك تراه فى كثير من المواضع - كما قال الواحدى - وقد تبدل حماره ، وولج به عثاره .

وهكذا تتبعت جميع من تعرض للمتنبي بالشرح أو النقد - كابن فورج ، والعروضى ، والتبريزى ، وابن وكيع ، وابن القطاع ، وابن الأفلح - فوجدت لهم جميعاً بجانب حسناتهم سيئات ، وإلى سدادهم زلات وهفوات .

وهذا حقاً من غريب طبائع البشر ؛ فسبحان من تفرد بالكمال !!
ولقد وجدت ذلك من نفسى : مع أن الطريق معبد ، والمادة متوافرة ؛ فقد أكون - فى بعض الأوقات - مستعجاً ، نشيطاً ، مهزوزاً . مرهف الطبع . مصقول الذهن ، صافى الحس ، منبسط النفس ؛ فأشرح ما أشرح - من قوافى المتنبي - فأتى بما أرى به عن نفسى ، ويعزوفى له من الطرب ما يستخفى ، وأكون

في أوقات أخرى متقبض النفس ، مظلم الحس ، مغلق الذهن ، قدما ، بليداً ، لا أكاد أذهنُ شيئاً ، وأكون مضطراً إلى العمل ؛ فأشرح - وأنا على هذه الحال - بعض الأبيات ، ثم أعود في وقت أكون فيه على جام من نفسى إلى ما شرحت ، وأنظر ماذا قلت ، فأدهش : كيف يصدر هذا من رجل له بقية من فهم ؟ وأنهم نفسى ، حتى لا أكاد أصدق أن شيئاً من هذا نَدَّ به القلم ...

ثم لا تنس اختلاف القرائح والأفهام والنزعات ، وأن هذا ينزع في تفكيره نزعة لغوية ، وذلك نزعة نحوية ، وذلك نزعة فلسفية منطقية ، وآخر قد تأثر بالأدب والفن وحسن التخیل ، وأن هذا أصبح تمييزاً من ذاك ، وأنفذ بصيرة ، وأبعد مدارك ، وأصنى نفساً ، وألطف حساً ، وأكثر ألمعية ، إذا أذنت أذناه شيئاً شاء ما ذهنه . فإذا هم أراغوا تأويل بيت من أبيات المعاني الدقاق : تشعبت آراؤهم ، وذهب كلٌّ في تأويله مذهباً قد يباين مذهب الآخر ، تبعاً لتباين قرائحهم ومحصولاتهم ، كما قال المتنبي :

وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْآذَانُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ

وإليك شيئاً يحور إليه سر هذا التباين الذى نرى بين الشراح في تأويلاتهم لمثل شعر أبي الطيب . ذلك أن المتنبي كان رجلاً ما كراً باقعة داهية ، فكان من دهائه يعتمد إلى بعض المعاني التى سبق إليها فيحاول أن يبعد بها عن أصلها ويعمىها على الناظر فيها ويريفها ويديرها عن ذلك حتى لا يُفطنَ إلى أن غيره أبو عُذر هذا المعنى ، فيلجأ إلى التعمية والجمجمة والتعقيد والإبهام ؛ لأن تلك طريقته - كما سنبينه - فيجىء البيت متنافر اللحمة ملتاث التعبير ، لا يشف ظاهره عن باطنه ، ولا يتجاوب أوله وآخره ، حتى لكأنه ضرب من الرُّقَى ، فيظن بعض الشراح أن هناك معنى دقيقاً عميقاً فيكده ذهنه ، ويجهد فكره ، ويسافر في طلب المعنى أميالا وهو لا يفوت أطراف بنائه ، وينضى إليه رواحله ذهنه وهو على حبل ذراعه ، فيعتسف ويشتط وينحرف عن جادة الصواب ، كما قال المتنبي :

أَبْلَغُ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ الطَّبَعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلَلُ

وهناك شيئاً يرجع إليه ذلك التعقيد الذي نراه في بعض شعر المتنبي . هو أن أبا الطيب له حساد كثيرون من أهل الفضل ومن فحولة الشعراء وأعيان البيان يتعثر بهم على أبواب سيف الدولة في حاب ، وتقع عينه عليهم أنى ذهب - في الشام وفي مصر وفي بغداد وفي فارس - وكانوا له بالمرصاد يتلصسون له الهفوة والمأخذ ، وكان كثير - ممن يمدحهم كذلك - شعراء أدياء - وناهيك بسيف الدولة وابن العميد - فكان لذلك كله - يحتمش لكثير من قصائده ويتعمل لها ، وينتطس في ألفاظه ومعانيه ، ويحتفل ، ويعن في الاحتفال إلى ما وراء طبعه ؛ فيجىء بعض نظمه كزاً جافاً مقدماً حُرْمَ طُلَاوة الطبع وروقه ، وفقد نصف الجمال الشعري .

وهنا لا نرى مندوحة من أن نعرض لشيء لم يفتن إليه أحد ، أو فطنوا إليه ولم يصِفوه ، أو وصفوه ولكن لم يصفوه الوصف الذي هو به أليق ، ذلك أن المتنبي - للأسباب التي أساقناها ، ولسبب آخر سنبينه - تراه في أكثر شعره ينقصه التعبير الشعري ، ويظهر لك ذلك إذا أنت وازنت بينه وبين إمامه في الصنعة والاحتفال بالمعنى - وهو أبو تمام .

وإني لأذكر كلمة لأحد نقدة العرب وهي : إنما حبيب أبو تمام كالتقاضى العدل : يضع اللفظ موضعها ، ويعطى المعنى حقه ، بعد طول النظر ، والبحث عن البينة ، أو كالفقيه الورع : يتحرى في كلامه ، ويتخرج خوفاً على دينه ، وأبو الطيب كالملك الجبار : يأخذ ما حوله قهراً وعَنوة ، كالشجاع الجريء : يهجم ما يريد ، ولا يبالي ما لنى ولا حيث وقع ١ هـ .

فأنت - إذا نظرت إلى أبي تمام تجد الفحولة والجزالة والقوة ، وترى المعاني الدقاق وترى الصنعة - من الجناس والمطابقة وما إليهما - وترى - مع ذلك كله -

التعبير الشعري : أى ترى النصاعة والإشراق ، ووضوح المعالم ، واطراد النظام ، وتساق الأغراض ، وإحكام الأداء ، والروعة ، والجمال ، والروح القوى الذى يطالعك من بين فقره ، ومن هنا يفضل أبو تمام : أبا الطيب .

قال ابن الأثير : وهؤلاء الثلاثة - أبو تمام ، والبحتري ، والمتنبي - هم لات الشعر ، وعُزَاه ، ومَنَاتُهُ ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء ؛ وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء .

أما أبو تمام : فإنه رب معان ، وصيقل الباب وأذهان ، وقد شُهد له بكل معنى مبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الإغراب ، الذى برز فيه على الأضراب ، ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ، ولم أقل ما أقول فيه إلا عن تنقيب وتنقيح ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراض فكره برائضه ، أطاعته أَعِنَّةُ الكلام ، وكان قوله فى البلاغة ما قالت حذام ، فخذ مِنِّي فى ذلك قولـه حكيم ، وتعلَّمْ ، ففوق كل ذى علم عليم .

وأما أبو عبادَةَ البحتري : فإنه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يشعر ففنى ، ولقد حاز طَرَفِي الرقة والجرالة على الإطلاق ، فبينما يكون فى شظف نجد إذ تشبث بريف العراق ، وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحتري . ولعمري إنه أنصف فى حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام ، مع قربهِ إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاط الغالية ، وورق فى ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبي : فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه

خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظى في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال ، وأنا أقول قولاً لست فيه متأنماً ، ولا منه مثلاً : وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، واللاحين قد تواصلوا ، فطريقه في ذلك تضل بسالكه وتقوم بمنذر تاركة ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ، ما أدى إليه عيانه ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ومهما وُصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء ، ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَيْهِ إِنْ الْكَرَامَ بَأْسَخَاهُمْ يَدَا خَتَمُوا
وَلَا تُبَالِ بِشَعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أَفِيدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَحْمِدَ الصَّمَمُ

ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى ، وعين المعرفة التي ماضل صاحبها وما غوى ، وجدته أقساماً خمسة : خمس في الغاية التي انفرد بها دون غيره ، وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه ، غيره وخمس من متوسط الشعر ، وخمس دون ذلك ، وخمس في الغاية المتفجرة التي لا يُعبأ بها ، وعدمها خير من وجودها ، ولولم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها ؛ فإنها هي التي ألبسته لباس الملام ، وجعلت عرضه غرضاً لسهام الأقوام « هـ كلام ابن الأثير .

وقد آن لنا أن نقول : إن هذا الذي يعاب على أبي الطيب ويظن أنه يتخونه ويشينه : هو على الحقيقة سر من أسرار شاعريته لأن مرجعه التوليد الذي لا يؤتاه إلا الشاعر المطلق .. فالكلام إنما هو من الكلام وإنما يستحق الشاعر هذا اللقب بالتوليد ، وبطريقته في التوليد تقوم طريقته في الشعر ؛ فمن ثم يختلف الشعراء ويمتاز واحد من واحد وتبين طريقة من طريقة وإن تواردوا جميعاً على معنى واحد يأخذه الآخر منهم عن الأول .

ولقد يأتي مائة شاعر بالمعنى الذي لا يختلف في الطبيعة ولا في السياق ولا في الفهم ،

فيدرونه في مائة بيت تكون في مائة ديوان ، ومع ذلك ترى أحوالهم فيه متباينة ، وصناعاتهم في أخذه مختلفة ، وترام قد تناولوه بوجوه كثيرة مُحقق فيه عمل أمرجتهم ، وتلقى عليه اختلاف أزمانهم ، وتجري به في طرق حوادثهم ، كأنه مع كل منهم قد ولد ونشأ^(١) فهو مع هذا قوى ، ومع الآخر جبار ، ومع الثالث ضعيف ، ومع رابع متهالك ؛ وتارة بدين ، وأخرى هزيل ، وثالثة بينهما ، وهكذا . ولولا ذلك لم يكن الكلام إلا تكراراً ؛ وبطل فيه عمل العقل ، وأصبح رثاً بالياً ؛ وزهبع الذاهبين الأولين ، ولم يبق فيه لشاعر إلا إقامة الوزن ، ولو كان هذا للنسخ لقب الشاعر من الأرض ، ولم تعد للبيان صناعة ، ولا بقيت في القرائح مادة إلهية من الإلهام .

وشأن المتنبي كالشأن في نوابغ الدنيا : فالشاعر النابغة لا يهر بإرادته ، ولا ينبغ بأن يخلق في نفسه مادة ليست فيها ، وإنما هو يولد مُهيئاً بقوى لا تكون إلا فيه وفي أمثاله ، وهو زائد بها على غيره ممن لم يرزق النبوغ — كما يزيد الجوهر على الحجر أو الفولاذ على الحديد ، أو الذهب على النحاس — ثم تتفاوت هذه القوى في النوابغ ؛ فتتنوع وتتباين ، وتعمل فيها أحوالهم وأزمانهم وحوادثهم ، ومن ثم يجتمع لكل منهم شخصية ؛ ويستقل منها بطريقة ومذهب ؛ فإذا تناول معنى من المعاني تناوله على طريقته : فإما حذف منه ، وإما زاد فيه ، وإما غيره وقلبه ، وإما صبه على حدوه معنى جديداً يلم به أو يشبهه ، أو لا يكون فيه إلا أنه جاء على طريقته حسب . فكثيراً ما يقرأ النابغة كلاماً لغيره ، أو يتأمل خاطراً ، أو يشهد أمراً ؛ فإذا كل ذلك قد أوحى إليه وانعكس على مرآة ذهنه بعمان مبتكرة طريفة لا تشبه ما كان

(١) ومن هنا لا ينبغي لك أن تظن حين ترى في شرحنا هذا مثل قولنا — بعد شرح بعض الآيات — : إن هذا المعنى مأخوذ من قول فلان أو منقول منه أو ينظر إليه : أنا نقصد بذلك إلى أن أبا الطيب سرقه كما يسرق ضعاف الشعراء ، وإنما هو التوليد الذي هو من خصائص النوابغ : وإنما ذكرنا هذه الاشباه والنظائر : هو لتري كيف يكون التوليد . واتخاذ ما يحلو . .

بسبيله وجها من الشبه - لا قريباً ولا بعيداً - وليس فيها إلا أنها جاءت من ذلك الطريق ، وهو بعدُ لم يتعمل لها ولم يتكلف ولم يصنع شيئاً ، وإنما هو تلقى من ذهنه وتلقى ذهنه من قوة لا يدري ما هي ولا أين هي ؟

وكما يُختار النبي يُختار النابغة - وليس كل الناس أنبياء ، ولا كلهم نوابغ - ولا يصنع النبي أكثر من أن يتلقى عن الوحي ، وكذلك يتلقى النابغة عن البصيرة وهي تكون فيه هو وحده بمقام الملك من الملائكة أو الشيطان من الشياطين ، على حين تكون في سواه بمقام الإنسان من الناس ، فالرجل الذكي أشبه بإنسانين : أحدهما هو ، والآخر بصيرته ، وهو بذلك أقوى من غيره ، ولكن النابغة - وبصيرته أشبه بإنسان وملك ، أو إنسان وشيطان - فهو دائماً أقوى من القوة ، وهو دائماً متصل بشيء فوق الإنسانية .

وإذا تقرر هذا : فليس للنابغة اختيار فيما يأتي به ، وليس عليه إلا أن يأخذ ما يؤتاه كما يتبهاً له على طريقته ؛ ومن هنا ترى المتنبي يأتي أحياناً بالتعقيد المستكره واللفظ المتكلف ، وتراه يتعسف ويتخطب ويُسف ، ومع ذلك لا ينفي مثل هذا من شعره ولا يحذره ، وهو قادر على أن يُفنى عنه وليس في حاجة إليه ، ولكنه بعض طريقته التي انطبع عليها ، فلا يستطيع حين يحينه الردى أن يجعله جيداً ، وليس إلا أن يأخذه كما هو ، لأنه هو الذى انبثق له عن الجيد ، كما تضرع النار من مادة . فإذا هي سُكِل ودخان ، ثم تضرعها من مادة أخرى فإذا هي لمب صاف يتألق ؛ ولو أنك أردتها من المادة الأولى كما تجيء من الثانية لأطفأتها وذهب دخانها ونارها معاً .

وهذا سر لم يقن به إليه أحد ممن كتبوا عن المتنبي ، فاشدّد يدك عليه ، وادرس المتنبي على هذه الطريقة ، فستجده نابغة في جيده ورديته ، وستجده لا يستطيع غير

المستطاع ، وستجد طريقته كأنما فرضت عليه فرضاً ، لأنه كذلك ألهم ، وعلى ذلك ركب طبعه ، وكان ظلامه ظلاماً لتسطع فيه النجوم .

أما الإفاضة في ترجمة المتنبي ونشأته وأخلاقه وما إلى ذلك ، فلا يأتي فيها أحد بمجديد وقد أصبح المتنبي - دون غيره من شعراء العربية - كأنه في غير حاجة إلى الترجمة ، إذ هو كلقطة من تاريخ الأدب ، فالكلام عنه متداول مشهور ، وهذا بعض ما اختص به ؛ فقد تحتاج مع شعر كل شاعر إلى ترجمته ، ولكنك لا تحتاج من أبي الطيب إلا إلى شعره ، وترى شعره ترجمة روحه ، ولذلك اجتزأنا في هذه الكلمة ببيان سره الشعري ، ثم أنت - بعد ذلك - في حقيقة الرجل : أى شعره وشرح شعره الذى تقدمه إليك . . .

وبعد ؛ فأما هذا الشرح فلا يلقيَنَّ في رُوعك أنه بدع في الشروح ، وأنه شيء مبتكر جديد ، وهل غادر الشُّراحُ مِنْ مَرَدَمٍ ؟ وإنما كل مزية هذا الشرح أنه تلاقت فيه كل الشروح بعد شيء من التهذيب والتنقيح والتحوير ، أو بعد أن خلصت من عَكْرِها خلاص الخمر من نسجِ الفِدام - كما يقول أبو الطيب - وبذلك توافر فيه ما لم يتوافر لأى شرح من شروح المتنبي على حدته ، فليس يغنى عنه شرح ، ولكنه هو - بحمد الله - يغنى عن سائر الشروح ؛ فهو كما يقول أبو الطيب :

يُدِلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيهِ الْمَعَانِيَا

عبد الرحمن البربرقي

١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ

٥ أكتوبر سنة ١٩٣٠ م

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

« أما بعد » فلما أمضيتُ النيةَ - سنة ١٣٤٩ هـ - سنة ١٩٣٠ م - على أن أضعَ شرحاً على ديوان أبي الطيب المتنبى ، وأخذتُ في معالجة هذا العمل - وكان الناشرُ إذ ذاك يُحْفِزُنِي حَفْزاً ، ولا يكاد يُبْلغُنِي رَفْعاً ، وكان يقتلوني من « أصول » هذا الشرح دِراً كما « أولاً بأول » ويقدمه إلى المطبعة نيتاً لم تنضِجْهُ نار التثبت والروية ، وأخيراً تمثل بالطبع ولم يمس على وضعه وطبعه أكثر من عشرة أشهر - لما حدث هذا طَفِقْتُ أَقْلَبُ النظر في هذا الكتاب وَأَعِيدُ الكَرَّةَ ، الخطِرةَ بَعْدَ الخطِرةَ ، وكلما أنعمت النظر في الشرح بدا لي ما يَسُوهُ وَيُكْذِبُ ، وَيَحْزُنُ في الكبد ، من أخطاء مطبعية ، وتقصير في شرح بعض الأبيات ، وهنّيات من هذا القبيل ، شأن كل عمل لم يُتَرَيَّثْ فيه ، ولم يُوفَّ حَقَّهُ من الأناة والتحقيق فلم يك مني إلا أن صححت النسخة التي بين يدي ، وتناولتها بالتنقيح والتهديب ، والحذف والزيادة ، وتداركت جميع المآخذ ، حتى إذا قدر لهذا الشرح أن يعاد طبعه ، طبع على هذه النسخة . .

وما زلت على هذه الحال مستمعاً بالصبر حتى نَفِدَتْ نسخ هذه « الطبعة » ، ولم يك بُدٌّ من إعادة طبع هذا الديوان ، فكانت فرصة جميلة مؤاتية أُحِيتْ مِيتَ الأمل ، وحفزتني إلى استئناف العمل ، فكان أن وَجَّهْتُ عَزِيمَتِي إلى التوسع في هذا الشرح وجعله شرحاً وافياً من كل نواحيه ، شرحاً أورد فيه جميع تفاسير الشراح ، وأقوال النقاد ، وأستوعب مزايا كل الشروح ؛ وليس ذلك أثراً مني (٢٢ - المتنبى)

واستبدادا بالمتنبى . . ولكنه حب الكمال ، وما يسمونه المثل الأعلى . . . فلقد رأيت بعض الشراح قد اختصر الطريق ، واكتفى بتفسير الكلمات اللغوية ، وبعضهم قد جعل وَكَّدَهُ الإعراب وما يتعلق بالآيات من جهة النحو والتصريف ، وآخرين قصرُوا عنايتهم على إيراد السرقات والأشباه والنظائر . بَيَّنَّ أَن هذه الأشباه - ومثلها الشواهد النحوية التي أوردها العُكْبَرى ، ومن قبله الإمامان : أبو الفتح بن جنى ، والواحدى تحتاج - هى الأخرى - إلى الشرح والتفسير . . . ورأيت فى بعض عبارات القدامى من الشراح غموضاً يحتمل أن يوضح أو يستبدل به غيره ، مما يؤلم أذهان هذا الجيل . . . فكان كلُّ أولئك مما حفزنى إلى الاحتفال والاحتشاد لهذا الشرح . . . فكان أن أوردتُ فيه جميع تفاسير الشراح - من متقدمين ومتأخرين - وأقوال نقدة المتنبى - من متعصبين له ومتعصبين عليه - وأكثرت من إيراد الشواهد ، والأشباه والنظائر ، وشرحت ما غمض من هذه الشواهد والأشباه . ومن عبارات الشراح ، فضلاً عن تصحيح الأخطاء التى ألت بالشرح الأول ، حتى أربى هذا الشرح على الشروح كلها مجتمعة ، وحتى صار هذا الشرح شرحاً للمتنبى ، وشرحاً لشروح المتنبى . . .

على أننى لا أدعى أن الكمال الذى نَشَدْتُ قد تحقّق ، وحسبى أنى لم آل جهداً ، ولم أدخر وسعاً ، وإن كان جُهد المقلِّ ، وغاية المستطيع ؛ ورحم الله العباد الأصفهاني حين يقول : إني رأيت أنه لا يكتب لإنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد لكان يستحسن . ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . . . وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

« وأما بعد » فلمناسبة هذا الشرح الجديد ، والاحتشاد فيه ، والعمل على جملة مغنياً عما عداه : رأيت أن أتبسط شيئاً فى سيرة المتنبى - ولا سيما ما كان منها عوناً على معرفة المناسبات والظروف التى قيلت فيها قوافيه - وكذلك رأيت أن أترجم

شرح المتنبي من ورد ذكرهم في هذا الشرح ، وإتماماً للفائدة جمعت أمثال المتنبي
وَحِكْمَهُ وَالْحَقَّتْهَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ .

ولأننا نترامى بهذا كله إلى أن يكون هذا الكتاب - ديوان المتنبي وشرحه
ومقدماته - كفيلاً بتحقيق كل ما يصبو إليه دارس شعر المتنبي .

وإني أسأله - سبحانه - أن يهبه من السلامة ما يحقق له رضا المنصفين ،
ويُضْفِي عليه من القبول ما يَعْمُرُ به انتفاع المتأدبين ، إنه سبحانه بذلك كفيل
وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

عبد الرحمن البرقوقي

١٣٥٧ هـ - سنة ١٩٣٨ م

سيرة المتنبي •

نسبه :

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي البكندی الكوفي ، أو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي . . الخ ، كما روى الخطيب وابن خلكان ، وروى بعض المؤرخين : أحمد بن محمد . . الخ .

وجعفي جد المتنبي : هو جعفي بن سعد العشيرة من مدحج من كهلان من قحطان ، وكندة التي ينسب إليها ، محلة بالكوفة ، وليست كندة القبيلة كما ظن بعضهم خطأ .

وكان والد المتنبي يعرف بمبدان السقاء ، يسقى الماء لأهل المحلة ، أما جدته لأمه فهي همدانية صحيحة النسب ، وكانت من صاحبات النساء الكوفيات وكان جيرانهم بالكوفة من أشرف العلويين ، وكان لأبي الطيب منهم خلطاء وأصدقاء .

ولم يذكر المتنبي في شعره نسبه أو قبيلته ، ولا أشار إلى والده أو جده ، وإنما ذكر جدته لأمه ، وكان يدعوها والدته ، في أشعار منها :

أُمْنِسِي السَّكُونُ وَحَضْرَمُونَا ووالدتي وكندة والسيما

وقد روى الخطيب عن علي بن الحسن عن أبيه قال : « سألت المتنبي عن نسبه فما اعترف لي به وقال : أنا رجل أخبط القبائل وأطوى البوادي وحدي ، ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينه وبين

قام بتلخيص هذا الفصل : هلال شتا ؛ وعمدته في هذا التلخيص : كتاب دكرى ذ المتنبي ، للدكتور عبد الوهاب عزام .

القبيلة التي أنسب إليها . وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني .

على أن المتنبي قد دافع عن نسبه هذا ، في القصيدة التي مطلعها :
لا تحسبوا ربكم ولا طلله أولَ حَيٍّ فراقكم قتله
وإن يكن لم يذكره ، وإنما أشاد بأباه له عظام ، في قصيدته هذه ، وفي مواضع أخرى من شعره ، دون أن يذكر رحله أو عشيرته أو قبيلته .
ولم يكن المتنبي يُعنى بأن يعرف عنه إلا أنه المتنبي ، لا يفخر بقبيلة ، إنما تفخر به القبيلة التي هو منها ، قال في إحدى قصائد الصبا :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسى نفرت لا بمجدودي
وقال في رثاء جدته لأمه :

ولو لم تكني بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لي أما

ويقول بعض مؤرخي الأدب العربي : إن بعض شعر المتنبي قد يدل على عصبية يمانية ، فأكثر ممدوحيه في أيامه الأولى من قبائل يمانية ، مدح شجاع ابن محمد الأزدي ، وعلى بن أحمد الطائي ، وغيرهم ، ومدح التنوخيين في اللاذقية . وقال للحسين بن إسحق التنوخي يمدحه - بعد أن هجاه بعض الناس ونسب الهجاء إلى المتنبي - :

أبت لك ذمى نخوة يمنية ونفس بها في مازقٍ أبدًا ترمى

على أن ذلك الذي يكتم نسبه عن الناس فينسى الناس ذلك النسب ، والذي يختلف المؤرخون في تسمية آبائه ، ليس ذا نسب نابه على كل حال ، ثم إن خلط كنيته التي ولد بها المتنبي ، بكندة القبيلة ، شيء يحقق خمول نسب شاعرنا الكبير وتفاوته ، وهو - على الرغم من كل أولئك - عربي قح ، هريق في عروبه ، فلا يعنيه أن كان من بيت فقير .

أسرته :

ولقد اتفقت روايات المؤرخين على أن أبا المتنبي كان سقّاء ، وقد هجاه ابن لنكك البصرى لما سمع بقدميه بغداد راجعاً من مصر فقال :

لكن بغداد جاء الفيث ساكنها نعالهم في قفا السقاء تزدحم
وقال شاعر آخر :

أى فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشياً
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما وحيناً يبيع ماء الحيا

وروى أن والد المتنبي سافر به إلى الشام ، وتنقل به بين حضرها وباديتها ومدرها ووبرها ، وردده في القبائل .

على أن الثابت الذى ينطق بأن والد المتنبي لم يكن رجلاً نابه الشأن - كما يرجح الرواة - أنه مات فما رثاه ولده بكلمة واحدة .

أما ولادة المتنبي ، فلم يذكر الرواة عنها شيئاً ، ويرجح أنها ماتت في حدثه قبل سفره إلى الشام ، وأما جدته لأمه فقد تقدم ذكرها ، وهى التى تفردت من بين أسرته جميعاً برثائه لها واحترامه الفخم . قال إبان اعتقاله :

يبدى أيها الأمير الأريب لا لشيء إلا لآنى غريب
ولأمّ لها إذا ذكرتنى دم قلب فى دمع عين يذوب

وتلك هى جدته التى أخبرنا فى شعره - كما أخبرنا الرواة - أنها ماتت فرحاً بكتاب جاءها منه بعد غيبة طويلة مؤنسة . وإنك لو اجد أثرها البليغ فى حياته وسيرته ولامس ثورة نفسه وحزنه عليها فى قصيدته التى مطلعها :

ألا لا أرى الأحداث مدحاً ولا ذماً فما بطشها جهلاً ولا كفها حِلماً

وأجمع رواية أخبار المتنبي على أن مولده كان في محلة كندة ، إحدى محلات الكوفة ، سنة ثلاث وثلثمائة من الهجرة ، وهذا هو كل ما نعرفه من أخبار نشأته الأولى اللهم إلا النزر الذي لا ينقع غلة ، جاء في الإيضاح أنه « اختلف إلى كتاب فيه أولاد أشرف الطويلين ، فكان يتعلم دروس العربية شمرأ ولفة وإعرابا » وكان - إلى جانب ذلك - يختلف إلى الوراقين ليفيد من كتبهم ، وقد تميز منذ الطفولة بالذكاء وقوة الحفظ ، واشتهر بحبه للعلم والأدب ، وقد لزم الأدباء والعلماء وأكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم .

وما يستطرف هنا ما ذكره بعض الرواة عن قوة الحفظ في المتنبي ، وهي أن أحد الوراقين أخبره أن أبا الطيب كان عنده يوماً ، فجاءه رجل بكتاب نحو من ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ أبو الطيب الكتاب وأقبل يراجع صفحاته ، فلما ملّ صاحب الكتاب ذلك استعجله قائلاً : يا هذا لقد عطلتني عن بيعه ، فإن كنت تبني حفظه في هذه الفترة القصيرة ، فذلك بعيد عليك . قال المتنبي : فإن كنت حفظته فإلى عليك ؟ قال الرجل : أصطيك . قال الوراق : فأمسكت الكتاب أراجع صفحاته والفلان يتلوما به حتى انتهى إلى آخره ، ثم استلبه فجعله في كفه ومضى لشأنه .

وروى أن المتنبي صحب الأعراب في البادية فعاد إلى الكوفة هرباً صرفاً ، أما مدة إقامته فيها فهي أكثر من سنتين ، قال العلوي : إنه أقام في البادية سنين ، وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أنه أقام فيها سنتين . ويرجح أن مغادرة المتنبي إلى البادية كانت سنة اثنتي عشرة وثلثمائة ، حينما أغار القرامطة على الكوفة ، ويرجح كذلك أنه غادر الكوفة مرة أخرى سنة خمس عشرة وثلثمائة عندما عاود القرامطة الغارة وهزموا جيش الخلافة ، وقد كان لذلك أثر يبين في نفس المتنبي فاض في بعض أحاديثه وأشعاره .

وقدر حل المتنبي بعد ذلك إلى بغداد . جاء في «الصبح المنبى» : أن أبا الطيب قال : «وردت في صباى من الكوفة إلى بغداد» وإن لم يذكر المؤرخون موعد ذهابه إلى بغداد ، فمن الراجح أنه ذهب إليها سنة تسع عشرة وثلثمائة فقد جاء في النجوم الزاهرة في حوادث تلك السنة : أن القرامطة أغاروا على الكوفة فرحل أهلها إلى بغداد . فليس بعيداً أن تكون هجرة المتنبي إلى بغداد مع الراحلين إليها من أهل الكوفة ، ومن المحتمل أيضاً أن يكون المتنبي قد ذهب إلى بغداد قبل ذلك مرة أو مرات .

وبين — بعد ذلك — من سيرة المتنبي ، ومن روايات المؤرخين ، أن ثقافة الشاعر العربي لم تكن جماع ما تلقاه في كتّاب الكوفة ، وما أفاده من مصاحبة الأعراب في البادية ، وما تعلمه في بغداد لحسب ، بل لقد زاد على ذلك أنه هاجر إلى العلماء وصاحبهم ، فدرس على السكرى ونفطويه وابن دستويه ، ولقى كذلك أبا بكر محمد بن دريد فقرأ عليه ولزمه ، ولقى بعده من أصحابه أبا القاسم عمر بن سيف البغدادي ، وأبا عمران موسى ، وأنه «طلب الأدب وعلم العربية ، ونظر في أيام الناس وتعاطى قول الشعر من حدائته حتى بلغ الغاية التي فاق فيها أهل عصره ، وطاول شعراء وقته» .

رحلته إلى الشام :

وكانت رحلة أبي الطيب إلى الشام سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، كما يقول المعري في رسالة الغفران : وفي دائرة المعارف الإسلامية : أنه رحل إلى بغداد سنة ست عشرة وثلثمائة ، ثم رحل بعد ذلك إلى الشام ، ويقول بعض شراح الديوان : إن القصيدة التي مطلعها :

ذِكْرُ الصَّبَا وَمَرَاتِعِ الْأَرَامِ جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ يَوْمِ حِمَامِي

نظمها الشاعر في رأس عين ، وأرجأ قولها إلى أن لقي سيف الدولة

بأنطاكية ، ولا ريب أن مرور الشاعر برأس عين كان في إبان ذهابه إلى الشام ، وقد كان ذلك سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ؛ فإن صح هذا ، يكون المتنبي قد رحل إلى الشام وسنه ثمانى عشرة سنة .

وقد وضع الواحدى في شرحه القصيدة التى أولها :

أحيا وأيسر ما قاسيتُ ما قتلا والبين جارٍ على ضعفٍ وما عدلا
في القصائد الشامية ، أى أنها وما بعدها إلى الكافوريات ، قيلت في الشام ، أما ما قبلها ، ف قيل في العراق ، وليس ما قبلها بكثير .

ولم يبد شاعرنا الكبير حناناً إلى وطنه العراق ، الذى سلخ فيه ثمانى عشر سنة من عمره ، وإنما ذكره في بعض قصائده ، وذكر أن وطن الإنسان هو الأرض التى حلَّ فيها فاتى خيراً وصحابة ، ويبدو أن وطنه ذلك قد نبأ به ، وضاق بأماله وأحلامه وطموحه .

ولم تكن رحلة المتنبي إلى الشام ومكنه به وقوله الشعر ، إلا فى طلب الجدد والسؤدد ورفعته الشأن ، ولا ندرى أسافر إليها وحده ، أم سافر فى صحبة والده ؟ .

وجدير بنا ، قبل أن نمضى فى ترجمة شاعرنا إبان إقامته فى الشام - أن نلمع إلى الحالة السياسية بها فى هذه الفترة ، لما لها من أثر كبير فى حياة الشاعر وسيرته .

فلقد كانت الشام - على عهد المتنبي - مقسمة بين الأخشيدي وابن رائق ، ثم بين الأخشيدي وسيف الدولة . وقد استمرت المنازعات عليها منذ سنة ست عشرة وثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله العباسى . وقد ولى محمد بن طنج على الرملة ، ثم أضاف إليه دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، وكانت حلب فى أيدي ولاية يرسلون من بغداد ، ثم ولى محمد بن طنج مصر أيضاً ثم غزل عنها ، وفى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى عهد الراضى بالله العباسى عظم أمر ابن طنج ، فأعيدت ولايته على مصر ،

وامتد ساططانه على الشام كلها ، وخلع طاعة الخليفة ؛ فأرسل إليه ابن رائق ، فاستولى على الشام وولى ابن يزداد حلب ، ثم دمشق ، وكان الأخشيد قد استقر على الرملة ، فسير جيشاً يقوده كافور إلى الشام ، فهزم ابن يزداد واستولى على حلب ، ثم استقر سلطان الأخشيد على الشام كلها ، وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة استولى سيف الدولة على حلب ، وبقي الأخشيديون في دمشق .

وقد مدح أبو الطيب من رجال هذه الوقائع مساور بن محمد الرومي ، والحسين بن عبد الله بن طنج ، وهو ابن أخي الأخشيد ، وطاهر العلوي ، قال في مساور القصيدتين اللتين مطلماها :

جَلَّا كَابِي فَلَئِكَ التَّبْرِيحُ أَغْدَاءُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَغْنِ الشَّيْحُ
(و)

أَسَاوِرُ أَمِّ قَرْنِ شَمْسٍ هَذَا أَمِّ لَيْثٍ غَابَ يَقْدُمُ الْأَسْتَازَا
ويعنى الشاعر بلفظة «الأسْتَازَا» : كافوراً .

وكانت طريق أبي الطيب إلى الشام هي طريق الجزيرة ، فمر برأس عين وامتى إلى مَنبِج ، حيث أقام يمدح جماعة من رؤساء العرب ، وأول قصائده الشامية في الديوان يمدح بها سعيد بن عبد الله السكلابي المنبجي — وهي القصيدة التي أشرنا إليها من قبل — ثم مدح الشاعر جماعة أخرى في مَنبِج وطرابلس وغيرها من بلاد الشام الشمالية .

ولا نحب أن نمضي قُدُماً في سيرة الشاعر ، دون أن نقف بحادثة ادعائه النبوة ، وهي الحادثة التي أثرت أكبر التأثير في صوغ سيرته في كتب الأدب ، لنعلم أحقاً كان ذلك أم كذباً ؟ فإن كان كذباً فلماذا لقب بالمنبجي ؟ .

لا جدال في أن أبا الطيب سجن بالشام في أيام شبابه ، فقد أجمع على ذلك

رواة سيرته جميعهم - كما أنبأ به في شعره - أما سبب سجنه فذلك ما اختلف فيه الرواة بمضمون مع بعض ، وما اختلف فيه أبو الطيب ، مع رواة سيرته ، ويقول الخطيب البغدادي : إن أبا الطيب « لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوى حسنى ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوى ، إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين ، وحبس دهرًا طويلا ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق » ويقول أيضا رواية عن حاق يتحدثون : « إنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدي ، فقاتله وأسر ، وشرذ من اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرها من قبائل العرب ، وحبسه في السجن حبسًا طويلا فاعتل وكاد أن يتلف ، حتى سئل في أمره ؛ فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليها فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام .

ويروى للمرى في رسالة الفران : أنه لما حصل في بنى عدى ، وحاول أن يخرج فيهم ، قالوا له - وقد تبينوا دعواه - : ههنا ناقة صعبة ، فإن قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل ، وأنه مضى إلى تلك الناقة وهى رائحة في الإبل فتحيل ، حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة ، وتنكرت برهة ، ثم سكن نفارها ، ومشت مشى المسحة ، وأنه ورد الحلة وهو راكب عليها ، فمجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .

وروى كذلك : أنه كان في ديوان اللاذقية ، وأن بعض الكتاب اقبلت على يده سكين الأقلام ، فخرجه جرحًا مفرطًا ، فقتل عليها أبو الطيب من ريقه وشدها عليها ، وقال للمجروح : لا تحلها في يومك ، وعد له أيامًا وليالي ، فقبل الكاتب ذلك وبرى الجرح ، فصاروا يعتقدون فيه النبوة ، ويقولون : إنه كعبي الأموات .

وفي الصبح النبى : أن أبا الطيب قدم اللاذقية بعد نيف وعشرين وثلاثمائة

فأكرمه معاذ ثم قال له : والله إنك لكتاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير . فقال : ويحك ! أتدري ما تقول ؟ أنا نبي مرسل ؛ ثم تلا عليه جملة من قرآنه - وهو مائة وأربع عشرة عبرة - ثم أراه معجزة ، ففزع المطر عن بقعة وقف فيها ، فأصاب المطر ما حولها ولم تصبها قطرة ، فبايعه معاذ ، وعمت بيعته كل مدينة في الشام ، ثم إنه لما شاع ذكره ، وخرج بأرض سلية من عمل حمص قبض عليه ابن علي الهاشمي ، وأمر النجار بأن يجعل في رجله وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف ، وقد كتب أبو الطيب من حبسه إلى الوالي :

يبدى أيها الأمير الأريب الخ

تلك بعض الروايات التي ألصقت بأبي الطيب دعوى النبوة ، وهي روايات واضحة الكذب واهية الأسانيد ، فأما أولها فدعوى النبوة فيها مقحمة إقحاماً تسبقها وتمقّبها دعوى العلوية ، فكأنما صح في ذهن جبهة الرواة أنه تنبأ لجمعا في رواياتهم مصداق ما سمعوه وصح في أذهانهم ، وأما الثانية فهي رواية عن خلق يتحدثون ، وهذه مقطوع بطلانها مقضى بكذبها ، فأحاديث الخلق دائماً مزوقة الجوانب موشاة الحواشي ، بالكذب القصصى الشيق ، وأما رواية المعري فهي حديث خرافة أيضاً ، لا تقرر شيئاً ، إلا أنه قام بالمعجزات وأن الناس صدقوا به ، وذلك شيء بعيد الحدوث ، بل مستحيله أيضاً ؛ فلو أن المتنبي تنبأ فعلاً فمن المقطوع به أن أحداً من الناس لم يؤمن بنبوته ، وأما رواية معاذ فمناطقة بالكذب الصريح والتلفيق البين . لأن فيه قرآناً ومعجزات وتصديقاً بدعوته ، وحديثاً مفككاً يناقض أوله آخره .

والذى يسهل على التصديق ويدخل في نطاق الواقع من أيسر سبيل أن أبا الطيب لقب بالمتنبي لبعض أبيات من شعره ، ولتعاليه وتعاضله ، ففي الديوان قطعة جاء قبها « وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي على ما كان قد شاهد من تهوره فقال :

أيا عبد الإله معاذ إني خفي عنك في الهيجا مقامي .
وليس في هذه القطعة إلا المخاطرة ومصالوة الخطوب في سبيل ما يطمح إليه
من المجد والسؤدد ، وليس فيها ذكر لدعوى النبوة أو إشارة إلى خارق المعجزات
التي حفلت بها الرواية السابقة .

ويقول الثعالبي : إنه بلغ من كبر نفسه وبعد همته أنه دعا قوماً من رائيي نبله ،
على الحدائث في سنه ، والفضاضة من عوده ؛ وحين كاد يتم أمر دعوته ، تأذى خبره
إلى وإلى البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده .

وهذه رواية معقولة مقنعة مسيرة للمنطق والصدق . وقد روى الثعالبي بعد
ذلك أنه « يحكى أنه تنبأ في صباه ، وفتن شرذمة بقوة أدبه وحسن كلامه »
وهو يقصد بذلك أن يشير إلى ما تجاذبه الناس من حديث التنبؤ ، وما لا كنه
الأسن من خرافة قصصية مشوقة .

وروى الخطيب عن التنوخي : « فأما أنا فسألته بالأهواز سنة ٣٥٤ هـ عند
اجتيازها بها إلى فارس في حديث طويل جرى بيننا عن معنى التنبؤ ، لأنني أردت
أن أسمع منه هل تنبأ أم لا ؟ فأجابني بجواب مغالط لي وهو أن قال : هذا
شيء كان في الحدائث » .

ويقول ابن جنى في شرحه : « وكان قوم قد وشوا به إلى السلطان في صباه
ونكذبوا عليه ، وقالوا له : قد اتقاد له خلق كثير من العرب ، وقد غزم على أخذ
بلدك ، حتى أوحشوه منه فاعتقله ، وضيق عليه ، فكتب إليه يمدحه » .
أما رأى ابن جنى في تلقيبه بالتنبؤ فهو قوله :

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود
وذلك رأى تنميل إلى الأخذ به . فواضح من قصيدته في الاعتقال ومطلعها :

أَيَا خَدَدَ اللَّهِ وَرَدَ الْخُدُودِ وَقَدْ قُدُّودَ الْحِسانِ الْقُدُودِ
إن التهمة التي ألصقت بالمتنبى لم تكن ادعاء النبوة ، وإنما كانت دعوى
أخرى تكشف عنها العقيدة ، ويعترف بها الشاعر ولا يحاول إنكارها ، وهي
اتهمه « بالعدوان على العالمين » أى بالخروج على السلطان .

ويصح كذلك أن يكون سبب تسميته بالمتنبى ذلك البيت :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ك مقام المسيح بين اليهود
وليس أيسر من أن يسمع حاسدوه هذا الشعر فيلقبوه بالمتنبى ، وفى أيامنا
هذه من أمثال ذلك كثير فى الصحف والمجلات ، فإذا أطلق عليه هذا اللقب
وذاع وسرى فى الناس ، ثم مضت مدة رجع فيها الناس إلى الاستقصاء استطاع
أصحاب الخيالات القصصية أن يخلقوا قصة طريفة يفسرون بها هذا اللقب ،
ويسندون فيها إليه ادعاء النبوة .

ونعود إلى سيرة المتنبى فنقول :

كان سجنه سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، أو فى السنة التى بعدها ، ويؤخذ ذلك
من أنه قال فى قصيدته التى أرسلها من سجنه إلى الوالى يمدحه :

فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ الْخُرَشْنِيَّ كُشَاءَ أَحْسَ زَيْبِرِ الْأَسْوَدِ

والخرشنى هو : بدر الخرشنى والى حلب من قبل الخليفة العباسى ؛ وثابت
فى كتب التاريخ أن الأخشيد استولى على حلب سنة أربع وعشرين وثلاثمائة
بعد أن تركها الخرشنى إلى بغداد ، فإن كان أبو الطيب يقصد بهذا البيت نزوح
الخرشنى إلى بغداد ، قبل استيلاء الأخشيد على حلب ؛ فيكون سجنه فى هذه السنة
أو فى التى تليها .

ولقد لبث أبو الطيب بالشام خمس عشرة سنة ، وهو دائم الترحال غير

مستقر على حال ، يقصد المملوحين ، فيخيون أمله ، فتشور نفسه ، وتتحكم
كبرياؤه ، ثم يعود فيكتب النفس الأبية ، ويمسك كبرياه بيده ، وتلجته
الحاجة الملحة إلى معاودة المدح . وقد مدح أثناء ذلك اثنين وثلاثين رجلا
بأربع وأربعين قصيدة ، ومنهم التوخيون باللاذقية ، وبدر بن عمار الأسدي
نائب ابن رائق في طبرية ، ومساور بن محمد الرومي وإلى حلب ؛ وقد لزم
التوخيين وابن عمار زمنا . وأكثر البلاد نصيبا من مدائحه : منبج ،
وأنطاكية ، واللاذقية ، وطبرية ، ومدح كذلك في طرابلس ، وطرسوس ،
وجبل جرش ودمشق ، والرملة .

وقد نظم في تلك المدة خمس قصائد لنفسه ، يعرب فيها عن مطامحه
ويفخر ويشور . وهي القصائد التي أبانت عن آماله وأوخت عن أحلام
نفسه الكبيرة .

ولم يُفد أبو الطيب من مديحه إلا العطاء النزر ، على كثرة ما بالغ واحتفل .
روى ياقوت في معجم الأدباء : أن المتنبي لما مدح محمد بن زريق
الطرسوسي بقصيدته :

هَذِي بَرَزْتُ لَنَا فَهَجْتُ رَسِيئًا نُمِّ أَقْنِيَتْ وَمَا شَفِيَتْ نَسِيئًا
وصله عليها بعشرة دراهم . فقليل له : إن شعره حسن . فقال : ما أدرى أحسن هو
أم قبيح ، ولكن أزيده لقولك هذا عشرة دراهم ، فكانت صلته عليها عشرين
درهما . وروى الثعالبي : أن عليا بن منصور الحاجب أعطى أبا الطيب ديناراً
حينما مدحه بقصيدته :

بأبي الشمس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلابيا
فسميت القصيدة الدينارية ، وروى كذلك أن أبا الطيب مدح بدون العشرة

والخسة من الدراهم ، ولكن الذى لا ريب فيه ، أن كبار المدوحين أعطوه عطاء
ضخماً ، يلاثم شعره ومكاته .

ولقد كان المتنبي فى عهده هذا ، يبنى الجد والسؤدد ، ويأهج بالملك ، ويبنى
صروح الآمال الجسام . قال فى صباه :

ومن يبيع ما أبغى من الجد والعلی تساوى الخايى عنده والمقاتل
وعند ما لاه معاذ الاذق على توعده قال :

أيا عبد الإله معاذ إني خفى عنك فى الهيجا مقامى

وكثير جداً من شعره ينحو هذا المنحى ويسلك هذا السبيل . وكان يرى الوسيلة
إلى الملك الكفاح والقتال ومصارعة الخطوب ، وقد جاء ذلك فى شعره فى غير
موضع ، فإذا عاقته الأيام عن ذلك ، وتوانى عن إدراك أحلامه المريضة ، لام
نفسه وأنها تأنبا .

والذى يقرأ الديوان يدرك أن المتنبي كان يستعمل هذا الضرب من ذكر
الآمال وطلب الجد والسؤدد ، فى أول قصائده التى يمدح بها كما كان الشعراء
يستفتحون قصائدهم بالنسيب . وقد جرى على ذلك فى قصيدته التى مدح بها على
ابن إبراهيم التنوخى والتى مطلعها :

أحاد أم سداس فى أحاد لليتنا للنوطة بالتناد

وكذلك فى قصيدته التى مدح بها المقيث بن على بن بشر العجلي ، والتى
مطلعها :

فؤاد ما تسليه للدام وعمر مثل ما تهب للثام

وبلغ من ولع شاعرنا بهذا اللون من ألوان الكلام ، وقلة مبالاته بالناس
أنه تواعد بقتل المدوحين أيضاً ، وذلك فى قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله
الخصيبى .

وفي شعر المتنبي : أنه حارب في سبيل غايته ، وعارك وقتل ، ولا ندرى متى حارب
ومن قتل ، ولعل ذلك وهم وسوس به إليه شيطانه النافر الجامح :
ومن يجب أن ذلك الشاعر الطامح إلى الملك والاسطان ، الذي وسع صدره هذه
الآمال الكبار ، كان فقيراً معسراً لم ينل من حياته عيشاً رغداً ، يقول في إحدى
قصائده صباه :

أين فضلى إذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد
ضاق صدرى وطال في طلب الرزق قياى وقل عنه قمودى
ويقول بعض القصيدة الدينارية :

اغظمتنى الدنيا فلما جت بها مستقيماً مطرت على مصائبها
ويقول الثعالبي : إن أبا الطيب كان يحشم نفسه أسفراً أبعد من آماله ،
لا يستقر ببلد ولا يسكن إلى أحد ، وكان من وفرة ماله في سبيل غايته من
مشقة ، وشح ماله من مكافأة ، وطول ما عانى ونصب ، يكره الدنيا ومن
فيها ، ويخالها بناسها حرباً عليه ، وليس يغيب عن ذهن ما قاله في تحقير الناس ، من
شعر ممن في الذم . قال :

أذم إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم قدم وأحزمهم وغد
إلى آخر الأبيات .

وليس يخفى أنه كان متعالياً على الناس ، شديد الاعتداد بنفسه ، والإيمان بحقه
على أهل زمانه ، ونحسبه كان محققاً في ذلك ، وإلا لمساخض الناس به
إلى يومنا هذا ، ولما سعى إليه المدحون بدل أن يسعى إليهم . يقول في إحدى
قصائده صباه :

إن أكن معجباً فعجب عجب لم يجد فوق نفسه من مزيد
إلى آخر ما هو من هذا القبيل .

ولم يكن أبو الطيب يتغنى بالثورة والجد عبثاً ، ولا كان عاجزاً يُسنى نفسه بالقول
(٣٢ - المتنبي ١)

دون الفعل ، وإنما كان يسعى لآماله سعى الشيخ المجتهد ، فلقد هم بالثورة وترقب لها الفرص ، ثم سكت عن أشباه ذلك بعد أن بارح عتبة الصبا ، وأوغل في سنى الرجولة الحكيمة ، فتركزت آماله في عقله الباطن ، وراح يعمل على تحقيقها في هدوء ويقين وثقة بالنجاح ، وقد استمر يُمنّي النفس ، ويسيطر أمامها سبل الأمل الباسم الخلاب ، حتى قتل الزمان هذا الأمل في رأسه وخياله . فأب صامتاً محتملاً يشكو نفسه مظل الزمان ، ولا يشكو لبني الإنسان ، فهو يراهم دونه بكثير .

تلك كانت حالة الشاعر في بلاد الشام ، منذ ألقى بها عصا التسيار ، حتى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، بيد أنه على سوء حاله وإغراقه في شكوى الزمان ، قد سار ذكره ونبه شأنه ، وبسط شعره سلطانه على الناطقين بالضاد ، حتى رغب في مدائحهم الأمراء والحاكمين ، فدعاه الحسن بن عبيد الله بن طنج إلى الرملة ليمدحه - وهو أخو الأخشيدي كما قدمنا - ثم تيسر له سبيل الاتصال بأبي العشائر بن حمدان ، فهد له الوصول إلى سيف الدولة على بن حمدان ، الذي هيا له السمادة والمجد ، وأعاناه على الدخول في زمرة الخالدين ، وكان له على خطوب الأيام خير معين .

وكان لقاء الشاعر للحسن بن طنج في شعبان سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، إذ أرسل إليه رسوله بركوبة يركبها ، فامتنع الشاعر عليه ، فأقسم ألا يبرحه ، فدخل أبو الطيب فكتب قصيدة وعاد ومدادها لم يحف ، ثم ركب مع الرسول ، فدخل على ابن طنج فأنشده إياها وهي :

أنا لاثمي إن كنتُ وقت اللوأم علمت بما بي بين تلك المعالم
وكان هذا أول شعر المتنبي أجيز عليه إجازة كبيرة . جاء في الإيضاح : « أن المتنبي حدث بأنه أعطى من أجلها ألف دينار ، وقد أقام الشاعر مدة عند ابن طنج ، وفي الديوان غير هذه القصيدة : أرجوزة قصيرة ، وثلاث وعشرون قطعة قصيرة

أكثرها بيتان ، وقد قيلت قطعتان منها بعد عشر سنين من هذا التاريخ ، حين مر الشاعر بالرملة قاصداً مصر وما قوله :

ترك مدحيك كالمهجاء لنفسى وقليل لك المديح الكثير

و

ماذا الوداع وداع الوداع الكمد هذا الوداع وداع الروح للجسد

ومدح أبو الطيب في الرملة أيضاً أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوى ، وفي شرح المعرى وشروح أخرى : أن ابن طفج سأل الشاعر مدح أبي القاسم مرات عدة ، وألح عليه في ذلك كثيراً فكان يمتنع ، ثم سأله الأمير قصيدة في أبي القاسم بدل قصيدة كان يريد لها لنفسه فرضى أبو الطيب ؛ ولما ذهب الشاعر إلى أبي القاسم ومعه حاشية ، وجده في فريق من أشراف قومه يجلس على سريرته ، وقد نزل لأبي الطيب عن سريرته ولقيه بعيداً ، وأقبل عليه يحدثه ويؤنسه ويجلسه على سريرته ، ثم يجلس هو بين يديه ، وقد كان ذلك بدعاً في المديح حقاً ، فلم يسمع أحد قبـل أبي الطيب أن شاعراً جلس المدوح بين يديده ، وهذه القصيدة هي :

أعيدوا صباحي فهو عند الكواعب وردوا رقادي فهو لحظ الحبايب

ويحمل بنا أن نشير هنا إلى أنه لما غلبَ العباسيون على أمرهم ، وأصبح الخلفاء في أيدي القواد والأمرء ، نشأت في قبائل العرب أربع دول : هي بنو حمدان بالموصل وحلب (٣١٧ — ٥٣٩٤) وبنو مرداس ، وبنو المسيب ، وبنو مريد ، وإنما يعيننا من هذه الدول دولة بني حمدان التغلبيين ، التي أنجبت سيف الدولة الحمداني ، وتنسب هذه المشيرة إلى حمدان أحد رؤساء بني تغلب ، وهو ابن حمدون بن الحارث

ابن لقمان بن راشد ، يقول المتنبي :

وحدان حمدون ، وحمدون حارث وحاترث لقمان ، ولقمان راشد

وكان للحمدانيين نفوذ وسلطان إبان الخلافة العباسية منذ سنة ٢٦٠ ، وولى أمراؤهم ولايات كثيرة ، وكان على سيف الدولة الحمداني يملك واسطاً وما حولها ، ثم أخذ لنفسه بسيفه مملكة من الأخشيديين في شمال الشام ، واستولى على حلب وحصص سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة كما تقدم وكانت له وقائع مع الأخشيديين ، وقد استولى على دمشق والرملة بعد موت الأخشيد ، ثم غلب عليهما ، فأصطاح مع الأخشيديين على أن تكون له حلب ولهم دمشق ، وتزوج بنت الأخشيد ، واستمر له الملك ولذريته حتى أخذه الفاطميون .

وفي تاريخه : أنه صمد للروم يحاربهم عن العرب ، فكانت له معهم وقائع قبل أن يملك حلب ، فلما استقر له الملك وبسط يده على المدائن كان عليه أن يحمي ديار مملكة ، وأن يناضل عن بني دينه ولفته ، وأن يقيم عرشه على السيوف المسلطة والدماء المراقاة ، وقد استطاع أن يقف وحده عشرين عاماً شوكة وخازة في جسم الروم ، وسيفاً مشهوراً يزود عن العروبة والإسلام . لم تمض منها سنة واحدة إلا كان له فيها حروب ونضال ، فقدّر له النصر مرات عدة ، وأوغل في بلادهم سنة ٣٣٩ حتى قارب القسطنطينية وقدّر له كذلك أن يلتقى الهزائم المرة ، وكان شر هزائمه واقعة سنة ٣٥١ التي زحف فيها الروم على حلب ، فذبحوا فيها وقتلوا تقتيلاً ، ونهبوا دار الأمير وخرّبوها .

على أن سيف الدولة - الذي أصيب بفالج في يده ورجله سنة اثنتين وخسين وثلثمائة - لم يقعه ذلك عن حرب الروم ، فنأر منهم واتصر عليهم في السنة التالية .

وكان ذلك الأمير الأديب الشاعر شجاعاً في انتصاره وهزيمته معاً ، ماضى

العزيمة ، عظيم البلاء ، وقد توفى في حلب سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ودفن في ميفارقين .

وأضاف فتي الحرب والنضال إلى شجاعته وأدبه كرمًا وسماحة بالغة ، فكان مقصد العلماء والأدباء والشعراء ، وقبلة آمالم ومحط رحالم ، فيروى أنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء مثل ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر وفحول الأدب والعلم .

ومن قصده من الشعراء - غير أبي الطيب - أبو فراس ، وأبو العباس النامي ، وعلى بن عبد الله الناشئ ، والسرى الرقاء ، وكثيرون غيرهم ، وبلغت مدائحه عشرات الألوف من الأبيات ، اختار منها بعض الأدباء عشرة آلاف بيت وجمعوها في كتاب ، وصحبه من الأدباء كثيرون أيضًا منهم ابن خالويه وأبو علي الفارسي ، وأهداه أبو الفرج الأصفهاني كتاب الأغاني فأعطاه ألف دينار ، ولجأ إليه كذلك الفيلسوف الكبير أبو نصر الفارابي وعاش في كنفه ، وكان سخاؤه يشمل من بعد عنه ، وله شعر يدل على أنه شاعر مطبوع ، وتقد يدل على سلامة الذوق والعلم بلغة الضاد .

و بارح شاعرنا الرملة سنة ٣٣٦ قاصداً أنطاكية ، ماراً ببيطبك ، وكان فيها على ابن عسكر ، فخلع عليه ، وسأله أن يقيم عنده ، فمدحه بأربعة أبيات ورحل إلى أنطاكية فمدح فيها أبا العشائر بالقصيدة التي مطلعها :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي

ثم مدحه بثلاث قطع أخرى ، وأنشأ في أنطاكية كذلك أرجوزة أولها :

ما للمروج الخضر والحدائق يشكو خلاها كثرة العوائق

وذلك عند ما شهد الناجيكسو أديم الأرض ويفشى الربا والوهاد .

وأثناء إقامته في أنطاكية ، أغار عليها بانس المؤنسي - قائد الأخشيديين -

وفوجيء أبو العشائر فقاتل عن نفسه حتى بلغ حلب ، فقال المتنبي قصيدته :

إذا غمرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
ثم رجع أبو العشائر إلى أنطاكية ، وكان أبو الطيب عاد إلى الرملة ،
فلما سمع بقدومه خرج يقصده ، فلما غدا بطرابلس أراد إسحاق بن كيفلغ
على مدحه - وكان جاهلا - وكان بعض الناس قد أغروه به ، وقالوا : إنما يترك
مدحك استصفاً لك ، فلما راسله يستمدحه احتج أبو الطيب بيمين ألا يمدح
أحدًا إلى مدة ، فأخذ عليه الطرق حتى تنقضى المدّة ، فهجاه أبو الطيب بقصيدة
أملأها على من يثق به ، ولما ذاب الثلج عن لبنان خرج إلى دمشق ، واتبعه
ابن كيفلغ خيلاً ورجلاً فأهجم ، ثم ظهرت القصيدة ، وقد أقذع فيها المتنبي
وأخش إلى جانب ما أودعها من الحكمة الرائعة .
ولما بلغ الشاعر أنطاكية ، لقي أبا العشائر ومدحه بقصيدتين وثمانى قطع .

وأراد الله للشاعر الكبير أن يلقى بمدوحه الكبير ، وأن يمتزج تاريخهما
على مر العصور والأيام ، فقد كان أبو العشائر بن حمدان والياً على أنطاكية
من قبل سيف الدولة ، فلما قدم الأمير أنطاكية سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ،
قدم أبو العشائر إليه أبا الطيب ، وأثنى عليه ، ولم يشأ أبو الطيب أن يمدح
الأمير إلا بعد أن اشترط عليه ألا ينشده وهو واقف ، وألا يقبل الأرض
بين يديه ، فقبل سيف الدولة شروطه ، وكانت مما تميز به المتنبي على الشعراء
جميعاً ، ومما أوجت به إليه نفسه الطموح التي لا تقبل الهوان ، فقد تموّد
أن يتخذ من ممدوحه أصدقاء له وصحابة . وكان سيف الدولة سميع النفس
كريم الخلق ، فمن الهين عليه أن يتخذ المتنبي صديقاً صدوقاً ، وأن يكون
هو له نعم الصاحب أيضاً ، فهو الشاعر المجيد الذي يستطيع أن يشيد بآثره ،
ويخلد بطولته ، كما رأى المتنبي أن سيف الدولة هو الأمير العربي الذي يحسد

بدرره النوالى وآياته الخالدات ، بل إنه لشاعر المجد الذى يبنى مصاحبته شاعر
اللفظ والبيان ، قال المتنبى :

شاعر اللفظ خدنه شاعر المجد كلانا رب المعانى الدقاق

وقال :

لك الحمد فى الدر الذى لى لفظه فإنك معطيه وإنى ناظم
وصحب أبو الطيب سيف الدولة ثمانى سنوات ، نظم فيها اثنى عشر وخمسمائة
وألف بيت ، فى ثمانٍ وثلاثين قصيدة ، وإحدى وثلاثين قطعة : منها أربع
عشرة قصيدة فى وصف وقائمه مع الروم ، وأربع فى وقائمه مع العرب ، وخمس عشرة
فى الممدح المجرى عن وصف الوقائع ، وخمس فى الرثاء ، ومن القطع اثنتان فى حوادث
الروم ، والباقى فى مقاصد مختلفة ، يضاف إلى كل هذا قصيدة :

ذكر الصبا ومراتع الآرام جلبت حمى قبل يوم حمى

نظمها الشاعر سنة إحدى وعشرين وثلثمائة فى ثلاثة وثلاثين بيتاً ، وألحقها
بمدائح سيف الدولة ، وقد اتفقت روايات المؤرخين على أنه قالها فى ذلك
التاريخ ، ولكن الدكتور عبد الوهاب عزام لا يميل إلى تصديق ذلك ،
مرتكناً على أسباب وجيهة ، يراها القارىء فى كتابه عن المتنبى الذى اعتمدنا عليه
فى تلخيص هذه السيرة .

وقد مدح الشاعر سيف الدولة غير ذلك بقصيدتين ، وعزاه عن أخيه بأخرى ،
وذلك بعد أن رجع إلى العراق .

وكان سيف الدولة يصدق على شاعره أيما إغداق ، ويكرمه ويبالغ فى العطف
عليه وإكبار شأنه ، فكان يعطيه كل عام ثلاثة آلاف دينار ، وكان يمنحه غير
ذلك عطايا أخرى ومكافآت . قال المتنبى قطعه :

موقع الخليل من نذاك طفيف ولو أن الجياد فيها ألوف

حين سألّه الأمير عن فرس يرسله إليه ، وقال قطعته :
اخترت دهماً تين يا مطر ومن له في الفضائل الخير
حين خيرته في فرسين ، إحداهما دهماً والأخرى كيت ، وقال قطعته :
فعلت بنا فعل السماء بأرضه خلع الأمير وحقه لم نقضه
في خلع أنفذهما إليه ، وقال قطعته :
أيا رامياً يُضَيّ فؤاد مرامه تربى عداه ريشها لسهامه
وهو خارج إلى أقطاع أقطعه إياه الأمير في معرة النعمان ، وجاء في الشروح ذكر
لهدايا جمة منحها الأمير للشاعر بعد أن تصالحا إثر تنافرهما .
وينطلق شعر المتنبي في سيف الدولة ، بالنبطة والرضا ، ويفيض بالشكر
الأوفر ، يقول :

أسير إلى إقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحسامه
وقد سكن أبو الطيب إلى صحبة الأمير الكريم ، وطاب له زمانه ، فسكت عن
حديث الثورة والقتل الذي غمر شعره الأول وفاض في كل قصائده إلا قليلاً ، وكان
يصحبه في أغلب حروبه ، فتكن من وصفها وصف الشاهد كما بين في الديوان .
ثم . . . ثم أراد الله مرة أخرى أن يفرق بين الرجلين ، وأن يتم ما خطه
في أم الكتاب . . . وذلك بعد ثمانى سنوات لبها الشاعر في كنف الأمير كانت
أولى قصائد مدحه فيها :

وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه
وذلك سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وكانت آخر قصيدة في سنة خمس وأربعين
وثلثمائة وهى .

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم
وأما سبب فرقة الصديقين فهو حسد أكل قلوب شعراء سيف الدولة
والمحيطين به غير أبي الطيب ، وهو كذلك ضيق الأمير ذرعاً بالشاعر

للمتعالى الذى لا يقول فيه القصيدة إلا بعد أن يطلبها ويستعجلها أشهراً طويلاً .
أجل : فلقد كان حول سيف الدولة شعراء كثر ينشدون الخير والنعمة ، وكانت
شمس المتنبي غالباً على شمسهم ؛ فلا غرو أن ينقموا عليه ويحسدوه ، سيما وهو
المتكبر للمتعالى ، الضارب فى ذرى الأنفة والكبرياء ، الفخور بشعره ، والمتفرد
وحده برضى الأمير وإيثاره . وذلك الشاعر الذى يقول :

أنا السابق الهادى إلى ما أقوله إذ القول قبل القائلين مقول

لا يستطيع أن يلقى من شاعر آخر حباً أو وفاء أو إخلاصاً .
على أن من غير الشعراء كثيرين كانوا ينقمون عليه كذلك ويحسدون مكانته
عند الأمير وعظمتهم بين الناس . قال المتنبي :

أزل حسد الحساد غنى بكتبهم فأنت الذى صيرتهم لى حسداً
ولا مراة فى أن أولئك الشعراء قد غلبهم حسد أبى الطيب فبيتوا له المكائيد
وناصبوه العداء ، يقول الشاعر العملاق :

وفى كل يوم تحت ضنبى شويعر ضيف يقاوينى قصير يطاول
ويقول غير ذلك كثيراً بين يديك فى صفحات الديوان .

هذ ، وكان سيف الدولة مفرماً بشعر أبى الطيب ، يود أن يسمع كل يوم قصيدة
له فى مدحه ، وكان الشاعر ينظم أربع قصائد فى كل سنة أو خمسا غير القطع ،
فكان الأمير يفض عليه . فنحن نرى فى الديوان قصيدة قيلت فى جمادى الآخرة
سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ، وأخرى قيلت يوم الأضحى من تلك السنة ، وبين
التاريخين زهاء خمسة أشهر ، نظم الشاعر فيها سبع قطع وقصائد قصيرة يعتذر
فى اثنتين عن تأخير مدحه :

وجاء فى الصبح النبى : أن أبا فراس قال للأمير : « إن هذا المتشدق كثير
الإدلال عليك . وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن
أن تعقد مائتى دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره » .

وفي شرح ابن جنى : « وكان سيف الدولة إذا تأخر عن مدحه شق عليه ،
وأكثر أذاه ، وأحضر من لاخير فيه ، وتقدم إليه بالتعرض له في مجلسه بما
لا يحب ، فلا يجيب أبو الطيب أحداً عن شيء ، فيزيد ذلك في غيظ سيف
الدولة . . الخ »

وقويت النفرة بين الرجاين ، فأنشد الشاعر قصيدته المشهورة :
واحر قلباه ممن قلبه شيم ومن يجسمى وحالى عنده ألم
وقد اضطرب المجلس عند إنشاده هذه القصيدة ، وثار حاشية الأمير مطالبة
بدمه ، فرخص الأمير في ذلك ، حتى كاد الشاعر يهلك . يقول الشاعر
في السامري - وهو أحد كتّاب الأمير ، وكان قد طالب بدمه - :
أسامري ضحكة كل راء فطنت وكنت أغبي الأغبياء
إلى آخر الأبيات .

ولما خرج أبو الطيب بعد ذلك لقي عناء كبيراً من رجال سيف الدولة : وقد
أشهر سيفه فيهم حتى اخترقهم ولم يصنعوا به شيئاً ، وأرسل أبو العشار
جماعة من غلامائه وقتت في سبيل الشاعر ففرقهم بسيفه ولم يصبه منهم أذى
وفي ذلك يقول :

ومنتسب عندي إلى من أحبه وللنبل حولي من يديه حنيف
ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة مستخفياً فأقام عند بعض أصدقائه وراسل الأمير ،
فأنكر الأمير أنه أمر له بسوء ، وكتب الشاعر الأبيات :
ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا

فداه الوري أمضى السيوف مضارباً
ثم دخل الشاعر دار الأمير بعد تسعة عشر يوماً ودخل على الأمير
نفلع عنيه ورحب به وسأله عن حاله ، فقال : رأيت الموت عندك أحب
من الحياة عند غيرك ؛ فقال : بل يعطيل الله بقاءك ؛ ثم ركب الشاعر وأتبعه

الأمير هدايا فقال القصيدة :

أجاب دمي وما الداعي سوى طلل
دعا فلباه قبل الركب والإبل

على أن الشاعر كان يهدد بالفراق قبل ذلك ، فقد أشار إليه في القصيدة :
دروع لملك الروم هذى الرسائل يرُدُّ بها عن نفسه ويشاغل
وتبرم في قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب
وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب
وقد صرح الشاعر بكل ما في نفسه بعد أن رحل إلى كافور ، وفي قصائده التي
مدحه بها تعريض بسيف الدولة والمحدثين ، يراه القارىء واضحاً في الديوان ؛ من
ذلك قوله لكافور :

حيبتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكُن أنت وافيًا
على أنه لم يشأ أن يخفى ذلك عن سيف الدولة نفسه ، فقد صارحه به في
القصيدة التي أرسلها إليه من العراق إجابة لدعوته ، وذلك بعد أن مدحه
بقصيدتين ، وهي :

فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعا لأمر أمير العرب
من أجل ذلك فارق المتنبي سيف الدولة ، ولو أنه من المعقول أيضاً أن تكون
آماله الواسعة في السلطان هي التي حملته إلى مصر ، يبنى ما عثر عليه في رحاب بني
حمدان . ويقول ابن جني : إن المتنبي قد اعترف بأن قصيدته :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم
كانت وداعاً . . . وياله من وداع .

ولم يكن سيف الدولة على علم بأن وجهة المتنبي بعد مبارحته إياه ستكون مصر ، فقد استأذنه الشاعر في الرحيل إلى إقطاعه فأذن له ، وكان أبو الطيب يبيت في نفسه أمراً : أن يبرح حدود مملكة سيف الدولة ، وأن ينشد بابا آخر غير بابيه . جاء في شرح المعري « فأجمع رأيه على الرحيل من حلب ، فلم يجد بلداً يأوى إليه أولى من دمشق ، لأن حصص من عمل سيف الدولة » وقال في الصبح المنبي ما يقارب ذلك . وواضح من هذا أن المتنبي لم يرض أن يستأذن سيف الدولة في الرحيل خوف ألا يأذن له ، ولا ريب أن سيف الدولة لم يكن ليأذن له . وقد يكون المتنبي أوجس خيفة من بطش الأمير ، فلا يبعد عليه ذلك وهو الذي عرض بفدرة - بعد - في إحدى الكافوريات وسار المتنبي من حلب إلى دمشق ، فانتقل من مملكة سيف الدولة الحمداني إلى مملكة أبي المسك كافور الإخشيدي . وقد لبث الشاعر في دمشق مدة ، ثم دعاه كافور إليه فسار إلى مصر ؛ ويذهب بعضهم إلى أن أبا الطيب لبث في دمشق متسلكتا لا يريد الذهاب إلى كافور ، فلما دعاه كافور إليه مرتين لم يستطع إلا الذهاب ، وهم بذلك يضمنون مقدمة للهجاء المرة التي هجا بها الشاعر كافوراً بعد أن مدحه خير مديح . . ولكن الواضح أن أبا الطيب لم يخرج من بلاد سيف الدولة إلا قاصداً أبا المسك كافوراً دون غيره ، ولذلك يروى أن والي كافور على دمشق أراده على مدحه - لما كان نازلاً ببلده - فلم يرض ذلك . وثابت أن أبا الطيب - لما نزل الرملة في طريقه إلى مصر ، ولقي فيها أميرها الحسن بن عبد الله بن طنج - لم يقل فيه مدحاً ، إلا قطعتين صغيرتين تقدم ذكرهما ، وهما :

ترك مدحيك كالهجاء لنفسي وقليل لك المدح الكثير

(و)

ماذا الوداع وداع الوامق الكمد هذا الوداع وداع الروح للجسد

وكن قد مدحه من قبل ، ويفلب على الظن أن الشاعر لم يشأ أن يمدح أحداً قبل كافور وهو في طريقه إليه ، وأنه كان سائراً إلى هناك عن عمد ، ونية مبيتة وأمر محزوم .

فأما كافور الأخشيدي هذا ، فلا مندوحة من أن نوجز تاريخه في لحظة خاطفة ، وهو تاريخ لا نخال القارىء إلا علماً به .

هو مولى أسود كان لمحمد بن طفج الأخشيد ، ومحمد بن طفج كان والياً من قبل المقتدر بالله العباسي على دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، ثم ضم إليه الراضى بالله مصر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، ولقبه بعد ذلك « الأخشيد » واستتب الأمر له ولذريته في مصر إلى عهد الفاطميين .

ويقول صاحب النجوم الزهراء : إن الأخشيد اشترى كافوراً بثمانية عشر ديناراً من بعض رؤساء مصر ، وأعتقه ، ثم رقاها حتى جعله من كبار القواد ، لما رأى منه الحزم والعقل وحسن التدبير . ولما أضحى كافور قائد الجيوش الأخشيدي حارب ابن رائق ، ثم سيف الدولة في الشام ، وقد قدمنا أن أبا الطيب ذكره في مدحه لمساور بن محمد .

وعند ما توفى الأخشيد أخذ كافور البيعة لابنه أنوجور وعاد به إلى مصر . وقد ظن سيف الدولة أن موت الأخشيد يمكنه من دمشق ، فاستولى عليها وتقدم إلى الرملة ، ولكن كافوراً - وكان الحاكم الفعلى - سار إليه فهزمه وأخرجه من حلب ، ثم اصطالحا ، فأخذ سيف الدولة حلب ، وأخذ أنوجور دمشق . وتوفى أنوجور سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، فاجتهد كافور في أن يبقى الأمر لبني الأخشيد ، ونجح في ذلك ، إذ نال من الخليفة المظيع لله تولية لعلّى بن الأخشيد مكان أخيه ، على أن على بن الأخشيد لم يلبث أن مات سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وبقيت مصر أياماً بغير أمير - وكان أمرها في يد كافور - فاتفق أعيانها على تأميره ،

فأصبح بذلك هو السلطان - اسماً وفعلاً - حتى توفي سنة ست وخمسين وثلثمائة وعمره خمسة وستين سنة بعد أن حكم مصر وقسماً من الشام اثنتين وعشرين سنة .
 وكان كافور الأخشيدي داهية في السياسة ، شجاعاً حكيماً ، استطاع أن يكسب صداقة العباسيين والفاطميين معاً ، ويقال : إنه هو الذى آخر غزو جيوش المزمصر حتى مات ، نغلى لها السبيل ، وإن حرمة وكياسته جعلت منه سياسياً قديراً ، وداهية خطيراً ، وكان له - إلى هذا - بصير بالعرية والأدب ، وكان محباً للعلماء والأدباء ، يقرب الشعراء ويمجزيهم ، وكان ديناً متواضعاً ، سخياً كثير الهبات والخلم والعطايا والصدقات .

ولا بأس من أن نقول إن كافوراً الذى عرفه التاريخ السياسى ، غير كافور الذى عرفه كثيرون من رواة تاريخ الأدب ؛ فن هؤلاء من صوره فى أقبح الصور ، متأثراً بما لطفه به أبو الطيب من صفات أدوعها كل نقمة وبفضاء ؛ فن الخير أن نعرف الرجل على حقيقته ، ولا ننكر عليه مكائته وفطنته وكفايته ، لنسير فى سيرة شاعرنا - بعد ذلك - سير المحاييد غير المحابى أو المتجنى .

وقدم أبو الطيب مصر فى جمادى الثانية سنة ست وأربعين وثلثمائة ، فأقام بها أربع سنين ونصف سنة ، حتى بارحها فى ذى الحجة سنة خمسين وثلثمائة ؛ وقد مدح كافوراً حين قدم عليه بقصيدته :

كنى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنال أن يكن أمانيا
 وختم مدائحه بقصيدة أنشدها سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، وبقي بعد ذلك سنة وشهرين لم ينشده شيئاً ، وبين فاتحة مدائحه وخاتمتها أربعة أشهر وثلث سنين مدح فيها المتنبي كافوراً بتسع قصائد وقطعتين ، فيها كلها سبعون وثلثمائة بيت ، وهو رابع ما مدح به سيف الدولة .

وكانت بنية أبي الطيب من ذهابه إلى أبي المسك ، أن يقطعه ضيعة أو إمارة ، وكان شديد الأمل في ذلك عظيم الرجاء ؛ ولكن رجاءه خاب ، وأملة تبخر وطواه الهواء - وسببين كل ذلك بعد - وظاهر في مدائح أبي الطيب الأولى لكافور ، أنه لم يكن كارها لمدحه ولا مسوقا إليه عن رهبة أو مثلها ، فهو يكشف في أولى قصائده عن حزنه من صديقه الأول الذي غدر به ، وهو سيف الدولة ، وعن أمله الواسع في صديقه الجديد كافور ، وقد رضى الوقوف بين يديه مبالغة في تعظيمه وابتغاء معوته . ولن ننسى أن نقول إن كافوراً عندما نزل أبو الطيب في مصر أخلى له داراً وكفله وأضافه وخلع عليه . وفي هذه القصيدة أشار الشاعر إلى سيف الدولة وإلى بنى حمدان في مواضع مختلفة ، وأطنب في مدح أبي المسك ، ثم لمح إلى غايته فلم يشأ أن يخفيها ، يقول :

إذا كسب الناس المال بالندى فإنك تعطي في ندادك المعاليا
وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا
وفي الشهر التالي قال أبو الطيب قصيدته الثانية يهنئ بها كافوراً بدار بناها ، وهي التي أولها :

إنما التهنئات للأكفاء ولن يدنى من البعداء
وأنا منك لا يهنئ عضو بالمرات سائر الأعضاء
وتلك كانت طريقة المتنبي في المدح ، لا يفضل نفسه والإشادة بها ، وإشراكها مع المدوح فيما يفتق عليه من صفات طيبات .
وفي هذه القصيدة يقول الشاعر :

وفؤادى من الملوك وإن كان لسانى يرى من الشعراء
ويقول المعري : « ولما أنشد أبو الطيب حلف ليلفنه جميع ما في نفسه ، وإنه لا كذب ما يكون إذا حلف » .

ثم بعد شهرين ، قال أبو الطيب يمدح الأستاذ أبا المسك كافور قصيدته :
من الجآذِر في زى الأعارب حمر الحلى والمطايا والجلأيب
وفيها يقول أيضاً :

إلى الذى تهب الدولات راحته ولا يمتن على آثار موهوب
ثم أنشد الشاعر كافوراً فى عيد الأضحى قصيدته الرابعة :
أود من الأيام مالا توده وأشكو إليها ينننا وهى جنده

وفيها بين الشاعر عن آلام نفسه ، لأنه قصر عما يبتغيه ، وبدأ بالشكوى الخفية
والبيننة من مظل أبي المسك . ولا ريب أن كافوراً كان قد وعد الشاعر فضلاً
بولاية ، فهو هنا يستنجزه وعده ويسأله أن يجره فيقول :
ووعدك فعل قبل وعد لأنه نظير فعال الصادق القول وعده

ثم بعد ثلاثة أشهر من ذلك قال الشاعر قصيدته الخامسة ، وكان فرس
المتنبى قد جرح فحزن عليه . فتبين كافور ذلك وأرسل له فرساً أدهم ،
وأول القصيدة :

فراق ومن فارقت غير مذم وأمّ ومن يمتّ خير ميم
وفى هذه القصيدة يعاود الشاعر مدح سيف الدولة ، وذكر الحمدانيين بالخير ،
كأنما ضاق بكافور روعده ، وفى آخرها يقول :

ولو كنت أدرى كم حياى قسمتها وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم

ثم قال : الشاعر بعد ذلك قصيدة حكيمه مدح فيها كافوراً ، وذلك إثر شقاق
قال بين أبي المسك وبين الأمير أنوجوز انتهى بالصلح .

على أن حال أبي الطيب لا يطيب لها أن تسير فى طريق واحدة أو تستقر
على وتيرة ، فها هو يمل انتظار بغيته ، ويطلق الكيل فلا يستطيع اصطباراً

وها هو يقول - بعد أن أرسل إليه أبو المسك ستائة دينار ذهباً صلى أن تلميه عن رجائه - قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وذلك في عيد الفطر سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، أى بعد مقام الشاعر بمصر سنة وشهرين ، وفي هذه القصيدة - كما بين من الديوان - يندم أبو الطيب على مبارحته سيف الدولة وقصده كافوراً ، ويعتب فيها على سيف الدولة وعلى بنى حمدان ، ثم يحتجها بمدح كافور لعله بأنها ستبلغه وإن لم ينشده إياها .

وهنا أخذت النفرة بين الرجلين مظهرأ واضحاً ، فقد سكت الشاعر عن المديح ، بعد أن كان يواصل قصائده غيرَ وإن ولا يتمهل ، ثم يضطر بعد ذلك لإنشاده ، وذلك أن كافوراً كان قد ولى شبيباً العقيلي الخارجى عمان والبلقاء وما يليها ، فخرج على كافور وسار إلى دمشق في جيش كثيف ودخل المدينة ، وفي غمرة من المهرج والمرج ألنى شبيب ميتاً ، فارتاع جيشه ، وهرب جنده وتفرقوا ، ولم يعرف الناس كيف مات ، وجاءت الأخبار مصر فطالب كافور أبا الطيب بأن يذكر هذا في شعره فقال قصيدته التي مطلعها :

عدوك منموم بكل لسان وإن كان من أعدائك القمران

وذلك في جمادى الثانية سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وإنك لو اجد - من قراءة القصيدة - أن الشاعر الذى سكت عن مدح أبى المسك ثمانية أشهر ، ثم قيه في هذه القصيدة ، لم يكن مادحاً ، وإنما كان كمن يقصد الهجاء وكأنما أراد أن يؤبّن القتل ويرثيه بدل أن يقتبط لمقتله .

ثم انقطع المتنبي بعد هذه القصيدة المريبة عن مدح أبى المسك سنة وأربعة أشهر ، وأصاحبه في أثناء ذلك حتى قال قصيدته :

(٤٢ - المتنبي ١)

ملومكما يحل عن الملام ووقع فعّاله فوق الكلام
وقد عرض فيها بكافور وبخله ومنعه عن الرحيل عن مصر ، وأعجب بها أهل
مصر برغم أنها ساءت كافوراً لما بلفتته .

وفي أثناء ذلك أيضاً اتصل المتنبي بأبي شجاع فاتك الملقب بالجنون ، وقد كان
روميا وأسروربي في فلسطين ، ثم اغتصبه كافور من سيده بالرملة بلا ثمن فأعتقه
صاحبه ، فكان معه في عدة الممالك ، كريم النفس ، حر الطبع ، بعيد المهمة ،
ويقول المعري : إنه كان في أيام كافور مقبياً بالقيوم ، أنفة من الأسود وحياء من
الناس أن يركب معه ، وأنه مرض وأحوجته العلة إلى دخول مصر فدخلها ، وأن
أبا الطيب لم يتمكن من عيادته على أن فاتكا كان يسأل عنه ويراسله بالسلام ،
وأنه لما لقي أبا الطيب في الصحراء أهداه هدية قيمتها ألف دينار ذهباً ، ثم أتبعها
هدايا بعدها ، ويقول ابن خلكان : إن القيوم كان أقطاعاً لفاتك ، وإن أبا الطيب
كان يسمع بكرمه وشجاعته ، ولا يستطيع أن يقصده خشية كافور ، ثم استأذن
كافوراً في مدحه فأذن له ، ويروى أن ذلك كان بعد استقرار ما بين فاتك
والأستاذ كافور .

ويظهر أن الشاعر لم يرغب في مدح فاتك مع ما بينه وبين كافور من المنافسة-
إلا ليأسه من أبي المسك ، وقد مدح أبو الطيب فاتكا في جمادى الثانية سنة
ثمان وأربعين وثلثمائة بقصيدته :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال
وفي هذه القصيدة تعريض بكافور .

ثم عاود أبو الطيب مدح كافور ، بعد أن انقطع عن ذلك ستة عشر شهراً كاملة ،
وبعد أن قال قصيدة الحمى التي تقدم ذكرها ، وبعد أن تعرض لكافور في مدح
فاتك ، ويرى بعض المؤرخين أن عودة أبي الطيب إلى مديح كافور كانت خارجة

عن إرادته ، فقد طالبه كافور بذلك فلم يستطع إلا إجابته ، وقد يكون تطلع كافور إلى مدح الشاعر قد أحيا في نفسه الرجاء فعاد يلقي آخر سهم ، وينفض عن نفسه اليأس والإشفاق من أن يخيب ، وأما القصيدة فهي :

مُنَى كُنْ لِي إِنْ الْبَيَاضُ خَضَابُ فَيُخْفِي بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ

وفيها يتحدث الشاعر عن نفسه وعن آماله ، وعن وعد كافور له في غالب أبياتها ، ويمدحه فيها باثني عشر بيتاً .

ثم بقي أبو الطيب بمصر بعد هذه القصيدة سنة وشهرين دون أن يمدح كافوراً فإما كان يلقاه إلا أن يركب فيسير معه في الطريق لثلا يوحشه ، وكان الشاعر ضيف كافور مدة مقامه في مصر ، فكان ذلك هو الصلة بينهما بعد انقطاع الشاعر عن مدحه وحضور مجلسه .

وواضح غاية الوضوح من شعر المتنبي في كافور ، أنه لم يكن يبغى منه مالا نخسب ، بالغا ما بلغت قيمة ذلك المال ، وإنما كان يبغى ضيعة أو ولاية كما تقدم ، يقول :

إِذَا لَمْ تَنْطُبْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وَلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشَفْلُكَ يَسْلُبُ

ولو أنه كان يطلب المال لأعطاه كافور فوق ما أعطاه ، ألوفاً مؤلفة ، ونحسب أن كافوراً لم يدر بذهنه أن يقطعه هذا الذي يريد ، وإن كان يعدده ويمطله فذلك شيء من التلطف والمداجاة ، وقال بعض الشراح : إنه قال لأبي الطيب : « أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمت نفسك إلى النبوة ، فإن أصبت ولاية وصار لك أتباع فن يطيقك؟ » ولا نخاله قال ذلك ، وإن كان من السهل أن يفكر فيه ، ويقول بعض الشراح أيضاً : إن كافوراً كان ينوي إقطاعه ما يريد ، وقد حلف له بذلك ، ولكن أموراً بدرت من الشاعر لم تلق رضاه ، منها أنه ذكر سواده في قصائده ، وكان كافور يكره ذلك غاية الكراهة ، ولا نظن ذلك سبباً

معقولا ، فقد ذكر الشاعر سواد المملوح في مواضع طرب لما كافور واحتزّ لها
وكان ذلك منذ أول عهد الشاعر بمدحه ، فهو أدرك منه امتعاضاً من هذا لما كرهه
في قصائده بعد ذلك .

وليس بعيداً أن يكون كافور كره من الشاعر إلحاحه في طلبه ومداومته على
التذكير بالوحد في لغة يصح أن تسمى توبيخاً وتأنيباً ، فصح في عزمه ألا ينيله طلبته ،
ثم إن تهادى الشاعر في أشباه ذلك ، ورثائه لشبيب في القصيدة التي تقدم ذكرها ،
وتعريضه بكافور في قصيدة الحمى ، ومدحه لقاتك - كل أولئك كان سبباً في أن
يخيب أمل الشاعر في بنيه ، وأن يحمل بينه وبينها سداً ، وكانت صراحة التنبئ
وعلو نفسه ، يأيان له إلا أن يقول ما يحول بخاطره ، فلم يشأ إلا أن يقول ما قال ،
داخلاً في نطاق التوبيخ ، لا الاستعطاف والطلب الدليل .

ومما كان له أثرين في خيبة الشاعر في أمه في كافور ، أنه لم يشأ أن يمدح
الوزير ابن الفرات ، كما مدحه شعراء آخرون ، ليكون له عوناً يساعده على بلوغ
غايته ومبتغاه ، وكان الوزير ابن الفرات هذا ، وزيراً خطيراً من أسرة وزراء ومحدثاً
أديباً ميالاً لأهل العلم والأدب .

وكان أبو الطيب في آخر مقامه بمصر ، يود الرحيل ويبني الفكاك من ذلك
النطاق المضروب ، فلقد طللما ردد ذلك في قصائده ، ولقد طللما تبرم بمطل كافور
وضاق به ذرعاً . . ولكن كافوراً كان يمسكه عن الرحيل ويضع حوله العيون .

وليس خافياً أن كافوراً - لما نزل الشاعر بمصر - أنزله داراً ، وأغدق
عليه من ماله وأغرقه في عطائه ، وقد حسب أن ذلك يكفي ، فلما طالبه
الشاعر بولاية أو ضيعة ، وعده إجابة طلبه ، ثم خاف كافور الشاعر ، حين
أدرك علو نفسه ، ولمس بُعد أمانيه ، وعلم ما حبل به ماضيه من حبس وأدواء

النبوة وما إلى ذلك ، وقد أدرك القارىء أن الشاعر بدأ يستعجل الوعد ، ويندد بالمطالة ، بعد بقائه بمصر ثلاثة أشهر ليس غير ، وأدرك كذلك أنه سكت عن مديح كافور - بعد أن قال قصيدة شبيب والقصيدة الأخرى الأخيرة - سنة وشهرين ، وأنه ذكر الرحيل في شعره مراراً عدة ، كأنما كان كافور يحرص على ألا يفوته ، ابتغاء مدحه من ناحية ، واتقاء هجوه من أخرى . . . بل إنه لمن الثابت أن كافوراً منعه عن الرحيل منعاً ، ففى هجاء الشاعر له من بعد ما ينطق بذلك فى صراحة وبيان ، وجاء فى شرح المعرى وشروح أخرى : أن الشاعر كتب إلى كافور يستأذنه فى المسير إلى الرملة ليتنجز مآلاً بها ، وأراد أن يعرف رأيه فى مسيره فأجابه : لا ، والله ، أظال الله بقاءك ، لا نكلفك المسير ، ولكن نفذ رسولا يأتيك به ، فلما قرأ الجواب قال : آياته التى أولها :

أحلف لا تكلفنى مسيراً إلى بلد أحاول فيه مالا

ولما ضاق صدر الشاعر الكبير بذلك الذى لقيه بمصر ، ولم يطق بعده اصطباراً ، رحل إلى الكوفة رحيل هارب لا رحيل مودع مشيع ، فلم يعد له ما يتعزى به بعد وفاة أبى شجاع فاتك ، الذى اتخذه صديقاً مؤنساً طوال مدة بقائه بمصر بعد سكوته عن مديح كافور ، وكانت وفاة فاتك فى شوال سنة خمسين وثلثمائة ، وقد لبث الشاعر بعدها شهرين يدبر لرحيله ، جاء فى شرح المعرى وشروح أخرى « وقد أعد كل ما يحتاج إليه على صرا الأيام فى لطف ورفق ولا يعلم به أحد من غلمانه ، وهو يظهر الرغبة فى المقام ، وطال عليهم التحفظ ، فخرج ودفن الرماح فى الرمل ، وحمل الماء على الإبل فى الليل من النيل لعشر ليال ، وتزود لعشرين » .

وفى ليلة عيد الأنهى قال الشاعر قصيدته الحزينة الثائرة التى مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

وقد هجا فيها كافوراً هجاء مرأ ، وعرض يامساكه إياه عن الرحيل .
وقد اتهم أبو الطيب غفلة كافور وانشغاله بالعيد وبما يصحب العيد من سنن ،
وهم بأخذ طريقه التي بَيَّت سلوكها . ولما اجتاز أبو الطيب بلبس نزل على عبد
العزیز بن يوسف القيسى فأضافه وأكرمه وسيره . وقد كتب إليه الشاعر أبياته
التي أولها :

جزى عرباً أمست بلبس ربهما بمسعاتها تقررُ بذاك عيونها
وكان الشاعر يعرف عبد العزیز من قبل ، وله فيه أبياته الثلاثة التي أولها :
لئن مر بالفسطاط عيشى فقد حلا بعبد العزیز المـاجد الطرفین
ولا ريب في أن كافوراً ثار لما بلغته القصيدة التي قالها الشاعر ليلة العيد ،
ولا ريب كذلك أنه غضب لرحيله وتوجس خيفة من هجائه المر الذي سوف
يلحق بعضه بعضاً . ويقول بعض الرواة : إن كافوراً أتبع الشاعر بالخليل والرجل ،
وكتب إلى عماله ليسدوا عليه الطرق .

وعبر أبو الطيب بموضع يعرف بنجدة الطبر حتى خرج إلى مساء يعرف
بنحل بعد أيام ، فلقى عنده في الليل ركبا وخيلا صادرة عن كافور فأخذهم
وتركهم ، ولما قرب من النقاب رأى رائدين لبنى سليم على قلوبين ، فركب
الخليل وطردهما حتى أخذها ، فذكر له أن أهلها أرسلوها رائدين ، فلما
أمنها استبقاها ورد عليهما متاعهما . وسار معهما حتى توسط بيوت بنى سليم
آخر الليل ، فأكرمه ملاعب بن أبي النجم وذبح له ، ثم غدا فصار إلى النقع فنزل
بيادية من معن وسُنْبُس ، وهناك أكرمه عفيف المعنى وذبح له . ثم غدا من عنده
فسار يومه وبعض ليلته ، وعند الصباح دخل حِسى . وهى أرض طيبة خصبة ،
وبها جبال شاهقة .

وكان بنو فزارة شاتين بها ، فنزل الشاعر بقوم من عدى فزارة ، وطالب له
المقام فلبث شهراً . ثم ظهر له فساد عبيده - وكان كافور قد كتب لمن حوله

من العرب ووعدهم - فأنفذ رسولا إلى فتى من بنى فزارة ثم من بنى مازن ،
وهم قوم يؤثر عنهم رعاية الجوار . ثم سار إليه في الليل ، والقوم لا يعلمون
رحيله ، ولا يشكون أنه يريد البياض ، فأخذ طريق البياض حتى بلغ رأس
الصوان فتوقف ، وأنفذ رسولا إلى عرب بين يديه . وأراد أحد عبيده أن
يخنونه فضرب أبو الطيب وجهه بالسيف ، وأمر الغلمان فقطعوه ، وفي ذلك العبد
قال أبو الطيب :

أعددت للغادرين أسيافاً . . . الخ
ويقول ارتجالاً في هجاء وردان :

إن تك طيء كانت ثاماً فالأمهم ربيعة أو بنوه
إلى آخر الأبيات .

وكان رسول أبي الطيب قد عاد إليه وليس معه خبر عن العرب التي طلبها ،
فسار على بركة الله إلى دومة الجندل ، وذلك لإشفاقه من أن تكون
عليه عيون بحسنى تعلم أنه يريد البياض . وورد الشاعر البويرة بعد ثلاث
ليال ، ولما توسط الشاعر بسيطة - وهي أرض بقرب الكوفة - رأى بعض
عبيده ثوراً ، فقال : هذه منارة الجامع ، ونظر آخر إلى نعامه ، فقال : هذه نخلة ،
فضحك أبو الطيب وقال :

بسيطة مهلا سقيت القطارا تركت عيون عبيدى حيارى
إلى آخر الأبيات .

وورد العقدة بعد ليال ، واجتاز بيني جعفر بن كلاب وهم بالبرية فبات فيهم ،
ثم دخل الكوفة في شهر ربيع الثانى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .
ولم يسلك أبو الطيب من مصر إلى الكوفة الطريق المعهودة ، فقد سار
« على الحلال والأحياء والمفاوز الجاهيل والمناهل الأواجن » كما يقول صاحب

الإيضاح ، وهو بذلك يؤيد ما ادعى في شعره من الجرأة والدرية على الأسفار بالليل والنهار .

وكانت أولى قصائد الشاعر في الكوفة هي التي أولها :
ألا كل ماشية الخيزلي فدى كل ماشية الهيدبي

وقد عدد فيها المواضع التي مر بها في سيره ، ونجر ، وهما كافوراً .. وقد استغرقت رحلته من الفسطاط إلى الكوفة ثلاثة أشهر . وكان رجوع الشاعر الفحل إلى بلده ومسقط رأسه بعد غيبة طويلة عدتها ثلاثون سنة .

ولم يستطع الشاعر - وقد بارح الديار المصرية - أن ينسى صديقه أبا شجاع فاتك ، ولا أن يحمر قلبه من التحسر عليه والأسى لفقده ، ولم يستطع كذلك إلا أن يفيض نعمة على كافور وكرامة وبغضاء . وقد رثى فاتكا في ثلاث قصائد .
أنشأ أولها بعد خروجه من مصر وأولها :

الحزن يقلق والتجمل يردع والسمع بينهما عصى طبع
وأنشأ ثانيتهما في الكوفة ، وقد أخرج تقاحة من الند عليها اسم فاتك ، وأولها :
يذكرني فاتكا حلمه وشيء من الند فيه اسمه
وأنشأ الثالثة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، بعد خروجه من بغداد ، وأولها :
حتم نحن نساوى النجم في الظلم وما سراه على خف ولا قدم

وشاء الشاعر أن يهجو كافوراً أقذع الهجاء ، وأن يطلق من صدره جنوة مشتعلة من النعمة البالغة ، وذلك لأنه لم ينل عنده ما يبتغى ، ولأنه وعده فأخلفه ، ولأنه حبسه عن الرحيل ، ولأنه - في كل ذلك - أهله لثماته الأعداء والحاسدين .

وقد ضمن الشاعر ثلاث قصائد - تضمنت أغراضاً أخرى - هجاء كافور

وهي قصيدة العيد التي تقدم ذكرها ، والقصيدة التي وصف فيها سيره من مصر إلى الكوفة ، والقصيدة العينية التي رثى بها فاتكا ، وقد تقدم ذكرها أيضاً . ثم ضمن هجاءه كذلك ، القطعة التي رثى بها فاتكا حين أذكرته به تفاحة الند .

وخصص الشاعر غير ذلك - لهجاء كافور - ست قطع فيها أربع وأربعون بيتاً . منها القطعة التي أولها :
أريك الرضا لو أخفت النفس خافيا وما أنا عن نفسي ولا عنك راضياً
ومنها القطعة التي أولها :

أنوك من عبد ومن عرسه من سلط العبد على نفسه
ومنها القطعة التي أولها :

أسودَ أما القلب منه فضيَّق نخب وأما بطنه فرحيب
وقد نظمت في شوال سنة خمسين وثلثمائة .
ومنها القطعة التي أولها :

لو كان ذا الآكل أزوادنا ضيفا لأوسعناه إحسانا
وقد نظمت حينها بالرحيل عن مصر .

وكانت العراق لما قدمها أبو الطيب في أيدي بني بويه ، وقد نشأت دولة بني بويه هذه في أوائل القرن الرابع الهجري ، فتعاون الإخوة الثلاثة : على والحسن وأحمد على التسلط في فارس والعراق . واستولى أصغرهم أحمد على بغداد سنة أربع وثلاثين وثلثمائة . فنحهم الخليفة المستكن بالله الولاية على مابأيديهم ، ولقب علياً عماد الدولة ، والحسن ركن الدولة ، وأحمد معز الدولة : وبقى ملك بني بويه على العراق حتى سنة سبع وأربعين وأربعمائة حين استولى عليه السلاجقة .

ولم يكدمعز الدولة يملك في العراق أساييع ، حتى خلع الخليفة وسمل عينيه وولى مكانه الخليفة المطيع ، وانتقل بذلك الملك جملة من أيدي الخلفاء إلى أيدي البويهيين . وكان ذلك إيذاً باختراب والدمار وانتشار الظلم والظلمة والفوضى الآخذة بالعنان .

وقدم أبو الطيب العراق بعد ستة عشر عاماً من استيلاء معز الدولة عليها وأقام بالكوفة التي هجرها من قبل مراراً فراراً من القرامطة والأعراب ، فشهد بعد سنتين غارة بني كلاب عليها وشاركه في الحرب والدفاع عنها .

وكان يلي الوزارة الحسن بن محمد المعروف بالوزير المهلب . وكان أديباً شاعراً اجتمع حوله أدباء ، منهم القاضي التنوخي ، وأبو الفرج الأصفهاني وشعراء منهم السري الرفاء ، وكان جواداً مسرفاً كلفاً باللهو والمجون .

وقد لبث أبو الطيب بالعراق ثلاث سنين منذ قدمها حتى غادرها إلى فارس سنة أربع وخمسين - وكانت إقامته بالكوفة - وقد سافر في أثناء ذلك إلى بغداد مرة أو يزيد . ثم قدمها بعد في طريقه إلى فارس . ولا ندرى ما فعله بالكوفة إلا ما يحصل بقوله الشعر . ففي جمادى الثانية سنة ثلاث وخمسين هجراً ضبة بن يزيد العيني ، ويروى أن ابن يزيد العيني هذا جاء من سفاح ، يفدر بكل من نزل به وأكل معه وشرب . وكان أبو الطيب قد نزل بالطف بأصدقاء له وسارت خيلهم إلى هذا العبد واستركبوه فلزمه السير معهم ، فدخل العبد الحصن وأخذ يشتمهم أيما من وراء الحصن أقبح شتم ، ويسمى أبا الطيب ويشتمه . وأراد القوم أن يجيبوه بمثل ألفاظه ، وسألوا أبا الطيب ذلك فتكلف لهم على مشقة وعلم أنه لوسبه لهم معرضاً لم يفهم ولم يعمل فيه عمل التصريح فخطبه على ألسنتهم من حيث هو فقال . . الخ .

وفي هذه القصيدة أفدع المتنبي غاية الإقذاع . وفاض حقه فغمر القصيدة وأفعمها .

وجاء في شرح ابن جني : أن أبا الطيب أنكر إنشاد هذه القصيدة ، وقال الواحدى مثل ذلك .

ثم وقعت بعد ذلك حوادث بالكوفة اشترك فيها أبو الطيب وقاتل ، ومدح قائد الجيش الذى قدم من بغداد لصدا غارة الأعراب من بني كلاب على الكوفة . وكان أبو الطيب قبل قدوم ذلك القائد يقود الجيش المدافع عن المدينة لعدة أيام ، فلما حضر جيش بغداد كان بنو كلاب قد رحلوا عن الكوفة ، فنزل القائد وأخذ إلى أبي الطيب ثياباً نفيسة من ديباج وخز ، فأنشده هذه القصيدة في الميدان وهما على فرسيهما ، وذلك في ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين ، وأول القصيدة :

كدعواك كل يدعى صحة العقل ومن ذا الذى يدري بما فيه من جهل

وخرج أبو الطيب من الكوفة - قبل أن يبرحها إلى فارس - في شعبان سنة اثنتين وخمسين ، قاصداً بغداد ، وفيها لقي الوزير المهلبى ، ويرجح أنه أقام بها من جمادى الآخرة إلى شعبان ، أو قبل ذلك بقليل ، وقد نزل فيها بدار على بن حمزة البصرى اللغوى الذى روى ديوانه ، وبقي ضيفه إلى أن رحل عنها ، ولم يطل فيها مقامه .

وكان ببغداد معز الدولة بن بويه والوزير المهلبى .

وقد زار أبو الطيب المهلبى وجلس معه مرتين ، ولكنه لم يمدحه ، ولا هو مدح معز الدولة ، وقد كان أبو الطيب يود مدح المهلبى ، وأن يتخذة سيلاً إلى معز الدولة ، وإنما صده عن ذلك ما سمعه عنه من تماديه في السخف واستهتاره واستيلاء أهل الخلاعة عليه . وقد أغرى المهلبى بالمتنبى شاعراً ماجناً هو ابن حجاج فطلق بلجام دابته وقد تكأ كأ الناس عليه وأخذ ينشده :

يا شيخ أهل العلم فينا ومن يلزم أهل العلم توقيره

فلم يحفل به المتنبي وانصرف إلى منزله .
وقد كان الوزير المهلبى راغباً في مدح أبي الطيب ، مفيظاً مُحَنِّقاً من إغفاله إياه ،
وقد روى أنه أحضر على بن يوسف البقال فأنشده في حضرة المتنبي ، فقال المتنبي :
« ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال » .
ولما كان الوزير المهلبى وسيلة الشاعر إلى معز الدولة ، فإن الشاعر لم يجد
إلى معز الدولة من سبيل ، ولم يمدحه تبعاً لذلك .

ولم يشأ المهلبى أن ينسى إساءة الشاعر إليه وإغفاله إياه ، فأغرى به جماعة من
شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه ، ومنهم ابن الحجاج ،
وابن سكرة الهاشمي ، والحاتمي . فلم يجبه المتنبي ولا حفل بهم ، وقيل له في ذلك ،
فقال : إني قد فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء :

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمد الداء المضال
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرأً به الماء الزلال
وقولي :

أفي كل يوم تحت ضنبي شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول
إلى آخر الأبيات .

وقولي :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فعي الشهادة لي بأني كامل

ومما كان بين أبي الطيب وبين أعوان المهلبى ما حكاه الحاتمي من مناظرته
لأبي الطيب ببغداد ، ولا ريب أن الحاتمي كذب في ذلك على خصمه وبالغ في دعواه
إرضاء للمهلبى ، وقد قال ياقوت عن الحاتمي هذا : إنه كان مبغضاً لأهل العلم ،
وفي الفترة التي أقامها الشاعر ببغداد ، قرى عليه ديوانه وسمعه جماعة ، منهم على بن
حمزة البصري ، وابن جني ، والقاضي أبو الحسن الحمالي .

وشاء الله أن يملود قلب الشاعر الكبير الحنين إلى الأمير العربي
الجليل سيف الدولة بن حمدان ، فإنه لما سمع سيف الدولة بمخرج أبي الطيب
من مصر مراغماً كافوراً ، وبلوغه الكوفة ، كاتبه معرضاً برجوعه إلى حلب
ثم أهدى إليه هدايا متعاقبة . فأجابه أبو الطيب في شوال سنة اثنتين وخسين
بقصيدته التي مطلعها :

مالنا كلنا جو يا رسول أنا أهوى وقلبك التبول

وفيها يبين حزن الشاعر ، ومعاودته مدح الأمير الهام . وقد قالها لما
بلغه خروج سيف الدولة - وهو مريض - للقاء الروم ورجوعهم عن
غزو طرسوس .

ثم توفيت أخت سيف الدولة الكبرى في جمادى الثانية سنة اثنتين وخسين
وورد العراق خبرها ، فقال الشاعر في شعبان قصيدته :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب

فكان لهذا الرثاء أبلغ الأثر في نفس سيف الدولة ، فأرسل إلى الشاعر هدية
ومالا وأماناً بخطه وكتاباً يستدعيه ، فكتب أبو الطيب في ذى الحجة سنة ثلاث
وخسين قصيدته التي مطلعها :

فهمت الكتاب أبرا الكتب فسمعا لأمر أمير العرب

وبعد أن عاد الشاعر إلى الكوفة ولبث فيها عاود الذهاب إلى بغداد ، في
طريقه إلى فارس قاصداً ابن العميد ، وقد بارح بغداد للمرة الثانية في صفر
سنة أربع وخسين ، وذلك بعد مبارحته لها في المرة الأولى سنة وخمسة
أشهر . وقد أخذ طريق الأهواز وبها لقيه التنوخي . وبلغ أركان في الشهر
نفسه . فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والبور والمساكن ؛ ف ضرب
يده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض يتصلون بي وقصبت رب هذه
للدرة فما يكون منه ؟ ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته

إلى ابن العميد ودخل عليه وقال : مولاي أبو الطيب خارج البلد ، فثار من مضجعه ثم أمر حاجبه باستقباله . فركب واستركب من لقيه في الطريق ، فتلقوا الشاعر وقضوا حقه وأدخلوه البلد ، فدخل على أبي الفضل بن العميد فسلم له ، وطرح له كرسي عليه وسادة ديباج . وقال أبو الفضل : كنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيب .

وقد أفرد أبو الفضل له داراً نزلها ، وكان يفتي أبا الفضل كل يوم ويؤاكله . وابن العميد هذا - كما لا يخفى - هو الأديب الكبير أبو الفضل ابن العميد - وزير عضد الدولة ، وقد كان أبو الفضل ناقماً على الشاعر من قبل لأنه لم يمدحه ، وكان يريد أن يخمل ذكره ، حتى إنه ليروى أن بعض أصحابه دخل عليه يوماً قبل دخول المتنبي فوجده واجماً - وكانت أخته قد ماتت - فظنه واجداً لأجلها ، فسأله الخبر ، فقال : إنه ليفظني أمر هذا المتنبي واجتهادي في أن أخمل ذكره ، وقد ورد عليّ نيف وستون كتاباً في التعزية ما منها إلا وقد صدر بقوله :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فرزت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
ويروى أن ابن العميد لم يرسل إلى المتنبي ليدعوه ، ولكن الذى لاريب فيه أنه فرح بمقدمه وطرب لمدحه ، فذلك كان أملاً من آماله وأمنية من أمنياته المسولات .

وقد لبث الشاعر شهرين عند ابن العميد ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذى جمعه ويتمجب من حفظه وغزارة علمه . ومدحه الشاعر بثلاث قصائد ، كانت أولها القصيدة التى مطلعها :

بادِهواك صبرت أم لم تصبرا وبكالك مالم يجر دمعك أو جرى
وكانت ثانيها القصيدة التى مدحه بها فى النوروز وهى التى أولها :

جاءَ نَيرُوزُنا وأنتَ مُرادُه وورَتَ بالذی أرادَ زَناؤُه
وفیها يتواضع الشاعر ويتحذر ، كأنما أحس بأنه يخاطب بها أديباً كبيراً متميزاً
على غیره من المدوحین :

وبعد هذه القصيدة - وقبل القصيدة الثالثة - قطعتان قال الشاعر إحداها حين
ورد ، كتاب من أبي الفتح بن أبي الفضل ابن العميد وأولها :
بكتب الأنام كتاب ورد فدت يد كاتبه كل يد
وثانيتها قالها يصف مجرة رآها عند ابن العميد وأولها :

أحب امرئ حبَّ الأنفـس وأطـيب ما شمـه مَعْطـسُ
ثم تأتي بعد ذلك القصيدة الثالثة ، التي يودع فيها الشاعر أبا الفضل ابن العميد
وهي التي مطلعها :

نسيت وما أنسى عتاباً على الصد ولا خفراً زادت به حمرة الخد
وما كاد المتنبي - بعد قصيدة الوداع - يتأهب للرحيل إلى أهله بالكوفة حتى
جاء ابن العميد كتاب من عضد الدولة في طلب المتنبي ، فأنبأه ابن العميد به فقال :
مالى وللدليم ؟ فقال أبو الفضل : عضد الدولة أفضل منى ، ويصـلك بأضعاف
ما وصلتك به ، فأجاب : بأنى ملقى من هؤلاء الملوك أقصد الواحد بعد الواحد ،
وأملكهم شيئاً يبقى ببقاء النهرين ويعطوننى عرضاً فانياً ، ولى ضجرات واختيارات
فيموقوننى عن مرادى فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه . فكاتب ابن
العميد عضد الدولة بهذا الحديث ، فورد الجواب بأنه مملك مراده فى المقام
والظمن .

وكان عضد الدولة بصيراً بالأدب ، له شعر جيد ، وكانت دولة بنى بويه عامة دولة
للأدب العربى ، فتولى الوزارة لهم ابن العميد والصاحب والمهلبى .

وسار المتنبي من أَرَجَّان ، فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز استقبله عضد
الدولة بأبى عمر الصباغ أخى صاحب كتاب حقائق الآداب ، ثم دخل البلد فأنزل

داراً مفروشة ، ولما نفذ غبار السفر واستراح ركب إلى عضد الدولة فوسط الدار
واتهى إلى قرب السرير قبل الأرض واستوى قائماً ، وقال : شكرت مطية
حملتنى إليك ، وأملا وقف بى عليك .

وأنشأ أبو الطيب عند عضد الدولة ست قصائد وأرجوزة وقطعة ، وأولى هذه
القصائد هى :

أَوْهَ يَدِيلُ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذَكَرَاهَا
وهى التى يعزى بها عضد الدولة فى وفاة عمته - وكانت قد توفيت ببغداد ، وثانية
القصائد هى التى أولها :

مَغَانِي الشَّعْبِ طَيِّبًا فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرِّيسِ مِنَ الزَّمَانِ
وفىها يحمن الشاعر إلى العربية التى افتقدها فى فارس فاجد لها أثراً .
ووصل عضد الدولة الشاعر صلات كثيرة ، قدرت بأكثر من مائتى ألف درهم ،
ولما استأذنه فى المسير أمر أن يخلع عليه ويقاد إليه ويوصل بالمال الكثير - وقد ظهر
أثر ذلك فى شعر المتنبى .

وأقام أبو الطيب فى شيراز زهاء ثلاثة أشهر ، وقرىء عليه ديوانه ، ثم أنشد
قصيدة الوداع فى شعبان سنة أربع وخمسين ، وفيها يطلب فى شكر الأمير ، ويرغب
فى الرجوع إليه ، ويحمن إلى أهله ، ثم يتوقع أن شرأ سيصيبه فى طريقه ، وهى القصيدة
التى أولها :

فِدَى لَكَ مَنْ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلِكٌ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ

وكان خروج أبى الطيب من شيراز ، فى الثامن من شعبان ، قاصداً بغداد
فالكوفة ، وسار الشاعر بمراكبه وأحماله وغلطانه حتى بلغ الأهواز ، فقطع
بذلك واحداً وخمسين فرسخاً ، ثم سار خمسين فرسخاً أخرى حتى بلغ واسط
ونزل بها ، وبين واسط وبغداد زهاء أربعين فرسخاً ، كان على الشاعر أن

يحتازها قبل أن يصل مدينة السلام ، وعلى الطريق إليها بلاد ذكر منها في الروايات التي وردت عن مقتل أبي الطيب : النعمانية ، ودير العاقول ، والصافية ؛ فأما النعمانية فهي في وسط الطريق ، وهي قائمة اليوم على الشاطئ الغربي من دجلة ، وإلى الجنوب الشرقي من « دير العاقول » وعلى مقربة منه دير قنّى أو (قنة) وهو يبعد عن الشاطئ قليلا ، وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخا . وأمام دير العاقول « الصافية » وهي على فرسخين جنوب شرقي دير العاقول .

وسار أبو الطيب من واسط قاصداً بغداد في طريقه إلى الكوفة في اليوم السابع عشر من رمضان ، وفي ذلك اليوم كتب عنه على بن حمزة البصرى - على روايته - القصيدتين الأخيرتين في شعره .

وبلغ جبّـل بعد أن قطع زهاء سبعة عشر فرسخاً ، فنزل عند أبي نصر الجبّلى ، ثم أخذ طريقه حتى أصبح حيال النعمانية ، ثم سار فمر بجرجايا على أربعة فراسخ من الجنوب الشرقي من دير العاقول ، وتقدم بعد ذلك حتى قارب الصافية وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخاً ، وهناك خرج عليه فاتك بن أبي جهل الأسدى خال ضبة بن يزيد الذى هجاه أبو الطيب ، وكان فاتك في نيف وثلاثين فارساً راحمين وناشين ، ولا ريب أنه كان يترصد لأبى الطيب ، لينتقم لابن أخته ضبة ، وليستولى على ما يحمله معه من ثروة ، فقد روى أنه ومن معه كانوا ممن يقطعون طريق الحجاج .

وكان مع أبى الطيب ابنه محمد وغلّمانه ، وقد وصفهم من قبل في قصيدة رثاء فاتك الميمنية ، وفي قصيدة توديع ابن العميد ، ولا شك أن غلّمانه هؤلاء كانوا أقل عدداً من عدوهم .

وقاتل الشاعر الشجاع حتى قتل ، وقتل ابنه ، ويقول صاحب الإيضاح : إنهم « قتلوا كل من معه » وإن كان ذلك يبدو بعيداً ، ويروى أن أبا نصر قال : « ولما صح خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلّمانه وذهبت دماؤهم هدراً » .
(م ٥ - المتنبى ١)

ومن المرجح أن اليوم الذى أودى فيه الشاعر هو يوم الأربعاء الثامن والعشرون من رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة هجرية .

وقد رثى أبا الطيب من معاصريه ، أبو الفتح عثمان بن جنى بقصيدة أولها :
غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوحت بعد رى دوحة الكتب^(١)
ورثاه أبو القاسم المظفر بن على الطلبسى بأربعة أبيات رواها الثعالبي في اليتيمة وأولها :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا فى مثل ذاك اللسان
ورثاه ثابت بن هارون الرقى النصرانى ، وحرص عضد الدولة على عقاب من قتلوه بقصيدة أولها :
الدمر أخبث والليل أنكد من أن تميش لأهلها يا أحمد

وقبل أن نختم سيرة المتنبي ، نقول : إنه تزوج بعد سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، ولكننا لا ندرى متى تزوج ، وكان له عيال حنّ إليهم فى شعره وتشوق للقائهم ، وقد ورد فى أخبار المتنبي ذكر لابنه محمد ، ولم يرد ذكر لغيره ، ويرجح أن زوجه كانت من الشام .

ذلكم كان أبو الطيب المتنبي ، الشاعر الذى خُلد مع فنه الخالد وشعره الشاعر ، ولا ريب أن القارىء أدرك من مجل سيرته ما كان يدين به من خلق واضح الحدود ، بينّ المعالم ، فقد كان الشاعر - كما يبين فى شعره - متكبراً

(١) انظر ترجمة ابن جنى .

أيّاً معجباً بعيد الهمة ، وكان شجاعاً عظيم الإقدام ، وقد سيطرت عليه أخلاقه هذه ولعبت بحياته ، فجعلته متعالياً عن شعراء وقته عزوفاً عن مسايرتهم في اللهو والمجون ومعاقرة الخمر ، وكان كذلك صادق القول صريحه ، قال على بن حمزة :
إنه لم يكذب قط ، ومن آثار هذا أنه كان بنفر من التكلف ويفضل البداوة على التحضر .

وكان أبو الطيب عدا ذلك ، حاقداً على الناس ، يحقرهم ، ويطوى كشمه لهم على المودة والصفينة ، وذلك أثر من آثار اعتداده بنفسه وطموحه إلى السؤدد ، ثم قصوره عن بلوغ أمله ، على أنه - برغم هذا - كان وفيّاً لأصدقائه محباً لهم متأسياً لفرأقهم ، جازعاً لموتهم ، ثم كان في كل هذا حزين الطبع ، ثائراً ، يتنزى قلبه الماء وحسرة على ما أمل وفشل .

ومما أثر عن المتنبي أنه كان بخيلاً ، حريصاً على المال ليبلغ به غايته ، ويستعين به على تحقيق آماله الجسام ، وأحلامه الواسعة .

ولا نحسب الشاعر - ولم تسعده الحال في حياته على تحقيق مراده - إلا بالنا المبالغ في مماته ، وواجداً فوق ما أمل وأراد ، وكفاه خلوداً أن يظل على الأيام صاحب الذكر الدائم ، الباقي بقاء الضاد .

ترجمة المتنبي

« بقلم أحد معاصريه »

وقد استحسننا - لمناسبة كتاب إيضاح المشكل من شعر المتنبي الذي ورد ذكره في هذه السيرة ، لمصنفه أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني - أن نورد هنا ترجمة هذا الأصفهاني لأبي الطيب المتنبي . قال عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب : وهذه ترجمة المتنبي نقلتها من كتاب « إيضاح المشكل لشعر المتنبي من تصانيف أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني » وهذا الإيضاح قاصر على شرح ابن جني لديوان المتنبي ، يوضح ما أخطأ فيه من شرحه . وهو من عاصر ابن جني ، وألف الإيضاح لبهاء الدولة بن بويه قال : « وقد بدأت بذكر المتنبي ومنشئه ومغتربه ، وما دل عليه شعره من معتقده إلى مختتم أمره ، ومقدمه على الملك - نصر الله وجهه - بشيراز وانصرافه عنه ، إلى أن وقعت مقتله بين دبرقنة ، والنعمانية واقتسام عقائله وصفاليه . . حدثني ابن النجار ببغداد : أن مولد المتنبي كان بالكوفة في محلة تعرف بكيندة بها ثلاثة آلاف بيت ، من بين رواء ونساج .

واختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية^(١) شعراً ولغة وإعراباً ؛ فنشأ في خير حاضرة ، وقال الشعر صبيّاً ، ثم وقع إلى خير بادية - بادية اللاذقية ، وحصل في بيوت العرب ، فادعى الفضول الذي نزل به ، ففى خبره إلى أمير بعض أطرافها - فأشخص إليه من قيده وسار به إلى محبسه ، فبقى يعتذر إليه ويتبرأ مما وُسِمَ به ، في كلمته التي يقول فيها :

فمالك تقبلُ زورَ الكلام وقد رُ الشهادَةِ قدر الشهود

وفي جود كُفك ما جُذت لي بنفسى ولو كنتُ أشقى نُمود

(١) كذا في الأصل ويتمل أن تكون « العربية » .

وقد هجاه شعراءه وقته ، فقال الضبي :

الزَّمْ مقالَ الشعرِ تَحْظُ بِقَرْبَةٍ وعن النبوة ، لا أبالك ، فانتزع
ترجيحَ دما قد كنت توجبُ سفكه إن التمتع بالحياة كمن ربح
فأجابه المتنبي :

أمرى إلى فإن سمحتُ بهجة كرمتُ على فإن مثلي من سمح
وهجاه غيره فقال :

أطلتَ يا أيها الشقي دَمَك بالهذيان الذي ملأت فمك
أقسمتُ لو أقسم الأميرُ على قتلك قبل العشاء ما ظلمك
فأجابه المتنبي :

همك في أمرٍ تقلب في عين دواقٍ من صلبه فلك
وهمتي في انتضاء ذى شطب أقد يوماً بحده أدمك
فأخسَ كلييا واقعد على ذنب وأظلي بما بين أليتيك فمك
وهو في الجملة خبيث الاعتقاد ، وكان في صفه وقع إلى واحد يكنى أبا الفضل
بالكوفة من المتفلسفة فهوَّسه وأضله كما ضل ، وأما ما يدل عليه شعره
فتلون ، وقوله :

هون على بصر ما شق منظره فإنما يقظات العين كاللحم
مذهب السوفسطائية ، وقوله :

تمتّع من سهادٍ أو رقادٍ ولا تأمل كرمى تحت الرجام
فإن لثالك الحالين معنى سوى معنى انتباهك والنمام
مذهب التناسخ ، وقوله :

نحن بنو الدنيا فإلنا نفاقٌ ما لابدٌ من شربهِ

فهذه الأرواح من جَوِّه وهذه الأجسام من تَرْبِه
مذهب الفضائية . وقوله في أبي الفضل بن العميد :
فإن يكن المهديُّ مَنْ بَانَ هَدْيُهُ فهذا ، وإلا فالهدي ذَا ، فما المهدي
مذهب الشيعة . وقوله :

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتِّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَأُخْلِفَ فِي الشَّجَبِ
قَعِيلٌ : تَخَلَّدُ نَفْسُ الْمَرْءِ بَاقِيَةً وَقِيلَ : تَشْرُكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ
فهذا من يقول بالنفس الناطقة ، ويتشعب بعضه إلى قول الحشيشية . والإنسان
إذا خلع ربة الإسلام من عنقه ، وأسلمه الله عزَّ وجلَّ إلى حوله وقوَّته ، وجد
في الضلالات مجالا واسعا ، وفي البدع والجهالات مناديجَ وفُسحا . ثم جئنا
إلى حديثه واتِّجاعه ، ومفارقتة الكوفة أصلا ، وتطوافه في أطراف الشام ،
واستقرائه بلاد العرب ، ومقاساته للضرِّ وسوء الحال ، ونزارة كسبه ، وحقارة
ما يوصل به ، حتى إنه أخبرني أبو الحسن الطرائفي ببغداد — وكان لقي المتنبّي
دفعات في حال عسره ويسره — أَنَّ المتنبّي قد مدَّح بدون العشرة والخمسة من الدراهم
وأَنشد في قوله مصداقا لحكايته :

انصُرْ بِمُجُودِكَ أَلْفَاظًا تَرَكْتُ بِهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مِنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا
قَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مَرْتَحِلُ وَذَا الْوَدَاعُ ، فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِئْنَا
وأخبرني أبو الحسن الطرائفي قال : سمعت المتنبّي يقول : أوَّلَ شعر قلته وابتضت
أيامي بعده ، قولي :

أَنَا لَا نَمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَوَائِمِ

علمتُ بما بي بين تلك العالم

فإني أُعْطِيتُ بِهَا بِدَمَشْقَ مِائَةِ دِينَارٍ . . . ثُمَّ اتَّصَلَ بِأَبِي الْعَشَائِرِ ، فَأَقَامَ
مَا أَقَامَ ثُمَّ أَهْدَاهُ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، فَاشْتَرَطَ أَنَّهُ لَا يَنْشُدُ إِلَّا قَاعِدًا وَعَلَى الْوَحْدَةِ ، فَاسْتَحْمَلُوهُ
وَأَجَابُوهُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ شَعْرَهُ حَكَمَ لَهُ بِالْفَضْلِ ، وَعَدَّ مَا طَلَبَهُ اسْتِحْقَاقًا .

وأخبرني أبو الفتح عثمان بن جني : أن المتنبي أسقط من شعره الكثير وبقي ما تداوله الناس . . . وأخبرني الحلبي أنه قيل للمتنبي : معنى بيتك هذا أخذه من قول الطائي . فأجاب المتنبي : الشعر جاذبة ، وربما وقع حافر على حافر . وكان المتنبي يحفظ ديواني الطائيين ، وبستصبحهما في أسفاره ويحجدهما ، فلما قتل توزعت دقاته ، فوقع ديوان البحري إلى بعض من درس عليّ ، وذكر أنه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه . وسمعت من قال : إن كافوراً لما سمع قوله :

إِذَا لَمْ تَنْطَبِ ضَيْعَةً أَوْ وَلايَةً لِّخُودُكَ يَكْسُونِي وَشُفْلُكَ يَسْلُبُ
يَلْتَمِسُ وَلايَةَ صَيْدَاءَ . فَأَجَابَهُ : لَسْتُ أَجْسُرُ عَلَى تَوَلِيَّتِكَ صَيْدَاءَ ، لِأَنَّكَ
عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، تَحَدِّثُ نَفْسَكَ بِمَا تَحَدِّثُ ؛ فَإِنَّ وَلِيَّتَكَ صَيْدَاءَ ، فَمَنْ
يَطْبِقُكَ ؟ !

وسمعتُ أنه قيل للمتنبي : قولك لكافور :
فَارْمِ بِي حَيْثَا أَرَدْتَ فَإِنِّي أَسَدُ الْقَلْبِ آدِمِي الرِّوَاءَ
وَفَوَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَانِ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ
ليس قول ممتدح ولا منتجع ، إنما هو قول مضاد ! فأجاب المتنبي إلى أن قال :
هذه القلوب ، كما سمعت أحدها يقول :

يَقْرَأُ بَعْنِي أَنْ أَرَى قِصْدَ الْقَنَاءِ وَصَرَغِي رِجَالِي فِي وَغْيِ أَنَا حَاضِرُهُ
وأحدها يقول :

يَقْرَأُ بَعْنِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهَا ذُرَا عَقْدَاتِ الْأَجْرَعِ الْمُتَوَادِرِ

ثم أقام المتنبي عند سيف الدولة على التكرمة البليغة : في إسناء الجائزة ، ورفع المنزلة . ودخل مع سيف الدولة بلاد الروم ، وتأثّل حالاً في جنبته بعد أن كان حويّلة . وكان سيف الدولة يستحبُّ الاستكثار من شعره والمتنبي يستقله ، وكان

مَلَقَى مِنْ هَذِهِ الْحَالِ ، يَشْكُوها أَبَدًا ؛ وَبِهَا فَارَقَهُ حَيْثُ أُنْشِدَهُ :
وَمَا اِتَّفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
وآخِرُهَا :

بَأَى لَفْظَ يَقُولُ الشَّعِرَ زِعْنِفَةً تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا نَجْمٌ
وَقَالَ فِي أُخْرَى :

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلُحْيَةٍ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ !
فَلَمَّا اِتَّهَتْ مَدَّتُهُ عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى أَقْطَاعِهِ ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَامْتَدَّ
بِاسْطِ عَنَانِهِ إِلَى دِمَشْقَ ، إِلَى أَنْ قَصَدَ مِصْرَ فَأَلَمَ بِكَافُورٍ ، فَأَنْزَلَهُ وَأَقَامَ مَا أَقَامَ . إِلَّا
أَنْ أَوَّلَ شَعْرِهِ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى نَدَمِهِ لِفِرَاقِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ :
كُنِيَ بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا وَحَسْبُ الْمَنَاسِيَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
حَتَّى اِتَّبَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارَكَ غَيْرُهُ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاكِيَا
وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْمَوْلَدِينَ بِبَغْدَادَ ، وَخَالَهُ أَبُو الْفَتْحِ يَتَوَزَّرُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ . أَنْ
سَيْفِ الدَّوْلَةِ رَسَمَ لِي التَّوْقِيعَ إِلَى دِيْوَانِ الْبَرِّ بِإِخْرَاجِ الْحَالِ فِيمَا وَصَلَ بِهِ الْمُتَنَبِّيُّ ،
فَخَرَجَتْ بِخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي مَدَّةِ أَرْبَعِ سَنِينَ .

ثُمَّ لَمَّا أُنْشِدَ الثَّانِيَةَ كَافُورًا خَرَجَتْ مُوجَّهَةً يَشْتَاكُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ . وَأَوَّلُهَا :
فِرَاقٌ ، وَمَنْ فَارَقْتَ غَيْرُ مَنْمَمٍ وَأُمٌّ ، وَمَنْ يَمَّتْ خَيْرُ مُيَمَّمٍ

وَأَقَامَ عَلَى كَرِهِ بِمِصْرَ إِلَى أَنْ وَرَدَ فَاتَكَ غَلَامُ الْأَخْشِيدِيِّ مِنَ الْيَوْمِ - وَهِيَ
وَبَيْتُهُ ، فَنَبَتْ بِهِ وَاجْتَوَاهَا - وَقَادُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَدْخَلِهِ إِلَى مِصْرَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ
جَنْبِيَّةٍ مُنْعَلَةٍ بِالذَّهَبِ ؛ فَسَمَاءُ أَهْلِ مِصْرَ فَاتَكَ الْجُنُونُ . فَلَقِيَهُ الْمُتَنَبِّيُّ فِي الْمِيدَانِ
عَلَى رِقْبَةٍ مِنْ كَافُورٍ فَقَالَ :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْحَالُ

فوصل إليه من أنواع صلاته وأصناف جوائزه ما تبلغ قيمته عشرين ألف دينار ،
ثم مضى فأتك لسيله ، فرثاه المتنبي وذم كافوراً :

أيموتُ مثل أبي شجاعٍ فأتكِ ويعيشُ حاسدُهُ الخِصِي الأوكعُ !

فاحتال بعده في الخلاص من كافور ، فاتهز الفرصة في العيد — وكان رسم
السلطان أن يستقبل العيد بيوم ، وتمدّ فيه الخلع والحللات وأنواع المبار ، لرابطة
جنده وراتبة جيشه ، وصبيحة العيد تفرّق ، وثاني اليوم يذكر له من قبل ومن ردّ
واستزاد — فاهتبل المتنبي غفلة كافور ، ودفن رماحه برّاً ، وسار ليلته وحمل بفاله
وجماله وهو لا يالو سيراً وسرّى هذه الليلة مسافة أيام ؛ حتى وقع في تيه بني إسرائيل ؛
إلى أن جازه على الحلال والأحياء والمفاوز المجاهيل ، والمناهل الأواجن ، ونزل
الكوفة ، وقال يقصّ حاله :

ألا . كل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدني

وفيها يقول :

ضربتُ بها التيه ضربَ القِما ر : إماً لهذا ، وإما لهذا

ثم مدح بالكوفة دليّ بن لشكروّز ، وأنشده في الميدان ؛ فحمله على فرس
بمركب ذهب .

وكان السبب في قصّده ، أبا الفضل بن العميد — على ما أخبرني أبو عليّ بن شبيب
القاشاني — وكان أحد تلامذتي ، ودرس عليّ بقاشان سنة ثلثمائة وسبعين وتوزّر
للأصبهيد بالجبل وأبوه أبو القاسم توزّر لوشمكير بمرجان — عن العلوي العباسي نديم
أبي الفضل بن العميد الذي يقول فيه :

أبلغ رسالاتي الشريف ، وقلّ له : قدك انتدأريت في الفلواء

إن المعروف المطوّق الشاشي كان بمصر وقت المتنبي فعمد إلى قصيدته في كافور :

* أغالب فيك الشوق والشوق أغلب *

وجعل مكان أبا المسك أبا الفضل ، وسار إلى خراسان وحمل القصيدة ، أعنى قصيدة

المتنبى إلى أبى الفضل ، وزعم أنه رسوله ، فوصله أبو الفضل بألفى درهم ، واتصل هذا الخبر بالمتنبى ببغداد ، فقال : رجل يعطى لحامل شعري هذا ، فما تكون صلتها ؟ وكان ابن العميد يخرج في السنة من الرىّ خرجتين إلى أَرْجَان ، يجيى بها أربع عشرة مرة ألفَ ألفِ درهم . فلما حديثه إلى المتنبى بمحصله بأَرْجَان ، فلما حصل المتنبى ببغداد نزل رَبَضَ حُميد ، فركب إلى المهلبى ، فأذن له فدخل وجلس إلى جنبه ، وصاعد خليفته دونه ، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني ، فأنشدوا هذا البيت :

سقى الله أمواها عرَفَتْ مكانها جُرَامًا ومَلَكُومًا وبَذَرَ فالعمرا
وقال المتنبى : هو جُرَابًا ، وهذه أمكنة قتلها علماء وإنما الخطأ وقع من النقلة !
فأنكره أبو الفرج . قال الشيخ : هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخفش صاحب سيبويه في كتابه جرامًا ، بالميم ، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة ، وتفرق المجلس عن هذه الجملة ، ثم عاوده اليوم الثانى وانتظر المهلبى إنشاده فلم يفعل وإنما صدّه ما سمعه من تماديه فى السخف ، واستهتاره بالهزل ، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه ؛ وكان المتنبى مرَّ النفس صعبَ الشكيمة حادًا مجدًّا فخرج ، فلما كان اليوم الثالث أغروا به ابن الحجاج حتى علق لجام دابته فى صينية الكرخ وقد تكابس الناس عليه من الجوانب ، وابتدأ ينشد :

يا شيخَ أهلِ العلمِ فينا ومن يلزم أهلَ العلمِ توقيرُهُ
فصبر عليه المتنبى ساكنًا ساكتًا ، إلى أن نجزها ، ثم خلى عنان دابته ، وانصرف المتنبى إلى منزله ، وقد تيقن استقرارَ أبى الفضل ابن العميد بأَرْجَان وانتظاره له فاستمدَّ للسير .

وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جنى عن على بن حمزة البصرى قال : كنت مع المتنبى لما ورد أَرْجَان ، فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون بى ، وقصدتُ

ربّ هذه المدرة ، فما يكون منه ! ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته إلى ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاي أبو الطيّب المتنبي خارج البلد - وكان وقت القيلولة ، وهو مضطجع في دسّته - فثار من مضجعه واستنبتته ، ثم أمر حاجبه باستقباله ، فركب واستركب من لقيه في الطريق ، ففصل عن البلد بجمع كثير ، فتلقوه وقضوا حقّه وأدخلوه البلد . فدخل على أبي الفضل ، فقام له من الدست قياماً مستويّاً ، وطرح له كرمي عليه تحيةً ديباج ، وقال أبو الفضل : كنتُ مشتاقاً إليك يا أبا الطيّب ثم أفاض المتنبي في حديث سفره ، وأن غلاماً له احتمل سيفاً وشذّ عنه ، وأخرج من كفه عُقيب هذه المفاوضة درجاً فيه قصيدته :

* بادِ هواك صبرتَ أو لم تصبرا *

فوحى أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاس فيه مائتا دينار ، وسيف غشاؤه فضة ، وقال : هذا عوضٌ عن السيف المأخوذ ، وأفرد له داراً نزلها ، فلما استراح من تعب السفر كان يعشّي أبا الفضل كل يوم ويقول : ما أזורك إلا كباباً إلا لشهوة النظر إليك ! ويؤاكله ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ، ويتعجب من حفظه وغزارة علمه ، فأظلمهم النبروز فأرسل أبو الفضل بعض ندمائه إلى المتنبي : كان يبلغني شعرك بالشام والمغرب وما سمعته دونه ، فلم يُحرّ جواباً ، إلى أن حضره النبروز وأنشده مهنتاً ومعتذراً فقال :

هل لمُذرى إلى الهمام أبي الفضل قبولٌ ، سواد عيني مدادُه

فأخبرني البديهيّ ، سنة ثلثمائة وسبعين : أن المتنبي قال بأرجان : الملوك قروود يشبه بعضهم بعضاً ، على الجودة يعطون ، وكان حمل إليه أبو الفضل خمسين ألف دينار ، سوى توابعها ، وهو من أجواد زمان الديلم وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج ، قصده شاعر من قزوين فأنشده وأمله مادة نفقة يرجع بها إلى بلده ، فكتب إليه أبياتاً أولها :

أَقْلَامٌ بِكَفِّكَ أَمْ رِمَاحٌ وَعِزُّهُ ذَاكَ، أَمْ أَجَلٌ مُتَاحٌ

فقال أبو المطرف: أعطوه ألف دينار ، وكذلك أبو الفضل البلعمي وزير بخاري أعطى المطراني الشاعر على قصيدته التي أولها :

* لَا شُرْبَ إِلَّا بِسِرِّ النَّأْيِ وَالْعُودِ *

خمسـة عشر ألف دينار ، وكذلك خلف صاحب سجستان ، أعطى أبا بكر الحنبلي خمسة آلاف دينار على كلمة فيه ، وكان سيف الدولة لا يملك نفسه ، وكان يأتيه علوى من بعض جبال خراسان كل سنة فيعطيه رسماً له جارياً على التأييد ، فأتاه وهو في بعض الثغور ، فقال للخازن : أطلق له ما في الخزانة ، فبلغ أربعين ألف دينار ، فشاطر الخازن وقبض عشرين ألف دينار ، إشفاقاً من خلل يقع على عسكره في الحرب ، وأخبرني بعض أهل الأدب أنه تعرض سائل لسيف الدولة وهو راكب ، فأنشده في طريقه :

أَنْتَ عَلَىٰ وَهَذِهِ حَلَبُ قَدْ فَتَى الزَّادُ وَاتَّهَى الطَّلَبُ

فأطلق له ألف دينار ، وتعرض سائل لأبي علي بن إلياس وهو في موكبه فأمر له بمخسمة دينار ، فجاءه الخازن بالدواة والبياض ، فوقع بألني دينار ؛ فلما أبصره الخازن راجعه فيها فقال أبو علي : الكلام ربح ، والخط شهادة ، ولا يجوز أن يشهد علي بدون هذا . . . ثم إن أبا الطيب المتنبي لما ودّع أبا الفضل بن العميد ، ورد كتاب عضد الدولة يستدعيه ، فمرّقه ابن العميد فقال المتنبي : مالي وللديلم ؟ فقال أبو الفضل عضد الدولة أفضل مني ، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به ، فأجاب بأني مكنت من هؤلاء الملوك : أقصد الواحد بعد الواحد ، وأملكهم شيئاً يبقى ببقاء النبرين ، ويعطونني عرضاً فانياً ، ولي ضجرات واختيارات ، فيعوقونني عن مرادى ، فأحتاج

إلى مفارقتهم على أقبح الوجود ! فكتاب ابنُ العميد عضد الدولة بهذا الحديث .
 فورّد الجواب بأنه مملك مُرادَه في المقام والظن . فسار المتنبي من أَرْجان ، فلما
 كان على أربعة فراسخ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبي عمر الصباغ أخى
 أبي محمد الأبهري صاحب كتاب حقائق الآداب . فلما تلاقيا وتسايرا ، استنشه
 فقال المتنبي : الناس يتناشدون فاسمعه . فأخبر أبو عمر أنه رُسم له ذلك عن المجلس
 العالي . فبدأ بقصيدته التي فارق مصر بها :

الأكل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدبي

ثم دخل البلد فأنزل دارا مفروشة ، ورجع أبو عمر الصباغ إلى عضد الدولة
 فأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتا من كلمته وهي :

فلما أَمَحْنَا رُكُوزَنَا الرِّمَا ح حول مكارمنا والعلا

وبثنا نُقْبَلُ أَسِيافَنَا ونمسخها من دماء العدا

لِتَعْلَمَ مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أني الفتى

وأني وفيتُ وأني آيت وأني عتوت على من عتا

فقال عضد الدولة : هوناً ، يتهددنا المتنبي ! ...

ثم لما نفَضَ غبارَ السفر واستراح ، ركب إلى عضد الدولة ؛ فلما توسط الدار
 انتهى إلى قرب السرير مصاحمة ، فقبل الأرض واستوى قائماً وقال : شكرتُ
 مطية حملتني إليك ، وأملاً وقف بي عليك . ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من
 مصر ، وعن علي بن حمدان ، فذكره وانصرف وما أنشده . فبعد أيام حضر السباط
 وقام بيده دَرَج ، فأجلسه عضد الدولة وأنشد :

مغاني الشعب طيبا في المغاني

فلما أنشدها وفرغوا من السباط ، حل إليه عضد الدولة من أنواع الطيب
 في الأردية الأمان من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد فرسه الملقب

بالجروح - وكان اشترى له بخمسين ألف شاة - وبذرة دراهمها عدلية ، ورداء حشوه ديباج رومي مفصل ، وعمامة قومت بخمسمائة دينار ، ونصلا هندياً مرصع النجاد والجفن بالذهب . وبعد ذلك كان ينشده في كل حدث يحدث قصيدة ، إلى أن حدث يوم نثر الورد . فدخل عليه والمالك على السرير في قبة يحسّر البصر في ملاحظتها . والأتراك ينثرون الورد ، فقل المتنبي بين يديه وقال : ما خدمت عيني قاي كالיום ؟ وأنشأ يقول :

قد صدق الورد في الذي زعما أنك صيرت نثره ديما
كأنما مأنح الهواء به بحر حوى مثل مائه عنا

فحمل على فرس بمركب ، وألبس خلعاً ملكية ، وبذرة بين يديه محمولة . وكان أبو جعفر وزير بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف إليه ، وحفظ المنازل والمناهل من مصر إلى الكوفة وتعرفها منه ، فقال : كنت حاضره ، وقام ابنه يلتبس أجرة الغسال ، فأخذ المتنبي إليه النظر بتحديد فقال : ما للصلوك والغسال ! يحتاج الصلوك إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قدره ، ويُنعل فرسه ، ويفسل ثيابه ؟ ثم ملأ يده قطيعات بلفت درهمين أو ثلاثة .

وورد كتاب أبي الفتح ذي الكفایتين بن أبي الفضل - وكان من أجواد زمان الديلم ، فرق في يوم واحد بشيذيز قزمسين ، ألفين وخمسمائة قطعة لإبريسم - ومضمونه كتاب الشوق إلى لقاء المتنبي وتشوقه إلى نظراته فأجابه المتنبي :

يكتب الأنام كتاب ورّد فدت يد كاتبه كل يد

فلما عاد الجواب إلى أبي الفتح ، جعل الأبيات سورة يدرسها ، ويحكم المتنبي بالفضل على أهل زمانه . . . فقال أبو محمد بن أبي الثبات البغدادي :

لوارد شعر كذوب البرد أتنا به خاطر قد جمد
فأقبل بمضغه بعضنا وهم السنابير أكل الغد

وقالوا : جوادٌ يفوق الجيادَ ويسبق من عفوه المقتصد
ولو ولّى النقد أمثاله لظلت خفافيشنا تنتقد

فاستخف أبو الفتح به وجره برجله ففارقهم وهاجر إلى أذربيجان ، والأمير
أبو سالم ديسم بن شاد كويه على الإمرة ، فاتصل به وحظى عنده على غاية الإكرام .
وقال عضد الدولة : إن المتنبي كان جيد شعره بالغرب فأخبر المتنبي به فقال
الشعر على قدر البقاع

وكان عضد الدولة جالساً في البستان الزاهر يوم زينته ، وأكابر حواشيه
وقوف . فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكاري : ما يُعوز مجلس
مولانا سوى أحد الطائيين . فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبي لناب عنهما
فلما أقام مدة مقامه وسمع ديوان شعره . ارتحل وسار بمراكبه وظهره وأنقاله
وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز . وأخبرنا أبو الحسن السوسى في دار الوقف
بين السورين ، قال : كنت أتولى الأهواز من قبل المهلبى ، وورد علينا المتنبي
ونزل عن فرسه ومقوده بيده ، وفتح عيابه وصناديقه لبلبل مسّها في الطريق ،
وصارت الأرض كأنها مطارف منشورة فحضرتة أنا وقلت : قد أمت للشيخ
نزلاً . فقال المتنبي : إن كان تمّ فآتيه . ثم جاءه فأتك الأسد بجمع وقال : قدم
الشيخ في هذه الديار وشرفها بشعره ، والطريق بينه وبين دِرْقَنَة خشن قد
احتوشته الصمّالكة ، وبنو أسدٍ يسرون في خدمته إلى أن يقطع هذه المسافة
ويبر كل واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبي : ما أتى الله يدي هذا الأدم
وذباب الجراز الذى أنا متقلده فإني لا أفكر في مخلوق ! فقام فأتك ونفض ثوبه
وجمع من رتوت الأعراب الذين يشربون دماء الحجيج حسواً ، سبعين رجلاً
ورصد له ، فلما توسط المتنبي الطريق خرجوا عليه فقتلوا كل من كان في صحبته ،
وحمل فأتك على المتنبي وطعنه في يساره ونكسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت إلا

أنه رجع يطلب دفاتر أبيه فقتل خلفه الفرس أحدُهم وجزَّ رأسه ، وصبوا أمواله
يتقاسمونها بطرُطورة :

وقال بعض من شاهده : إنه لم تكن فيه فروسية ، وإنما كان سيف الدولة
سلمه إلى النخاسين والرواضِ بحلب ، فاستجراً على الركض والخضر فأما استعمال
السلاح فلم يكن من عمله .

وجملة القول فيه : أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما في كلامه من
(الفريب المصنف) سوى حرف واحد هو في (كتاب الجهرة) وهو قوله :

يَطْوِي الْمَجْلَحَةُ الْعُقْدُ^(١)

وأما الحكم عليه وعلى شعره : فهو سريع الهجوم على المعاني ، ونمت الخليل
والحرب من خصائصه ؛ وما كان يراد طبعه في شيء مما يسمح به ، يقبل الساقط
الردى كما يقبل النادر البدع ، وفي متن شعره وهي ، وفي ألفاظه تعقيد وتعويض
أه كلامه مع بعض اختصار .

(١) من بيت هذا نصه :

وَأَمْضَى كَمَا يَمْضَى السَّنَانُ لِطَيْتِي وَأَطْوَى كَمَا تَطْوِي الْمَجْلَحَةُ الْعُقْدُ

شرح المتنبي

وإليك تراجم بعض شرح المتنبي ، ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح وقولنا هنا : « شرح المتنبي » إنما هو ضرب من التسامح ؛ لأن منهم من لم يضع شرحا بالمعنى المتعارف ، أى أنهم لم يضعوا شروحا تامة كاملة ، وإنما تصدّوا لشرح بعض مشكلات الآيات . أو لنقد بعض الشراح فيما ذهبوا إليه من شرح وتفسير أو لسرقات المتنبي ، مثل أبى السعادات بن الشجرى ، وابن فورّجه ، وأبى الفضل العروضى . وابن وكيع ، والصاحب ابن عباد ، وأبى بكر الخوارزمى . ولم تتبسط فى هذه التراجم . ولم نهج فيها منهجا تحليليا يخرج بنا عما قصدنا إليه منها وهو التعريف بمن تتمتع بأسمائهم فى هذا الشرح حتى تكون على بصيرة تامة بكل ما يتصل بهذا الشاعر المخطوط ، ومن ثم لم نعد أن نسرّد لك فى هذه التراجم تاريخ مولد المترجم له وتاريخ وفاته وطرفا من أخباره وسيرته وتواليفه ومكاته العلمية وآراء الناس فيه .

ابن جنى

أظننى فى غير حاجة إلى التعريف بأن أبا الفتح عثمان بن جنى هو أول من شرح المتنبي ، فله بذلك فضل سبق ، ومن ثمّ كان حقيقا بأن نبداً بترجمته

جاء فى معجم الأدباء لياقوت زوى وفیات الأعيان لابن خلكان ما تلخيصه :
أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى : كان أبوه جنى مملوكا روميا لسلیمان ابن فهد بن أحمد الأزدى الموصلى - أقول : فهو إذن من أبناء يونان ، لامن (٦٢ - المتنبي ١)

أبناء عدنان .. وبعبارة أخرى : هو من أبناء الموالى ، شأنه شأن أكثر حملة العلم ،
ونوابغ الشعراء والأدباء في الإسلام — وإلى أصله أشار بقوله :

فَإِنْ أَصْبَحَ بَلَا نَسَبٍ فَعَلِمِي فِي الْوَرَى نَسَبِي
عَلَى أَنِّي أَوَّلُ إِلَى قُرُومٍ سَادَةٍ نُجَبِ
قِيَاصِرَةٍ إِذَا تَقَطُّوا أَرَمَ الدَّهْرُ ذُو الْخَطْبِ^(١)
أَوَّلَاكَ دَعَا النَّبِيُّ لَهُمْ كَفَى شَرْقًا دُعَاةَ نَبِي

ولد ابن جني بالموصل قبل الثلاثين والثلاثمائة للهجرة ، وتوفي يوم الجمعة لليلتين
بقيتا من صفر سنة ٣٩٢ هـ ببغداد . وكان أبو الفتح مُتَمَتِّعًا بإحدى عينيه ، وما أظرفه
حين يقول لأحد أصدقائه :

صَدُودُكَ عَنِّي وَلَا ذَنْبَ لِي دَلِيلٌ عَلَى نَبِيَّةٍ فَاسِدَةٍ
فَقَدْ وَحْيَانِكَ مِمَّا بَكَيْتُ خَشِيتُ عَلَى عَيْنِي الْوَاحِدَةِ
وَلَوْلَا مَخَافَةُ الْأَ أَرَاكَ لِمَا كَانَ فِي تَرْكِهَا فَائِدَةٍ

وَحَدَّثُوا أَنَّهُ صَحَبَ أَبَا عَلِيٍّ الْفَارِسِيَّ^(٢) أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي

(١) أرم الرجل إرماما : سكت ، ويقال كله فسا ترمرم : أى مارد جوابا
وما ترمرم فلان بحرف : أى ما نطق ، وفي حديث عائشة رضی الله عنها : كان لآل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش ، فإذا خرج - أى رسول الله - لعب - أى
الوحش - وجاء وذهب ، فإذا جاء ربح ولم يترمرم مادام في البيت : أى سكن ولم يتحرك
(٢) كان أبو علي الفارسي إمام وقته في علم النحو ولد سنة ٢٨٨ وتوفي سنة ٣٧٧
ببغداد : وأقام بحلب عند سيف الدولة ، وكان قدومه عليه سنة ٣٤١ وجرت بينه
وبين أبي الطيب المتنبّي مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس ، وصحب عضد الدولة بن
بويه ، وحظي لديه وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة : أنا غلام أبي علي في النحو
وقد صنف له كتاب الإيضاح والتكملة في النحو . يحكى أنه كان يوما في ميدان
شيراز يسير عضد الدولة فقال له : لم انتصب المستنثي في قولنا قام القوم إلا زيدا؟

محبته له : أن أبا علي اجتاز بالموصل ، فر بالجامع وأبو الفتح في حلقة يُقرىء النحو وهو شاب ، فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصر فيها ، فقال له أبو علي : تَزَبَّيْتِ وَأَنْتِ حَصْرِمٌ . . . فسأل عنه ، فقيل له : هذا أبو علي الفارسي ، فلزمه من يومئذ ، واعتنى بالتصريف ، فما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله ، وفروعه ، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه ؛ فلما مات أبو علي تصدر أبو الفتح في مجلسه ببغداد ، فأخذ عنه كثير من أعلام العلماء . . . وحدث أبو الحسن الطرائفي قال : كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبي كثيراً ويناظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره ، أنفةً واستكباراً لنفسه ، وكان المتنبي يقول في أبي الفتح : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . . . وسئل المتنبي بشيراز عن قوله :

وكان ابناً عُدُوًّا كَأَثَرَاهُ لَهُ يَا أَيُّ حُرُوفِ انِّيْسِيَانِ^(١)

فقال : لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره . . . وكان لابن جني من الولد عليّ وعاليّ وعلاء ، وكلهم أدباء فضلاء قد خَرَجَ بهم والدم وحسن خطوطهم ، فهم معدودون في الصحيحى الضبط وحسن الخط . . . ولابن جني شعر - ولكنه كسائر شعر العلماء - فنه :

فقال أبو علي : بفعل مقدر ، فقال له : كيف تقديره ؟ فقال : أستثنى زيدا ، فقال له عضد الدولة : هلا رفعتَه وقدرت الفعل امتنع زيد ؟ فانقطع أبو علي وقال له : هذا الجواب ميداني . . . ولما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه . . . وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا . . . (١) من قصيدة يمدح بها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف ويذكر طريقه بشعب بوان . انظر القصيدة التي مطلعها :

مَفَانِي الشَّعْبِ طِيًّا فِي الْمَفَانِي بِمَنْزِلَةِ الرِّيِّعِ مِنَ الزَّمَانِ

غَرَالٌ غَيْرُ وَحْشِيٍّ حَكِي الْوَحْشِيُّ مُقْلَتُهُ
رَأَاهُ الْوَرْدُ يَجْنِي الْوَرَّ دَ فَاسْتَكْسَاهُ حُلَّتُهُ
وَشَمَّ بِأَنْفِهِ الرِّيحَا نَ فَاسْتَهْدَاهُ زَهْرَتَهُ
وَذَاقَتْ رِيحَهُ الصَّبَا ٤ فَاخْتَلَسَتْ نَكْهَتَهُ^(١)

وقال الباخريزي في دمية القصر : ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات ،
وشرح المشكلات ، ماله ، وما كنت أعلم أنه ينظم القريض ، أو يسبق ذلك
الجريض^(٢) حتى قرأت له مرثية في المتنبي أولها :

غَاضَ الْقَرِيضُ وَأَوْدَتَ نَضْرَةَ الْأَدَبِ
وَصَوَّحَتْ بَعْدَ رِيٍّ دَوْحَةَ السُّكْنَبِ^(٣)
مَا زِلْتَ تَصْحَبُ فِي الْجَلِّ إِذَا انْشَعَبَتْ
قَلْبًا جَمِيعًا وَعَزَمًا غَيْرَ مُنْشَعِبِ^(٤)
وَقَدْ حَلَبْتَ لَعَمْرِي الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ
تَمَطَّوْا بِهَيْئَةٍ لَا وَانَ وَلَا نَصِيبِ^(٥)

(١) الصبأ من أسماء الخمر ، والنكهة رائحة الفم .

(٢) الرقيق الذي يخص به

(٣) صوح النبات ينس وتشقق ، والدوحة الشجرة العظيمة .

(٤) الجلي الأمر العظيم وجمعها جلال مثل كبرى وكبر ، وقلب جميع ورأى جميع
ويجتمع : شديد غير منتشر ، ومنشعب متفرق .

(٥) يقال حلب الدهر أشطره ، مارس الأيام وخبرها ، والمطو الجد والنجاء
في السير ، ووان : متمهل ، ونصيب : تمب .

مَنْ لِلْهَوَاجِلِ يُخَيِّ مَيْتَ أَرْسُومِهَا
 بِكُلِّ جَائِلَةٍ التَّصْدِيرِ وَالْحَقَبِ^(١)
 قَبَاءَ خَوْصَاءَ مُحَمَّدٍ عَلَائَتِهَا
 تَنْبُو عَرِيكَتُهَا بِالْحِلْسِ وَالْقَتَبِ^(٢)
 أَمْ مَنْ لِيَبِضِ الظُّبَا تَوَكَّاهُنَّ دَمٌ
 أَمْ مَنْ لِسُفْرِ الْقَنَا وَالزَّغْفِ وَالْيَلْبِ^(٣)
 أَمْ لِلْجَحَافِلِ يَذْكِي جَمْرَ جَاحِمَا
 حَتَّى يَقْرَبَهَا مِنْ جَاحِمِ أَلَّهَبِ^(٤)
 أَمْ لِلْمَحَافِلِ إِذْ تَبْدُو لَتَعْمُرُهَا
 بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالْأَمْثَالِ وَالْخُطَبِ
 أَمْ لِلصَّوَاهِلِ مُحَمَّرًا سَرَابِلَهَا
 مِنْ بَعْدِ مَا غَرَبَتْ مَعْرُوفَةُ الشُّهْبِ^(٥)
 أَمْ لِلْمَنَاهِلِ وَالظَّلْمَاءِ عَاطِفَةٌ
 يُوَاصِلُ الْكَرَّ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ^(٦)

-
- (١) الهواجل : الصحراوات ، وجائلة التصدير والحقب : أى ناقة هذه صفتها
 ويقال صدر بعيره إذا شده بحبل من حزامه إلى كركرته ، والحقب : حبل يشده بالرحل
 فى بطنه .
 (٢) القباء من الخيل : الخيصة البطن . والأقب الضامر البطن : والحوصاء الغائرة
 العينين ، والجلس : كساء تجلجل به الدابة يوضع تحت البرذعة .
 (٣) القبا : أطراف السيوف ، والتوكاف مصدر وكف يستعمل فى السمع والمطر .
 إذا نزل ، وسمر القنا : الرماح ، والزغف : الدروع ، واليلب : الدروع اليمانية
 (٤) الجحفل الجيش العظيم .
 (٥) محمراً سراويلها : فالسراويل : الثياب . يقول : مضرجة بالدماء
 (٦) المناهل موارد الماء . والترب : طلب الماء ليلا .

أَمْ لِلْقَاسِطِ تَعَمُّ الْحُزُونُ بِهَا
 أَمْ مَنْ لِيَضْمِ الْهَزْبِ الضَّيْفِ الْحَرْبِ^(١)
 أَمْ لِلْمُلُوكِ يَحْكِيهَا وَيُلْبِسُهَا حَتَّى تَمَاسُ فِي أَبْرَادِهَا الْقُشْبِ^(٢)
 بَاتَتْ وَسَادَى أَطْرَابُ تَوَرُّفِي لَمَّا غَدَوْتُ لَقَى فِي قَبْضَةِ الثُّوبِ^(٣)
 عُمِرْتُ خِدْنِ الْمَسَاعِي غَيْرَ مُضْطَهَدٍ كَالنَّصْلِ لَمْ يَدْنِسْ يَوْمًا وَلَمْ يُصَبِّ
 فَأَذْهَبَ عَلَيْكَ سَلَامُ الْمَجْدِ مَا قَلِقْتُ
 خُوصُ الرَّاكِبِ بِالْأَكْوَارِ وَالشُّعْبِ

ومن شعر ابن جني :

رَأَيْتُ مُحَاسِنَ ضِحْكِ الرَّيِّعِ أَطَالَ عَلَيْهَا بُكَاءُ السَّحَابِ
 وَقَدْ ضَحِكَ الشَّيْبُ فِي لِمَتِي فَلَمْ لَا أَبْكِي رَيِّعَ الشَّبَابِ
 أَأَشْرَبُ فِي الْكَاسِ - كَلَّا وَحَاشَا - لِأَبْصَرَهُ فِي صَفَاءِ الشَّرَابِ

ومنه :

تَحَبَّبْتُ أَوْ تَذَرَّعْتُ أَوْ تَأَبَّى فَلَا وَاللَّهِ لَا أَزْدَادُ حُبًّا
 أَخَذْتُ بِبَعْضِ حُبِّكَ كُلِّ قَلْبِي فَإِنْ رُمْتُ الْمَزِيدَ فَهَاتِ قَلْبًا

قال ياقوت : وقرأت بخط الشيخ أبي منصور بن الجواليقي : قال لنا

(١) القساطل : جمع قسطل : الغبار المنعقد فوق الرأس في حومة الوغى ، والضمم العض أو النهش ، والهزبر الضيفم الحرب : الأسد .

(٢) تماس : بمجنف إحدى التامين . أى تماس وتغافل

(٣) اللقى ، الشيء الملقى في الطريق ونحوه .

أبوزكريا : رأيت بخط ابن جنى : أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفرميسيني عن أبي بكر محمد بن هارون الرويانى عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستانى قال : قرأ على أعرابى « طَيْبِيْ لَهُمْ وَحَسَنُ مَّآبٍ » فقلت « طُوبَى » فقال « طَيْبِيْ » فقلت ثانياً « طُوبَى » فقال « طَيْبِيْ » فلما طال على قلت : « طُوطُو » فقال الأعرابى « طِي طِي » أما ترى إلى هذه النحيظة ما أبقاها وأشدَّ محافظة هذا البدوى عليها حتى أنه استكره على تركها فأبى إلا إخلاداً إليها ! ونحو ذلك قال عمرو الكلبي وقد أنشد بعض أهل الأدب :

بانت نعيمةٌ والدنيا مفرقةٌ وحال من دونها غيرانُ مزعوجُ
ف قيل له : لا يقال مزعوجُ ، إنما يقال مُزَعَجُ ، فجفا ذلك عليه ، وقال يهجو النحويين :

ماذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوم هذا الذى ابتدعوا
إن قلت قافيةٍ بكرأ يكون بها	بيت خلاف الذى قاسوه أو ذرعوا
قالوا لَحَنْتَ وهذا ليس منتصبا	وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وَحَرَّضُوا بين عبد الله من حُجِّي	وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم	وبين قوم على إعرابهم طُبِعوا
ما كل قولي مشروحا لكم فخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
لأن أرضي أرض لا تُشَبُّ بها	نار الجوس ولا تبني بها البيع

قال ابن جنى : وعلى نحو ذلك فحضرني قديماً بالموصل أعرابى عَقِيلِي جَوْثِي تَمِيْعِي ، يقال له محمد بنُ العَسَافِ الشَّجَرِي ، وقلما رأيت بدوياً أفصح منه ، فقلت له يوماً - شَفْنَا بفصاحته والتذاذاً بمطاولته ، وجرياً على العادة معه فى إيقاظ طبعه واقتداح زَنْدٍ فِطْنَتِهِ : كيف تقول : « أكرم أخوك أباك » فقال كذاك ، فقلت له : أفتقول : « أكرم أخوك أبوك » فقال : لا أقول

« أبوك » أبدأ فقلت : فكيف تقول « أكرمنى أبوك » فقال كذاك ، قلت : أَلَسْتَ تَزْعُمُ أنك لا تقول « أبوك » أبدأ ؟ فقال « إيش هذا ؟ اختلفت جهتا الكلام » فهل قوله اختلفت جهتا الكلام . إلا كقولنا نحن هو الآن فاعل وكان فى الأول مفعولاً ! فانظر إلى قيام معانى هذا الأمر فى أنفسهم وإن لم تقطع به عبارتهم .

أخبرنى أبو على عن أبى بكر عن أبى العباس قال : سمعت عمارة بن عقيل ابن بلال بن جرير يقرأ : « وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ » فقلت له : ما أردت ؟ قال أردت سابقَ النهار ، فقلت له : فهلا قلته ؟ فقال لو قلته لكان أوزن أى أقوى وأفصح ، فى هذه الحكاية من فقه العربية ثلاثة أشياء : أحدها : أنهم قد يراعون من معانيهم ما ينسبه إليهم ونحمله عليهم ، والثانى : أنهم قد ينطقون بالشئ وفى أنفسهم غيره ، ألا ترى أنه لما نص أبو العباس عليه واستوضح ما عنده قال : « أردت كذا » وهو خلاف ما لفظ به ، والثالث : أنهم قد ينطقون بالشئ وغيره أقوى منه استلانة وتخفيفاً ، ألا تراه كيف قال : لو قلته لكان أوزن ، أى أقوى وأعرب .

قال ابن جنى : وسألت الشجرى صاحبنا ، هذا الذى قد مضى ذكره ، قلت له : كيف يا أبا عبد الله تقول : « اليوم كان زيد قائماً ؟ » فقال : كذلك ، فقلت : فكيف تقول « اليوم إن زيدا قائم ؟ » فأبأها ألبتة ، وذلك أن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها ، لأنها إنما تأتى أبدأ مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها وما بعدها عما قبلها قلت له يوماً ولا بن عمٍّ له يقال له غصن — وكان أصغر منه سنّاً وألين لساناً : كيف تحقران « حمراء » فقالا : حميراء ، قلت : فصغراء قالوا : « صغبراء » قلت : « فسوداء » قالوا : « سويداء » واستمرت بهما فى نحو هذا ، فلما استويا عليه دست بين ذلك « علباء » فقلت « فعلباء » فأسرع ابن عمه على طريقته فقال : « عليباء » وكان الشجرى يقولها معه ، فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكراً

فقال إنه « عَلَيَّي » وأشم الفتحة دائماً للحركة في الوقف ، وتلك عادة . . . قال ابن جنى : فسألته يوماً : يا أبا عبد الله ، كيف تجمع مُحرَّنجماً - وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله : يكسّر فيقول حَراجم أم يصححُ فيقول محرَّنجماتٌ فذهب هو مذهباً غير ذين فقال : « وإيش فرقه حتى أجمعه ؟ وصدّق ، وذلك أن المحرَّنجم هو المجتمع : يقولها ماراً على شكيمته غير مُحسّس لما أريده منه والجماعة معي على غاية الاستغراب لفصاحته ، قلت له : فدع هذا : إذا أنت مررت بإبل محرَّنجمةٍ وأخرى مُحرَّنجمةً ، وأخرى محرَّنجمة . تقول : مررت بإبل ماذا ؟ فقال - وقد أحس الموضع - « يا هذا هكذا أقول : مررت بإبل محرَّنجماتٍ » وأقام على التصحيح ألبته استيحاشاً من تكسير ذوات الأربعة لمُصاقبتها ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيها لاسيما إذا كان فيها زيادة والزيادة قد تُعتدُّ في كثير من المواضع اعتداد الأصول حتى إنها لتلزم لزومها نحو : كوكب ، وحوشب^(١) ، وضَيون^(٢) ، وهزَ نَبران^(٣) ، ودودرى^(٤) ، وقرنفلٌ ، وهذا موضعٌ يحتاج إلى إصفاء إليه وإرعاء عليه ، والوقت لتلاجه وتقارب أجزائه مانع منه ويعين الله فيما يليه على المعتقد للنوى فيه بقدرته ، وسألته يوماً كيف تجمع سرحاناً ؟ فقال : سراحين ، قلت : فدكاناً ، قال : دكا كين قلت : فقرطاناً ، قال : قراطين ، قلت : فعثان ، قال : عثمانون ، قلت ، هلا قلت عثمانين كما قلت سراحين وقراطين ؟ فأبأها ألبته وقال : « إيش ذا ؟ أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لفته ؟ والله لا أقولها أبداً . . . استوحش من تكسير العلم لكثارتها له لاسيما وفيه الألف والنون اللتان بابهما فعلان الذي لا يجوز فيه فعالين نحو : سكران وغضبان ...

(١) الأرنب أو ولد البقرة الذكر والثعلب الذكر (٢) السنور الذكر أو دوية تشبهه (٣) يقال : رجل هزبر وهزبران ، أى حديد وثاب (٤) الذي يذهب ويحى من غير حاجة .

ونكتفى بهذا المقدار من التعريف بأبي الفتح بن جنى شارح المتنبي ، وإذا أردت الزيادة والوقوف على فهرس مؤلفاته فارجع إلى معجم الأدباء ج ١٢ طبعة فريد الرفاعي .

الواحدى

وهذا الإمام أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى النيسابورى أحد شراح المتنبي هو - كما قال ياقوت وابن خلكان وغيرهما - الإمام المصنف المفسر النحوى أستاذ عصره ، وواحد دهره ، أنفق صباه ، وأيام شبابه فى التحصيل ، فأتقن الأصول على الأئمة ، وطاف على أعلام الأمة ، وتلمذ لأبى الفضل العروضى^(١) ، وقرأ النحو على أبى الحسن الضرير القهندزى ، ولازم مجالس الثعلبى^(٢) فى تحصيل التفسير . . . ثم أخذ فى التصنيف ، وقعد للإفادة والتدريس سنين ، وتخرج به طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرأوا عليه وبلغوا محل الإفادة ، وكان حقيقاً بكل احترام وإعظام ، لولا ما كان فيه من غمزه وإزرائه على الأئمة المتقدمين وبسطه اللسان فيهم بنير ما يليق بماضيهم . قال الحسن بن المظفر النيسابورى : أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى هو الذى قيل فيه :

قد جمع العالم فى واحد عالمنا المعروف بالواحدى

(١) سيمر بك فى هذه الترجمة

(٢) قال ابن خلكان : أبو إسحاق أحمد بن محمد لإبراهيم الثعالى النيسابورى المفسر المشهور : كان أواخر زمانه فى علم التفسير وكان يقال له الثعالى والثعالى وهو لقب له وليس بنسب ، توفى سنة ٤٢٧ هـ وهو - طبعا - غير الثعالى صاحب يتيمة الدهر

قال ومن غرر شعره :

أيا قادمًا من طوس أهلا ومرحبا
لعمري لئن أحيا قدومك مدنفًا
يَظَلُّ أسيرَ الوجدِ نهبَ صَبَابَةٍ
فكم زفرةً قد جَهِتَها لو زفرتها
وكم لوعةٍ فاسيتُ يومَ تركتني
وعادَ النهارُ الطلقَ أسودَ مُظْلِمًا
وأصبحَ حُسنَ الصبرِ عَنِّي ظاعنًا
فأقسمُ لو أبصرتَ طرفي ها كيا
مسالكُ لَهْوٍ سَدَّها الوجدُ والجوى
فداؤك رُوحى يا ابنَ أكرمِ والِدٍ
وأنشدله :

شوهت الدنيا وأبدت عوارها
وضاقت على الأرضُ بالرحبِ والسَّعةِ
وأظلمَ في عيني ضياءُ نهارها
لتوديع من قد بان عني بأربعةِ
فؤادى وعيشى والمسرة والكرى
فإن عاد عادَ الكلُّ والأنسُ والدَّعةِ

وقال أبو الحسن الواحدى فى مقدمة البسيط : وأظننى لم آل جهداً
فى أحكام أصول هذا العلم حسب ما يليق بزمنا هذا وتسعه سنو عمري
على قلة أعدادها ، فقد وفق الله - وله الحمد - حتى اقتبست كل ما احتجت

إليه في هذا الباب من مَظَانِّه ، وأخذته من معادِنه ، أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي رحمه الله ^(١) . وكان قد خنق التسعين في خدمة الأدب ، وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروى عنهم كأبي منصور الأزهرى ، روى عنه كتاب التهذيب وغيره من الكتب ، وأدرك أبا العباس العامرى ، وأبا القاسم الأسدى ، وأبا نصر طاهر بن محمد الوزيرى ، وأبا الحسن الرُّخْبِجِى ، وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة وأئمة اللغة ، وسمع أبا العباس الأصم وروى عنه ، واستخلفه الأستاذ أبو بكر الخوارزمى على درسه عند غيبته . وله المصنفات الكبار والاستدراكات على الفحول من العلماء باللغة والنحو ؛ وكنت قد لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس وأخرج لغروبها ، أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذاكر أصحابه ما بين طرفى النهار ، وقرأت عليه الكثير من الدواوين واللغة حتى عابنى شيخى — رحمه الله — يوماً وقال : إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه ، أما أن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرؤه على هذا الرجل الذى تأتبه البعداء من أقصى البلاد ، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار — يعنى الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى — قلت : يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذى تريد ، وإذا لم أجزم الأدب بمجد وتعب ، لم أرم فى غرض التفسير من كُتُب ، ثم لم أُغَيِّبْ زيارته فى يوم من الأيام حتى حال بيننا قدر الحِمام .

(١) جاء فى بغية الوعاة : أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن مالك النمشلى الأديب أبو الفضل العروضى الصفار الشافعى : هو شيخ أهل الأدب فى عصره ، حدث عن الأصم وأبى منصور الأزهرى والطائفة ، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدى .. إلى أن قال : جاز السبعين فى خدمة الكتب وأنفق عمره فى مطالعة العلوم وتدريس مؤدبى نيسابور . ولد سنة ٣٣٤ ومات بعد سنة ٤١٦ .

وأما النحو فإني لما كنت في ميلة صباى وشرح شيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير ، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه ، وأعلمهم بمضائق طرق العربية وحقائقها ، ولعله تفرس في ، وتوسم الخير لدى ، فتجرد لتخريجي ، وصرف وكده إلى تأديبي ، ولم يدخر عني شيئاً من مكنون ما عنده حتى استأثرني بأفلاذه ، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه ، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني ، وعلقت عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشكلة ، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل ، وخصني بكتابيه الكبير في علل القراءة المرتبة في كتاب الغاية لابن مهران ، ثم ورد علينا الشيخ أبو عمران المغربي المالكي ، وكان واحد دهره ، وبقعة عصره ، في علم النحو ، لم يلحق أحد مما سمعناه شأوه في معرفة الإعراب . ولقد صحبتته مدة في مقامه عندنا حتى استنزفت غرر ما عنده .

وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة فإني اختلفت إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي رحمه الله وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى ، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين ابن مهران ، ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري ، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي ، وكنا قد انتهت إليهما الرياسة في هذا العلم ، وأشير إليهما بالأصابع في علو السن ورؤية المشايخ وكثرة التلامذة وغزارة العلوم وارتفاع الأسانيد والوثوق بها ، فقرأت عليهما وأخذت من كل واحد منهما حظاً وافراً بعون الله وحسن توفيقه ، وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران ، وروى لنا كتب أبي علي الفسوي عنه^(١) وقرأت عليه بلفظي كتاب الزجاج بحق روايته عن ابن مقسم عنه ، وسمع بقراءتي الخلق الكثير ، ثم فرغت للأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله وكان خير العلماء

(١) هو أبو علي الفارسي .

بل بحرم ، ونجم الفضلاء ، بل بدرهم ، وزين الأئمة بل نغرم ، وأوحد الأمة
بل صدرهم ، وله التفسير الملقب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الذى
زفت به المطايا فى السهل والأوعار وسارت به الفلك فى البحار ، وهبت هبوب
الريح فى الأقطار .

فسَارَ مَسِيرَ الشمسِ فى كلِّ بلدةٍ
وَهَبَ هُبوبَ الرِّيحِ فى البرِّ والبحرِ

وأصَفَّتْ عليه كافة الأمة على اختلاف نِحْلِهِمْ ، وأَقْرَأُوا له بالفضيلة فى
تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله ، فن أدركه وَصَحْبُهُ عَلِمَ أنه منقطع القرين ،
ومن لم يدركه فلينظر فى مصنفاته ليستدلَّ بها على أنه كان بحراً لا يُنْزَفُ
وَعَمراً لا يُسَبَّرُ ، وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء ، منها تفسيره
الكبيرُ وكتابه المعنون بالكامل فى علم القرآن وغيرهما ، ولو أثبت المشايخ الذين
أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التى وطأتها
طال الخطب وَمَلَّ الناظرُ ، وقد استخرت الله العظيم فى جمع كتاب أرجو أن يمدنى
الله فيه بتوفيقه مشتمل على ما نَقَمْتُ على غيرى إمامه ، ونعيت عَلَيْهِ إِغْفَاله ،
لا يدعُ لمن تأمله حَارَّةٌ فى صدره حتى يخرج من ظلمة الرِّيبِ والتخمين ، إلى
نور العلم واليقين ، هذا بعد أن يكون المتأملُ مُرْتَاضاً فى صنعة الأدب والنحو ،
مهتدياً بطرق الحِجَاج ، مارحاً فى سلوك المنهاج ، فأما الْجُدْعُ المُرْخَى من المقتبسين ،
والرَّيْضُ الكَرَّ من المبتدئين ، فإنه مع هذا الكتاب كراويل غَلَقًا ضاع عَنْهُ
المفتاح ؛ ومضطبط فى ظلماء لَيْلِ خَانَهُ المصباح :

يُحَاوِلُ فَتَقَّ غَيْمٌ وَهُوَ يَأْبَى كَعَيْنَيْنِ يُرِيدُ نِكَاحَ بَكْرٍ
ثُمَّ قَالَ بعد كلامٍ : إِنَّ هذا الكتابُ مُجَالَةٌ الوقتِ ، وَقَبْسَةُ العَجَلَانِ ،
وَتَذَكُّرَةٌ يستصحِبُها الرجل حيث حل وارتحل وَإِنْ أنسى الأجلُ ،

وَأَرْخَى الْعِطُولُ ، وَأَنْظَرَنِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، حَتَّى يَتَلَفَعُ بِالْمَشِيبِ الْعِذَارُ أُرْدَفَتَهُ
بِكِتَابٍ أَنْضَجُهُ بِنَارِ الرَّوْيَةِ ، وَأَرَدَّدَهُ عَلَى رُوقِ الْفِكْرَةِ ، وَأَضْمَنَهُ عَجَائِبِ
مَا كَتَبْتَهُ ، وَلَطَائِفِ مَا جَمَعْتَهُ ، وَعَلَى اللَّهِ الْمَعُولُ فِي تَيْسِيرِ مَا رُمْتُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ كُلَّمَا
قَعَدْتُ أَوْ قَتُ .

ابن فورجه

قال ياقوت - ونقله السيوطي في بنية الوعاة - : هو محمد بن حمد بن محمد بن
عبد الله بن محمود بن فورجه - بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح
الجيم - البروجردى ، أديب فاضل مصنف ، له كتاب الفتح على أبي الفتح ،
والتجنى على ابن جنى ، يرد فيه على أبي الفتح بن جنى في شرح شعر المتنبي ، ومولده
في ذى الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة ، كان موجوداً سنة خمس وخمسين وأربعمائة ،
ومن شعره :

أَيُّهَا الْقَاتِلِي بَعِينِيهِ رَفَقَا إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ ذَا مِنْ قَلَا كَا
أَكْثَرُ اللَّائِمُونَ فِيكَ عِتَابِي أَنَا وَاللَّائِمُونَ فِيكَ فِدَا كَا
إِنْ لِي غَيْرَةٌ عَلَيْكَ مِنْ أَسْمَى إِنَّهُ دَائِمًا يَقْبَلُ فَا كَا

هذا وقد ضبطه ابن شاكر صاحب فوات الوفيات . هكذا : ابن فوزجَه فقال :
بضم الفاء وسكون الواو وفتح الزاى وتشديد الجيم .

ابن القطاع الصقلي

قال ابن خلكان : هو أبو القاسم علي بن جعفر ... إلى آخر النسب قال : كان أحد أئمة الأدب خصوصاً اللغة . وله تصانيف نافعة منها كتاب الأفعال ، أحسن فيه كل إحسان ، وهو أجود من الأفعال لابن القوطية ، وإن كان ذلك قد سبقه إليه . وله كتاب أبنية الأسماء ، جمع فيه فأوعى ، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه وله عروض حسن جيد ، وكتاب الدررة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة ، وكتاب ملح الملح ، جمع فيه خلقاً من شعراء الأندلس . وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بصقلية ، وقرأ الأدب على فضلائها كابن البر اللغوي وأمثاله ، وأجاد في النحو غاية الإجازة ، ورحل عن صقلية لما أشرف على تملكها الفرنج ، ووصل إلى مصر في حدود سنة خمسائة وبالع أهل مصر في إكرامه ، وكان ينسب إلى التساهل في الرواية ومن شعره في ألنغ :

وشادِنِ في لسانه عُقْدٌ حَلَّتْ عُقُودِي وَأَوْهَنْتْ جَلْدِي
عابوه جهلاً بها قُلتَ لم أَمَا سَمِعْتُمْ بِالنَّفْثِ فِي الْعَقْدِ
وله من قصيدة :

فلا تُنْفِذْنِ العَمْرَ فِي طَلَبِ الصِّبَا ولا تَشْقَيْنِ يَوْماً بِسُفْدَيَّ وَلَا نَعَمَ
ولا تَنْدَبْنِ أَطْلالَ مِيتَةٍ بِاللَّوَى ولا تَسْفَعْنِ مَاءَ الشُّؤْنِ عَلَى رَسَمِ
فإن قُصَّارَى المَرءِ إدراكُ حَاجةِ وتبقى مَذْمَاتُ الأحاديثِ والإِثْمِ
ومن شعره في غلام اسمه حمزة :

يا مَنْ رَمَى النّارَ فِي فُؤادِي وَأَنْبَطَ العَيْنَ بِالْبُكَاءِ
إِسْمُكَ تَصْحِيفُهُ بِقَلْبِي وَفِي ثَنائِكَ بَرٌّ دَائِي
أُرْدُدُ سَلامِي فَإِنْ نَفْسِي لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى النِّمَاءِ

وارفق بصب أتى ذليلاً قد مزج اليأس بالرجاء
أنهكه في الهوى التجنى فصار في رقة الهواء
وله شعر كثير ، وتوفي بمصر في صفر سنة خمس عشرة وخمسمائة رحمه
الله تعالى .

ابن الإفيلي

كان هذا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مفرج بن يحيى بن زياد بن
عبد الله بن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المعروف بابن الإفيلي^(١)
إماماً من أئمة النحو واللغة ، ترجمه ابن خلكان في بضعة أسطر ، وذكره ابن بسام
عرضاً كذلك ، قال في بضعة أسطر لمناسبة تعرض ابن شهيد له في رسالة التوابع
والزواج إذ قال ابن شهيد : وأما أبو القاسم الإفيلي فإنه من نفسى مكين ، وحبه
بفؤادى دخیل ، على أنه متحامل على ، ومنتسب إلى . . . فقال ابن بسام قفلا عن
ابن حيان المؤرخ : كان ابن الإفيلي الذى به عرض قد بذأ أهل زمانه بقرطبة في
علم اللسان العربى والضبط لغريب اللغة في أشعار الجاهلية والإسلام والمشاركة في
بعض معانيها ، وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن كثير الحسد فيه ، راكباً
رأسه في الخطأ البين إذا أنشب فيه ، يجادل عليه ولا يصرفه صارف عنه ، وعديم
علم العروض ومعرفة مع احتياجه إليه وكال صناعته به ، فلم يكن له رسوخ فيه ،
وكان لحق الفتنة البربرية ومضى الناس من حائر وظاعن ، فازدلف إلى الأمراء
الكاثنين بقرطبة من آل سحود إلى أن نال الجاء ؛ واستكتبه محمد بن

(١) الإفيلي - بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر اللام وسكون الياء - المتأمة من
نحتها وبعدها لام ثانية، هذه النسبة إلى الإفيليل وهي قرية بالشام كان أصله منها ،
(٧٢ - المتنبي ١)

عبد الرحمن المستكني بعد ابن بُرْد ، فوقع كلامه فائياً عن البلاغة ، لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلمين ، فلم يَجْرَ في أساليب الكتاب المطبوعين ، فزهد فيه ، وما بلغنى أنه ألف في شيء من فنون المعرفة إلا شَرَحَهُ ديوان المتنبي لاغير ، ولحقته تهمة في دينه أيام هشام الرواني في جملة من تتبع من الأطباء في وقته كابن عاصم والسامى والحار وغيرهم ، وطلب ابن الإفلحلى وسجن بالمطيق ، ثم أطلق وقال ابن خلكان : كان متصدراً بالأندلس لإقراء الأدب ، وكان حافظاً للأشعار ذا كبراً للأخبار وأيام الناس ، وكان عنده من أشعار أهل بلاده قطعة صالحة ، وكان أشد الناس انتقاداً للكلام ، صادق اللهجة ، حسن المنيب ، صافى الضمير ، وكانت ولادته في شوال سنة ٣٥٢ ، وتوفي يوم السبت ١٣ ذى القعدة سنة ٤٤١ ، ودفن في صحن مسجد خرب عند باب عامر بقرطبة .

الصاحب بن عباد

هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني . قال ابن خلكان : كان نادرة الدهر وأعموبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه ، أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوى صاحب كتاب المجمل في اللغة ، وأخذ عن أبي الفضل بن العميد وغيرهما ، وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه : ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفرد به بالغايات في المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، لأن همه قولى تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهدُ وضمي يقصر عن أيسر فواضله ومساغيه ... ثم شرع في شرح بعض محاسنه وطرف من أحواله .

وقال أبو بكر الخوارزمي في حقه : الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب ودرج من وكرها ، ورضع أفاويق درّها ، وورثها عن آباءه كما قال أبو سعيد الرستمي في حقه :

وَرِثَ الْوِزَارَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ مَوْصُولَةً الْإِسْنَادَ بِالْإِسْنَادِ
يروى عن العباس عبيد وزا رته وإسماعيل عن عباد
وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد
فقبل له صاحب ابن العميد ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقى
عليه .

وذكر أبو إسحاق الصابي في كتاب التاجي : أنه إنما قيل له الصاحب لأنه
صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسماه الصاحب فاستمر عليه هذا اللقب
واشتهر به ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده ، وكان أولا وزير مؤيد الدولة
أبي منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي ، تولى وزارته بعد أبي الفتح على
بن أبي الفضل بن العميد ، فلما توفي مؤيد الدولة في شعبان سنة ثلاث وسبعين
وثلاثمائة بجران استولى على مملكته أخوه نضر الدولة أبو الحسن على فأقر الصاحب
على وزارته ، وكان مبجلا عنده ومعظما نافذ الأمر ، وأنشده أبو القاسم الزعفراني
يوما أبياتا نونية من جملتها :

أَيَا مِنْ عَطَايَاهُ تُهْدَى الْفَنَى إِلَى رَاحَتِي مَنْ نَأَى أَوْدُنَا
كَسَوْتَ الْمُقِيمِينَ وَالزَّائِرِينَ كَيْسَى لَمْ نَخْلُ مِثْلَهَا مِمَّا كُنَّا
وَحَاشِيَةُ الدَّارِ يَمْشُونَ فِي صُنُوفٍ مِنَ الْخَزْ إِلَّا أَنَا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار من بن زائدة الشيباني أن رجلا قال له : احلني
أيها الأمير ، فأمر له بناق و فرس وبغل و حمار وجارية ، ثم قال : لو علمت أن الله
سبحانه وتعالى خلق مركوبا غير هذا لمثلك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز بمجبة
وقيص ، وعمامة ، ودراعة ، وسراويل ، ومنديل ، ومطرف ، ورداء ، وكساء ،

وجورب ، وكيس ، ولو علنا لباساً آخر يتخذ من الماز لأعطيناكم ، واجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بِفَرْدِ المدائح ، وكان حسن الأجوبة رفع الضرابون من دار الضرب إليه رقعة في مظلة مترجمة بالضرايين ، فوقع تحتها : في حديد بارد ، وكتب بعضهم إليه ورقة أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقع فيها : هذه بضاعتنا ردت إلينا ؛ وحبس بعض عماله في مكان ضيق بجواره ثم صعد السطح يوماً فاطلع عليه فرآه ، فناداه المحبوس بأعلى صوته ، فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، فقال الصاحب : إخسوا فيها ولا تكلمون ، ونواذره كثيرة ، وصنف في اللغة كتاباً سماه المحيط وهو في سبعة مجلدات رتبته على حروف المعجم أكثر فيه الألفاظ وقُلَّ الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر ، وكتاب الكافي في الرسائل وكتاب الأعياد ، وفضائل النيروز ، وكتاب الإمامة يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويثبت إمامة من تقدمه ، وكتاب الوزراء ، وكتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي ، وكتاب أسماء الله تعالى وصفاته ، وله رسائل بديعة ونظم جيد فنه قوله :

وَشَادِنِ جَمَالَهُ تَقَصَّرُ عَنْهُ صِفَتِي
أَهْوَى لِتَقْبِيلِ يَدِي فَقَلْتُ قَبْلَ شَفَتِي

وله في رقة الخمر :

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَاقَتْ الخمرُ وَتَشَابَهَا فَتَشَاكُلُ الأمرُ
فَكَأَنَّمَا خمرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خمرُ

وحكى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي : أن نوح بن منصور أحد ملوك بني سامان كتب إليه ورقة في السر يستدعيه ليفوض إليه وزارته وتدير أمر مملكته ، فكان من جملة أعذاره إليه : أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة إلى أربعمائة جل ، فما الظن بما يليق بها من التحمل ؟ وأخباره كثيرة .

قال ابن خلكان : وكان مولده لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة ست وعشرين وثلثمائة بأصطخر وقيل بالطالقان ، وتوفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالرى ثم نقل إلى أصبهان رحمه الله تعالى ودفن في قبة بمحلة تعرف بباب دزبه وهي عامرة إلى الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبويض .

قال أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر الأصبهاني : رأيت في المنام قائلا يقول لي لِمَ لَمْ تَرِثَ الصَّاحِبَ مَعَ فَضْلِكَ وَشَمْرَكَ ؟ قُلْتَ أَتَجَمَّنِي كَثْرَةُ مَحَاسِنِهِ فَلَمْ أَذِرْ بِمَا أَبْدَأُ مِنْهَا ؟ وَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَقْصِرَ وَقَدْ ظَنَنْتُ بِي الْإِسْتِيفَاءَ لَهَا ، قَالَ أَجْزَ مَا أَقُولُهُ قُلْتَ قُلْ ، قَالَ :

* ثَوَى الْجُودَ وَالْكَافِيَ مَعًا فِي خَفِيرَةٍ *

قُلْتَ : * لِيَأْنَسَ كُلُّ مَنْهَا بِأَخِيهِ *

قَالَ : * هَا أَصْطَلَجَا حَتَيْنٍ ثُمَّ تَعَانَقَا *

قُلْتَ : * ضَجِيعِينَ فِي لَحْدِ بِيَابِ دَزْبِهِ *

قَالَ : * إِذَا ارْتَحَلَ الثَّالِوُونَ عَنْ مُسْتَقَرِّمِ *

قُلْتَ : * أَقْلَمَا إِلَى يَوْمِ الْقَيْلَمَةِ فِيهِ *

ذكر هذا البياسي في حماسته ، ورأيت في أخباره أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصاحب ، فإنه لما توفي أغلقت له مدينة الرى واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته وحضر مخدومه نحر الدولة وسائر القواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض ومشى نحر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياماً ، وورثاه أبو سعيد الرستمي بقوله :

أَبْعَدَ ابْنُ عِبَادَ يَهْشُ إِلَى الشَّرِّ أَخُو أَمَلٍ أَوْ يُسْتَأْخُ جَوَادُ

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَمُوتَا بِمَوْتِهِ فَمَا لَهَا حَتَّى الْمَعَادِ مَعَادُ

وتوفى والده أبو الحسن عباد بن العباس في سنة أربع أو خمس وثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى ، وكان وزير ركن الدولة بن بويه ، وهو والد نخر الدولة ووالد عضد الدولة فناخسرو ممدوح المتنبي ، وتوفى نخر الدولة في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، ومولده في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، والطلاقى - بفتح الطاء المهملة وبعد الألف لام مفتوحة ثم قاف - وبعد الألف الثانية نون : هذه النسبة إلى الطالقان ، وهو اسم لمدينتين إحداهما بخراسان والأخرى من أعمال قزوین ، والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوین ، لا طالقان خراسان .

أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - وهو كما قال ابن خلكان - ابن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ - قال ابن خلكان : كان أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير ، وكان إماماً في اللغة والأنساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب ، وكان يشار إليه في عصره . ويحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بآر جان فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابيه : قل للصاحب على الباب أحد الأدباء ، وهو يستأذن في الدخول ، فدخل الحاجب وأعلمه ، فقال الصاحب : قل له قد ألزمت نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك ، فقال له أبو بكر : ارجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال ، فقال الصاحب : هذا يكون أبا بكر الخوارزمي فأذن له في الدخول ، فدخل عليه فعرفه وانبطط له ، وأبو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر ، وقد ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة ، وذكر قطعة من نثره ثم أعقبها بشيء من نظمه فن ذلك قوله :

رَأَيْتُكَ إِنْ أَيْسَرْتَ خَيَّمْتَ عِنْدَنَا
مُقِيمًا وَإِنْ أَصْرْتَ زُرْتَ لِمَا
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ
أَغْبَى وَإِنْ زَادَ الضَّيَاءُ أَقْلَمَا
ومن شعره أيضاً :

يَا مَنْ يُحَاوِلُ صَرْفَ الرِّاحِ يَشْرِبُهَا
وَلَا يَفُكُّ لِمَا يَلْقَاهُ قِرْطَاسًا
الْكَاثُ وَالْكَيْسُ لَمْ يُقْضَ امْتَلَاؤُهَا
فَقَرَّغِ الْكَيْسَ حَتَّى تَمْلَأَ الْكَاثَا
وفيه يقول أبو سعيد أحمد بن شبيب الخوارزمي :

أَبُو بَكْرٍ لَهُ أَدَبٌ وَفَضْلٌ وَلَكِنْ لَا يَدُومُ عَلَى الْوَفَاءِ
مَوَدَّتُهُ إِذَا دَامَتْ لَيْلٌ فَمِنْ وَقْتِ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ
وملحه ونوادره كثيرة .

ولما رجع من الشام سكن نيسابور ، ومات بها في منتصف شهر رمضان
سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه : أنه توفي سنة ثلاث
وتسعين وثلثمائة ، وكان قد فارق صاحب بن عباد غير راض بعمل فيه :

لَا تَحْمَدَنَّ ابْنَ عَبَادٍ وَإِنْ هَطَلَتْ يَدَاهُ بِالْجُودِ حَتَّى أَخْجَلَ الدِّيَمَا
فَإِنَّهُ خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ يُعْطَى وَيَمْنَعُ لَا بُخْلًا وَلَا كَرَمًا
فبلغ ابن عباد ذلك ، فلما بلغه خبر موته أنشده :

أَقُولُ لِرَكْبٍ مِنْ خُرَاسَانَ قَافِلٍ أَمَاتَ خَوَارِزْمِيكُمْ قِيلَ لِي نَعَمْ
فَقُلْتُ اكْتَبُوا بِالْجِصِّ مِنْ فَوْقِ قَبْرِهِ أَلَا لَعَنَ الرَّحْمَنُ مَنْ كَفَرَ النِّعَمَ

العميدى

« صاحب الإبانة عن سرقات المتنبي »

قال ياقوت : أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد العميدى : أديب نحوى لفوى مصنف ، سكن مصر .

قال أبو إسحاق الحبال : أبو سعيد العميدى : له أديبات . . . مات يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، قال : وكان العميدى يتولى ديوان الترتيب ، وغزل عنه — كما ذكر الروذبارى — فى سنة ثلاث عشرة فى أيام الظاهر ، ووليه ابن معشر ، ثم تولى ديوان الإنشاء بمصر فى أيام المستنصر ، استخدم فيه عوضاً من ولى الدولة بن خيران الكاتب فى صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وتولى الديوان بعده أبو الفرج الذهلى فى جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وأربعمائة . قال : وله تصانيف فى الأدب ، منها : كتاب تنقيح البلاغة فى عشرة مجلدات ، رأيته بدمشق فى خزانة الملك المعظم وعليه خطه ، وقد قرئ عليه فى شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وكتاب الإرشاد إلى حلّ المنظوم والهداية إلى نظم المنشور ، وكتاب انتزاعات القرآن ، وكتاب العروض ، كتاب القوافى كبير .

قال على بن مشرف : أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود بن الدليل الصواف بمصر قال : أنشدنا أبو سعيد محمد بن أحمد العميدى لنفسه :

إذا ما ضاق صدرى لم أجدلى مقرأ عبادة إلا القرآنة
لئن لم يرحم المولى اجتهدى وقلة ناصرى لم ألق رافة

ابن وكيع

وهذا ابن وكيع هو - كما قال ابن خلكان والشعبي - أبو محمد الحسن ابن علي بن أحمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي ، المعروف بابن وكيع التنيسي . . . شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام ، وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب يَبَيِّن فيه سرقات أبي الطيب ، سماه المنصف ، وكان في لسانه عجمة ، ومن شعره :

سلا عن حبك القلب المشوق فما يصبو إليك ولا يتوق
جفاؤك كان عنك لنا عزاء وقد يُسَلِّي عن الولد العقوق
وله أيضاً :

إن كان قد بعد اللقاء فودّنا باق ونحن على النوى أحباب
كم قاطع للوصل يؤمن وده ومواصل بوداده يرتاب
وله أيضاً :

لقد شمت بقلبي لا فرّج الله عنه
كم لنته في هواه فقال لا بد منه

وقد ألمّ بهذا المعنى بعضهم فقال :

لا رعى الله عزمة ضمنت لي سلوة القلب والتصبر عنه
ما وفت غير ساعة ثم عادت مثل قلبي تقول لا بد منه

ومثله قول أسامة بن منقذ :

لا تستمر جلياً على هجرانهم فقواك تضعف عن صدود دائم
واعلم بأنك إن رجعت إليهم طوعاً وإلا عدت عودة راغم

وقال بعض الفقهاء : أنشدت الشيخ مرتضى الدين أبا الفتح نصر بن محمد
ابن مقلد القضاى الشيزرى المدرس كان بتربة الإمام الشافعى رضى الله عنه
بالقرافة لابن وكيع المذكور :

لقد قنعت همى بالحوول وصددت عن الرتب العاليه
وما جهلت طعم طيب العلا ولكنها تؤثر العافيه
فأنشدنى لنفسه على البديهية :

بقدر الصعود يكون المبوط فإياك والرتب العاليه
وكن فى مكان إذا ما سقطت تقوم ورجلاك فى العافيه
ولابن وكيع أيضاً :

أبصره عاذلى عليه ولم يكن قبل ذا رآه
فقال لى : لو هويت هذا ما لامك الناس فى هواه
قل لى إلى من عدلت عنه فليس أهل الموى سواء
فظل من حيث ليس يدرى يأمر بالحب من نهاء

قال ابن خلكان : وكنت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين
محمد ولد الشيخ تقى الدين عبد المنعم المعروف بالخيمى ، فأنشدنى لنفسه فى المعنى :

لو رأى وجه حبيبي عاذلى لتفاصلنا على وجه جميل

وهذا البيت من جملة أبيات ، ولقد أجاد فيه وأحسن فى التورية ،
ولابن وكيع كل معنى حسن ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى
الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بمدينة تنيس ، ودفن فى المقبرة الكبرى
فى القبة التى بنيت له بها رحمه الله تعالى . ووَكيع بفتح الواو وكسر الكاف وسكون
الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة ، وهو لقب جدّه أبى بكر محمد بن خلف
وكان نائباً فى الحكم بالأهواز لعبدان الجواليقى ، وكان فاضلاً نبيلاً فصيحاً من

أهل القرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة ، منها كتاب الطريق وكتاب الشريف وكتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه وكتاب الرمي والنضال وكتاب المسكايل والموازين وغير ذلك ، وله شعر ك شعر العلماء ، وتوفي يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلثمائة ببغداد .

وقال ابن قانع : توفي عبدان الأهوازي سنة سبع وثلثمائة بمسكر مكرم رحمه الله تعالى ؛ والتبسي بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة نسبة إلى تنيس مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط .

الخطيب التبريزي

هو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب ، قال ابن خلكان : كانت له معرفة تامة بالأدب ، من النحو واللغة وغيرهما ، قرأ على الشيخ أبي العلاء المعري . وأبى القاسم عبد الله بن علي الرقي ، وأبى محمد الدهان اللغوي وغيرهم من أهل الأدب ، وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال الساوي البغدادى وأبى القاسم عبد الله بن علي وغيرهم ، وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت صاحب تاريخ بغداد ، والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ، وأبو الحسن سعد الخير بن محمد ابن سهل الأندلسي وغيرهم من الأعيان ، وتخرج عليه خلق كثير وتلمذوا له ؛ وذكره الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الأنساب وعدد فضائله ثم قال : سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون

المقرئ يقول : أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان يَمْرُضُ الطريقة ، وذكر عنه أشياء . ثم قال : وذاكرت أنا مع أبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت عنه وكأنه ما أنكر ما قال ، ولكن كان ثقة في اللغة وما كان يتقله ، وصنف في الأدب كتباً كثيرة مفيدة : منها شرح الحاشية وكتاب شرح ديوان المتنبي ، وكتاب شرح سقط الزند وهو ديوان أبي العلاء المعري ، وشرح المعاني السبع وشرح المفضليات ، وله تهذيب غريب الحديث ، وتهذيب إصلاح المنطق ، وله في النحو مقدمات حسنة والمقصود منها أسرار الصنعة وهي عزيزة الوجود ، وله كتاب الكافي في علم العروض والقوافي ، وكتاب في إعراب القرآن سماه الملخص رأيته في أربعة مجلدات وشروحه لكتاب الحاشية ثلاث أكبر وأوسط وأصغر ، وله غير ذلك من التأليف ، ودرس الأدب بالمدسة النظامية ببغداد ، وكان سبب توجهه إلى أبي العلاء المعري : أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الأزهرى في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعري فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً فنفذ العرق من ظهره إليها فأثربها الليل ، وهي ببعض الوقوف ببغداد وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور ، وكان الخطيب قد دخل مصر في عتفوان شبابه قرأ عليه بها الشيخ أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوي من اللغة ثم عاد إلى بغداد واستوطنها إلى المات .

وكان يَرَوِي عن أبي الحسن محمد بن المظفر بن محيريز البغدادى جملة من شعره ، فمن ذلك قوله على ما حكاه السمعاني في كتاب الذيل في ترجمة الخطيب وهي من أشهر أشعاره :

خليلى ما أحلى صبحى بدجلة وأطيب منه بالصراة غبوق

شربت على الماءين من ماء كرمه فكانا كبد ذائب وعقيق
على قرى أفق وأرض تقابلا فمن شائق حلو الهوى ومشوق
فما زلت أسقيه وأشرب ريقه وما زال يسقيني ويشرب ريقى
وقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى فقال نعم هذا أخى وشقيقى
وهذه الأبيات من أملح الشعر وأطرفه والبيت الأخير منها يستمد من معنى
قول أبى بكر محمد بن عيسى الدائى المعروف بابن البانة الأندلسى فى مدح المعتمد
ابن عباد صاحب إشبيلية من جملة قصيدة طويلة :

سألت أخاه البحر عنه فقال لى شقيقى إلا أنه الساكن العذب
ما كفاه أنه جملة شقيق البحر حتى رجحه عليه فقال : الساكن العذب والبحر
مضطرب مالح ، وهذا من خالص المدح وأبدعه وأول هذه القصيدة :
بكت عند توديعى فما علم الركب أذاك سقيط الطل أم لؤلؤ رطب
وتابعها سرب وإنى لخطي : نجوم الدياجى لا يقال لها سرب
وهى قصيدة طويلة . وللخطيب أيضاً :

فمن يَسَام من الأسفار يوما فإنى قد سئمت من المقام
أقنا بالعراق على رجال لثام ينتمون إلى لثام
وقال الخطيب : كتب إلى العميد الفياض :

قل ليحيى بن على والأفاويل فنون
غير أنى لست من يكذب فيها ويخون
أنت عين الفضل إن مد إلى الفضل عيون
أنت من عز به الفضل وقد كاد يهون
فقت من كان واتعبت لعمري من يكون
قد مضى فيك قران ومضى قبل قرون
وإذا قيس بك الكل فصحو ودجون

وإذا قتش عنهم فالأحاديث شجون
 قد سمعنا ورأينا فسهول وحزون
 ووزناً بك من كما ث ققيل وقبون
 أين شيبان وأزْد كل ما زال ظنون
 إنك الأصل ومن دو نك في العلم غصون
 إنك البحر وأعيا ن ذوى الفضل عيون
 ليس كالسيف وإن حلل في الحكم جفون
 ليس كالقده الملقى ليس كالبيت الحُجون
 ليس كجلدة وإن آ نَسَ هزل ومجون
 ليس في الحسن سواء أبدأ بيض وجون
 ليس كالأبكار في اللطف وإن راققتك عُون
 قلت للحساد ككونوا كيف شئتم أن تكونوا
 سبق الزائد بالفضل فعرّوا أو قمُونوا
 دُمت ما خالف في الحدّ حرّاك وسكون
 وتلقاك المنى ما قرّ بالطير الوكون
 إن ودّى لك عما يصم الودّ مَصُون
 ليس لى فيه ظهور تتنافى أو بطون
 بل لقلبي فيك صبّ بالمصافاة يكون
 غلق الرهن وقد تفلّق في الحب رهون
 ومن الناس أمين في هواه وخوون

وقال ابن الجواليقي : قال لنال لنا شيخنا الخطيب أبو زكريا : فكتبت أنا إلى

العميد الفياض المذكور هذه الأبيات :

قل للعميد أخى العلا الفياض أنا قطرة من بحرك الفياض

شرفتني ورفعت ذكرى بالذى أبستني من الثنا الفضاض
 أبستني حل القريض تفضلا فرفلت منها في علا ورياض
 إني أتيتك بالحصى عن لؤلؤ أبرزته من خاطر مرتاض
 وبخاطري عن مثل ذاك توقف ما إن يكاد يجود بالاباض
 العارض البحر الغطاميط جدول أم درة تنقاس بالرضاض
 يا فارس النظم الرصع جوهرا والنثر يكشف غمة الأمراض
 يرى به الغرض البعيد وقد غدا فكري يقصر عن مدى الأغراض
 لا تلزمني من ثنائك موجيا حقا فلت لحقه بالقاض
 فلقد عجزت عن القريض وربما أعرضت عنه أيما إعراض
 أنم على يسط عذري إني أقررت عند نذاك بالإفاض

وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وتوفي فجأة يوم الثلاثاء ليلتين
 بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد ودفن في مقبرة باب أبرز
 رحمه الله تعالى ، وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء
 المهملة وبعد الألف ميم .

المكبرى

أما الإمام المُكَبَّرِي فهو أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن
 أبي البقاء عبد الله بن الحسين المكبرى الأصل البغدادي المولد والدار الفقيه
 الحنظلي الحاسب الفرضي النحوي الضرير الملقب بحب الدين ، أخذ النحو عن
 أبي محمد بن الخشاب وعن غيره من مشايخ عصره ببغداد ، وسمع الحديث من
 أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد المعروف بابن البطي ومن أبي زرعة

طاهر بن محمد بن طاهر المقدسى وغيرها ، ولم يكن فى آخر عمره فى عصره مثله فى فنونه ، وكان الغالب عليه علم النحو وصنف فيه مصنفات مفيدة وشرح كتاب الإيضاح لأبى على الفارسى ، وديوان المتنبى ، وله كتاب إعراب القرآن الكريم فى مجلدين وكتاب إعراب الحديث لطيف ، وكتاب شرح اللّمع لابن جنى وكتاب اللباب فى علل النحو وكتاب إعراب شعر الحماسة ، وشرح المفصل للزخشرى شرحاً مستوفى ، وشرح الخطب النبائية والمقامات الحريرية وصنف فى النحو والحساب ، واشتغل عليه خلق كثير واتفقوا به واشتهر اسمه فى البلاد وهو حىّ وبعد صيته وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين وخمائة وتوفى ليلة الأحد ثلثين شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى . والعكبرى بضم العين المهمة وسكون الكاف وفتح الباء الموحدة وبعدها راء هذه النسبة إلى عكبرا وهى بليدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

ابن الشجرى

هو الشريف أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد بن حمزة الحسنى المعروف بابن الشجرى البغدادى . قال ابن خلكان : كان إماماً فى النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل متضلماً من الأدب صنف فيه عدة تصانيف ، فمن ذلك كتاب الأمالى ، وهو أكبر تأليفه وأكثرها إفادة أملاه فى أربعة وثمانين مجلساً ، وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر أبى الطيب المتنبى تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما سَنَحَ له ، وهو من الكتب الممتعة ، ولما فرغ من إملائه حضر إليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن

الخشب والتمس فيه سماعه عليه ، فلم يحبه إلى ذلك ، فعاداه وردّ عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها إلى الخطأ ، فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الردّ فردّ عليه في ردّه وبين وجوه غلطه وجمعه كتاباً وسماه الاتصّار ، وهو على صغر حجمه مفيد جداً وسممه عليه الناس ، وجمع أيضاً كتاباً سماه المحاسة ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي ، وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه ، وله في النحو عدة تصانيف : ما انفق لفظه واختلف معناه ، وشرح اللمع لابن جني ، وشرح التصريف اللوحي ، وكان حسن الكلام حلّ الألفاظ فصيحاً جيد البيان والتفهيم ، وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد القاسم الصيرفي ، وأبي على محمد بن سعيد بن شهاب الكاتب وغيرهما . وذكره الحافظ أبو سعيد بن السمعاني في كتاب الذيل وقال : اجتمعنا في دار الوزير أبي القاسم على بن طراد الزيني وقت قراءتي عليه الحديث وعلقت عنه شيئاً من الشعر في المدرسة ثم مضيت إليه وقرأت عليه جزءاً من أمالي أبي العباس ثعلب النحوي .

وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري النحوي في كتابه الذي سماه مناقب الأدباء : أن العلامة أبا القاسم محموداً الزمخشري لما قدم بغداد قاصداً الحج في بعض أسفاره مضى إلى زيارة شيخنا أبي السعادات ابن الشجري فضيئنا معه إليه فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي .

وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبير
ثم أنشده بعد ذلك :

كانت مسالة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت أذننى بأحسن مما قدرأى بصرى

وهذان البيتان منسوبان إلى أبي القاسم محمد بن هانيء الأندلسي وينسبان
(٨ م — المتنبي ١)

إلى غيره أيضاً ؛ قال ابن الأنباري : فقال العلامة الزنجشري : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم عليه زيد الخليل قال له : يا زيدا وصف لي أحد في الجاهلية فرأيت في الإسلام إلا رأيت دون ما وصف لي ، غيرك ؛ قال ابن الأنباري : فخرجنا من عنده ونحن نعجب كيف يستشهد الشريف بالشعر والزنجشري بالحديث وهو رجل أعجمي ؟ وكان ابن الشجري نقيب الطالبين بالسكرخ نيابة عن والده الطاهر وله شعر حسن ، فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي ابن محمد بن جبير وأولها :

هذي السديرة والغدير الطافح	فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح
يأسدرة الوادي الذي إن ضله	ساري هداه نشره المتفاح
هل عائد قبل المات لمغم	عيش تقضى في ظلالك صالح
ما أنصف الرشا الضنين بنظرة	لما دعى مضنى الصباية طامح
شط المزار به وبؤى منزلا	بصميم قلبك فهو دان نازح
غصن يعطفه النسيم وفوقه	قمر يحف به ظلام جاح
وإذا العيون تساهته لحاظها	لم يرو منه الناظر المتراوح
ولقد سررنا بالمعيق فشاقتنا	فيه مراتع للمها ومسارح
ظلنا به نبكى فكم من مضمهر	وجدا أذاع هواه دمع سافح
برت السنون رسومها فكأنما	تلك العراض المقفرات نواضح
يا صاحبي تأملا حيتما	وسقى دياركما اللث الرامح
أدعى بدت لعيوننا أم رب رب	أم خرّد أكفاهن رواجح
أم هذه مقل الصوار رنت لنا	خلل البراقع أم قنا وصفايح
لم يبق جارحة وقد واجهتنا	إلا وهن لها بهن جوارح
كيف ارتجاع القلب من أسراهوى	ومن الشقاوة أن يراض القارح
لو بله من ماء ضارج شربة	ما أثرت للوجد فيه لواقح

ومن ههنا يخرج إلى المديح فأضربت عنه خوف الإطالة ، ولم يكن المقصود إلا إثبات شيء من نظمه لتستدل به على طريقته فيه ؛ ومن شعره أيضاً :

هل الوجد خاف والدموع شهود وهل مكذب قول الوشاة جحود
وحتى متى تُفنى شئونك بالبكا وقد حدّ حدّاً للبُكاء لبیدُ
ولمّا وإن خفتُ قنّائي كبره لذو مرّةٍ في الثّائبات جليد

وفيه إشارة إلى أبيات لبید بن ربيعة العامري وهي :

تمنى ابتئى أبى يعيش أبوها وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَر
فَقُومُوا فَنُوحًا بِالَّذِي تَعْلَمَانِه وَلَا تَحْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَحَامَا شَعْر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضاع ولا خان العهد ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر
وإلى هذا أشار أبو تمام الطائي بقوله :

ظَعَنُوا فَكَانَ بَكَاءُ حَوْلٍ بَعْدَهُمْ ثم ارفعويت وذاك حكم لبید
وقال الشريف أبو السعادات المذكور ، أنشدنى أبو إسماعيل الحسين الطغرائى لنفسه :

إذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً فكن عبداً لملكه مطيعاً
وإن لم تملك الدنيا جميعاً كما تهواه فاتركها جميعاً
ها سبيان من ملك وترك ينيلان الفتى الشرف الرفيعاً
فمن يقنع من الدنيا بشيء سوى هذين عاش بها وضيعاً

وكان بين أبي السعادات المذكور وبين أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن حكيم البغدادي الحرابي الشاعر المشهور تنافس جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل فلما وقف على شعره عمل فيه قوله :

ياسيدى والذى يُعِيذك من نَظَمَ قَرِيضٍ يَصْدَا بِهِ الْفِكْرُ
مالك من جدك النبی سوى أنك ما ينبی لك الشعر

وكانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفن من القند في داره بالكرخ من بغداد رحمه الله تعالى . والشجرة بفتح الشين المعجمة والجيم وبعدها راء : هذه النسبة إلى شجرة وهي قرية من أعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ؛ وشجرة أيضاً اسم رجل قد سمت به العرب ومن بعدها ، وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ، ولا أدري إلى من ينتسب الشريف المذكور منهما ، هل هو نسبة إلى القرية أم إلى أحد أجداده كان اسمه شجرة ؟ والله أعلم .

القاضي الجرجاني

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني قال ياقوت : كان أريباً أديباً كلاملاً ، مات بالرعي يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة ، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وهو قاضي القضاة بالرعي حينئذ ، وذكره الحاكم في تاريخ نيسابور وقال : ورد نيسابور سنة سبع وثلاثين ، وثلاثمائة مع أخيه أبي بكر ، وأخوه إذ ذاك فقيه منظر ، وأبو الحسن قد ناهض الحلم ، فسمعاً الحديث الكبير ، ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذُكر في الدنيا^(١) . وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها ، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار

(١) يريد إلى أن مات ،

ابن أحمد ، وحضر جنازته الوزير الخطير أبو علي القاسم بن علي بن القاسم وزير
مجد الدولة ، وأبو الفضل العارض ، راجلين ، ووقع الاختيار بموته على أبي موسى
عيسى بن أحمد الديلمي ، فاستدعى من قزوين وولى قضاء القضاة بالرى
وله يقول صاحب بن عباد ؛ وقد أنشأ عهداً للقاضي عبد الجبار على
قاضي الرى :

إذا نحن سلمنا لك العلم كله فدعنا وهذى الكتب نحسن صدورنا
فإنهم لا يرتضون مجيئنا بجزع إذا نفلت أنت شذورها^(١)

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره ، وكان إذا
ذكره فى كتبه تبخى به^(٢) وشمخ بأنه بالانتماء إليه . وطوف فى صباه البلاد
وخالط العباد ، واقتبس العلوم والآداب ولقى مشايخ وقته وعلماء عصره . وله
رسائل مدونة ، وأشعار مفضنة ، وكان جيد الخط مليحاً يشبه بخط ابن مقلة ؛
ومن شعره :

أفدى الذى قال وفى كفه مثل الذى أشرب من فيه
الورد قد أينع فى وجنتى قلت : فى بالثم يجنيه

ومنه :

يقولون لى فىك اقتباس وإعما رأوا رجلا فى موقف النل أحجما
أرى الناس من دانا هم هان عندهم ومن أكرمه غرة النفس أكرما
ومازلت منحاذاً بعرضى جانباً من الهم أعتد الصيانة ممناً
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظماً
وما كل برق لاح لى يستغزنى ولا كل أهل الأرض أرضاء منعماً

(١) الجرج : الحرر الباني .

(٢) أى قال : بخ بخ .

ولم أقضِ حق العلم إن كان كلاماً بدا طمعٌ صَيَّرُهُ لِي سُلماً
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدُم من لا قيت لكن لأخدما
أشقى به غرساً وأجنيه ذلةً؟ إذن فابتياعُ الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس تعظما
ولكن أذلوه جهاراً ودنسوا مُحَيَّاه بالأطماع حتى تجهما
ومنه :

وقالوا : اضطرب في الأرض فالرزق واسع
فقلت : ولكن مطلب الرزق ضيق
إذا لم يكن في الأرض حرّة يُعِينِي ولم يك لي كسب فن أين أرزق ؟
ومنه :

أحبُّ اسمه من أجله وسميَّه ويتبعه في كل أخلاقه قلبي
ويجتاز بالقوم العدا فأحبههم وكلهم طاولي الضمير على حربي
ومنه :

قد برّح الشوق بمشتاقك فأؤله أحسن أخلاقك
لأنجفه وارع له حقه فإنه خاتم عُشّاقك
وللقاضى عدة تصانيف منها : كتاب تفسير القرآن المجيد ، كتاب تهذيب التاريخ
كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، وفي هذا الكتاب يقول بعض أهل
نيسابور :

أيا قاضياً قد دنت كُتُبُه وإن أصبحت داره شاحطة
كتاب الوساطة في حسنه لعقدِ معاليك كالواسطة
ومن شعره :

وماتطعمت لذة العيش حتى صرتُ للبيتِ والكتاب جايسا
ليس شيء أعزّ عندي من العلم مـ فلم أبتغي سواه أنيسا !

إنما الذل في مخالطة الناس فدعهم وعش عزيزاً رئيساً
ومن سائر شعره قوله :

إذا شئت أن تستقرض المال منفقا

على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها

عليك وإنظاراً إلى زمن اليسر
فإن فعلتَ كُنتَ الغنيَّ وإن أبت

فكل متويع بعدها واسع العذر

وحدث الثعالبي عن أبي نصر التهذيبي قال : سمعت القاضي أبا الحسن علي
ابن عبد العزيز يقول : انصرفت يوماً من دار صاحب وذلك قبيل العيد فجاءني
رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان :

يا أيها القاضي الذي نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديتُ عطراً مثلاً طيب ثنائه فكانما أهدى له أخلاقه

قال وسمعته يقول : إن صاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه لي بمرجان أكثر
مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيته يوماً من فرط تحفيي بي وتواضعه لي ؛
فأنشدني :

أكرم أخاك بأرض مولده وأمدد من فعلك الحسن
فالمر مطلوب ومكتسب وأعزه مانيل في الوطن

ثم قال : قد فرغت من هذا المعنى في العينية فقلت : لعل مولانا يريد قولي :
وشيدتُ مجدى بين قومي فلم أقل ألا ليت قومي يعلمون صنيعي
فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى : « ياليت قومي يعلمون »
بما غفر لي ربِّي وجعلني من المكرمين » قال الثعالبي : القاضي أبو الحسن
علي بن عبد العزيز ، حصة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان

حدقة العلم ، ودرة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ، ونظم البحتري : وينظم عقد الإقتان ، والإحسان في كل ما يتعاطاه ، « وأنشد بيت صاحب المقدم ذكره » وقد كان في صباه خاف الخضفر في قطع عرض الأرض ، وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلماء عِلْماً ، وفي الكمال علماً ، ثم عرج على حضرة صاحب فائق بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به ، وحل منه محلاً بعيداً في رفقته ، قريباً في أسرته ، وسير فيه قصائد أخلصت على قصد ، وفرائد أتت من فردٍ ، وما منها إلا صوب العقل ، وفوب الفضل ، وتقلد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به أحوال في حياة صاحب وبعد وفاته ، من الولاية والمُعْطلة ، وترقى محله إلى قضاء القضاة بالرى ، فلم يعزله إلا موته رحمه الله تعالى .

وعرض على أبو نصر المصعبي كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب ، في معنى القاضي أبي الحسن نسخته بعد التصيد والتشبيب : قد تقدم من وصني للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش — دام علوه — من كتي ما أعلم أني لم أؤدّ فيه بعض الحق ، وإن كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل ، وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، فأما موقعه مني : فالموقع الذي تخطبه هذه المحاسن وتوجهه هذه المناقب ، وعادته معي ألا يفارقتني مقياً وظاعناً ومسافراً وقاطناً ، وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصوير المقام كالإلمام . فطالبني مكانه بتعريف الأمير مصدره ومورده ؛ فإن عَنَّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المتاد من فضله ، ليمجّل انكفاؤه إلى بما رسم — أدام الله أيامه — من مظاهرته على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من

بَذَرَةٍ^(١) إن احتاج إلى الاستظهار بها ، ومخاطبة لبعض من في الطريق بتعرف
النهج فيها ، فإن رأى الأمير أن يحمل من حظوظ الجسيمة عنده تعهد القاضى
أبى الحسن بما يجعل رده فإنى ما غاب كالمُضِلِّ الناشد ، وإذا عاد كالغائم الواجد ،
مل إن شاء الله .

ولما عمل الصاحب رسالته المروقة في إظهار مسلوى المتنبي ، عمل
القاضى أبو الحسن كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره ، فأحسن
وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد
في فصل الخطاب ، وأحرب عن تبهره في الأدب وعلم العرب ، وتمكنه
من جودة الحفظ ، وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد
بغير جناح .

وقال فيه بعض النيسابوريين البيتين المقدم ذكرهما ، ومن شعره :

أُنْثِرْ عَلَى خَدَى مِنْ وَرْدِكَ أَوْدَعْ فَمَنْ يَقْطِنُهُ مِنْ خَدِكَ
إِرْحَمْ قَضِيبَ الْبَانِ وَارْفُقْ بِهِ قَدْ خِفْتُ أَنْ يَنْقَدَّ مِنْ قَدِّكَ
وَقُلْ لِمِنيكَ — بِنَفْسِي هَا — يَخْفَتَانِ السِّقْمَ عَنْ عَبْدِكَ

وله :

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أَمَرْتُ بِمَنْ دَنَا مَخَافَةَ نَائِي أَوْ حِذَارِ صُدُودِ
قَدْ جَمَلْتُ نَفْسِي تَقُولُ لِمَقْلَتِي
وَقَدْ قَرَّبُوا — خَوْفَ التَّبَاعُدِ — جُودِي
فَلَيْسَ قَرِيبًا مَنْ يُخَافُ بِمَادُهُ وَلَا مَنْ يُرَجَّى قُرْبُهُ بِبَعِيدِ
وله يستطرد :

مَنْ عَاذِرِي مِنْ زَمَنِ ظَالِمٍ لَيْسَ بِمُسْتَحْيٍ وَلَا رَاحِمٍ ؟

(١) الخفارة في الطريق .

يفعل بالإخوان أجدائه فعل الهوى بالذنب المهائم
كأنما أصبح يرميهم عن جفن مولاى أبى القاسم
وقال يذكّر بغداد ويتشوقها :

يانسيم الجنوب بالله بلغ ما يقول المقيم المستهام
قل لأحبابه فداكم فؤاد ليس يسرو ومقلة لا تنام
بنتم فالرقاد عندى سهاد مذ نأيتم والعيش عندى لئام
فعلى الكرخ فالقطيعة فالش ط فباب الشعير منى السلام
يا ديار السرور لازال يبكى بك فى مضحك الرياض غمام
رب عيش صحبته فيك غرض وجفون الخطوب عنى نيام
فى ليال كأنهن أمان من زمان كأنه أحلام
وكان الأوقات فيها كئوس دائرات وأنهن مدام
زمن مسعد ولف وصول ومنى يستلذها الأوهام
كل أنس ولذة وسرور بعد ما بتم على حرام

وله فى ذلك :

سقى جانبي بغداد أخلاف مزنة تحاكي دموعى صوبها وانحدارها
فلى منهما قلب شجانى اشتياقه ومهجة نفس ما أمل ادكارها
سأغفر للأيام كل عظيمة لئن قربت بعد البعاد مزارها

وله فى ذلك :

أراجعة تلك الليالى كمهدا إلى الوصل أم لا يرتجى لى رجوعها ؟
وصحبة أحباب لبست لفقدم ثياب حداد يستجد خليعها
إذا لاح لى من نحو بغداد بارق تجافت جفونى واستطير هجوعها !
وإن أخلقتها الغاديات رعوها تكلف تصديق النمام دموعها

سقى جانبي بغداد كل غمامة
معاهد من غزلان أنسٍ تحالفت
بها تسكن النفس النفور ويفتدي
يحن إليها كل قلب كأنما
فكل ليالى عيشها زمن الصبا
وكل فصول الدهر فيها ربيعها
يحاكى دموع المستهام هومها
لواظها ألا يداوى صريعها
بأنس من قلب المقيم نزعها
يشاد بحبات القلوب ربوعها

وله في ذلك :

بجانب الكرخ من بغداد لي سكن
وصاحب ما صحبت الصبر مذ بعدت
في كل يوم لعيني ما يؤرقها
ما زال يبعدني عنه وأتبعه
حتى أوت لي النوى من طول جفوته
وما البعاد دهاني بل خلاقه
لولا التحمل لم أنفك أندبه
دياره وأراني لست أصبحه
من ذكره ولقلبي ما يعذبه
ويستمر على ظلي وأعتبه
وسهلت لي سبيلا كنت أربه
ولا الفراق شجاني بل تجنبه

وله في التخلص :

أو ما اثنت عن الوداع بلوعة
ومدامع تجري فتحسب أن في
ملأت حشاك صباة وغليلا ؟
آماقهن بنات إسماعيل

وله من قصيدة في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير :

ولما تداعت للغروب شموهم
تلقين أطراف السجوف بمشرق
فما سرن إلا بين دمع مضيع
كان فزادى قرن قابوس راعه
وقنا لتوديع الفريق المغرب
لهن وأعطاف الخدور بمغرب
ولا فن إلا بين قلب معذب
تلاعبه بالفيلقي المتناشب

وله في الصاحب من قصيدة :

وما بال هذا الدهر يطوى جوامحي على نفس محزون وقلب كثيب
تقسمي الأيام قسمة جائر على نظرة من حالها وشحوب
كأنني في مكف الوزير رغبة تقسم في جدوى أغرّ وهوب
وله من قصيدة في الصاحب :

ولا ذنب للأفكار أنت تركتها إذا احتشدت لم ينتفع باحتشادها
سبقت بأفراد المعاني وألفت خواطرك الألفاظ بعد شراحها
وإن نحن حاولنا اختراع بديعة حصلنا على مسروقها ومعادها
وله في الصاحب من قصيدة ينهته بالبرء من المرض :

بك الدهر يبدى ظله ويطيب ويقلع عما ساءنا ويتوب
ونحمد آثار الزمان وربما ظللنا وأوقات الزمان ذنوب
أقوى كل يوم للمكارم روعة لها في قلوب المكرمات وجيب ؟
تقسمت العلياء جسمك كله فن أين فيه للسقام نصيب ؟
إذا ألبت نفس الوزير تأملت لها أنفس تحيا بها وقلوب
ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه حياتي وفي وجه الوزير شحوب
وليس شحوباً ما أراه بوجهه ولكنه في المكرمات ندوب
فلا تجزعن تلك السماء تغيبت وعما قليل تبسدى فحسوب
تهلل وجه المجد وابتسم الندى وأصبح غصن الفضل وهو رطيب
فلا زالت الدنيا بملكك طليقة ولا زال فيها من ظلالك طيب

وله :

على مهجتي تجنى الحوادث والدهر فأما اصطباري فهو ممتنع وعمر
كأنني ألاق كل يوم ينوبني بذنب وما ذنبي سوى أنني حر
فإن لم يكن هند الزمان سوى الذي أصيق به ذرعا ففندي له الصبر

وقالوا : توصل بالخضوع إلى الغنى
وبيني وبين المال باهان حرما
إذا قيل : هذا اليسر عاينت دوننا
إذا قدموا بالوفر قدمت قبلهم
وماذا على مثل إذا خضعت له
وله :

سقى الفيت أو دمي - وقلّ كلاما -
بحيث استرقّ الدّعصُ وابسط النقي
أكثر من أوصافها وهي واحد
وفي ذلك الخلد للكلّ ظبية
إذا خطرات الريح بين سجوفها
تلقت بأثناء النصف لحاظنا
أفي مثل هذا اليوم يمرح طرفه
ومدت لإسبال السجوف بنانها

لها أربما ، جور الهوى بينها عدل
وحيث تنهى الحيف واتقطع الرمل
ولكن أرى أسماءها في في تحلو
لكل فؤاد عند أجفانها ذحل
أباحث لطف المين ما حطّر البخل
وقالت لأخرى : ما لمستهر عقل ؟
وأعداؤنا حَوْلٌ وحسادنا قُبُل ؟
ففازلنا عنها الشماثل والشكل

أبي العلاء المعري

وهل يتوقع منا قارئ هذه التراجم أن نترجم له شاعر الحكماء وحكيم الشعراء
أبا العلاء المعري ، وهو أعرف من أن يعرف ، وقد أحاط المتأدبون بسيرته
وعبقريته علماً ؟ وحسبنا أن ننبه هنا إلى أنه ولد سنة ٣٦٣ وتوفي سنة ٤٤٩ ،
وأنه وضع شرحاً لشعر المتنبي وسمّاه اللامع العززي . واختصر ديوان أبي تمام
وشرحه وسمّاه ذكرى حبيب ، وديوان ~~المتنبي~~ **«عبد الوليد»** وديوان
المتنبي ، وسمّاه معجز أحد ، وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها وما أخذهم
من غيرهم وما أخذ عليهم ، وتولى الاختصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم .
قال ابن خلكان : وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي ، وأبوزكريا
التبريزي - أحد شراح المتنبي وقد ترجمنا له - وغيرها ، والله أعلم .

« أمثال المتنبي وحكمه »

انظر أمثال المتنبي وحكمه في ذيل الجزء الرابع
من هذا الديوان

قافية الحمزة

قال - وقد طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات لأبي ذر مهمل بن محمد الكاتب (*) :-

أَلْقَابُ أَعْلَمُ يَا عَذُولُ بِدَائِهِ وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ ^(١)
قَوْمَنْ أَحِبُّ لَا عُصَيْنَكَ فِي الْهَوَى قَسَا بِهِ وَبِحُسْنِهِ وَبِهَائِهِ ^(٢)
أُحِبُّهُ وَأَحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ ^(٣)

(*) وهذه هي أبيات أبي ذر المذكور . وكان شيخ سيف الدولة :

يَا لَا بُدَّ كَفَّ الْمَلَامَ عَنِ الَّذِي أَضْنَاهُ طُولُ سَقَامِهِ وَشَقَائِهِ
إِنْ كُنْتُ نَاصِحَهُ فَدَاوِ سَقَامَهُ وَأَعِنَهُ مُلْتَمِسًا لِأَمْرِ شِفَائِهِ
حَتَّى يُقَالَ بَأَنَّكَ الْخَلْلُ الَّذِي يُرْجَى لِشِدَّةِ دَهْرِهِ وَرَخَائِهِ
أَوْ لَا ، فَدَعَهُ فَمَا بِهِ يَكْفِيكَ مِنْ طُولِ الْمَلَامِ فَلَسْتَ مِنْ نَصَحَائِهِ
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِمَنْ عَصَيْتُ عَوَاضِلِي فِي حُبِّهِ لَمْ أَخْشَ مِنْ رُقْبَائِهِ
الشَّمْسُ تَطْلُعُ مِنْ أَمِيرَةٍ وَجْهِهِ وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خِلَالِ قَبَائِهِ

(١) الضمير في مائه يعود على الجفن وضمير جفنه يعود إلى القلب ، وإضافة الجفن إلى القلب لأنه أمير الأعضاء المهيمن عليها جميعا . والمراد بمائه ذمومه يقول : القلب أدرى منك أيها اللائم بدائه وما أدركه من برح الهوى فهو يلتصق بشقائه في البكاء ويأمر الجفن به * وإن شقائي عبء مهراقة * والقلب حقيق بأن يطاع لأن له السلطان الأكبر وأنت أيها العذول خليك بأن تمصى ولا اكتراث لنهيك .

(٢) الفاء للعطف والواو للقسم يقول : بحق من أحبه وبحق حسنه ونور وجهه لا أطمعتك أيها اللائم فيه .

(٣) الاستفهام في أحبه إنكارى . يقول : لا أجمع بين حبه وبين النهى عن حبه لأن الملامة معناها النهى عن حبه . وقد ناقض بذلك قول أبي الشيص :

(٩ - انتهى ١)

عَجِبَ الْوُشَاةُ مِنَ اللَّحَاةِ وَقَوْلِهِمْ
دَعِ مَا بَرَآكَ صَفَفْتَ عَنْ إِخْفَانِهِ (١)
مَا الْخَلُّ إِلَّا مَنْ أَوْدُ بِقَلْبِهِ
وَأَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسَوَائِهِ (٢)
إِنَّ الْمُعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ بِالْأَسَى
أُولَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإِخَائِهِ (٣)

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْسَ لِي الْلَوْمُ
وقال الواحدى : معنى قوله إن الملامة فيه من أعدائه أن صاحب الملامة أى اللائم
هو من أعداء هذا الحبيب حين ينهى عن حبه ، ومن أحب حبيبا عادى عدوه . وهذا
تكلف لا موجب له . فالتنبي يقول إن اللوم من أعداء حبيبه ، فلا يجمع بينه وبين حبه
إياه ، أى أنه لا يصنى اللوم اللوام ولا يقبله .

(١) وقولهم عطف على اللحاة ، والوشاة جمع واش ، وهو النمام ، لأنه يشى الكذب
أى يزخرفه وينمقه من وشى الثوب . واللحاة جمع لاح وهو العاذل أى اللائم . يقول :
ليس هناك إلا واش أو لاح فاللحاة يقولون دع هذا الحب الذى لا تطيق كتمانها ،
والوشاة يتعجبون من قولهم هذا قائلين إذا لم يطق كتمانها كان عن تركه أعجز . يعنى :
إننى وإن كنت ضعفت عن إخفاء هذا الحب بيد أننى لا أتركه .

(٢) الحل والحليل الصديق ، والطرف العين ، وسوى إذا قصرته كسرتة وإذا
مددته فتحته . يقول : ليس الصديق إلا من لا فرق بينى وبينه فاذا وددت فكأنى أود
بقله وإذا نظرت فكأنى أنظر بعينه . والمعنى صديقك من واقفك فى كل شئ فيود
ما وددت ويرى ما ترى أو تقول : ماخلى إلا الذى يبلغ الغاية من المودة فكأنه يود
بقلي . وقال بعضهم : المعنى : ليس لك خليل إلا نفسك . وهو كقوله :

خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خَلِيَّ وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ

(٣) الصبابة رقة الشوق . والأسى الحزن . والإخاء الأخوة . وربها أى صاحبها
والضمير للصبابة . يقول : إن العاذل أراد أن يعينه على الصبابة ويخلصه منها مستعينا على
ذلك باللوم والزجر فأحزنه بذلك كما يسوؤه وكان أجدر فى إعاقته بأن يرحمه ويرئى لحاله ويؤاخيه
فى بلواه أو تقول : إن الذى يعين على صاحب الصبابة بإيراد الحزن عليه بلومه إياه أولى
بأن يرحمه فيشفق عليه ويؤاخيه ويحتال فى طلب الخلاص له من ورطة الهوى . وهذا
فى عراض قول أبى ذر المتقدم

إِنْ كُنْتُ نَاصِحَهُ فَدَاوِ سِقَامَهُ

مَهْلًا فَإِنَّ الْعَذْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرَقُّفًا فَالْتَمَعُ مِنْ أَعْضَائِهِ ^(١)
وَهَبِ الْمَلَامَةَ فِي اللَّذَازَةِ كَالْكِرَى مَطْرُودَةً بِسَهَادِهِ وَبُكَائِهِ ^(٢)

وجعل إirاده الحزن عليه عوناً على معنى أنه لا معونة عنده إلا هذا كقولهم : عتابك السيف ، وحديثك الضرب . وقال الواحدى : يجوز أن يكون معنى قوله على الصبابة مع ما أنا فيه من الصبابة كقول الأعشى بمدح رجلا .

تَصَيَّفَتْهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَقْعَدِي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ ^(١) قَائِدًا
أى أعطانى مع ما كنت أقاسيه من الزمانه قائدا يقودنى .

(١) يقول . دع اللوم أيها اللائم فإنى سقيم واللوم يزيدنى سقما على سقم وترفق فى لومك فإن السمع — والمراد الأذن — من أعضائى فلا تسمعها ما يزيدها سقما .

(٢) هب أى احسب ، والكرى التعاس والسهاد الارق . قال ابن جنى . المعنى اجعل ملامتك إياه فى التذاذكها كالنوم فى لذائذه فاطردها عنه بما عنده من الأرق والبكاء أى لا تجمع عليه اللوم والسهاد والبكاء أى فكما أن السهاد والبكاء قد أزالا نومه فلنزل ملامتك إياه . وقال الواحدى تعقيا على ماذهب إليه ابن جنى : هذا كلام من لم يفهم المعنى إذ ظن زوال الكرى من العاشق وليس على ماظن ولكنه يقول للعاذل هبك تستلذ الملامة كاستلذاذك النوم وهو مطرود عنك بسهاد العاشق وبكائه فكذلك دع الملام فانه ليس بألذ من النوم أى فإن جاز ألا تنام جاز ألا تعذل « وأما بعد » فى الحق أن البيت من مشكلات الآيات ومن ثم اضطربت فيه كلمة الشراح . قال بعض المحققين . وذلك أن تفسير ابن جنى قوله مطرودة بقوله فاطردها لا يستقيم وشتان بين الأمر والوصف ، ولا يقال : إنه تناول معنى الأمر من قوله هب على تقدير هبها مطرودة لأن هب على تفسيره قد استوفى مفعوله من صدر البيت فلم يبق له دخل فيما يليه . وبقى قوله مطرودة حالا عن الملامة وإن شئت جعلته خبرا عن ضميرها محذوفا أى وهى مطرودة وعلى كليهما يكون فى معنى شبه جملة أو جزء جملة خبرية لا فى معنى جملة طلبية وقول الواحدى وهو مطرود أى النوم مقتضاه جعل مطرودة حالا عن الكرى والكرى مذكر لأنه مصدر كرى ولفظ مطرودة مؤنث فلا يصح كونها حالا

(١) الزمانه . العاهة .

لَا تَعْدُلُ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاكِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ ^(١)
 إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ ^(٢)
 وَالْعِشْقُ كَالْمَعْشُوقِ يَمُذِّبُ قُرْبَهُ لِلْمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوَائِهِ ^(٣)
 لَوْ قُلْتَ لِلدَّفَنِ الْحَزِينَ فَدَيْتُهُ مِمَّا بِهِ لَاغْزَرَتُهُ بِفِدَائِهِ ^(٤)
 وَفَى الْأَمِيرُ هَوَى الْعُمَيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بَيَاسِهِ وَسَخَائِهِ ^(٥)

عنه . على أن جعل ملام العاذل في قول ابن جنى أو نومه في قول الواحدى مطرودا بسهاد العاشق وبكائه مما يشكل وجهه ، وما أرى التنبي إلا أنه قد غلط في هذا البيت بأن سبق وهمه إلى أن الكرى يؤث على حد الهدى مثلا ، أو أراد أن يقول مطرودا فسبق خاطره إلى التأنيت باستدراج الوزن لأن المقام يقتضى أن يكون قوله مطرودة جاريا على الكرى كما هو تفسير الواحدى ، ويكون المعنى على نحو ما قال ابن جنى أى احسب ملامتك لذينة عند العاشق كمنامه ، والنام مطرود عنه بالسهاد والبكاء ، أى فلتكن ملامتك كذلك .

(١) لا : ناهية . ويروى لاتعذر فتكون نافية . يقول : لا تلم العاشق حتى تحب مثل ما يحب وهذا من قول البحترى .

إِذَا شُئْتَ أَنْ لَا تَعْدُلَ الدَّهْرَ عَاشِقًا عَلَى كَمَدٍ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ فَأَعَشِي ^(٢)
 (٢) مضرجا في الموضعين نصب على الحال ، والمضرج الملطخ بالدم من ضربت الثوب إذا صبغته بالحمرة . جعل دموع العاشق كالدماء والعاشق كالمقتول تهويلا لأمر الهوى يقول : إن القتل إنما هو باستنزاف الدم ، فمن استنزف دمه من طريق الدمع كمن استنزف دمه من طريق الجراحات .

(٣) المبتلى العاشق الذى امتحن بالحب ، والحوباء النفس . والواو في قوله وينال واو الحال . يقول إن العشق حلو القرب كقرب المعشوق وإن كان ينال من نفس العاشق أى ينلفها . أى أن العشق قاتل وهو مع ذلك مستعذب .

(٤) الدنف ذو الدنف أى المرض الملازم . وأغرته أى بعثته على الغيرة ، وقوله بفدائه أى بفدائك إياه فأضاف المصدر إلى المفعول . يقول : لو قلت للدنف ليت مابك من برج الهوى بى لغار من ذلك ضنا بمحبوبه وخشية أن يحل أحد محله برغم ما يلاقيه .
 (٥) وفى أى وقاه الله ، والبأس الشجاعة والسخاء البذل . يدعو له بالسلامة من

يَسْتَأْسِرُ الْبَطْلَ الْكَمِيَّ بِنَظَرَةٍ وَيَحُولُ بَيْنَ فُؤَادِهِ وَعَزَائِهِ ^(١)
 إِنِّي دَعَوْتُكَ لِلنَّوَائِبِ دَعْوَةً لَمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إِلَى أَكْفَائِهِ ^(٢)
 فَأَتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ مُتَّصِلًا وَأَمَامِهِ وَوَرَائِهِ ^(٣)
 مَنْ لِلسُّيُوفِ بِأَنْ تَكُونَ سِمِيحًا فِي أَصْلِهِ وَفِرْنَدِهِ وَوَفَائِهِ ^(٤)

الهوى لأنه ليس مما يزال بالشجاعة والبذل ، والأمير وإن كان من الشجاعة والجلود بحيث يدفع كل أمر شديد بيد أن الهوى اللطيف من ذلك .

(١) يستأسر أى الهوى أى يجعله فى الأسر ، والبطل ، الشجاع ، والكمى لابس السلاح ، والعزاء التجلد يقول : إن الهوى يأسر البطل الشجاع المستلثم سلاحه بمجرد نظرة فيملك عليه أمره ويعصف بصره وجلده على الرغم من بطولته فلا يترك بين فؤاده والعزاء سبيلا . وهذا ينظر إلى قول جرير .

يَصْرَعُنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنْ أَضْفُفُ خَاقِ اللَّهِ أَرْكَانَا ^(٢)
 النوائب الشدائد ، وسامعها سيف الدولة . والأكفاء جمع كفء وهو القرن والنظير . يقول : إني دعوتك لدفع الشدائد عنى ولست بهذه الدعوة أدعوك إلى نظرائك لجلادها لأنك فوق الشدائد وأشد بطشا منها .

(٣) المتواصل الذى له صلصلة وخفيف من وقع الحديد وقد طابق بين فوق وتحت وأمام ووراء يقول : دعوتك لدفع نوب الزمان عنى فأحطت به دونى وحلت بينه وبين الوصول إلى وحيثى بذلك منه ، وهذا قريب من قول أبى نواس :

تَفَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظُلِّ جَنَاحِهِ فَقَمَّيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي ^(٤)
 ضمير تكون للسيف أى بأن تكون السيوف سميها ، أى مثل سميها وتقول : من له بكذا أى من يتكفل له به أو من يضمه له ونحو ذلك . وفرند السيف جوهره ووشيه وهو ما يرى فيه شبه مدب النمل أو شبه الغبار استعاره هنا للمدوح وهو سيف الدولة والمراد مكارمه ومحاسنه والأصل النجار والحسب والوفاء معروف . يقول : من يكفل للسيف التى شاركت سيف الدولة فى التسمية بأن تكون مثله فى أصله ومناقبه وفعاله وفى وفائه ، وهذا كقوله .

* تظن سيوف الهند أصلك أصلها *

طَبَعَ الْحَدِيدُ فَكَانَ مِنْ أَجْناسِهِ وَعَلَى الْمَطْبُوعُ مِنْ آبَائِهِ^(١)
واستزاده سيف الدولة فقال أيضاً :

عَذَلُ الْعَوَازِلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ وَهَوَى الْأَحْبَةِ مِنْهُ فِي سَوْدَائِهِ^(٢)

(١) طبع الحديد فعل ونائب فاعل واسم كان ضمير يعود إلى الحديد ومن أجناسه جار ومجرور في موضع نصب خبر كان وعلى مبتدأ والمطبوع صفة له ومن آبائه في موضع رفع خبر ، والمطبوع المصنوع وعلى اسم سيف الدولة وهو على بن أبي الهيثم بن حمدان التغلبي . يقول : إن السيوف مصنوعة من الحديد فهي تنزع إلى أصلها الذي صنعت منه أما سيف الدولة الشريف ابن الشريف المرق له في الكرم فإنه ينزع إلى أصله في المجد والفعال ، فهي وإن شاركت في الاسم تخالفه في الأصل وشتان ما بينهما .

(٢) يعني بالتائه نفسه . وعذل العوازل مبتدأ وحول قلب التائه خبر والعذل اللوم والعوازل جمع عاذلة أما العاذل فجمع عذل وعذل ، والتائه التحير وسوداء القلب وسويداؤه الحلقة السوداء التي في جوفه كأنها فلذة كبد ، يقول : إن لوم اللوام حوال قلبي وهوى الأحبة قار في سويدائه ، وإذا لا يصل اللوم إلى قلبي وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم .

تَغَافَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سرور

وقد روى بدل قلب التائه قلبي التائه على أن التائه صفة لقلبي ، وليس هناك لأنه لا يقال تاه قلبه . وقال قوم : المعنى أن قلبي يتيه على عذلهم ، من التيه بمعنى الكبر ، قال الواحدى : ليس بمستحسن ، هذا وقد قال العكبري : عيب على أبي الطيب قوله التائه والقصيدة مهموزة كلها واعتذر له قوم بأنه لم يرد التصريح^(١) لأن الهاء في القافية أصلية وقد جعل قوم ممن رتبوا الديوان على الحروف هذه القطعة في حرف الهاء لجهلهم القوافي وقد جعلها ابن جنس والخطيب التبريزي في أول حرف الهمزة فاعتدنا بفعلهما والقوافي خمس يجمعهما مكبرف كل حرف لقافية ، وهي متكوس ومتدارك ومتراكب ومتواتر

(١) التصريح تنفية المصراع الأول مأخوذ من مصراع الباب . قال العلماء : المصراعان بابا القصيدة بمنزلة المصراعين اللذين هما باب البيت قالوا : وإنما وقع التصريح في الشعر ليدل على أن صاحبه مبتدئ إما قصيدة وإما قصة .

ومترادف ، فالتكاوس^(١) أربع حركات بين ساكنين كقوله .

* قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهَ فَجَبَرَ *^(٢)

والتدارك^(٣) حركتان بين ساكنان كما في هذه القصيدة والمتراكب^(٤) ثلاث حركات بين ساكنين كقول التنبي :

* بِمِ التَّعَلُّ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ *

والتواتر^(٥) حركة واحدة بين ساكنين كقوله - أى التنبي - :

(١) مأخوذ من تكاوس النبت والشجر التف وتراكب لكثرة الحركات فيه كأنها التفت .

(٢) هو للعجاج . والجبر خلاف الكسر يقال جبر العظم والفقير واليتيم وجبر العظم بنفسه . وقد جمع العجاج في هذا بين التعدى واللازم .

(٣) قال ابن سيده والتدارك من الشعر كل قافية توالى فيها متحركان بين ساكنين وهى متفاعلتين ومستعملتين ومتفاعلتين وفعل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فعل ، فاللام في فعل ساكنة ، وفعل إذا اعتمد على حرف متحرك نحو فعول فل اللام من فل ساكنة والواو من فعول ساكنةسمى بذلك لتوالى حركتين فيها ، وذلك أن الحركات من آلات الوصل وأماراته فكان بعض الحركات أدرك بعضها ولم يعقه عنه اعتراض الساكن بين المتحركين .

(٤) للتراكب كل قافية نالت فيها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين وهى مفاعلتين ومفتعلتين وفعلن لأن فى فعلن نونا ساكنة وآخر الحرف الذى قبل فعلن نون ساكنة وفعل إذا كان يعتمد على حرف متحرك نحو فعول فعل اللام الآخرة ساكنة والواو فى فعول ساكنة .

(٥) التواتر كل قافية فيها حرف متحرك بين حرفين ساكنين نحو مفاعيلن وفاعلاتن وفعلاتن ومفعولن وفعلن وفعل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فل وإياه عنى أبو الأسود بقوله :

وقافية حذاء سهل رويها كسر الصناعات ليس فيها تواتر
أى ليس فيها توقف ولا فتور .

يَشْكُو التَّلَامُ إِلَى اللِّوَائِمِ حَرَّةُ وَيَصُدُّ حِينَ يَلْمَنَ عَنْ بُرْحَانِهِ^(١)
وَبِمَهْجَتِي يَا عَاذِلِي الْمَلِكِ الَّذِي أَسْخَطْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي إِرْضَانِهِ^(٢)

* صِلَةُ الْمَجْرِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ *

والمترادف^(١) اجتماع ما كنين كقوله - أى المتنبي -:

لَا تَحْسُنِ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى مَشُورَةُ الضَّفِيرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ

أقول : وهذا كله من المكبرى لأنه أورد هذه الأبيات قبل الأبيات السالفة ظناً منه أنها هي التي قالها المتنبي باديء ذي بدء حين طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات أبي ذر ، ولكن الذى تحقق لدينا هو أن المتنبي قال الأبيات السابقة أولاً ثم أزدفها بهذه الأبيات التالية وإذن ينهار هذا المأخذ الذى توركه بعضهم على المتنبي وانهار معه الدفاع عنه .

(١) البرءاء الشدة وتباريح الشوق توجهه . وتقول : لقيت منه برءاء بارحاً أى شدة وأذى ، ويقال للمحموم الشديد الحمى أصابته البرءاء . يقول : إن اللوم يشكو حرارة قلبى إلى اللوائم كأنه يقول لمن : لا تبغثنى إليه لآئى أخشى برءاء قلبه وإذا انتنى أعرض اللوم عن قلبى خشية أن تلتفحه ناره يعنى بذلك أن قلبه لا يقبل اللوم واللوم لا يطبق أن يصل إلى قلبه لما يضطرم فيه من حرارة الحب . فالضمير فى حره وبرءاءه للقلب فى البيت السابق . وليس يخفى ما فى هذا البيت من لطف التخيل وبديع التمثيل .

(٢) الباء فى بمهجتي للتفدية ، والمالك يجوز فيه الرفع والنصب ، إذ لك أن تجعل بمهجتي خبراً مقدماً والمالك مبتدأ ولك أن تجعل الملك مفعولاً لفعل محذوف تقديره أفدى ويريد بالملك سيف الدولة والمهجة الروح وأراد بقوله : يا عاذلى يا من يعدلنى فليس لك أن

(١) المترادف كل قافية اجتمع فى آخرها ما كنان وهى متفاعلان ومستفعلان ومفاعلان ومقتعلان وفاعلتان وفعلتان ومفعولان وفاعلان وفعلان ومفاعل وفول ، سمي بذلك لأن غالب العادة فى أواخر الأبيات أن يكون فيها ما كنى واحد رويًا مقيداً كان أو وصلاً أو خروجاً فلما اجتمع فى هذه القافية ما كنان مترادفان كان أحد الساكنين ردف الآخر ولا حقاً به .

إِنْ كَانَ تَدَّ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَإِنَّهُ مَلَكَ الزَّمَانَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ (١)
 الشَّمْسُ مِنْ حُسَادِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ قُرْنَائِهِ وَالسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ (٢)
 أَيْنَ الثَّلَاثَةُ مِنْ ثَلَاثِ خِلَالِهِ مِنْ حُسْنِهِ وَإِبَائِهِ وَمَضَائِهِ (٣)
 مَضَتِ الدُّهُورُ وَمَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ وَلَقَدْ أَتَى فَمَجَزَنْ عَنْ نَظَرَائِهِ (٤)

تقول كان ينبغي أن يقول يا عاذلي لأنه قال العواذل في الأول ، إذ المراد كما قلنا يامن يعاذلي ومن تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وهذا اقتضاب عدل به عن النسب إلى اللديح . يقول : إني يالأمي أفدى بنفسى الملك الذى لم أسمع فيه لوم من هو أشد لوما منك فلم أتركه وآت غيره وأسخطت لوامى جميعا فى سبيل مرضاته .

(١) الباء فى بأرضه بمعنى مع يقول : غير عجيب أن يملك هذا الملك القلوب ويستولى حبه عليها مادام قد ملك الزمان بما يحتويه من الكائنات يصرفه على مشيئته وقال بعضهم : أراد بالسماء الأفلاك التى تنسب إليها السعود والنحوس أى أن ذلك يجرى على مقادير مشيئته لأنه يجعل أصحابه فى السعود ، وأعداءه فى النحوس .

(٢) والنصر من قرنائهِ ، أى أنه أينما توجه فهو منصور والسيف من أسمائه لأنه يعرف بسيف الدولة .

(٣) الحلال جمع خلة وهى الخصلة ، والإباء أن يأبى الذل ولا يرضاه والثلاثة الشمس والنصر والسيف ، يقول : أين حسن الشمس من حسنه وأين النصر من إبائهِ ؟ أى أنه أشد إباء للذل من النصر لأن النصر حليفه وصاحب النصر يأبى الذل وأين مضاء السيف من مضائه ؟

(٤) يقول : لم يأت الزمان بمثله فيما مضى فلما أتى عجزت الدهور عن أن تأتى له بنظير ، ولا يروعنك مثل هذه الآيات فإن الشعر يجب أن يكون أسمى من أن يسف إلى مثل هذا القلوه ، والتنبى كثيراً ما يلجأ فى شعره إلى الإفراط ، شأنه فى ذلك شأن كثير من الشعراء .

وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي ، وكان قوم قد هَجَوْهُ ، وغزوا الهجاء إلى أبي الطيب فكتب إليه يعاتبه ، فكتب أبو الطيب إليه :

أَتُنْكِرُ يَا ابْنَ إِسْحَاقَ إِخَايَ وَتَحْسَبُ مَاءَ غَيْرِي مِنْ لَمَانِي ^(١)
أَأَنْطِقُ فِيكَ هُجْرًا بَعْدَ عَلِيٍّ بَأَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَحْتَ السَّمَاءِ ^(٢)
وَأَكْرَهُ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ طَعْمًا وَأَمْضَى فِي الْأُمُورِ مِنَ الْقَضَاءِ ^(٣)
وَمَا أُرْبِتَ عَلَى الْعِشْرِينَ سِنِي فَكَيْفَ مَلَلْتُ مِنْ طُولِ الْبَقَاءِ ^(٤)
وَمَا اسْتَفْرَقْتُ وَصْفَكَ فِي مَدْيَحِي فَأَنْقُصَ مِنْهُ شَيْئًا بِالْهَجَاءِ ^(٥)
وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصَّبْحُ لَيْلٌ أَيْعَمَى الْعَالَمُونَ عَنِ الضُّيَاءِ ^(٦)

(١) الاستفهام للتعجب وإسحاق مصروف للضرورة والإخاء المصادقة وتحسب تفتح عنه وتكسر أى تظن والماء والإناء استعارة للقول والقائل يقول متعجبا : أتتكز مؤاخاتي إياك وتظن أن ما هجيت به صادر مني ؟

(٢) الهجر : القبيح من الكلام ، ويقال : هجر الرجل إذا هذى وأصله ما يقوله المهوم إذا نالت منه الحمى ؛ يقول : لا أنطق فيك القبيح بعد علي أنك خير الناس ، وهذا مبالغة .

(٣) أكره وأمضى معطوفان على خير في البيت السابق وطعما تمييز وذباب السيف حده . يقول : وأنت أكره طعما على العدو من طرف السيف وأتقذ فيما تريد من الأمور من القضاء ، وهذا من مبالغات المتنبي المعروفة .

(٤) ما حرف نفي وأربت زادت ، والسن العمر ، ومللت سئمت . يقول : وما زادت سنى على العشرين فكيف أمل طول البقاء بالتعرض لهجائك إذ أنى بتعرضي لهجائك ألقي بنفسى إلى التهلكة .

(٥) وما عطف على ما قبله ، واستفرت استوفيت ، يقول : ولم أستوف إلى الآن أوصاف مدحك فكيف أنقصها بهجائك بل أنا باستقامتها أولى مني بالأخذ في الهجاء .

(٦) يقول : وقدر أنى هجوتك وكأننى بذلك كمن يقول هذا النهار ليل فكيف يتأتى هذا وفعلك لا يخفى على أحد كضياء الشمس ، وهل يعمى العالمون عن الضياء .

تَطِيعُ الْخَالِيسِدِينَ وَأَنْتَ مَرَّةً جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وَهُمْ فِدَائِي (١)
وَهَاجِي نَفْسَهُ مَنْ لَمْ يُعَيِّزْ كَلَامِي مِنْ كَلَامِهِمْ الْهَرَاءُ (٢)
وَأِنْ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِي فْتَمْدِلَ بِي أَقْلٌ مِنَ الْهَبَاءِ (٣)

(١) مرة لغة في امرؤ . يقول : تصنى إلى الحساد وتنزل على تهمتهم إياي بهجائك وأنت أسمى من أن يهجوهم مثلي لأنني فداء له لماله من الأيادي ، أما هؤلاء الحساد فهم فداء لي لأنني أولى بالبقاء منهم وهم ممن لا غناء فيهم ، وقد ذهب السراح أكثرهم إلى أن جملة جعلت فداءه دعاية جعلت وصفا لمرة وهو نكرة على تقدير محذوف ، أي مستحق لأن أسأل الله أن يجعلني فداءه على حد قول الراجز :

مَا زِلْتُ أَسْعَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبُطُ حَتَّى إِذَا جَاءَ الظُّلَامُ وَاخْتَلَطُ (*)

* جَاءُوا بِضِيحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذُّنْبَ قَطُ *

أي جاءوا بضريح يقول : من رآه هل رأيت الذنوب قط .

(٢) من لم يميز مبتدا مؤخر وهاجي نفسه خبر مقدم ، والهرأ الكلام الساقط الذي لا خير فيه . قال ذو الرمة :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطَقٌ رَخِيمُ الْخَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا تَزْرُ

يقول : إن من لم يفرق بين كلامي وبين كلامهم الساقط فإنما يهجو بذلك نفسه وأنت أفطن من ألا تميز بينهما وإلا كنت قد هجوت نفسك .

(٣) أن تراني مؤول بمصدر اسم أن ، ومن العجائب جار ومجرور خبرها وتعدل عطف على تراني وأقل صفة لموصوف محذوف أي شيئا أقل من الهباء ، وعدله به ساواه وأقل أخس ، والهباء ما يرى في شعاع الشمس من دق التبار قل الشاعر :

بَرَّانِي الْهَوَى بَرَّى اللَّدَى وَأَذَابَنِي صَدُودُكَ حَتَّى صُرْتُ أَنْحَلٌ مِنْ أُنْسٍ

فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أَرَاكَ وَإِنَّمَا يَبِينُ هَبَاءُ النَّرِّ فِي أَلْقِ الشَّمْسِ

يقول : من العجب أن تراني وتعرفني ثم تسوى بيني وبين خسيس أدق من الهباء يريد غيره من الشعراء .

* الضيغ اللبن المخلوط شبه لون الضيغ بلون الذئب والذئب يقال له أبو مذقة لأن لونه يشبه لون المذق وهو الضيغ .

وَتُنْكِرَ مَوْتَهُمْ وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزَّنا^(١)

وقال يمدح أبا علي هرون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب ، وكان يذهب إلى التصوف (*)

أَمِنْ أَزْدِيَّارِكُ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ إِذْ حَيْثُ أَنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ^(٢)

(١) سهيل نجم تزعم العرب أنه إذا طلع وقع الوباء في الأرض وكثر للوت والزنا عد ويقصر ، يقول : ومن العجائب أن تنكر موت حسادي وأنا الطالع عليهم بموتهم كما يطلع سهيل ومن ثم يموت أولاد الزنا حسداً لي .

(*) قال بعض أفاضلنا المعاصرين في فصل من كتاب له ماملخصه « هذه القصيدة تنبئنا بأن الشاعر قد أقبل يمدح أبا علي الأوراجي من بعيد وقد جاز إليه جبل لبنان . . . وأكبر الظن أن الأوراجي هذا كان متصلاً بعمل من أعمال ابن رائق قريبا من بدر بن عمار في طبرية أو بعيداً عنه بعض الشيء في دمشق . فأقبل المتنبي من شمال الشام إلى جنوبها بعد أن جلت عنه جنود الإخشيد حتى انتهى إلى صاحبه هذا فدحه بقصيدتين أحدهما هذه المزمية ، والأخرى أرجوزة طردية « انظر الأرجوزة التي يقول في مطلعها .

ومنزّل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات المهطل

وللمزمية فيها أرى مكانة خاصة من شعر المتنبي فهي القصيدة الوحيدة التي يعتمد فيها الشاعر إلى المذهب الرمزي ليرضى بمدوحه الذي كان يذهب مذهب التصوف وهي من هذه الجهة قيعة لأنها تبين عن علم المتنبي — في الخامسة والعشرين من عمره — بمذاهب التصوفة في الكلام ومنهجهم في الرمز والإيماء ولأنها تظهر لنا الشاعر الفتي وقد ملك ناصية الفن حقاً ؛ إلى أن قال : ولست أدري أكان الأوراجي هذا قريباً أم بعيداً من بدر بن عمار ولكن المتنبي أقام معه حيناً على كل حال كما تدل على ذلك طرديته ثم اتصل من طريق الأوراجي هذا فيما أرى بيدر فلا تسلم عن فرحته وابتهاج نفسه بالنقطة والرضى اه ملخصاً .

(٢) أمن فعل والرقباء فاعل ، وازديارك مفعول مقدم وإذ تعليلية وأنت ضياء مبتدأ وخبر أضيفت حيث الظرفية إلى جملتهما ومن في من الظلام للبدل ويروى : إذ

قَلَقُ الْمَلِيحَةِ وَهِيَ مِسْكٌ هَتَكَهَا وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاةٌ^(١)

حيث كنت . . . قال الواحدى : فتكون ضياء مبتدأ محذوف الخبر ، أى ضياء هناك وكان تامة فى معنى حصلت ووقعت فليس لها خبر ، وقال آخرون ضياء مبتدأ وحيث كنت من الظلام خبره وإذ مضافة إلى هذه الجملة ومن الظلام حال من حيث تقديره إذ ضياء بمكان كونك وحصولك من الظلام ويجوز رفع حيث على الابتداء ونقله عن الظرفية . . . والازديار افتعال من الزيادة والدجى الظلمة يقول : إن الرقباء قد أبنوا أن تزورنى ليلا لأنك إذا زرتنى فى الظلام أضاء بك وأنار لأنك ضياء يهتك الظلام وإذا ذاك تقتضين وهذا ينظر إلى قول على بن جبلة المسكوك :

بَابِي مَنْ زَارَنِي مُكْتَتِمًا حَذِرًا مِنْ كُلِّ وَاشٍ فَرِعَا
طَارِقًا نَمَّ عَلَيْهِ نُورُهُ كَيْفَ يُخْفِي اللَّيْلُ بَدْرًا طَلَعَا
رَصَدَ انْخِلَوةً حَتَّى أَمَكَّتْ وَرَعَى السَّامِرَ حَتَّى هَجَمَا
كَابَدَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَعَا

(١) قلق مبتدأ وهتكها خبره ومسيرها عطف على قلق محذوف الخبر للعلم به ، والواو فى وهى مسك وهى ذكاء للحال . والمراد بقلقها اضطرابها وحركتها والمسك طيب من دم دابة كالظبي تدعى غزال المسك ، وهتكها أى اتهاكها ، وذكاء اسم للشمس لا ينصرف . يقول : إن المليحة مسك فإذا تحركت انتهك سترها وانفضح بتضوع رائحتها ، وهى شمس فإذا سارت ليلا رآها الناس . ومثل هذا المعنى كثير فى شعر المحدثين قل البحرى :

وَحَاوَلْنَ كَيْتَمَانَ التَّرَحُّلِ فِي الدُّجَى فَنَمَّ بِهِنَّ الْمِسْكُ حِينَ تَضَوَّعَا
وقال :

وَكَانَ الْعَبِيرُ بِهَا وَلَشِيئًا وَجَرَسُ الْخَلِيِّ عَلَيْهَا رَقِيًا

وقال أبو المطاع ابن ناصر الدولة :

ثَلَاثَةٌ مِنْهَا مِنْ زِيَارَتِنَا وَقَدْ دَجَا اللَّيْلُ خَوْفَ الْكَاشِحِ الْحَنِيقِ
ضَوْءُ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الْخَلِيِّ وَمَا يَفُوحُ مِنْ عَرَقِ كَالْعَبْرِ الْعَبْقِ

أَسْفَى عَلَى أَسْفَى الَّذِي دَلَّهْتَنِي عَنْ عَلَيْهِ فَبِهِ عَلَى خَفَاءُ^(١)
وَشِكَايَتِي فَقَدْ السَّقَامَ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ^(٢)

هَبِ الْجَبِينِ بِفَضْلِ الْكُمِّ تَسْتَرُهُ وَالْحَلَى تَنْزَعُهُ مَا الشَّانُ فِي الْعَرَقِ
هذا وقد قال ابن فوزه : الهتك مصدر متعد ولو أتى بمصدر لازم بأن قال
انتهاكها لكان أقرب إلى الفهم ولكنه راعى الوزن . قال : وقوله وهى مسك زيادة
على كثير من الشعراء إذ لم يجعل هتكها من قبل الطيب الذى استعملته بل جعل المسك
نفسها فكأنه من قول امرئ القيس :

* وجدت بها طيبا وإن لم تَطَّيَّبِ *

وقول الآخر :

دُرَّةٌ كَيْفَا أُدِيرَتْ أَضَاءَتْ وَمِشَمٌّ مِنْ حَيْثَا شَمَّ فَاحَا

ومثله قول بشار :

وتوق الطيب لَيْلَتَنَا إِنَّهُ وَاشِ إِذَا سَطَعَا

(١) أسفى على أسفى مبتدأ وخبر وخفاء مبتدأ ، وبه من فيه جار ومجرور خبره
والأسف الحزن ، والدله الذى أذهب المشق عقله وأذهله . يقول : إننى آسف على أن
شغلتنى عن معرفة الأسف حتى خفى على ما هو إذ عصفت بلبى يعنى : إننى أحزن لذهاب
عقلى لما لقيت فى هواك من البرح والشدة حتى لقد خفى على حزنى الذى إنما يدرك
باللب وليس لى الآن لب ، أو تقول : إنه كان يتأسف على زمان وصالحها فلما أمعت فى
الهجر ذهب له حتى صار لا يعرف الأسف فأخذ يأسف على ذلك الأسف لأنه كان إذ ذاك
عاقلا أما الآن فلا عقل له .

(٢) الشكية والشكاة والشكوى والشكاية واحد . يقول : إنما أشكو عدم السقم
لأن السقم إنما كان حين كانت لى أعضاء يعروها السقام فأحسه بأعضائى فإذا طاحت
الأعضاء من جراء الجهد الذى أدركنى فى هواك لم يبق ثم ما ينزل به السقم ، وهذا
المعنى أوضحه البسى بقوله :

وَلَوْ أَبْقَى فِرَاقَكَ لِي فُؤَادًا وَجَفْنَا كُنْتُ أَجْزَعُ مِنْ مُسَاهِدِي
وَلَكِنْ لَا رُقَادَ بِفَيْرِ جَفْنِي كَمَا لَا وَجْدَ إِلَّا بِالْفُؤَادِ

مَثَلَتْ عَيْنِكَ فِي حَشَاىَ جِرَاحَةً فَتَشَابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجْلَاهُ (١)
نَفَذْتُ عَلَى السَّابِرِيِّ وَرُبَّمَا تَنْدُقُ فِيهِ الصَّفْدَةُ السَّمْرَاهُ (٢)
أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَارُوحَتْ وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّي الْجُوزَاهُ (٣)

« وأما بعد » فلا تنس أن أبا الطيب إنما يقول هذه القصيدة لرجل يعرف أنه يذهب مذهب المصوفة ومن ثم تراه يهيج منهمجهم في العبارة والتفكير وبالحرى ما يشبه أن يكون رمزاً وغموضاً .

(١) جراحة مفعول ثانٍ لمثلت أو تميز . وقوله : فتشابهها أى العين والجراحة ولم يقل تشابهها حملاً على المعنى كأنه قال فتشابه الأمران كما قال .

إن الساحة والمروءة ضمناً قَبْرًا بَمَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ
ومثلت صورت والجراحة الجرح والنجلاء الواسعة يقول : لما نظرت إلى صورت في قلبي مثال عينك جرحاً واسعاً فتشابهت عينك وذلك الجرح في الاتساع .
(٢) نفذت أى العين والسابري الدرع المحكمة الدقيقة النسج نسبة إلى سابور ويقال للثياب الرقيقة سابرية ، قال ذو الرمة :

لَجَاءَتْ بِسَجِّ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ عَلَى عَصَوَيْهَا سَابِرِيٌّ مُشْبَرِقٌ

والصعدة القناة التى تنبت معتدلة فلا تحتاج إلى تقويم يقول — إذا كان يريد بالسابري الدوع — اخترقت عينك الدرع إلى قلبي فلم تحصنه الدرع من نظرتها مع أنها تحصنه من الرمح . وإذا كان المراد بالسابري الثياب يكون المعنى أن عينك نفذت إلى قلبي فجرحته وربما كان الرمح يندق قبل وصوله إلى لسكاني من الشجاعة والشجاع موقٍ والاول أظهر .

(٣) صخرة الوادى فى العادة صلبة بما يتعاورها من السيول ، ومن ثم جعلت مثلاً فى الثبات لأن السيول تجرف ما حولها ولا تستطيع اقتلاعها والجوزاء من أبراج الفلك ، يقول : إذا زوحت لم يقدر على إزالتها عن موضعي كصخرة الوادى وإذا نطقت كنت فى علو المنطق كالجوزاء وقال الواحدى : ويقال إن الجوزاء بيت عطاردي فيكون المعنى : منى تستفاد البراعات ويقتبس الفضل كما أن الجوزاء تعطى من يولده فيها البراعة والنطق .

وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى النَّبِيِّ فَعَاذِرُ أَنْ لَا تَرَانِي مُقَلَّةٌ عَمِّيَاً^(١)
شَيْمُ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكَّكَ نَاقَتِي صَدْرِي بِهَا أَفْضَى أَمِ الْبَيْدَاءُ^(٢)

(١) النبي : الغافل القليل الفطنة ، وقوله فعاذر : أى فأننا عاذر فهو خبر عن محذوف ، والمقلة : العين ، يقول : إذا خفي مكانى على النبي فلم يعرف قدرى ولم يقر بفضلى فأننا عاذر له لأنه كالأعمى الذى لا يرى الأشياء والأعمى معذور فكذلك النبي الجاهل . وهذا المعنى ينظر إلى قول ذى الرمة يمدح عمر بن هبيرة :

حَتَّى بَهَرْتُ فَمَا تَخْنِي عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمِهِ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا^(١)

(٢) صدرى يريد أصدرى ، خذف همزة الاستفهام لدلالة أم البيداء عليها والبيداء الفلاة سميت كذلك لأن الشأن فيمن سلكها أن يبيد ، والشيمة العادة وشككه حمله على الشك ، وأفصى من الفضاء وهو الاتساع ، يقول : عادة الليالى أن تبعد على طلبى فترمى بطول الأسفار حتى تحمل ناقتى على الشك فى ، أصدرى بها لو جعل مكان البيداء أم البيداء أفصى ؟ لما ترى من سعة صدرى وأناأتى وتجلى وصبرى على المشقات والأسفار ، وهذا المعنى هو الظاهر وهو ما ذهب إليه ابن جنى ، ولكن الواحدى كما قال العكبرى نقلا عنه لم يرتضه ، قال : هذا إنما يصح لو لم يكن فى البيت بها ، وإذا رددت الكناية « أى الضمير فى بها » إلى الليالى بطل ما قل لأن المعنى : صدرى بالليالى وحوادثها وماتورده على من مشقة الأسفار وقطع المفاوز أوسع من البيداء وناقى تشاهد ما أقاسى من السفر وصبرى عليه فيقع لها الشك فى أن صدرى أوسع أم البيداء وعلى هذا أفصى أفعل كما يقال أوسع ، وقال قوم : إن الكناية تعود على الناقة ومعنى أفصى بها أى أدى بها إلى الهزال صدرى أم البيداء ؟ فرة تقول : أى الناقة لولا سعة صدره من حيث الهمة وبعد

(١) قبله :

مازلت فى درجات الأمر مرتقيا تنمى وتسمو بك الفرعان من مضرا
قال ابن برى : الذى أورده الجوهري وقد بهرت وصوابه حتى بهرت أى علوت
كل من يفاخره فظهرت عليه ، وقوله على أحد : أحد ههنا بمعنى واحد لأن أحدا
المستعمل بعد النفي فى قولك : ما أحد فى الدار لا يصح استعماله فى الواحد .

فَتَبَيَّتْ نُسَيْدُ مُسْنِدًا فِي نَيْبِهَا إِسَادَهَا فِي التَّمَنُّهِ الْإِنْضَاءُ^(١)
أَنْسَاعُهَا تَمْحُوطَةٌ وَخِيفُهَا مَنَكُوحَةٌ وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ^(٢)

الطلب لما أنعنى بالسفر ومرة تقول البيداء هي التي تذهب لحمي وتودي بي إلى الهزال وعلى هذا أفنى فعل ويجوز أن يكون اسما وإن عادت الكناية إلى الناقة . والمعنى أن ناقتي قوية نجية يضن بثلثها وهي ترى إتمامي إياها واستنادي عليها في الأسفار فتقول صدري أوسع بي حيث طابت نفسه في إهلاك أم البيداء ؟ أى لولا أن له صدرا في السعة كالبيداء لم تطب نفسه بإهلاكى . قل الواحدى : والقول هو الأول وهو رد الكناية إلى اللىالي « هذا » وتضميه الصدر بالبيداء في السعة معنى قد اعتوره الشعراء .
قال أبو تمام :

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعها لم يضق عن أهله بلد
وقل البحرى :

كريم إذا ضاق الزمان فإنه يضل الفضاء الرحب في صدره الرحب
(١) الإسَاد إيمان السير أو سير الليل خاصة والنبي الشحم والسمن والإنضاء مصدر أنضأ ينضيه إذا هزله والمهمه الصحراء ومسندا حال من ضمير تشد العائد على الناقة وهو اسم فاعل فاعله الإنضاء وأسَادها مفعول مطلق عامله مسندا وتقدير البيت تبئت هذه الناقة تشد مسندا الإنضاء في نيبها إسَادها مثل إسَادها في المهمه يقول : تبئت ناقتي تسير سائراً في جسدها الهزال مثل سيرها في الصحراء . وهذا للمعنى ينظر إلى قول أبي تمام .

رَعْنَةُ الْفَيَافَى بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُ سَابِكُهُ
(٢) الأنساع جمع نسع وهو سير كهيئة العنان يشد به الرجل ، والمغط المد وذلك كناية عن عظم بطن الناقة حين امتدت أنساعها فطالت ، وخفافها منكوحة أى مثقوبة بالحصى وكنى بهذا عن وعورة الطريق ومنكوحة أى مدمية من الحصى واستعار النكاح لوطئها الأرض وإدناء الحصى إياها . وطريقها عذراء أى لم تسلك قبلها وأصل العذراء التي لم تقتض . ومن طريق ما ذكره الشراح هنا ما أورده العكبرى قال : قال الشيخ أبو محمد عبد النعم بن صالح النحوى عند قراءتي عليه هذا الديوان ومذوّلت إلى هذا البيت : سألتى لللك السكامل أبو العالى محمد بن أبي بكر (١٠ - التتى ١)

يَتَلَوْنَ الْحَرِيتُ مِنْ خَوْفِ التَّوَى فِيهَا كَمَا يَتَلَوْنَ الْحَرِيبَةَ^(١)
 بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي قَسِيٍّ مِثْلُهُ شَمُّ الْجِبَالِ وَمِثْلُهُنَّ رَجَاءُ^(٢)
 وَعِقَابُ لُبْنَانَ وَكَيْفَ يَقْطَعُهَا وَهُوَ الشِّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ^(٣)

ابن أيوب ملك البدار المصرية والشام والحرمين عن هذا البيت في قوله وطريقها عذراء
 قُطِعتْ له : يريد أنها صعبة لم تسلك ، فقال لي : هذا يدل على أن المدوح لا يعرف ولا له
 ذكر ولا نائل لأن الطريق إليه عذراء لم تطرق والمدوح إذا كان له عطاء وذكر
 ويعرفه القاصد ، كانت الطريق إليه لا تنقطع . . . ولقد أحسن في هذا النقد .

(١) الحرير الدليل صمى خريتا لاهتدائه في الطرق الخفية كخريت الإبرة كأنه
 يعرف كل حجب في الصحراء ، والتوى الهلاك ، والحرباء دوية على شكل سام أبرص
 ذات قوائم أربع دقيقة الرأس مغططة الظهر تستقبل الشمس وتكون معها كيف
 دارت وتلون ألوانا بحر الشمس . يقول : إن هذه الأرض طريقها صعبة يتلون الدليل
 فيها خوف الهلاك كما يتلون الحرباء ويتغير لونه فهو يدور يمينا وشمالا لطلب الطريق
 وفي هذا للمنى يقول هدية :

يظل بها الهادي يقلب طرفه من المول يدعو ويله وهو لاهف

ويقول الظرماع :

إذا اجابها الحرير قال لنفسه أتناك برحلى حائن بعد حائن

(٢) شَمُّ الجبال : بدل من « قوله مثله » ، ونصب مثلهن على الحال لأنه نفت
 للنكرة المرفوعة فقدم عليها فنصب على الحال كقولك : فيها قائما رجل ، وكقول
 ذي الرمة :

وَتَحْتَ الْعَوَالِ وَالْقَنَا مُسْتَظِلَّةٌ ظِلَاءُ أَعَارِشِهَا الْعُيُونُ الْجَاذِرُ

يقول بيني وبين هذا المدوح جبال مرتفعة مثله ورجاء عظيم كهذه الجبال .

(٣) وعقاب عطف على شَمُّ الجبال ، وعقاب جمع عقبة وهي المرتقى الصعب من
 الجبل والباء في بقطمها متعلقة بمحذوف تقديره : وكيف أقوم بقطمها أو كيف الظن
 مثلا . وكيف استفهام في للمنى الإنكارى ، وواو « وهو الشتاء » للحال والضمير ضمير الشأن

لَبَسَ الثَّلُوجُ بِهَا عَلَى مَسَالِكِي فَكَأَنَّهَا بِيَاضِهَا سَوْدَاهُ^(١)
وَكَذَا الْكَرِيمِ إِذَا أَقَامَ بَيْلُدَةً . سَالَ النَّصَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ^(٢)
جَدَّ الْقَطَارُ وَلَوْ رَأَتْهُ كَمَا تَرَى بُهِتَتْ فَلَمْ تَنْبَجْسِ الْأَنْوَاءَ^(٣)

يقول : وكذلك يني وبينه عقاب جبل لبنان وكيف أستطيع قطعها والوقت شتاء
وصيفها مثل الشتاء فكيف شتاؤها ؟ !

(١) لبس الشيء ولبسه عماه ، قال تعالى : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » والضمير
في بها للعقاب والضمير في كأنها للثلوج أو للمسالك وباء بياضها متعلقة بمعنى كأن أى
القشيبه ، يقول : إن الثلوج في هذه الجبال أخذت على طريقي فلم أهد لكثرة بياضها
فكأنها اسودت اسوداد الليل إذ ضلت فيها لأن الأسود لا يهتدى فيه ، وهذا معنى حسن
كما ترى .

(٢) النصارى الذهب ، والنصار أيضا الخالص من كل شيء ، وقام الماء جمد ومعنى
هذا البيت متصل بالذي قبله لأنه يقول يابض الثلوج يعنى قمام مقام السواد ، واليباض إذا
عمل عمل السواد فقد قضى العادة كذلك الكريم إذا أقام بيلدة قضت العادة فيكون
الذهب سائلا والماء جامدا ، وإعما قال هذا لأنه أنه في الشتاء عند جمود الماء . يقول :
إن الكريم إذا أقام بيلدة أعطى المال وتحرق في الكرم حتى لكان المال ماء سائل
فما رأى للماء هذا الكرم وقف متبلدا متبلدا جامدا ، وهو تخيل بدیع .

١٣. الأنواء فلعل رأته ويجوز أن ترتفع الأنواء برأت وبهت وتبجس على التنازع
ولاعل ترى يود على اقطار ، ويرى بدل ترى رأى : أى اقطار ولكن ترى أحسن
لأن القطار مؤنثة ، والقطار جمع قطر ، وقطر جمع قطرة وهى المطر ، وبهت
دهشت ونهيت ، وتبجس تفجر ، والأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من الغرب وطلوع
وقيه من الشرق وهى منازل القمر والعرب تنسب إليها الأمطار يقولون : سقينا بنوء
كذا . ويريد بجمود القطار الثلوج يقول : إن المطر جمد لما رأى كرم هذا للمدوح
ولو رأته الأنواء كما رآه المطر لنهيت ودهشت ولم تفجر فلم تأت بمطر استظلما لما
بأته وخجلا من جوده .

فِي خَطِّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٌ حَتَّى كَانَ مِدَادُهُ الْأَهْوَاءُ^(١)
وَلِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ حَتَّى كَانَ مَغْنِيهِ الْأَقْدَاءُ^(٢)
مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعْرَاءُ^(٣)
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْقَوَافِي جَوْلَةٌ فِي قَلْبِهِ وَلَاذُنُهُ إِصْفَاءُ^(٤)
وَإِغَارَةٌ فِيمَا احْتَوَاهُ كَأَنَّمَا فِي كُلِّ بَيْتٍ فَيَلْقَى شَهْبَاءُ^(٥)

(١) اللداد الحبر ، والأهواء جمع هوى بالقصر وهو صبوة القلب يصفه بحسن الخط يقول : كأن مداده من أهواء الناس فهم يحبون خطه ويميلون إليه شغفاً به واقتناء بحسنه ، ويجوز أن يكون هذا كناية عن وصفه بالجوّد يقول : لا يوقع إلا بالنوال ولذلك يهفو الناس إلى خطه ، ويجوز أن يكون ذلك كناية عن طاعة الناس له أي أن كتبه تقوم مقام الجيوش لأن الناس يتقارعون إليه غريزة وطبعاً ، ولعل الأقرب أن اناس لحبهم إياه وشغفهم برؤيته يتهافتون على كل ما يكتبه لأن فيه بعض ما يشتهون على حد قولهم : المكتبة نصف المشاهدة .

(٢) قرة العين كناية عن السرور ، قرت عينه بردت ، ودمع الفرح بارد والأقضاء جمع قذى وهو ما يقع في العين والشراب من تراب ونحوه والمغيب الغيبة ، يقول : كل عين تسر بقربه ورؤيته وتأذى بغيته فكان غيته قذى للعين .

(٣) من بمعنى الذي خبر ضمير محذوف يرجع إلى المدحوح وتقدير البيت : هو الذي يهتدى في الفعل إلى ما لا يهتدى الشعراء إليه في القول حتى يفعل هو فضمير يفعل يعود إلى من ، والشعراء فاعل يهتدى ، يقول : إنما يقتدى الشعراء فيما يقولون من المدائح بأفصاله من للكارم والسامع العظيم فإذا فعل هو تعلموا من فعله القول فحسكوا ما فعله .

(٤) القافية القصيدة لأن بعضها يقفو بعضها أي يتبعه أو تسمية للكل باسم البعض ، يقول : إن الشعراء تتوارد عليه بالمدائح بالتوالي فهو لا ينفك عن الإصغاء جبا للشعر وارتياحاً إلى إعطاء الشعراء .

(٥) إغارة عطف على جولة ، وما احتواه أي جمعه واقتناه من مال والفيلق الكنية من الجيش أتمه فقال شهباء باعتبار معنى الجمع وكل جمع مؤنث والشهباء التي تظلم بياضها على سوادها ، يعني صافية الحديد ، يقول : وللقوافي كل يوم إغارة على ماله حتى لكان كل بيت كثيفة تنهب ما احتواه .

مَنْ يَظْلِمُ اللُّؤْمَاءَ فِي تَكْلِيفِهِمْ أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمْ لَهُ أَكْفَاءُ^(١)
وَنَدِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبِضِدِّهَا تَقْبِيْنُ الْأَشْيَاءَ^(٢)

(١) من بمعنى الذي خير مبتداً محذوف تقديره هو الذي يظلم الخ. والثلثم الحسيس الأصل والنفس ضد الكريم ويصبحوا هنا تامة والجملة بعد حال والأكفاء النظراء والأمثال ، يقول : إن اللثام يحاولون التشبه به حسداً له وهم لا يقدرّون على ذلك فكانه ظلمهم ، إذ كلّمهم أن يمثّلوه ولكنهم لم يستطيعوا ، قال الواحدى ما معناه : ليس في هذا كبير مدح ولقد كان أبلغ في المدح أن يقول : السكرماء بدل اللؤماء على أن مثل هذا المعنى وهو أنه أفضل من اللؤماء ولا يقدرّون أن يكونوا ، مثله بما لا يليق بذهبه في إشارته البالغة. وروى الخوارزمي نظم بالنون ، وقال : إذا كلّفنا اللثام أن يكونوا أكفاء له فقد ظلّمناهم في تكليفهم ما لا يطيقون .

(٢) ذامه كذمه ، وقوله ونديمهم مما يؤنس ما ذهب إليه الخوارزمي في روايته البيت السابق من نظم بالنون ، يقول المتنبي : ونحن نذم اللثام ولولا هم ما عرفنا فضله لأن الأشياء إنما تتبين بأصدادها فلو كان الناس كلهم كراماً لم يعرف فضله ، وهذا المعنى قد تعاوره كثير من الشعراء قال بشار :

وَكَنَّ جَوَارِي الْحَيِّ مَا دَمَتْ فِيهِمْ قِبَاحًا فَلَمَّا غَبَتْ صِرْنَ مِلَاحًا
وقال أبو تمام :

وَلَيْسَ يَعْرِفُ طَيْبَ الْوَصْلِ صَاحِبُهُ حَتَّى يُصَابَ بِنَايٍ أَوْ يَهْجُرَ إِنْ
وقال :

وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا فَهُوَ الَّذِي أَنْبَأَكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا
وقال :

سَمِعَتْ وَنَهْنَاهَا عَلَى اسْتِنْمَاجِهَا مَا حَسَلَهَا مِنْ تَفْصِرٍ وَجَمَالٍ
وَكَذَلِكَ لَمْ تَفْرِطْ كِتَابَةً عَاطِلٍ حَتَّى يُجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالٍ
وقال البحتري :

وَقَدْ زَادَهَا أَفْرَاطَ حُسْنِ جَوَارِهَا خَلَاقَ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خُيِّبَ
وَحُسْنُ دَرَارِي السُّكُوكَا كَأَنْ تُرَى طَوَّالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَنِيْبِ

مَنْ نَفَعَهُ فِي أَنْ يُهَاجَ وَضَرَهُ فِي تَرْكِهِ لَوْ تَقَطَّنُ الْأَعْدَاءُ ^(١)
 فَالْسَّلَامُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبَرُ الْمَيْجَاهُ ^(٢)
 يُعْطَى فَيُتَعَطَّى مِنْ لَهْيِ يَدِهِ اللَّهُ وَتُرَى بِرُؤْيَا رَأْيِهِ الْآرَاءُ ^(٣)
 مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقُوَى فَكَأَنَّهُ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ ^(٤)

يبد أن التنبي صرح بالمعنى وهو أن مجاورة المضادة هي التي تثبت حسن الشيء وقبحه (١) من بمعنى الذي بدل من الأول يقول : وهو الذي إذا هاجه أعداؤه واستاروه للحرب استباح أموالهم وحرعهم فانتفع بذلك وإذا تركوه لم ينتفع فاستضر بذلك فلو فطن أعداؤه لهذا منه لساووه فتسبوا إلى مضرتهم .

(٢) السلم بفتح السين وكسرها ضد الحرب ، والجناح بمعنى اليد والعنود استعاره للمال لأنه موطن القوة ، والنوال العطاء وما من قوله ما تجبر مفعول يكسر والجبر ضد الكسر والهيجاء من أسماء الحرب وهذا البيت مفرع على البيت السابق يقول : إنه في الحرب يأخذ مال أعدائه يعطيه عفاته في السلم وبذلك يكون السلم سبباً في نقص أمواله والحرب سبباً في توافرها ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشر أغارت عليه فاحتوته الصنائع

(٣) اللهى العطايا الجزيلة جمع لهوة بضم اللام وهي في الأصل القبضة من الجبوب يلقيها الطاحن في فم الرحي فشبهت العطية بها ، يقول : إنه يعطى عفاته العطاء الجزل الكثير حتى يعطوا غيرهم من هذه العطايا فيصير سائله مسئولاً وهو من جودة الرأي وسداده بحيث إذا نظر الناس إلى رأيه تعلموا منه سداد الآراء .

(٤) يقول : فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه فهو متفرق الطعمين مختلفهما فكأنه السراء والضراء ولكن مع ذلك مجتمع القوى غير متفرق العزائم فأفضاله تصدر عن عزم جميع ورأى مستحصد والتشبيه بالسراء والضراء في اللين والشدّة مترتب على المعنى الأول وأصل هذا المعنى للبيد :

مُنْقَرٍ مُرٍّ عَلَى أَعْدَائِهِ وَعَلَى الْأَذْنَيْنِ حُلْوٌ كَالسَّل

« منقر أي مر » وقال النابغة الجعدي :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعْدَايَا

وَكَاثُهُ مَا لَا تَشَاءُ عُدَاتُهُ مُمْتَلَأًا لِقُودِهِ مَا شَاءُوا^(١)
يَا أَيُّهَا الْمُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ إِذَا لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاهُ^(٢)
أَحْمَدُ عِفَاتِكَ لَا فُجِعْتَ بِفَقْدِهِمْ فَلَتَرَكُ مَا لَمْ يَأْخُذُوا بِإِعْطَاهُ^(٣)
لَا تَكْثُرُ الْأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قِلَّةِ إِلَّا إِذَا شَقِيتَ بِكَ الْأَحْيَاءُ^(٤)

وأخذه السيب بن علس قال :

هُمُ الرِّبِيعُ عَلَى مَنْ صَافَ أَرْحَلُهُمْ وَفِي الْعَدُوِّ مَنَاكِيدٌ مَشَائِمُ
وقال علاثة :

وكنتم قديماً في الحروب وغيرها ميامين للأدنى لأعدائكم نُكْدُ
(١) ما ، في الشطرين موصولة وهي في الأول خبر كان ، وممتلأ منصوب على الحال يقول : وكأنه صور على ما يكرهه أعداؤه من إرغامهم وحملهم على الحسد حال مثله لمن يفد عليه رجاء نواله كما يشاءون فيكون عند ظنهم به ويحقق آمالهم فيه .
(٢) المجدى عليه المعطى وروحه نائب فاعل المجدى والاستجداء الاستمطاء ، يقول يأمن روحه معطى له من العفاة إذ ليس يطلبها منه أحد منهم ، فكأنهم قد جادوا بها عليه ، يعنى أنه لو سئل روحه لبذله لتخرقه في الجود فإذا لم يسأل فكأنه وهب روحه وهذا من قول مسلم بن الوليد وضمنه أبو تمام إحدى قصائده .

ولو لم يكن في كفه غير رُوحِهِ لجلاد بها فليتنق الله سائله
(٣) هذا البيت إتمام للمعنى البيت قبله وتأكيده والعفاة جمع عاف وهو طالب المعروف وقوله لا فُجِعْتَ بتقديم دعاء له واللام في قوله فلتترك لام الابتداء ، يقول : اشكر هذا لعفائك لا أجفك الله بتقديم لأنك تحب العطاء والسؤال . ويروى لا فُجِعْتَ بخمدهم أى لا قطع الله شكرهم عنك .

(٤) اضطربت أقوال الشراح في هذا البيت ، فذهب للمرى والواحدى إلى أن المعنى : لا تكثر الأموات كثرة يقل بها عدد الأحياء إلا إذا شق الأحياء بفضبك وتلك أيام فإذا غضبت عليهم وقتلتهم عصفت بهم فزدت في الأموات زيادة ظاهرة ونقص الأحياء نقصاً يئناً ، وإليك نص عبارة أبي العلاء : شقوا به أى بقتله أيام وأن الأحياء إذا شقيت بك كثر الأموات وتلك الكثرة تؤدي إلى القلة ، إما لأن الأحياء يقولون بمن

وَالْقَلْبُ لَا يَنْشَقُّ عَمَّا تَحْتَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِهِ لَكَ الشَّحْنَاءُ^(١)
لَمْ تُسَمَّ يَاهَرُونَ إِلَّا بَعْدَ مَا أَوْ تَرَعَتْ وَتَارَعَتْ اسْمُكَ الْأَسْمَاءُ^(٢)
فَقَدَوْتَ وَاسْمُكَ فَيْكَ غَيْرُ مُشَارِكٍ وَالنَّاسُ فِيمَا فِي يَدَيْكَ سَوَاءٌ^(٣)

موت منهم وإما لأن اللبث يقل في نفسه ، وقال ابن جنى : شقيت بك أى شقيت بفقدك
أى لا تصير الأموات أكثر من الأحياء إلا إذا مات للمدوح ، يقول : إنك نعمة على
الأحياء وفقدك شقاء لهم ، وهذا على حد قول القائل :

لَعَمْرُكَ مَا الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مَالٍ وَلَا شَاءَ تَمُوتُ وَلَا يَمُوتُ
وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ شَخْصٍ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ
ومنه قول الآخر :

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُمْ لَكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدِمُهُ
ويكون قوله : كثرة قلة ، معناه أنك وإن كنت قليلا فى العدد فأنت كثير فى
القدر والشرف

(١) الشحنة العداوة ، قال ابن جنى : يريد ، لا يتصدع قلب أحد حتى يعاديك
فيضمرك لك العداوة فإذا تأمل ما جنى على نفسه من عداوتك انشقق قلبه فمات خوفا
وجزعا ، وقال الواحدى تعليقا على ابن جنى . ولم يفسر قوله عما تحته والمعنى عما فيه من
الغل والحسد أى أنه وإن أضمر لك الغل والحسد لم ينشقق قلبه فإذا أضمر لك العداوة
انشقق قلبه وبأن أنه عدو لك ، والمعنى بعبارة أخرى : لا يضمرك القلب أمراً يتصدع به
وينشقق حتى تحمل عداوتك فيه . فإذا جلت ضائق بها وانشقق عنها لشدة ما ناله من
الخوف والجزع .

(٢) اقترعت نساجمت ، يقول : تقارعت الأسماء عليك فكل اسم أراد أن تسمى به
افتخارا بك وتشرفا فلم تسم بهذا الاسم حتى تقارعت الأسماء ، وقال للمرى : أراد
بالاسم الصيت .

(٣) الواو فى قوله واسمك واو الحال وفيك صلة مشارك . أى لم يشارك اسمك فيك
اسما آخر إذ لا يكون للانسان أكثر من اسم ، والناس كلهم فى ماله سواء قد تساوا
فى الأخذ منك لا تخص أحدا دون غيره بالعطاء . هذا قول الواحدى وغيره . وقال

لَعَمَّتْ حَتَّى الْمَدْنُ مِنْكَ مِلَاءً وَأَمْتُ حَتَّى ذَا النِّسَاءِ لِقَاءً^(١)
وَبُلِّدَتْ حَتَّى كِدَتْ تَبْخُلُ حَائِلًا لِلنُّنْهَى وَمِنْ السُّرُورِ بُكَاءً^(٢)
أَبْدَأَتْ شَيْئًا مِنْكَ يُعْرِفُ بَدْوَهُ وَأَعَدَّتْ حَتَّى أَنْكَرَ الْإِبْدَاءَ^(٣)
فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ نَاكِبٌ وَالْمَجْدُ مِنْ أَنْ تُسْتَزَادَ بَرَاءً^(٤)
فَإِذَا سُلِّتَ قَلًا لِأَنَّكَ مُخَوِّجٌ وَإِذَا كُنِمْتَ وَشَتَّ بِكَ الْآلَاءُ^(٥)

المعري : يريد بالاسم المصيبة أى لم يشاركك فى صيتك أحد ، يقال . فلان قد ظهر اسمه فى اناس أى صيته قد كره لا يشاركه فيه أحد وإنما مالك الناس فيه سواء غنيم وقيرم (١) اللام فى لعمت واقعة فى جواب قسم محذوف على إضمار قد بعدها والمدن جمع مدينة وملاء جمع ملأى ومنك متعلق بملاء وقت تجاوزت وذا انتهاء أى هذا انتهاء واللغاء الحقير الحسيس يقول : لقد عم برك وشاع ذكرك حتى امتلأت بك البلاد وسبقت ثناء اثنين عليك حتى أصبح هذا الثناء بعد حقيرا فى جانب ما تستحقه وهذا البيت يسمى مصرعا لأنه قفى فيه المصراع الأول كما يفعل فى أول القصائد .

(٢) حائلا متحولا ، والنهى أى لأجل الانتهاء ، ومن السرور خبر وبكاء مبتدأ والجملة استئنافية يقول : ولقد بلغت من الجود أقصاه حتى كدت تحول عن آخره حين تهايت إليه وتعود إلى البخل إذ ليس من شأنك أن تقف فى الكرم عند غاية وليس هناك جود بعد أن بلغت نهايته ، ومثل ذلك السرور إذا اشتد تحول إلى بكاء .

٣ ابدأت أحدثت وجددت ، وأعدت كررت ، ومنك متعلق يعرف أو يدؤه ، يقول : أحدثت من الكرم ما لا يعرف ابتداءه إلا منك لعظم ما أتيت به ثم أتيت ذلك من الزيادة فيه بما عفى على الأول وأنساه لأنك فى كل وقت تخلق فنا من الكرم ينسى به الأول .

(٤) ناكب : عادل ، يقال . نكب عن الطريق إذا عدل عنه ، وبك متعلقة بناكب أو بتقصير ، وبراء برىء يقع على الجمع والواحد والمذكر والمؤنث ، يقول : إن الفخر قد أعطاك مقادته وأركبك ذروته وبلغك غايته فلم يقصر بك عن غاية والمجد برىء من أن يستزيدك لأنك فى الغاية منه .

(٥) الوشى فى الأصل النجاسة والمراد هنا دلت ، والآلاء النعم والعطايا وكنمت

وَإِذَا مَدَحْتَ فَلَا لِسْكَيبَ رَفْعَةٍ لِلشَّاكِرِينَ عَلَى الْإِلَهِ ثَنَاءً^(١)
وَإِذَا مَطَرْتَ فَلَا لَأَنَّكَ مُجِدِّبٌ يُسْقِي الْخَصِيبُ وَيُمْطِرُ الدَّأْمَاءُ^(٢)
لَمْ تَخْشِكِ نَائِكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حَمَّتْ بِهِ فَصَيَّبَهَا الرُّحَضَاءُ^(٣)

حجبت ، يقول . إذا سئلت فليس لأنك أحوجت الناس إلى السؤال ولكن فلك
لكي تعرف تفاصيل حاجاتهم أو لكي يتشرفوا بسؤالك ، كما قال أبو تمام
ما زلتُ مُنتظراً أُعْجوبة زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ سُوءًا لَا يَحْتَنِي شَرَفًا
وَإِذَا كُنْتُ أَى حَجِيتَ عَنْ أَنْظَارِ النَّاسِ دَلَّتْ عَلَيْكَ نَعْمَكَ وَصَنَائِعَكَ قَصْدًا
إِلَيْكَ الْعَفَاةُ كَمَا قَالَ :

مَنْ كَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ وَنَوَالُهُ لَمْ يُحْجَبْ أَلَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَاضِرٍ
(١) الرفعة الاسم من الارتفاع والشكر عرفان الإحسان . وإن شئت قلت مقابلة
النعمة بالقول والفعل والنية فيثنى على النعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه
موليها . وللشاكرين خبر مقدم وثناء مبتدأ ومؤخر وعلى الإله متعلق بثناء ، يقول : ولقد
بلغت من الرفعة غاية لا يزيد لها مدح مادم ولكن تمدح لتعجز العفاة وليعد الشاعر في
جملة مداحك كللها كره الله تعالى يثنى عليه ليستحق أجراً ومثوبة لا أنه سبحانه
محتاج إلى ثنائه .

(٢) الجذب المله ضد الحصب . والدأماء البحر على فعلاء قال الأفوه الأودى
وَاللَّيْلُ كَالدَّأْمَاءِ مُسْتَشْعِرٌ مِنْ دُونِهِ لَوْ نَا كُلُّونِ السُّدُوسِ^(١)
يقول : إذا مطرت فليس ذلك لإجذاب محلك ولكن كما يطر المكان الخصب
والبحر وما غير محتاجين إلى المطر ومن هذا المعنى قول الجري .

وَالْبَحْرُ يُمْطِرُهُ السَّحَابُ وَمَالُهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ
(٣) النائل العطاء ، والسحاب جمع سحابة وجمع السحاب سحب فيكون سحب
جمع الجمع قال تعالى . «حق إذا أقلت سحاباً ثقالاً» والرحضاء العرق أثر الحمى يقول :
ليست تحكي السحاب بمائها عطائك للتابع فإنه أكثر من مائها وأغزر ولكنها حمت
حسدا لك ، فما ينصب من مطرها إنما هو عرق حماها وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

(١) السدوس : الطيلسان

لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَبْسٍ فِيهِ حَيَاةٌ ^(١)
 فَبِأَيِّمَا قَدِيمٍ سَعَيْتَ إِلَى الْفَلَاحِ أَدُمُ الْهِلَالَ لِأَخْمَصِيكَ حِدَاةً ^(٢)
 وَلَكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وَقَايَةٌ وَلَكَ الْحِمَامُ مِنَ الْحِمَامِ فِدَاةً ^(٣)
 لَوْلَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى الَّذِي مِنْكَ هُوَ عَقِمْتَ بِمَوْلِدٍ تَسْلِمُهَا حَوَاةً ^(٤)

إن السحابَ لتَسْخِي إِذَا نَظَرْتَ إِلَى نَدَاكَ فَقَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا
 قال البديعون . وفي هذا البيت حسن التعليل لصفة لا يظهر لها في العادة علة وقد عللها
 بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء المدوح ، ومن هذا الباب قول بعضهم .

رَأَى الزُّنُّ مَا تُعْطِي فَصَمَّ عَلَى الْأَمَى فَوَادَا كَأَنَّ الْبَرْقَ فِيهِ لَهِيْبُ
 (١) يقول : لا حاجة إلى الشمس مع ضيائك ونورك ومن ثم كان طلوعها وقاحة
 وقلة حياء منها ، واستعار للشمس وجها للمشاكلة .

(٢) الأدم . جمع أديم وهو ظاهر كل شيء ، والأخمس باطن القدم ومارِق من
 أسفلها وتُجَافَى عن الأرض وقيل خصر القدم وقد يراد بها انقدم كلها وقوله فَبِأَيِّمَا قَدِيمٍ
 استقمام مضاء التعجب وما زائدة . يتعجب من سعيه إلى العلياء وبلوغه منها حيث لم يبلغ
 أحد ، ثم دعا له بأن يكون وجه الهلال نلأ لقدميه . يعنى أن قدما بلغ سعيها هذا المبلغ
 تستحق أن يكون الهلال نلأ لها

(٣) الحمام . الموت يدعوله ، يقول : ليسكن الزمان وقاية لك من عواديهِ أَى
 لِمَلِكِ الزَّمَانِ بِهَا دُونِكَ وَلِمَتِ الْمَوْتَ فِدَاةً لَكَ مِنْ نَفْسِهِ . وكل هذا كما ترى مبالغة
 في الدعاء .

(٤) اللذ : لغة في الذي وتسكن الواو من هو ضرورة ، أو على لغة ، والعقم عدم الولد
 يقول : لو لم تكن من هذا الوري الذي كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأفضل أهله
 لكنت حواء في حكم العقيم التي لم تلد ولكنها بك صارت ذات ولد ، والشرط الأول
 ردى . ولكن الثاني جميل على أنه يلاحظ أن النبي يخاطب - كما أسلفنا - رجلا يذهب
 مذهب الصوفية .

وغنى المغنى فى دار الأمير أبى محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج فأحسن فقال:

مَاذَا يَقُولُ الَّذِي يُفَنِّى بِأَخَيْرِ مَنْ تَحْتَ ذِي السَّمَاءِ ^(١)

شَغَلَتْ قَلْبِي بِلَحْظِ عَيْنِي إِلَيْكَ عَنْ حُسْنِ ذَا الْفَنَاءِ ^(٢)

وبنى كافور داراً بإزاء الجامع الأعلى على البركة ، وطالب أبا الطيب

بذكرها فقال :

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدْنِي مِنَ الْبَعْدَاءِ ^(٣)

وَأَنَا مِنْكَ لَا يَهْنِى عَضْوُ بِالْمَسَرَّاتِ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ ^(٤)

مُسْتَقِلٌ لَكَ الدِّيارَ وَلَوْ كَأَن نَجُومًا أَجْرُهُ هَذَا الْبِنَاءِ ^(٥)

وَلَوْ أَنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْأَسْوَاحِ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ ^(٦)

أَنْتَ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تَهْنِى بِمَكَانٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ ^(٧)

(١) و (٢) الاستهتام للتعجب ، وذى السماء أى هذه السماء ، يقول : لا أدرى

ما يقول هذا التهنئة لأن قلبى وجوارحى مشغلة بك وبالنظر إلى حسنك عن حسن

غناء هذا التهنئة

(٣) و (٤) يدنى من الدنو أى يقترب ، وأنا منك مبتداً وخبر ، ولا يهنى عضو

كلام مستأنف يقول : إنما يهنى الرجل نظراؤه والذين يتقربون إليه من الأجانب وأنا

منك ، أى أنا وأنت كإنسان واحد وإذا ألم بإنسان فرح وعراه سرور اشتكرت فى ذلك

جميع أعضائه فلم يهنى بعضها بضا . قال الواحدى : وهذا طريق التهنئة يدعى لنفسه

المساهمة والكفاءة مع المدوحين فى كثير من المواضع وليس ذلك للشاعر فلا أدرى

لم احتمل ذلك منه ؟

(٥) و (٦) مستقل خبر مبتداً محذوف . أى أنا مستقل ، ويروى أستقل والآجر .

الطوب المشوى ، ويخر . من خري الماء ، يقول : أنا أستقل لك الديار وإن بنيت

بالنجوم بدل الآجر — ولو أن الماء من فضة ، وذلك لرفعة قدرك وعلو شأنك .

(٧) محلة أى منزلة تميز ، وأن تهنى ، فى موضع نصب بإسقاط حرف الجر أى من أن تهنى

وَلَكَّ النَّاسُ وَالْبِلَادُ وَمَا بَنَرَ حُ بَيْنَ الْقَبَرَاءِ وَالْخَضَرَاءِ^(١)
وَبَسَاتِينُكَ الْجِيَادُ وَمَا تَخْلِيلُ مِنْ سَمَهْرِيَّةٍ سَمَرَاءِ^(٢)
إِنَّمَا يَفْخَرُ الْكَرِيمُ أَبُو الْمِسْكِ بِمَا يَبْتَغِي مِنَ الْعَلِيَاءِ^(٣)
وَبِأَيَّامِهِ الَّتِي أَنْسَلَخَتْ عَنْهُ وَمَا دَارُهُ سِوَى الْهَيْجَاءِ^(٤)
وَبِمَا أَثَرَتْ صَوَارِمُهُ الْيَبِ عَنْهُ لَهُ فِي جَمَاجِمِ الْأَعْدَاءِ^(٥)
وَبِمِسْكٍ يُكْنَى بِهِ لَيْسَ بِالْمِسْكِ وَلَكِنَّهُ أَرْبِجُ النَّشَاءِ^(٦)
لَا بِمَا يَبْتَغِي الْخَوَاضِرُ فِي الرِّبِّ وَمَا يَطْبِي قُلُوبَ النِّسَاءِ^(٧)

(١) و (٢) القبراء : الأرض . والخضراء : السماء . وفي الحديث : ما أقلت القبراء ولا أطلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر . والساهرة . الرماح يقول : أنت أعلى منزلة من أن تنها بمكان والبلاء كلها والناس وكل ما بين السماء والأرض ملك لك ونزعتك إنما هي الخيل وما تحمله من الرماح فهي بساتينك . جل الرماح على الخيل كالجل على الشجر .

(٣) يقول : إنما غفره بما يبتغي من العلياء ، لا بما يبتغي من الدور كما قال :

بَنَى الْبِنَاءَ لَنَا تَجْدًا وَمَكْرُمَةً لَا كَالْبِنَاءِ مِنَ الْآجُرِّ وَالطِّينِ

قالوا : والعلياء إذا فتحت عينها مدت ، وإذا ضمت قصرت .

(٤) و (٥) وبأيامه . عطف على قوله بما يبتغي ، وكذلك قوله وبما أثرت ، وأنسلخت مضت ؛ والهيجاء الحرب ؛ والصوارم السيوف . يقول : إنما غفر أبي المسك بما يبتغي من العلياء وبأيامه التي مضت والمعروفة بالفتوح وقتل الأعادي ، ولم يكن له إذ ذاك دار إلا ساحة الحرب ، وبها شاد عزه وعلياه .

(٦) وبمسك . عطف كذلك على بما يبتغي . ويكنى به صفة مسك ، وليس بالمسك صفة أخرى ؛ والأربج فوحيان الطيب . يقول : وإنما يفخر بالمسك الذي يكنى به والذي ليس هو المسك المعروف ، وإنما هو كناية عن طيب الثناء والذكر الجميل والصيت الحسن . « هذا » وهو معلوم أن كافور الأخشيدي كان يقال له أبو المسك .

(٧) يبتغي الخواضر . أي أهل الخواضر ، جمع حاضرة ، خلاف البادية . والريف .

نَزَلَتْ إِذْ نَزَلَتْهَا الدَّارُ فِي أَحْسَنَ مِنْهَا مِنَ السَّنَا وَالْمَنَاءِ (١)
 حَلَّ فِي مَنبَتِ الرِّيحِ مِنْهَا مَنبَتُ الْمَكْرُمَاتِ وَالْآلَاءِ (٢)
 تَفْضَحُ الشَّمْسُ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ يَشْفِي مُنِيرَةً سَوْدَلَهُ (٣)
 إِنَّ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ لَفَضِيكَ يُرَى بِكُلِّ ضِيَاءٍ (٤)
 إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيَضَاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ ابْيَضَاضِ الْقَبَاءِ (٥)

المكان الحصب الكثير الزرع والحضرة . وطبي . يستعمل . قال كبير .

لَهُ نَقْلٌ لَا يَطْبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ وَشَطَّ الْجَالِسُ شَمْتٌ

« يعنى كثير أنها من جلد مدبوغ طيب الريح . والعمل بسكون العين مؤنثة ؛
 ولكن كثيرا فتحها لا افتتاح ما قبلها . أى إن حركتها حركة إنباع » يقول المتنبي :
 إنما يفتخر أبو المسك بما تقدم من ابتناء العليا وقتل الأعسداء وطيب التناء ، لا بما
 يبتنى المتحضرون من المنازل ولا بالمسك الذى يستعمل قلوب النماء

(١) السنا ، المقصور : الضوء والنور . والمدود الثرف والرفعة ؛ يقول : إن هذه
 الدار حين نزلتها نزلت منك فيمن هو أفضل منها رفة ونورا ، فكأنك أنزلت الدار
 في دار أجمل منها وأجل : أى تجملت بك هذه الدار وتزينت بقربك .

(٢) الرياحين : جمع ريحانة ، والريحان كل نبت طيب الريح من
 أنواع الشوموم ؛ والآلاء : النعم ، والمعنى ظاهر .

(٣) ذرت الشمس : بدت أول ط' عها . قال الواحدي : يريد أنه في سواده مشرق
 فهو يشرقه في سواده يفضح الشمس ، يجوز أن يريد شهرته وأنه أشهر من الشمس
 ذكرآ . أو يريد . تناءه من العيوب ، ويقال للشهور : منير وللقى من العيوب منير ؛
 ويدل على صحة ما ذكر البيت التالى .

(٤) أخبر أنه أراد بأنارته ضياء المجد ، وضياؤه شهرته وتقاؤه عما يلج به . وأن
 ذلك الضياء أتم من كل ضياء ، فهو يرى : أى يستبين بكل ضياء .

(٥) القباء : الثوب ، يقول : إنما الجلد بمنزلة اللباس فلا قيمة لياضه وإنما المولى
 عليه يياض النفس وتقاؤها من العيوب ، وهذا المعنى ينظر إلى قول سحيم عبد بن
 الحساس :

كَرَمٌ فِي شَجَاعَةٍ وَذَكَرَهُ فِي وَفَاءٍ^(١)
 مَنِ لَبِيسِ الْمُلُوكِ أَنْ تُبَدِّلَ اللَّوْنُ
 نَ بَلَوْنِ الْأُسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ^(٢)
 نَ تَرَاهُ بِهَا غَدَاةَ اللَّقَاءِ^(٣)
 لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي
 قَبْلَ أَنْ نَلْشَقِي وَزَادِي وَمَائِي^(٤)
 أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِي الرُّوَاهِ^(٥)
 نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ^(٦)

إِنْ كُنْتَ عَبْدًا فَنفسي حُرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنِّي أَيْضُ الْخُلُقِ

(١) أى لك كرم في شجاعة الخ . يقول : إنك كريم شجاع ، ذكى الطبع ، بهى النظر ، ذو قدرة على ما تريد ، واف بالعهد والوعد فيما تقول .
 (٢) و (٣) السحناء : السحنة أى النظر والهيئة ، والأعيان : من جموع العين كطير وأطياف ؛ وفى أكثر الكلام عيون وأعين . يقول : إن الملوك البيض الألوان يودون أن تبدل ألوانهم بلونك وسحنتهم بسحتك ليرام أهل الحرب بالعين التى يرونك بها وذلك أن الأسود مهيب فى الحرب ولا يظهر عليه أثر الخوف ولكن من يكفل لهم هذه الأمنية ؟

(٤) المفاوز : الصحراوات المهلكة ؛ وصيت مغارة على سبيل القائل بالسلامة كما قيل للديع سليم . يقول : لقد أفتت المفاوز — التى جبتها إليك — خيلى وزادى ومائى . يذكر طول الطريق إليه وأنه صمد إليه من شقة جيدة :
 (٥) و (٦) الرواه : النظر والشارة . يقول : استكفنى ما شئت من أى أمر عظيم تقذف بى إليه فإن قلبى قلب الأسد شجاعة وإن كنت آدمى الصورة وفؤادى فؤاد الملوك عزمًا ورأيا ودهاء وإن كان لسانى لسان شاعر . قيل : إن أبا الطيب يقصد بهذا التعريض إلى طلب ولاية من كافور ، وقالوا : إنه لما أنشده هذه القصيدة أقسم له أن يلقاه ما فى نفسه .

وقال يذكر خروجه من مصر وما لقي في طريقه ويهجو كافورا:

ألا كل ماشيّة الخيزلي فدا كل ماشيّة الهيزلي^(١)
وكل نجاة بجاية خوف وما بي حسن المشي^(٢)

(١) الخيزلي : مشية للنساء فيها استرخاء وثقل وتفكك ، قال الفرزدق :

حوارية تمشي الضحى مرجحة وتمشي المشي الخيزلي رخوة اليد^(١)

والهيزلي : ضرب من مشي الخيل فيه جد وسرعة ، من قولهم أهدب الظلم إذا أسرع . يقول : فدت كل امرأة تمشي الخيزلي كل فرس تمشي الهيزلي : يريد أنه ليس من أهل الغزل والعشق والتشبب بالنساء وإنما هو من أهل السفر . ومن ثم كان مولها بالخيول ، وهذا من قول أبي تمام :

برى بالكعاب الرود طلمة نائر وبالعرمس الوجناء غيرة آيب^(٢)

(٢) وكل : عطف على كل ماشية الهيزلي . والنجاة : الناقة السريعة تنجو بمن ركبها قالوا: ولا يوصف بذلك البعير . وبجاية : منسوبة إلى بجاة وهي أرض بالنوبة تعرف نوبها بالسرعة ، وقيل : قبيلة من البربر تنسب إليها هذه النوق قال الطرباض :

بجاية لم تستدّر حول مشير ولم يتخون درها صب آفن^(٣)

(١) حوارية يريد الشديدة البياض النقية ، ومرجحة : يريد سميكة ثقيلة فإذا مشت تقيأت في مشيتها . ورخوة اليد : أي مرسلتها ومن أمثال العرب : أرخ يدك واسترخ

إن الزناد من مرخ ، يضرب لمن طلب حاجة إلى كريم يكفيك عنده اليسير من الكلام

(٢) الكعاب : الجارية الناهد : والرود : الشابة الحسنة الشباب ، والعرمس : الناقة

الصلبة ، والوجناء : الناقة العظيمة الوجتين أو العظيمة :

(٣) المثبر : مثال المجلس الموضع الذي تلد فيه الناقة من الأرض وكذلك المرأة

وأكثر ما يقال في الإبل : ومثبر الناقة أيضا حيث تنحر والتخون : انتقص ، والآفن :

الذي يحلب الناقة في غير وقت الحلب ، أو الذي يستخرج جميع ما في ضرعها ، والبر

البن ، وضب الناقة : حلبها بالكف .

قالوا : وكان أهل بجاية هذه يتطاردون على النوق في الحروب وغيرها ، وكانت النوق تنمطف معهم كلما أرادوا ، فإذا وقعت الحرب في رمية عطف الناقة إليها فأخذها ، وإن وقعت في غير رمية عطفها إليها فأخذها فكانت فوقهم تنمطف معهم حيث أرادوا .

حكى ابن جنى عن النبي قال : يرى الرجل من أهل بجاية بالحربة فإذا وقعت في الرمية طار الجمل إليها حتى يأخذها صاحبها .
ويقال : خنف البعير في مشيه إذا سار قلب خف يده إلى وحشيه وناقة خوف قال الأعشى :

وَأَذَرَتْ بِرِجْلَيْهَا النَّفْيَ وَرَاجَعَتْ
بِدَاهَا خَنَافًا كَيْتًا غَيْرَ أَحْرَدًا^(١)

وقال في الصحاح : خنف البعير يخنف خنفا وخنافا . لوى ألقه من الزمام ، والخناف الذي يميل رأسه إلى الزمام ويفعل ذلك من نشاطه ومنه قول أبي وجزة :

قَدْ قُلْتُ وَالْعَيْسُ النَّجَائِبُ تَفْتَلِي
بِالْقَوْمِ عَاصِفَةً خَوَافٍ فِي الْبَرَى^(٢)

والخوف من الإبل اللينة اليدين في السير وللشي جمع مشية كسدره وسدر يقول : لا أنظر إلى حسن مشى النساء وما بي شهوة إلى ذلك وإنما نزاعى وميل إلى كل ناقة خفيفة المشى ، أو تقول : إن قوله وما بي حسن المشى كلالاستدراك على قوله خوف أى لست أصفها بالخنف استحسانا لمشيتها لأنى لست أنظر إلى حسن المشى ولكنى أستمع بها على نيل الرغائب يدل على ذلك البيت التالى .

(١) يقال بعير أحرد وناقة حرداء ، وذلك أن يسترخى عصب إحدى يديه من عقل أو يكون خلقه حتى كأنه ينفضها إذا مشى .

(٢) البرى : جمع برة ، وهى الحلقة فى أنف البعير واغلت الدابة فى سيرها ارتفعت لجاوزت حسن السير .

وَلَكِنَّهُنَّ حَبَالُ الْحَيَاةِ وَكَيْدُ الْعُدَاةِ وَمَيْطُ الْأَذَى^(١)
 ضَرَبْتُ بِهَا التِّيَةَ ضَرْبَ الْقِمَا رِيًّا لِهَذَا وَإِمَّا لِهَذَا^(٢)
 إِذَا فَرَعْتُ قَدَمَهَا الْجِيَادُ وَيِيضُ السُّيُوفِ وَسُمُرُ الْقَنَا^(٣)
 فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفِي رَكْبِهَا عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غَنَى^(٤)
 وَأَمْسَتْ تُخَضِّرُنَا بِالنَّقَا بِ وَادِي الْمِيَاهِ وَوَادِي الْقُرَى^(٥)

(١) العداة : الأعداء ، والميط : الدفع . يقول : لست آبه للشئ سواء أكان مشى نساء أم مشى إبل ، ولكن ولوى بالإبل إنما هو لأنها حبال الحياة يتسبب بها إلى الرزق والخروج من المهالك ، وبها تكاد الأعداء ويدفع الأذى .

(٢) اتية : هناتيه بنى إسرائيل ، وهو الذى بين القارم وأيلة ، وهو الذى سلكه حين هرب من مصر إلى العراق ، والإشارة إلى الفوز والهلاك . يقول : ضربت بها انفلة مخاطرا كما يضرب المقامر بالسهم وهو لا يدري ما يقسم له من غم أو غرم ، كذلك أنا سلكت بناقى انفار ملقيا بنفسى بين الفوز وبين الهلاك . فالعاقبة إما هذا وإما هذا .

(٣) قدمتها : أى تقدمتها . وقوله ييىض السيوف وسمر القنا ، من المقابلة الجميلة ، يقول : إذا فزعته هذه الناقة تقدمتها الخيل — لأنهم كانوا يحبون الخيل ويركون الإبل ، فاذا لاقوا الأعداء ركبوا الخيل — فإذا كان هناك ما يخيفها تقدمنا بالخيل وبالسيوف والرماح للذود عنها .

(٤) نخل : ماء معروف ، يقول : فمرت ناقتى بهذا الموضع وفى ركبانها — يعنى نفسه وأصحابه — غنى عن العالم : أى عن خفارة أحد ، لأنهم يخفرون أنفسهم بسلاحهم ، وغنى عن هذا الماء لأنهم ذوو جلد وصبر ولا يبالون الظما .

(٥) النقاب : موضع يتشعب منه طريقان ، طريق إلى وادى المياه ، وطريق إلى وادى القرى . ونامن تخيرنا مفعول أول ، ووادى المياه : مفعول ثان ، وأسكن الياء ضرورة ، يقول : لما بلغنا النقاب قدرنا السير ، إما إلى وادى المياه ، وإما إلى وادى القرى ، فجعل هذا التقدير منهم كأن الإبل خيرتهم فقالت : إن شئتم سلكتم هذا الطريق وإن شئتم سلكتم الطريق الآخر ؛ وهذا على المجاز والاتساع ، قال العكبرى : وقيل

وَقُلْنَا لَهَا أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ فَقَالَتْ وَنَحْنُ بِتَرْبَانَ هَا^(١)
وَهَبْتَ بِحَسْمَى هُبُوبَ الدَّبُورِ رِ مُسْتَقْبِلَاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا^(٢)
رَوَاىِ الْكَفَافِ وَكَبَدِ الْوَهَادِ وَجَارِ الْبُيُورَةِ وَادِى الْغَضَى^(٣)
وَجَابَتْ بِسَيْطَةِ جَوْبِ الرِّدَا ۚ بَيْنَ النَّعَامِ وَبَيْنَ الْمَهَا^(٤)

فى التخيير تأويلان : أحدهما أن الهوادى من الحيل والإبل إذا وصلت مفرق طريقين تلفتت إليهما لتؤذن بالحث على سلوك أحدهما ، وهذا كأنه تخيير ؛ والثانى : أنه على سبيل المجاز ، كما قيل :

* يشكو إلى جلى طول الشرى *

لم يرد حقيقة الشكوى ، وإنما أراد صار إلى حال يشتكى من مثلها .

(١) تربان هنا : موضع يبعد عن المدينة نحو خمسة فراسخ ؛ وها : حرف تنبيه ، يقول : وقُلْنَا للإبل أين أرض العراق ؟ — لأننا كنا نريدها — فقالت — ونحن بتربان — ها هي ذه : أى دانية ، يريد أن هذه الإبل سريعة قوية على السير إلى حد أن هذه المسافة المتراصة ليست فى نظرها شيئاً مذكوراً ، وقال ابن جنى : تربان من أرض العراق .

(٢) هبت : أى الإبل ، يريد نشطت فى سيرها ، شبه العيس بالريح على وجه الاستعارة لأنها أقبلت من الغرب إلى المشرق كما تقابل الدبور الصبا ، لأن الدبور تهب من الغرب ، والصبا تقابلها من مطلع الشمس ، وحسمى : موضع بالبادية ، يقول : وهبت فى هذا الموضع هبوب الريح الغربية مستقبلة جهة الشرق .

(٣) رواى : أى قواصد ، حال من ضمير النوق ، وأسكن الباء ضرورة ؛ وهذه كلها أسماء مواضع ، ووادى الغضى : بدل من جار البويرة ، يقول : إن وادى الغضى جار للبويرة قريب منها .

(٤) بسيطة موضع بين الكوفة ومكة من أرض نجد ، وجابت : قطعت والمها : بقر الوحش ، يقول : وقطعت النوق هذا الموضع كما يقطع الرداء ، سائرة بين النعام والمها ، لأنها مواضع خالية من الأناسى ، ومن ثم تألفها الوحوش .

إِلَى عُقْدَةِ الْجَوْفِ حَتَّى شَفَتْ بِمَاءِ الْجُرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَى^(١)
وَلَا حَ لَهَا صَوْرٌ وَالصَّبَاحُ وَلَا حَ الشَّفُورُ لَهَا وَالضُّحَى^(٢)
وَمَسَى الْجُمَيْيِّ دِثْدَاؤُهَا وَغَادَى الْأَضَارِعَ ثُمَّ الدَّنَا^(٣)
فَيَالِكَ لَيْلًا عَلَى أَعْكُشٍ أَحَمَّ الْبِلَادِ خَفِيَ الصَّوَى^(٤)
وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ فِي جَوْزِهِ وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى^(٥)

(١) عقدة الجوف : مكان معروف . والجراوى : منهل . قال الشاعر :

أَلَا لَا أَرَى مَاءَ الْجُرَاوِيِّ شَافِيًا صَدَاىَ وَإِنْ رَوَّى غَلِيلَ الرَّاكِبِ
والصدى : العطش . يقول : جابت النياق بسيطة إلى عقدة الجوف حتى شفت
عطشها بماء الجراوى .

(٢) قال الواحدى : صور اسم ماء ، والصحيح أنه صورى . ذكر ذلك أبو عمرو
الجرى ، والشفور : موضع بالسماوة قال العكبرى : هو موضع بالعراق ، تقول العرب :
إذا وردت شغوراً فقد أعرت ؛ ثم قال : وهو مشتق من قولهم بلاد شاغرة ، إذا لم
يكن لها من يحمها ، والصبح والضحي : إما منصوبان على معنى المية ، وإما مرفوعان
على أنهما معطوفان على ما قبلهما ، يقول : وظهر لها صور مع وقت الصباح ، وظهر لها
الشفور مع وقت الضحي .

(٣) الجميى والأضارع والدنا : مواضع . والدثداء : سير سريع أرفع من الحجب
يقول : لما كان وقت المساء بلغ سيرها الجميى ، وفي الفداة بلغ الأضارع والدنا .
(٤) أعكش : موضع قرب الكوفة ، وأحم وخنى : صفتان لليل ، وليلا تميز ؛
ويالك تعجب ، والأحم : الشديد السواد ، والصوى : أعلام من حجارة تنصب في
الطريق ليتهدى بها ؛ يتعجب من شدة ظلام الليل على هذا المكان حتى اسودت البلاد
وخفيت أعلام الطريق .

(٥) الرهيمه : موضع قرب الكوفة . والجوز في الأصل : الوسط ؛ والمراد به هنا
صدر الليل لقوله : وباقه أكثر ؛ والضمير في الموضعين لليل ، يقول : وردنا هذا المكان
صدر الليل وباقه أكثر مما مضى منه ، وقال بعضهم : ضمير جوزه لأعكش ، والرهمه

فَلَمَّا أَتَيْنَا رَكْرَكَنَا الرُّمَّا حَ فَوْقَ مَكَارِمِنَا وَالْمَلَا^(١)
وَبَنَيْنَا نُقْبَلُ أَسْيَافَنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا^(٢)
لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى^(٣)
وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا^(٤)
وَمَا سَأَلَ مِنْ قَالٍ قَوْلًا وَفَى وَلَا كَلَّ مِنْ سِيمٍ خَسَفًا أَبَى^(٥)

ماء وسط أعكش : أى وردنا هذا الماء « رهيمة » وسط هذا المكان « أعكش » وقد بقى من الليل أكثر مما مضى منه . وقال الخطيب التبريزي : بعض من لا علم له بالعربية يظن أن هذا البيت مستحيل ؛ لأنه يوم أنه لما ذكر الجوز وجب أن تكون القسمة عادلة في النصفين ، وليس الأمر كذلك ولكنه جعل ثلث الليل الثانى كالوسط وهو الجوز ثم قال : وباقيه أكثر ، كأنه ورد ، والثلث الثانى الذى كالوسط ، وهو الجوز قد مضى ربه وبقي ثلاثة أرباعه ؛ وهذا أبين وأوضح ، ويجوز أن يكون الضمير فى باقيه ليل أو للجوز .

(١) يقول : لما ألقينا عصا التسيار واستقر بنا النوى فى الكوفة وأنحنا ركابنا بها وركرنا الرماح — شنشنة من يترك السفر — كانت رماحنا مركوزة فوق مكارمنا وعلانا لما كان منا من فراق الأسود « كافور » وقتال من قاتلنا فى الطريق وظفرونا بمن عادانا ، فكل هذا مما يدل على المكارم والعلا فظفرت مكارمنا بما فعلنا ، فكأننا نزلنا عليها .

(٢) يقول : بتنا قبل أسيافا لأنها أظفرتنا بأعدائنا ونجتنا من المهالك فجدير بها أن تقبل وترفع فوق الرؤوس . ويروى بدل بتنا ثبنا ، أى رجنا قبل الح .
(٣) تعلم مصر : أى أهل مصر . والعواصم : بلاد قصبها إنطاكية ، وهى من حلب إلى حماه . وآل فى الفتى للاستفراق . أى الكامل الفتوة .

(٤) وفيت ، أى لسيف الدولة إذ رجع إليه ، أو تقول : وفيت أى بماقلته من أنى سأترك مصر على رغم كافور وهذا هو الأظهر . وأبيت . أى ضم كافور ؛ وعتوت . أى تجبرت على من تجبر على .

(٥) ساءه الأمر : كلفه إياه أو أكرهه عليه . والخسف : الضم والذل ؛ وسامه خسفا : أذله .

وَلَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ وَرَأَى يَصْدَعُ صَمَّ الصَّفَا^(١)
وَمَنْ يَكُ قَلْبُ كَقَلْبِي لَهُ يَشُقُّ إِلَى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى^(٢)
وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى عَلَى قَدَرِ الرَّجُلِ فِيهِ الْخَطَا^(٣)
وَنَامَ الْخَوِيدُ عَنْ لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمَى لَا كَرَى^(٤)
وَكَانَ عَلَى قُرْبِنَا يَنْنَا مَهَامِهِ مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى^(٥)
لَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْخَصَى أَنَّ الرُّؤُوسَ مَقَرُّ النُّهَى^(٦)
فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ رَأَيْتُ الثَّغْمَ كُلَّهَا فِي الْخَصَى^(٧)

(١) يصدع صم الصفا . يشق الحجارة القوية وينفذ فيها ، وآلة القلب العقل وما يستتبعه من الرأي والعزم والأناة . يقول : لا بد للقلب من عقل يستظهر به ورأى ماض يصدع به الأحداث والكروب ، ولو تضامت تضام الصخر . (٢) التوى الهلاك وأصله هلاك المال يقال : توى ماله إذا هلك واستعار للتوى قلبا ليقابل بين قلبه وقلب التوى يقول : ومن له قلب كقلبي في الإقدام ومضاء العزيمة يشق قلب الهلاك ويغوص شداثه حتى يصل إلى العز . (٣) يقول : وكل طريق يسلكه الإنسان تتسع خطواته فيه بمقدار طول رجليه ؛ وهذا مثل معناه على قدر همة الطالب يكون سعيه . وخص الرجل من بين الأعضاء لذكره الخطا . جمع الخطوة - بضم الخاء - وهي ما بين القدمين

(٤) الخويدم : صغير خادم ، يريد كافورا . والكرى : النوم والنعاس . يقول : نام كافور عن ليلنا الذي خرجنا فيه من عنده ، وكان قبل ذلك نائما غفلة وعمى ولم يك نائما النوم المعروف ، وهذا كقول الآخر :

وَحَبَّرَنِي الْبَوَّابُ أَنْكَ نَائِمٌ وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَائِمٌ

(٥) مهامه : اسم كان ؛ وبيننا خبرها ؛ يقول : ولما كنت قريبا منه كان بيني وبينه مع هذا القرب صحراوات من جهله وعماه ، وبذلك كنت كأنتى بعيد عنه ؛ لأن الجاهل لا يزداد علما بالشيء وإن قرب منه

(٦) و (٧) انتهى : العقول ، جمع نهية ، سميت العقول كذلك لأنها تنهى عن كل

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَاءِ^(١)
 بِهَا تَنْبِطُ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدْرَسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَائِ^(٢)
 وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بَذْرُ الدَّجَى^(٣)
 وَشِعْرُهُ مَدَحَتْ بِهِ الْكَرَكَدَنَ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّقَى^(٤)

ما هو قبيح يقول : كنت أظن قبل أن أرى كافوراً أن الرؤوس مقر العقول فلما رأيت عقله وما به من أفن عدلت عن ظني وقلت إن العقول كلها في الحصى ، فإنه لما حصى ذهب عقله وحقق .

(١) يتعجب مما رأى بمصر من العجائب التي تستدعي الضحك ، ثم قال : لكن ذلك الضحك كالبكاء ، كما قالوا : وشر البلية ما يضحك .

(٢) يبين ما بمصر من المضحكات ، والنبطى واحد النبط ، وهم جيل من العمم ينزلون البطائح بين العراقيين ، قال المعري :

أَيْنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْعَذَارَى إِذْ مَالَ مِنْ تَحْتِهِ الْفَيْبِطُ
 اسْتَنْبَطَ الْعَرَبُ فِي الْمَوَاصِي بِمَدَكَ وَاسْتَعْرَبَ النَّبِيطُ

والسواد سواد العراق ؛ والفلا : جمع فلاة ، والمراد بها البادية ؛ وأهل البادية هم العرب . قال الواحدى : يريد بالنبطى السوادى أبا انفضل بن حنزابه وزير كافور ، وقيل : أبا بكر المادرائى النسابة ، وذلك مضحك لأنه ليس من العرب وهو يعلم أنساب العرب

(٣) المشفر فى الأصل شفة البعير ، يقول : وبمصر أسود - يريد كافورا - عظيم الشفة حتى لكأنها قد ز نصفه ، بموهون عليه ويشبهونه بالبدر ، والبدر هو ماهو جمالا وإثراقا ، والأسود هو ما هو قبحا وإظلاما ؛ ومع ذلك يصدقهم ويفتبط بتكذابهم .

(٤) الكركدن بتشديد الدال والعامة - كما فى القاموس - تشدد النون : هو حيوان من ذوات الحوافر عظيم الجثة ، قصير القوائم ، كثيف الجلد ، طى أُنقه قرن واحد ؛ ولبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر ويسمى الرميس ، يقول : ورب شعر مدحت به هذا الأسود الذى يشبه الكركدن فى عظم الجثة وقلة الغناء والخير وهذا الشعر هو شعر من وجه ورقية أرقبه به وأحتال لأجلب ماله من وجه آخر .

فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَذْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوًا الْوَرَى^(١)
وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَصْنَافِهِمْ فَأَمَّا بَرْقٌ رِيَّاحٌ فَلَا^(٢)
وَتِلْكَ صُمُوتٌ وَذَا نَاطِقٌ إِذَا حَرَّ كَوْهُ فَتَا أَوْ هَدَى^(٣)
وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى^(٤)

وعاب قوم عليه علو الخيام ، فقال^(*) :

لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلَى عَلَاءٍ أَبَيْتُ قَبُولَهُ كُلَّ الْإِبَاءِ^(٥)
وَمَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلثَّرِيَّاءِ وَلَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلسَّمَاءِ^(٦)

(١) قال ابن جني : إذا كانت طباعه تنافى طباع الناس كلهم سفلا ثم مدح فذلك
جهولهم ؛ لأن فيه إرغامهم ومدحا لمن ينافى طباعهم . وقال غيره : يعني لم يكن ذلك
الشعر مدحا له ولكنه في الحقيقة كان هجاء الخلق كلهم حيث أحوجوني إلى مثله .

(٢) يقول : قد ضل ناس بعبادة الأصنام لا اعتقادهم فيها أنها تنفع وتضر وهذا
مشاهد ، وقد يكون أدنى إلى أن يعقل ولكن أن يضل ناس بزق ربح - يعني كافورا -
وينقادوا إليه ويعظموه فذلك ما لم أره إلا في مصر وأهلها - والزق أسود ، وإذا كان
مملوءا ريحا فلا غناء فيه ومن هنا كان التشبيه

(٣) تلك : أى الأصنام ، وذا : أى زق الربح ، أى كافور

(٤) هذا هو بيت القصيد ، يقول : من لم يعرف قدر نفسه غرورا وإعجابا وذهابا
بها خفيت عليه عيوبه ، فرأى الناس من عيوبه ما لا يرى واستعجبوا منه ما استحسن ،
وإنه لبلاء عظيم . .

* كان سيف الدولة قد نزل آمد فكثر المطر ودعا أبا الطيب فدخل عليه وهو على
الشراب فقيل له : إنه قد عيب عليه قوله لسيف الدولة :

لَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْلُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ

لأن الخيام تكون فوق سيف الدولة فقال هذه الأبيات ارتجالا :

(٥) و (٦) يقول : إن الذين عابوا على هذا القول نسبوا الخيام إلى الرفعة والعلاء
وما إلى هذا قصدت ؛ وإنى أبى ذلك كل الإباء لأنى لا أسلم بأن تكون الثريا والسماء

وَقَدْ أَوْحَشْتَ أَرْضَ الشَّامِ حَتَّى سَلَبْتَ رُبُوعَهَا ثَوْبَ الْبَهَاءِ^(١)
تَنْفَسُ وَالْعَوَاصِمُ مِنْكَ عَشْرُ فَتَعْرِفُ طِيبَ ذَلِكَ فِي الْمَوَاءِ^(٢)
وقال يهجو السامري^(٣) :

أَسَامِرِيَّ ضُحْكَةً كُلُّ رَأَى فَطِنْتَ وَأَنْتَ أَغْبَى الْأَغْيَاءِ^(٤)

فوقك وهما ما هما علوا وارتفاعا ؛ فكيف أسلم بأن تكون الحيام فوقك ؟ يريد أن ريتك فوق كل شيء ؛ فليس ثم شيء يعلوك رتبة وقدرًا :

(١) يقول : لما زليت الشام وفارقتها أوحشتها فسلبتها بذلك ثوب الجلال الذي كانت تشتمل به بمقامك فيها ؛ فلما غادرتها غادرها جلالها وأنسها .

(٢) يقول : إذا تنفست والعواصم على عشر ليالي منك عرف أهلها والقيمون بها طيب نفسك في الهواء وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي عينة :

تَطِيبُ دُنْيَانَا إِذَا مَا تَنَفَّسْتَ كَأَنَّ فَتَيْتَ الْمِسْكَ فِي دُورِنَا هَبًا

وتنفس — بحذف إحدى التائين — أى تنفس ، والعواصم بلاد منها حلب وفسرين وإنطاكية وهى عاصمتها سميت كذلك لأنها كانت تعصم أهلها بما عليها من الأسوار . وقوله منك عشر : أى على مسيرة عشر ليال .

• أنشد المتنبي سيف الدولة يوما قوله :

واحرّ قلباه ممن قلبه شيم

وانصرف ؛ فاضطرب المجلس ؛ وكان فيه بنطى من كبار كتابه يقال له أبو الفرج السامري فقال لسيف الدولة : ألقه فأخذ لك رأسه ؟ فقال المتنبي هذه الأبيات يهجو بها .

(٣) يقول : يا سامري يا من يضحك منه كل من رأى كيف فطنت إلى ما أنشدته وأنت أغبى الأغبياء ، والسامري نسبة إلى سامري بلد بناء المعتصم قرب بغداد ، وكان لما أخذ في بناءه ثقل ذلك على عسكره فقالوا ساء من رأى فلما انتقل بهم إليها سر كل منهم برؤيتها ، فقيل سر من رأى ، ثم حرف اللفظان على ألسنة العامة سامرا وسمرى والضحكة : الذى يضحك منه ، أما الضحكة بفتح الحاء فهو الكثير الضحك .

صَفَرْتُ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتُ أَهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَفَرْتَ عَنِ الْهَجَاءِ^(١)
وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ وَلَا جَرَّبْتُ سِتْفِي فِي هَبَاءِ^(٢)

(١) يقول : حين وجدت نفسك أحقر من أن تمدح تعرضت للهجاء كأنك لا تدري أنك كذلك أحقر من أن تهجى ، لأن مثلك لا يأبه له الشعراء ولا يروونه أهلاً حتى للهجاء .

(٢) المحال : ما عدل به عن وجهه يقول : وكيف يخطر لي أن أهجوك وما فكرت قبلك في باطل حتى أكثرته له ، أى ماهجوت قبلك مثلك ولا حاك في صدري ذلك ، وهل يليق بمثل أن يجرب سيفه في قطع الهباء ؟ ! وأحسب هذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

أما الهجاء فدقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ والمدحُ فيكَ كما علمت جليلُ
فأذهبْ فأنْتَ طليقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضُ عِزَّتِكَ بِهِ وَأَنْتَ ذليلُ

وقول الآخر :

قَلَّ كَيْفَ شِئْتُ وَأَنْى تَشَا وَأَبْرَقَ يَمِينَا وَأَرْعَدَ شِمَالَا
نَجَا بِكَ لَوْمُكَ مَنْجَى الذُّبَابِ حَمَتُهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يَنَالَا

وقول بعضهم :

إِنِّى لَا كَرُمَ نَفْسِي أَنْ أُكَلِّفَهَا هَجَاءَ جَرْمٍ وَمَا يَهْجُومُ أَحَدُ
مَاذَا يَقُولُ لَمْ يَكُنْ هَاجِيَهُمْ لَا يَبْلُغُ النَّاسُ مَا فِيهِمْ وَإِنْ جَهَدُوا

قافية الباء

وقال يمدح سيف الدولة وهو يسايره إلى الرقة وقد اشتد المطر بموضع يعرف
بالشديين :

لَعَنِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ تَحَيَّرُ مِنْهُ فِي أَمْرِ عُجَابٍ ^(١)
حَالَةً ذَا الْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابٍ ^(٢)

وزاد المطر فقال :

تَجِفُّ الْأَرْضُ مِنْ هَذَا الرَّبَابِ وَيَخْلُقُ مَا كَسَاهَا مِنْ ثِيَابٍ ^(٣)
وَمَا يَنْفَكُ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْبًا وَلَا يَنْفَكُ غَيْثُكَ فِي أَنْسَابٍ ^(٤)
تُسَايِرُكَ السَّوَارِي وَالْفَوَادِي مُسَايِرَةَ الْأَحْبَاءِ الطُّرَابِ ^(٥)
تُفِيدُ الْجُودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ وَتَفْجِزُ عَنْ خِلَافِكَ الْعَذَابِ ^(٦)

(١) و (٢) يقول : ترى عيناى منك كل يوم شيئا عجيبا تتحير منه . وذلك أنى
أرى سيفاً يحمل سيفاً وسحاباً يطره سحاب ، والحالة التى يحمل بها السيف ، والحسام
الأول هو السيف ، والثانى هو سيف الدولة .

(٣) و (٤) الرباب السحاب الأبيض ويخلق يرث ويلى . يقول : أنت أفضل من
السحاب لأن الأرض تجف من مطر السحاب وثيابها التى كساها بها الغيث وهى
نبات الأرض تبلى - وذلك عند هيجه - ولكن ذكرك لا ينفك الدهر رطبا
به فأنت خالده وجودك دائم الانسكاب لا ينقطع وقال الواحدى : يريد برطوبة الدهر
لينه وسهولته والمعنى يطيب عيش أهل الدهر بك فكأن الدهر رطب ينقاد ويلين
لهم كما قال البحرى :

أشرقن حتى كاد يَحْتَبِسُ الدُّجَى وَرَطُبُنَ حَتَّى كَادَ يَجْرَى الْجَنْدَلُ
فجعل الصخر يكاد يجرى للينه برطوبة الزمان .

(٥) و (٦) السوارى السحب السارية ليلا ، والفوادي السحب المنتشرة

وأمره سيف الدولة بإجازة هذا البيت :

خَرَجْتُ غَدَاةَ النَّفَرِ أَغْتَرِضُ الدَّمِي فَلَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْكَ فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ ^(١)
فقال :

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِي وَأَقْتَلَهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِلَا حَرْبٍ ^(٢)

نهارا . والطراب جمع طروب ، وهو الذى يطرب ويحركه الشوق وتفيد تستفيد واحتذاه اقتدى به وفعل مثله ، والحلائق ، الأخلاق . يقول : إن السحب تسير معك كما يسير الحبيب الطروب مع حبيبه وذلك كي تستفيد الجود منك فتأتى بمثله بيد أنها تعجز عن التخلق بأخلاقك العذبة الجميلة .

(١) غداة النفر يريد غداة تفرق الحجاج من منى ويقال يوم النفر وليلة النفر لليوم الذى ينفر الناس فيه من منى قال بعضهم .

أما والذى حَجَّ الْمَلِثُونَ بَيْتَهُ وَعَلَّمَ أَيَّامَ الذَّبَائِحِ وَالنَّحْرِ
لَقَدْ زَادَنِي لِلْفَمْرِ حُبًّا وَأَهْلِهِ لَيَالٍ أَقَامْتُهُنَّ لَيْلَى عَلَى الْفَمْرِ
وَهَلْ يَأْتُمْنِي اللَّهُ فِي أَنْ ذَكَرْتُهَا وَعَلَّتْ أَصْحَابِي بِهَا لَيْلَةَ النَّفْرِ
وَسَكَنْتُ مَا بِي مِنْ كَلَالٍ وَمِنْ كَرَى وَمَا بِالْمَطَايَا مِنْ جُنُوحٍ وَلَا فَتْرِ
وأعترض : أستقبل ، والدمي : جمع دمية وهى التماثيل تشبه بها الحسان .

(٢) فديناك دعاء ؛ والخطاب للحبيب ، وأهدى نادى بإسقاط حرف النداء قال الواجدى : أهدى من قولهم هديت هدى فلان أى قصدت قصده ومنه الحديث : واهدوا هدى عمار . أى اقصدوا قصده وسيروا سيرته . يقول : يا أقصد الناس سهما إلى قلبي يريد أن عينه تصيب قلبه بلحظها ولا تحطئه ، ويا أقتل الناس للابسى الدروع من غير حرب أى أنه يقتلهم بحبه فلا تحصنهم الدروع ولا يحتاج معهم إلى الزال ولك أن تجعل أهدى وأقتل منصوبين على التمييز وأهدى من الهداية ، وإليك ما قال العلامة الكبرى النحوى الكوفى فى تعليقاته على هذا البيت قال : أفضل إذا كان للتفضيل فبينه وبين أفضل التعجب مناسبة وذلك أنه يقال هذا أقول من هذا وما أقوله ويمتنع أن يقال هذا أحمر من هذا أى أشد حمرة كما يمتنع أن يقال : ما أحمره أى ما أشد حمرة

تَفَرَّدَ بِالْأَحْكَامِ فِي أَهْلِ الْهَوَى
فَأَنْتَ جَمِيلُ الْخَلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكِذْبِ ^(١)
وَإِنِّي لَمَنْعُ الْمَقَاتِلِ فِي الْوَعَى
وَإِنْ كُنْتُ مَبْذُولَ الْمَقَاتِلِ فِي الْحُبِّ ^(٢)

وفعل التعجب يبنى من ثلاثة أفعال ثلاثية، فعل بفتح العين، وفعل بكسرهما، وفعل بضمهما ولا يبنى إلا من فعل قد سمي فاعله ولا يجوز أن يبنى من فعل غير مسمى الفاعل فيقال ما أضرب أخاك لأنه مأخوذ من ضرب أخوك ثم وقع التعجب من كثرة ضربه فإذا قلت ضرب أخوك لا يصح أن يقال ما أضرب أخاك وأنت تريد ما أشد الضرب الذي ضربه أخوك؟ وأهدى يجوز أن يكون من هدت الوحش ^(١) إذا تقدمت فيكون اسما منصوباً على التمييز فيكون أقفل من فعل له فاعل ويكون الفعل للسهم ويجوز أن يكون الفعل للمخاطب من قولهم هديته الطريق فإذا حمل على ذلك فسهما منصوب بفعل مضمر يدل عليه أهدى لأن فعل التعجب لا يجوز أن ينصب مفعولاً وكذلك أقفل الذي للتفضيل وعلى ذلك حمل قوله :

أَكْرَهُ وَأَتَمَّى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا فِي اللَّقَاءِ الْقَوَانِسَ ^(٢)

فنصب القوانس بفعل مضمر تم الكلام عند قوله وأضرب منا ثم أضمر فعلاً نصب به القوانس تقديره يضرب القوانس فيكون من جنس الكلام .

(١) الخلف ترك الوفاء بالوعد وهو اسم من الإخلاف يقول : إن للهوى أحكاماً تخالف سائر الأحكام لأن الخلف في الوعد غير جميل والكذب غير مستحسن وكلاهما جميل مستحسن من الحبيب * وكل ما يفعل المحبوب محبوب *

(٢) يقول : إني من الشجاعة بحيث لا يصاب مقتلى في الحرب ولكني مع ذلك يصاب مقتلى في الحب فلست أستطيع اللطاع عن شقي في ميدان الهوى وهذا من قول أبي تمام :

(١) يقال هدت الإبل والوحش والحيل تهدي إذا تقدمت وهاديات الوحش

أوائلها وهي هوداها

(٢) القوانس : جمع قونس مقدم البيضة من السلاح

وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ

أَصَابَ الْخُدُورَ السَّهْلَ فِي الْمُرْتَقَى الصَّعْبِ ^(١)

« وقال يعزیه عن عبده يمالك التركي وقد مات بحلب سنة أربعين وثلاثمائة :

لَا يُحْزِنُ اللَّهُ الْأَمِيرَ فَإِنِّي سَأُخَذُ مِنْ حَالَاتِهِ بِنَصِيبِ ^(٢)

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى بَكَى بَعِيُونَ سَرَّهَا وَقُلُوبِ ^(٣)

كَمْ مِنْ دَمٍ يَفْجِزُ الْجَيْشَ اللَّهُمَّ إِذَا بَانُوا تَحَسَّكُمُ فِيهِ الْعِرْمَسُ الْأَجْدُ

« جيش لهام : كثير يلتم كل شيء ، والعرمى الناقة الصلبة الشديدة ، والأجد بضم الهمزة والجرم الناقة القوية الموثقة الخلق . يريد أبو تمام الناقة التي تحمل الحبيب ، والمراد الحبيب نفسه »

(١) يقول : ومن كان له عين بين جفنيه كعينك فتنة وسحرا ملك قلوب الناس بأهون سعى فقلوه أصاب الخ أى وجد المرتقى الصعب حدورا سهلا وهذا تمثيل معناه سهل عليه ما يشق على غيره

(٢) قوله لا يحزن . دعاء له . يقول . لا أحزن الله الأمير فإن حزنه يستتبع حزني أشاركتي إياه في أحواله فلا أصابه الله يحزن لثلاث أحزن ؛ والمعنى واضح وجميل . ومن ثم كان قد صاحب هذا البيت - بقوله . لا أدري لم لا يحزن الله الأمير إذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق - في غير موضعه . ويجوز في يحزن الجزم بلا والرفع على أنه خبر وضع موضع الإنشاء ، ورواية سأخذ هي رواية ابن جني وعليها مضيئنا ، وفي رواية : لآخذ .

(٣) يقول : لا أبكاك الله لأنك إذا بكيت حزنا بكى جميع الناس لبكائك وحزنوا لحزنك لأن من سر جميع الناس ثم بكى لحزن أصابه ساء مصابه الذين سرهم فكأنه يبكى بعيونهم ويحزن بقلوبهم . وفي البيت حذف لا يغني ، فهو من قيل * علقها تبنًا وماء باردا * قال الواحدى : ولك أن تجعل الباء في بعيون للتعدية أى أبكأها . والمعنى أنهم يسعدونه على البكاء جزاء سرورهم كما قال يزيد المهلبى :

أَشْرَكْتُمُونَا جَمِيعًا فِي سُرُورِكُمْ فَلَهُنَا إِذْ حَزَيْتُمْ غَيْرُ انْصَافٍ

وَأَمْنِي وَإِنْ كَانَ الدِّفِينُ حَبِيبَهُ حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبٌ حَبِيبِي^(١)
وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الْأَحِيَّةَ قَبْلَنَا وَأَعْيَا دَوَاهِ الْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبٍ
سَبَقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنَعِنَا بِهَا مِنْ جَنِيَّةٍ وَذُحُوبٍ^(٢)
تَمَلَّكَهَا الْآتِي تَمَلَّكَ سَالِبٍ وَفَارَقَهَا الْعَاضِي فِرَاقَ سَلِيبٍ^(٣)
وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَصَبْرِ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبٍ^(٤)

(١) الدفين المدفون ، وحبیب حبیبی مبتدأ مؤخر ، وحبیب إلى قلبی خبر مقدم ،
والجملۃ خبر إنی يقول : إنی أحب كل من یحبہ ومن ثم كان المدفون الذى یحبہ حبیباً
إلى قلبی وإن كان غریباً منى .

(٢) يقول : لقد سبقنا غیرنا إلى هذه الدنیا فلو عاش هؤلاء الذین سبقونا ولم یموتوا
لنصت بنا الدنیا وضائق علينا الأرض حتى لا نستطیع الذهاب والهجى لشدة الزحام
وإنما یستقیم أمر الدنیا بموت المتقدم وحیاة المتأخر . وجیئة مصدر جاء یجىء مجیئاً
وجیئة وكذلك الذہوب .

(٣) يقول : تنتقل الدنیا من قوم إلى قوم فیتملکها الحى تملك السالب ویتخلی
عنها المیت تخلی المسلوب ؛ وعبارۃ الواحدی : یرید بالآتی الوارث بعد الموت وبالماضی
الموروث أى أن الذى تملك الإرث كأنه سالب سلب الموروث ماله . والمیت كأنه مسلوب
سلب ما كان فی یدہ وهذا المعنى — كما قال العکبرى — مأخوذ من قولهم إنما فی أیدیکم
أسلاب المالکین وسیرکها الباقون كما ترکها الأولون .

(٤) شعوب من أسماء النیة وهى معرفۃ لا تنصرف ولا تدخلها الألف واللام، سمیت
کذلك لأنها تشعب أى تفرق . يقول : لولا الموت لم یکن لهذه المعانى فضل وذلك أن
الناس لو أمنوا الموت لما كان للشجاع فضل على الجبان لأنه قد أیقن الخلود فلا خوف
عليه من إقدامه فى الحرب وإذن لا یحمد على شجاعته ، وكذلك لا فضل للعباد على
البخیل . والصابر على المكروه لا فضل له على الجازع لأن فى الخلود وتنقل الأحوال
فیه من عسر إلى یسر ومن شدة إلى رخاء ما یسکن النفوس . ویهون البوس .

وَأَوْفَى حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لِصَاحِبِ حَيَاةِ أَمْرِي خَاتَمُهُ بَعْدَ مَسِيْبِ (١)
لَأَبْقَى بِمَكَائِكَ فِي حَشَايَ صَبَابَةٍ إِلَى كُلِّ تَرْكِي النَّجَارِ جَلِيْبِ (٢)
وَمَا كُلُّ وَجْهِ أَبْيَضٍ بِمُبَارَكِي وَلَا كُلُّ جَفْنٍ ضَيِّقٍ بِبِنَجِيْبِ (٣)
لَيْنُ ظَهَرَتْ فِينَا عَلَيْهِ كَاَبَةٌ لَقَدْ ظَهَرَتْ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيْبِ (٤)
وَفِي كُلِّ قَوْسٍ كُلُّ يَوْمٍ تَنَاضُلٍ وَفِي كُلِّ طَرَفٍ كُلُّ يَوْمٍ رُكُوبِ (٥)

(١) الغابر من الأضداد يكون بمعنى الماضي وبمعنى الباقي ، والمراد هنا الأول . يقول : إن الحياة لابد من أن تغدر بصاحبها فهي لا محالة وإن طالت مفارقتها ولكن أوطاها له تلك التي تصحبه إلى وقت المشيب فلا تزياله حتى يطول استمتاعه ويستوفي لذة العيش ولكنها مع ذلك إلى انقضاء . وقال الخطيب التبريزي : يريد أن الدنيا تغترم الشباب لذة الوفاء فإذا أبقتهم كان قصارها أن تفنهم فلا وفاء لها ولا رغبة فيها ؛ وهو تفسير حسن .

(٢) لأبقى . جواب قسم محذوف . أي والله لقد أبقى ؛ وعماك اسم مملوك سيف الدولة وهو تركي ؛ والنجار الأضل ، وجلب مجلوب من بلد إلى آخر . يقول . لقد أبقى بمائك بموته في قلبي صباة وميلا إلى كل تركي أي إلى كل من هو من جنسه

(٣) النجيب الكريم « ضد اللثيم » والفاضل النفيس في نوعه . يقول : إن بمائك ترك في قلبي هذا الليل إلى جنسه لذلك الشبه الذي بينه وبينهم وإن لم يكن كل من أشبهه في الصورة يشبهه في اليمين والنجابة ، فالبيت كالاستدراك على البيت السابق ، فهو يقول في الأول : إنه يحب لأجله الترك لأنه منهم والترك يوصفون ببياض الوجوه وضيق الجفون ثم قل : إنه ليس كل تركي مباركا ولا كل تركي نجيا كالمرئي وإذن فهو يحبهم لأنهم يشبهونه في الصورة وإن لم يشبهوه في اليمين والنجابة .

(٤) و (٥) القضيْب السيف القاطع وقيل : اللطيف الدقيق ، والتناضل الترامي بالسهم . قال المكبري : في الحرب وغيرها وذلك أن القوم يتناضلون في الحرب بسهامهم رمي بعضهم بعضا وفي غير الحرب يتناضلون بسهامهم لينظروا أيهم أحسن رميا ؛ والطرف الفرس الكريم . يقول : إنه كان شجاعا من أهل القتال وكان حسن الرمي وقت الزال وكان فارسا بحسن الركوب للغارة والطمعان ومن ثم حزنه عليه السيوف والقسي والخيل فلا عجب إذ حزنا نحن عليه . واللام في قوله لأن ظهرت لام القسم

يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُخْلَى بِمَادَّةٍ وَتَدْعُو لِأَمْرِ وَهُوَ غَيْرُ مُجِيبٍ ^(١)
 وَكُنْتُ إِذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِمًا نَظَرْتُ إِلَى ذِي لِبْدَتَيْنِ أَدِيبٍ ^(٢)
 فَإِنْ يَكُنِ الْعَلَقَ النَّفِيسَ قَدَّتَهُ فَمِنْ كَفٍّ مِتْلَافٍ أَغْرَ وَهُوبٍ ^(٣)
 كَانَ الرَّدَى عَادٍ عَلَى كُلِّ مَا جِدَ إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ بَجَدِهِ بِعُيُوبٍ ^(٤)

دخلت على حرف الشرط وآتى بجواب القسم ولم يأت بجواب الشرط ، ومثله كثير في القرآن الكريم ، وفي الشعر .

(١) وتدعو عطف على يخل ، وكان الوجه فتح الواو ولكنه سكنها للضرورة . يقول : إنه يشق على يمالك أن يغير عاداته في خدمتك وأن تدعوه لأمر فلا يجيبك .
 (٢) ذى لبدين أى أشد واللبدة الشعر المترابط على كتف الأسد . يقول : وكنت إذا رأيته قائما بين يديك رأيت منه أمداً وفقى أدباً أى إنه كان جامعاً بين الأدب في الخدمة وقوة الأسد لدى الناس . وانتهاء في كنت وأبصرته ونظرت رويت مبنية على الضم للمستكلم وعلى الفتح للمخاطب .

(٣) العاق هو النفيس من كل شيء ، وهو خبر يكن وجملة ققدته حال ؛ والتلاف الذى يتلف أمواله سخاء وجوداً والأغر الشريف يقول : فإن يكن يمالك العلق النفيس قد ققدته فأما ذهب من كف رجل يتلف الأموال ويهبها ولا يبالي بما ذهب منه ، ومن روى تكن بالتاء فهو على الخطأ لسيف الدولة ويكون العلق منصوباً على الاشتغال أو بفعل مضمر دل عليه قوله ققدته ، والتقدير ، فإن تكن ققدت العلق النفيس .

(٤) الردى الموت ، وعاد ظالم معتد . ولتراد بالماجد — وهو الكامل الشرف — سيف الدولة ، وعوذه علق عليه العمدة وهى الرقية يتقى بها السوء . يقول : إن الشريف لا يسلم من حدثان السوء ونوائبه حتى يحصل لشرفه رقية من العيوب وأنت لا عيب فيك ، ومن هنا أصابك الدهر بمن تحب ، وهذا كقول الشاعر :

شَخَصَ الْأَنْأَمُ إِلَى كَالِكَ فَاسْتَعِذُّ مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِمْ بِعَيْبٍ وَاحِدٍ
 وقول الآخر :

قَدَقَلْتُ حِينَ تَكَامَلْتُ وَغَدَتُ أَفْكَالُهُ زَيْنًا مِنَ الزَّيْنِ
 مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا الْكَمَالِ إِلَى عَيْبٍ يُوقِيهِ مِنَ الْعَيْنِ
 « كان زائدة ، وذا الكمال . أى هذا الكمال » .

وَلَوْلَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَنَا
وَلَلَّتْكَ لِلْإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ
وَإِنَّ الَّذِي أَمْسَتْ نِزَارٌ هَبِيدَهُ
كَفَى بِصَفَاءِ الْوَدِّ رَقًا لِمِثْلِهِ
غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبٍ ^(١)
إِذَا جَعَلَ الْإِحْسَانَ غَيْرَ رَبِيبٍ ^(٢)
غَنَى عَنْ اسْتِعْبَادِهِ لِعَرِيبٍ ^(٣)
وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَرًا لِلْيَبِ ^(٤)
أَجَلٌ مُثَابٍ مِنْ أَجَلٍ مُثِيبٍ ^(٥)

(١) يعتذر عن ذنوب الدهر وإساءته بالتنبيه إلى سابق إحسانه ، أى أن من شيمة الدهر أن يحسن تارة ويسوء أخرى . يقول : ولولا أن الدهر أحسن إلينا بجمعه بيننا ما كنا نعرف إساءته بتفرقه بيننا فإحسانه عرفنا إساءته . والآيدى : النعم

(٢) بعد أن اعتذر عن الدهر عاد إلى ذمه يقول : وإذا أن الدهر شاب إحسانه بالإساءة فلم يتم إحسانه بتريته وتمهده وإعماجه فترك المحسن إحسانه أجل به من ذلك وأفضل أى أن كل محسن لم يتم إحسانه فتركه خير وأمثل ، وهذا كقوله :

أَبْدَأَ تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُّ الدُّنْيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلًا

واللام في قوله وللتك لأم الابتداء ، وربيب تام من رب عمله أصلحه ونماه وآتمه .

(٣) يقول : إن سيف الدولة ملك العرب بإحسانه إليهم فلا حاجة به معهم إلى مملوك تركى ، وخس نزار لأنه أبو القبائل الأشراف كقرش وغير قرش ؛ فالمراد بنزار سائر العرب .

(٤) الباء في قوله بصفاء وبالهرب زائمة ، وصفاء والقرب في محل رفع بكفى ، والرق العبودية ، واللييب المائل . يقول : إن سيف الدولة استعبد العرب بمصافاته إياهم وإقباله عليهم بالود ومثله إذا صافى إنسانا استرقه بكثرة الإحسان إليه . وإن لم يئتمه كما يبتاع العبد ، وهذا هو الرق والاستعباد

(٥) يدعو له بأن يعوضه الله الأجر من عاكد فإن الأجر أجل ثواب من أجل مثيب وهو الله سبحانه وتعالى ، أو تقول فإن سيف الدولة أجل عبد يثاب من الله فمضير إنه إما عائد على الأجر ومثاب مصدر بمثابة الثواب أو عائد على سيف الدولة ويكون مثاب مفعولا من الإثابة .

فَتَى الْخَيْلِ قَدْ بَلَ النَّجِيعُ نَحْوَرَهَا يُطَاعِنُ فِي ضَنْكِ الْمَقَامِ عَصِيبُ^(١)
يَعَافُ خَيْسَامَ الرِّيطِ فِي غَزَوَاتِهِ فَمَا خَيْمُهُ إِلَّا غُبَارُ حُرُوبِ^(٢)
عَلَيْنَا لَكَ الْإِسْعَادُ إِنْ كَانَ نَافِعًا بِشَقِّ قُلُوبٍ لَا بِشَقِّ جُيُوبِ^(٣)
فَرُبَّ كَيْتِبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَيْتِبِ^(٤)

(١) فتى الخيل أى هو « سيف الدولة » فتى الخيل وجلة قد بل النجيع نحورها حال من الخيل ، والنجيع الدم ، وضنك صفة موصوف محذوف أى فى يوم ضيق المقام فالضنك الضيق وعصيب أى شديد واعصوب اليوم والشر اشتد . ويوم عصيب وعصيب شديد وليلة عصيب كذلك ولم يقولوا عصيبة ، ولعله مأخوذ من قولك عصب القوم أمر إذا ضمهم واعتد عليهم ويقال لأمعاء الشاة إذا طويت وجمعت ثم جلست فى حوية من حوايا بطنها عصب واحدها عصيب والعصيب أيضاً الرثة تعصب بالأمعاء فتشوى قال حميد بن ثور يصف نساء نشأن بالبادية :

أُولَئِكَ لَمْ يَذَرِينَ مَاسَمَكُ الْقَرْيَ وَلَا عُصْبُ فِيهَا رِثَاتُ الْعَارِسِ^(١)
يقول : إن سيف الدولة أجل مثاب لأنه إذا بلت السماء نحو الخيل فهو فتاها الثابت على الطعان فى مثل ذلك اليوم .

(٢) الريط جمع ريطرة وهى اللامدة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين ، وقيل كل ثوب لين رقيق ، ويعاف يكره ، والحليم جمع خيمة يقول : إنه يكره الاستغلال بالحيام للتخذة من النسيج وإنما يستغل بغبار الحروب .

(٣) الإسعاد الإعانة . يقول : إن كانت إعانتنا إليك على هذه الرزية نالقة مجدية أعناك بشق القلوب لا بشق الجيوب وهذا من قول حبيب :

شَقَّ جُيُوبًا مِنْ رِجَالٍ لَوْ اسْطَا عَوَالِشَقُوا مَا وَرَاءَ الْجُيُوبِ
وجيب القصيص ما اتسع منه على النحر .

(٤) يقول : ليس بالسكاه يلم الحزن ، قرب محزون عصى الدمع فلا يبكى ورب بك

(١) العاريس جمع عمروس والعمرس والطمرس الحروف والصب جمع عصيب وهو ما عرفت .

تَسْبَلْ . يَفْكُرْ فِي أُمْنِكَ فَإِنَّمَا بَكَيتَ فَكَانَ الضُّحْكُ بِمَدِّ قَرِيبٍ ^(١)
إِذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الْكَرِيمِ مُصَابَهَا يَحْبُثُ ثَنَتْ فَاسْتَدَّ بَرْنَهُ بِطَلِبٍ ^(٢)

تنسكب دموعه وليس بمحزون . قال الصكبرى : وأخذ هذا البيت مما أنشده أبو طى
فى آخر تكملة إيضاحه :

وما كلُّ ذى لُبٍّ يَمُوتُكَ نُصْحَهُ وما كلُّ مُوتٍ نُصْحَهُ بليب
(١) فى أيك بفتح الباء كما رواها ابن جنى ، يريد فى أبويك ، وهى لغة للعرب
صحيحة فإن بعض العرب يقول فى ثنية أب أبان كما قالوا أبوان وفى الإضافة أيك وإذا
جمعت بالواو والنون قالوا : أبون ، قال الشاعر :

فَلَسَا تَيِّينَ أَصْوَاقِنَا بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَا بِالْأَيِّنَا ^(١)

وعلى هذا قرأ بعضهم : إله أيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق . يريد جمع أب أى أيينك
لحذف النون للإضافة يقول : تسل عن هذا المفقود بالتفكير فى مصابك بأبويك فقد
يكيت لفقدها ثم ضحكك بعد ذلك بمدينة وكذلك حزنك لأجل هذا المصاب سيذهب
عن قريب وعبرة بعض الشراح : تفكر فى آباءك الذين ذهبوا فكل أحد سيذهب
كذهابهم فلا يجب الحزن . وفى معناه :

فَقَضَى لِلْسُومِ عَازِلَتِي فَإِنِّي سَيَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَإِنْسَابِي

« يريد لا أنتسب إلا إلى مفقود » ومثله قول لبيد :

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَنْفَعَكَ عِلْمُكَ فَانْتَسِبْ لِعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَّلُ

(٢) المصاب هنا مصدر كالإصابة ، والمراد هنا بالحث الجزع وبالطيب الصبر ،
ويقال بات فلان خبيت النفس : أى ثقيلها كره الحال وفى حديث هرقل : فأصبح
يوما وهو خبيت النفس ، أى ثقيلها كره الحال ومنه الحديث : لا يقولن أحدكم خبيت
نفسى ، أى ثقلت وغثت كأنه كره اسم الحث وفاعل ثنت يعود على النفس أى صرفت
الحث ، أو تقول ثنت أى اثنت يقول :

(١) يصف نساء سبين فوفد عليهن من قومهن من يفاديهن فبكين إليهم وفدينهم
بأبائهن سرورا بوفودهم عليهن .

وَالْوَاحِدِ الْكَرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ سُكُونُ عَزَاهُ أَوْ سُكُونُ لُغُوبِ^(١)
وَكَمْ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ الْعَيْنُ وَجْهَهُ فَلَمْ تَجْرِ فِي آفَاكِهِ بِغُرُوبِ^(٢)
فَذَلِكَ نَفْسُ الْخَاسِدِينَ فَإِنَّهَا مُصَدَّبَةٌ فِي حَضَرِهِ وَمَغِيبِ
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْنِي لَهَا بِضَرِبِ^(٣)

إذا استقبل الكريم إصابته الدهر إياه بالجزع راجع عقله بعد ذلك فاعتصم بالصبر لعله أن الجزع لا يفيد. قال المكبري : وهذا من قول الحكيم : من علم أن الكون والفساد يتعاقبان الأشياء لم يحزن لورود الفجائع لعله أنه من كونها فهان عليه ذلك ليجز الكل عن دفع ذلك .

(١) الواجد المحزون ، والزفرة تصيد النفس بعد مده ، واللغوب الإعياء . يقول : لا بد للمحزون من سكون فلما أن يسكن عزاء وإلا سكن إعياء ، فالعاقل من يتعزى ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

أَتَصْبِرُ لِلْبَلَاءِ عَزَاءً وَحِسْبَةً فَتُوجِرَ أَمْ تَسْلُو سُلُوَ الْبَهَائِمِ

ويقول محمود الوراق .

إذا أنت لم تَسْلُ اصْطِبَاراً وَحِسْبَةً سَلَوْتَ عَلَى الْإِيَامِ مِثْلَ الْبَهَائِمِ

(٢) كم ههنا خبرية بمعنى كثير والواجب خفض تمييزها ولكنه نصب جدا هنا لوجود فاصل بينها وبين معمولها فبطل الخبر . وغروب جمع غرب وهو السمع يقول : كم لك من جد لم تره عينك فلم تبك عليه فهب هذا مثلهم لأنه قد غاب عنك ، والغائب عن قرب كالغائب الذي طال عليه العهد . قال الخطيب : وهذا المعنى مدخول لأن أجداده لم يرهم ولم يعرفهم ويمالك قد رآه وعرفه ورثاه . أقول : وقد الخطيب واضح وفي محله كما ترى .

(٣) من يحسد مبتدا مؤخر ، وفي تعب خبر مقدم ، ونورها بدل من الشمس أو مفعول ثانٍ ليحسد ، وأسكن الياء من يأتي ضرورة . وأكثر ما يكون ذلك في الياء والواو . والضرب النظير يقول : مثل حسادك معك مثل من يريد أن يأتي للشمس بنظير وهذا في تعب لازب لأنه يحتاج الحال وكذلك حسادك لأنه لا نظير لك كالشمس .

وقال يمدحه ويذكر بناء مَرَعَشَ سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة :

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبِّعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبًا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْقَرْبَا^(١)
وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَنَا فَوَإِذَا لِمِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبَا^(٢)
نَزَلْنَا عَنْ الْأَكْوَارِ نَفْسِي كَرَامَةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا^(٣)
نَذِمُ السَّحَابَ الْفَرُّ فِي فِعْلِهَا بِهِ وَنُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتَبَا^(٤)
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا^(٥)

(١) يخاطب ربيع الحبيب ويدعو له . وقوله من ربيع تميز ، ومن زائدة ، والربع المنزل متى كان وبأى مكان كان ، أما المربع ومثله المربع والمربع فهو اللوضع الذى ينزل فيه أيام الربيع يقول : فديناك أيها الربع من أحداث الدهر ونوائبه برغم أنك زدتنا وجدا بما جئت من ذكرى الحبيب الذى كان فيك كالشمس يخرج منك ويعود إليك وكنت له كالشرق حين يظهر وكالغرب حين يختبئ .

(٢) يتعجب من معرفته آثار ديار الحبيب بعد أن سلبه قلبه وعقله ولم يدع له سبيلا إلى إدراك الأشياء ، ويدع روى بالياء وبالتاء ، فمن روى بالياء فهو على لفظ من ، ومن روى بالتاء حمله على المعنى لأن المقصود بمن ، امرأة .

(٣) الأكوار جمع كور وهو رحل البعير ، وأن نلم مؤول بمصدر مجرور بمن محذوفة صلة كرامة أى كرامة عن أن نلم بركبانا ، ونلم نزل يقول : لما أتينا هذا الربع نزلنا عن رواحلنا وترجلنا كرامة للحبيب — الذى كان فيه ثم زايله — وتقديسا له أن نزل بربعه راكبين وقد أوضح هذا المعنى السرى الرفاء بقوله :

حُيِّتَ مِنْ طَلَلٍ أَجَابَ دُثُورُهُ يَوْمَ الْعَقِيقِ سَوَّالَ دَمْعِ سَائِلِ

نَحْنُ وَنَزَلَ وَهُوَ أَعْظَمُ حَرَمَةٍ مِنْ أَنْ يُذَالَ بِرَاكِبٍ أَوْ نَاعِلِ

(٤) السحاب جمع ، ومن ثم جاز وصفه بالقر : أى البيض : وإنما قال القر لأنها كثيرة الماء يقول : نذم السحاب لأنها عفت الربع وغيرت معاله بما ينهل منها من المطر وإذا طلعت عليه أعرضنا عنها وأشحنا بوجوهنا عتبا عليها لتعفيتنا الرسوم وفعلها بها ما فعلت .

(٥) هذا البيت متصل بالذى قبله يقول : نحن نذم السحاب لما تفعل بالربع ولا حق

وَكَيْفَ التَّذَاذِي بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَى إِذَا لَمْ يَمُدَّ ذَاكَ النَّسِيمُ الَّذِي هَبَّ^(٥)
ذَكَرْتُ بِهِ وَصَلًا كَانَ لَمْ أَفُزْ بِهِ وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثَبًا^(١)

لنا في هذا الذم لأن من صحب الدنيا وطال امتراسه بها تعلبت أحوالها عليه حتى يرى ما اطمأن إليه من صفاتها ونعيمها قد تغير وحال عما كان عليه كأن لم يغب بالأمس ، وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لِيَبَّ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : ليس ترداد حركات الفلك إلا تحيل الكائنات عن حقائقها .

(١) يقول : كيف ألتذ بالعشايا والغدايا إذا لم أستشق ذلك النسيم الذي كنت أجده من قبل : يعنى نسيم الحبيب ونسيم أيام الشباب والوصال ، والأصائل جمع أصيل على غير قياس وهو ما بين العصر إلى المغرب — والضحي قال الجوهري : مقصور تؤنث وتذكر ، فمن أنت ذهب إلى أنه جمع ضحوة ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد وتفر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحي إذا أردت به ضحا يومك لم تنونه . وقال ابن برى : ضحى مصروف على كل حال ، قال الجوهري : وهو حين تشرق الشمس ثم بعده الضحاء ممدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار الأعلى ، وقيل : الضحي من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدا ثم بعد ذلك الضحاء إلى قريب من نصف النهار .

(٢) يقول : تذكرت بهذا الربع وصلا قصرت أيامه حتى كأنه لم يكن لسرعة انقضائه ، وعيشا وشيك الانقطاع كأني قطعتة بالوثوب ، ووثب قفز وطفز ، ومن قولهم وثب إلى الشرف وثبا : أى وصل إليه دفعة واحدة . قال ابن جنى : يريد قصر أوقات السرور ، ومن بدع ما قيل في قصر أوقات السرور قول الوليد بن يزيد :

لَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَغْيِيرًا لَمَّا صَنَعْتَ نَامَتْ وَقَدْ أَسْهَرْتَ عَيْنِي عَيْنَاهَا

فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها

والشعراء أبدأ يذكرون قصر أوقات السرور وأيام اللهو ، وسرعة زوالها وانقضائها فمن ظريفه قول بعض العرب :

وَفَتَانَةٌ الْعَيْنَيْنِ قَتَالَةٌ الْهَوَىٰ إِذَا نَفَعَتْ شَيْخًا رَوَّاحُهَا شَبَابًا^(١)
لَهَا بَشَرُ الدَّرِّ الَّذِي قُلِّدَتْ بِهِ وَلَمْ أَرْ بَدْرًا قَبْلَهَا قُلِّدَ الشُّبُهَاتُ^(٢)

ليلي وليلي نفي نومي اختلافهما حتى لقد تركاني في الهوى مثلاً
يجودُ بالطولِ ليلي كلما نخلت بالطولِ ليلي وإن جادت به بخلا
وفي هذا البيت من الجنس الذي ترى ما يعجز عنه . وقال البحرى :
فَلَا تَذْكُرْ أَعْدَ التَّصَابِي فَإِنَّهُ تَقْضَى وَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ ذَلِكَ الْمَصْرُ
وما أبدع ما يقول الرضى :

يَا لَيْلَةَ كَادَ مِنْ تَقَاصُرِهَا أَنْ يَفْتَرَّ فِيهَا الْمَشْيُ بِالسَّحَرِ
وقال بعضهم :

ظَلَّلْنَا عِنْدَ دَارِ أَبِي نَعِيمٍ يَوْمَ مِثْلِ سَالِفَةِ الذَّبَابِ
شبهه في القصر بنق الذباب ، ومثله لجرير :

وَيَوْمَ كَأْبَهُمُ الْقَطَاةُ مَزِينٍ إِلَى صَبَاهُ غَالِبٍ لِي بِأَطْلُهُ
وما أحسن قول إبراهيم بن العباس :

لَيْلَةٌ كَادَ يَلْتَقِي طَرَفَاهَا قَصْرًا وَهِيَ لَيْلَةُ الْمِيلَادِ
ويقول متمم بن نويرة :

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ تَنْبِتْ لَيْلَةٌ مِمَّا

(١) النفع تضوع رائحة الطيب يقال نفع الطيب ونفحت رائحة الطيب وعدى
النفع على المعنى كأنه قال إذا أصابت روائحها شيخاً شب ، وفاتنة عطف على وصلا في
البيت قبله : أى وذكرت به فتانة يقول : وذكرت امرأة تفتن عيناها ويقتل هواها إذا
نفعت روائحها شيخاً تصابي وعاد شاباً وهذا مثل قول الصنوبري :

بِلَفْظٍ لَوْ بَدَأَ لِحَلِيفٍ شَيْبٍ لِفَارَقِهِ وَعَادَ إِلَى شَبَابِهِ

(٢) البشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد ، والدِّر اللآلئ العظام ، والشهب الدرارى
من النجوم ؛ يقول : إن لونها مثل لون الدر الذي تقلده ، وهى كالدر حسناً وجالاً ،
وقلائدها كدرارى النجوم ولم أرقبها بدراً قلد النجوم .

فَمَا شَوْقٍ مَا أَتَيْتُ وَيَا لِي مِنَ النُّوَى وَيَا دَمْعَ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبَ مَا أَصْبَى ^(١)
لَقَدْ لَمِبَ الْبَيْنُ الْمَشْتَبَهَ وَبِي وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضُّبَّ ^(٢)
وَمَنْ تَكُنِ الْأَسَدُ الضُّوَارِي جُدُودَهُ يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحًا وَمَطْعَمُهُ غَضْبًا ^(٣)

(١) ويالى : يروى ويالى بالموحدة ، والنوى البعد . يقول : فياشوقى ما أبغاك فلست تنفد ويا من لى بمنعنى من ظلم الفراق ويادمنى ما أجراك وياقلبي ما أفساك وأشوقك وقد حذفت كما ترى يا آت الإضافة من شوق ودمع وقلب تخفيفاً لأن الكسرة تدل عليها ولك أن تقرأ شوق ودمع وقلب مبذية على الضم على أنها مفردة أى غير مضافة إلى ياء للتسكيم وحذف الكاف للنسوبة من أبقي وأجرى وأصبي للمخاطبة التى قبلها بالنداء . وقوله ويالى استغناء قال العكبرى قوله ويالى يحتمل أن يكون أراد اللام المفتوحة التى للاعتناء كأنه استغاث بنفسه من النوى ، ويحتمل أن يكون أراد اللام المكسورة التى للمستغاث من أجله كأنه قال : يا قوم اعجبوا لى من النوى .

(٢) البين البعد ، والمشت الفرق ، والضب حيوان من الزحافات معروف يضرب به المثل فى الحيرة ، يقال : أحير من ضب لأنه إذا خرج من جحره لا يهتدى إليه عند أوجهه يقول : لعب الفراق بشملنا وزودنى الضلال والحيرة فلا أهتدى إلى وجهه وليس إلى لقاء الحبيب من سبيل ، وقيل إن المراد كما أن الضب لا يتزود فى المفازة لأنه لا يحتاج إلى المساء أبداً فكذلك لم يزودنى الفراق شيئاً أى أنه لم يودع حبيته وفارقها من غير وداع ولا التقاء فيكون التوديع زاداً كما قال بعضهم :

زَوَّدَ الْأَحْبَابُ لِلْأَحْبَابِ ضُجَّةً وَالتَّزَامًا

وَسُلَيْمَى زَوَّدَنِي يَوْمَ تَوَدَّيْنِي السَّقَامَا

وقال ابن فوزه : يريد زودنى الضلال عن وطنى الذى خرجت منه فما أوفق إلى العود إليه والاجتماع مع الحبيب والضب يوصف بالضلال وقلة الاهتداء وعبارة الواحدى يجوز أن يكون المعنى أن الضب مكانه المفازة فلا يتزود إذا انتقل منها بقوله : أنا فى البين مقيم إقامة الضب فى المفازة وليس من عادة المقيم أن يتزود فالسير والبين كأنهما منزل لا لنى إياها .

(٣) الضواري المضرة واللولمة بالصيد . يقول : من كان من نسل الشجعان وكان أباه كالأسود كان هو كذلك وعاش عيشة الأسود وإذن يكون الليل له نهراً فلا تعوقه

وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ إِدْرَاكِ الْعَلَا
أَكَانَ تَرَانَا مَا تَنَاولْتُ أَمْ كَسْبًا^(١)
فَرُبَّ غُلَامٍ عَلمَ الْمَجْدَ نَفْسَهُ
كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَا^(٢)
إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مُلْكَةٍ
كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفُ وَالْكَفُّ وَالْقَلْبَا^(٣)
تُهَابُ سُيُوفِ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ
فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا^(٤)

الظلمة عن بلوغه مآربه . وكان مطعمه مما يأخذه من أعدائه قهراً ، قال ابن جني : قوله
يكن ليله صباحاً من قول الآخر :

فَبَادِرِ اللَّيْلَ وَلَدَّاتِهِ فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرِيبِ

(١) كأنه يعتذر من الغضب الذي ذكر في البيت السابق . يقول : إذا أدركت معالي
الأمور فلست أبالي بعد إدراكها أكان ما يحصل في يدي إرثاً أم كسباً فالتراث المال
الموروث : قال بعض الشراح : وكان الوجه أن يقول أترانا كان لأن الهمة لا يليها إلا
المستول عنه فأخبره لإقامة الوزن .

(٢) قرب غلام يعني نفسه يقول : إن المرء يمكنه أن يعلم نفسه المجد وإن لم يكن له
من يعلّمه كما علم سيف الدولة نفسه الطعن والضرب ومجالدته الأبطال بشجاعته وحذقه ،
ويروى * كتعليم سيف الدولة الدولة الضربا * أي كما علم أهل دولته الطعان والنزال .
والرواية الأولى أظهر ، والمجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي ، وقيل لا يكون إلا
بالآباء والظاهر أنه مأخوذ من قولهم مجدت الإبل إذا شبت وامتلات بطونها علّفاً
وأعجدها راعها ويقال من هذا أعجد فلان عطاءه ومجده إذا كثره ، ولما كان من أساس
المجد كثرة المسائر والمسامي كان مأخوذاً من ذلك .

(٣) يقال : كفيته الأمر أعنته عليه وقت به دونه ، وقد استكفاني أمره فكفيته
وعدها هنا بالباء على تضمينه معنى استعانت به يقول : إن الدولة إذا استعانت به في أية
مهمة أو نازلة كفها وبلغت به وحده ما تريد فكان سيفاً لها على أعدائها وكفا تضرب
بها وقلبا تفتح به الأهوال ؛ قال العكبري : يريد بهذا أن يفضل على سيف الحديد فإنه
لا يعمل بنفسه ولا يعمل إلا بضارب ، وسيف الدولة يعمل بنفسه .

(٤) يقول : إن السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل لها ولا قوة إلا بالضارب بها
فكيف يكون حالها في الخوف منها إذا كانت عربية نزارية ؟ أي تقطع بنفسها دون
استعانة بغيرها ، وسيف الدولة عربي نزارى ، فيكون أحق بالخوف منه .

وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ وَحَدَهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللَّيْثُ لَهُ صَحْبًا^(١)
وَيَخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ فَكَيْفَ بَيْنَ يَفْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا^(٢)
عَلَيْهِمْ بِأَمْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللَّسَى لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكَتَبَا^(٣)
فَبُورِكَتَ مِنْ غَيْثٍ كَانَ جُلُودَنَا بِهِ تُنْفِثُ الدِّيَاجَ وَالْوَشَى وَالْعَصْبَا^(٤)
وَمِنْ وَاهِبٍ جَزَلًا وَمِنْ زَاجِرٍ هَلَا وَمِنْ هَاتِكَ دِرْعَاوَمِينَ نَاطِرٍ قُصْبَا^(٥)
هَنِيئًا لِأَهْلِ النَّفْرِ رَأْيُكَ فِيهِمْ وَأَنْتَ حِزْبُ اللَّهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبًا^(٦)

(١) يقول : إن الليث يرهب إذا كان وحده فلا يجترئ أحد على مواجهته فكيف إذا كان معه ليث آخرون ؟ يريد سيف الدولة وأصحابه .

(٢) عباب البحر تراكم أمواجه وشدتها ويغشى يغطي وعب زخر وتدفق وقد سمى القرس الشديد الجرى والنهر الشديد الجريان يعبوا من ذلك يقول : والبحر تخاف أمواجه وهو مكانه فكيف الظن بمن إذا زخر وماج عم البلاد .

(٣) التي جمع لثة يقول : هو عليم بخفيات الديانات واللغات ، يعلم منهما ما لا يصل إليه غيره ، وله في ذلك خطرات تفضح العلماء وكتبتهم لأنهم لم يبلغوا في العلم ما يجرى على خاطره .

(٤) يقال : بورك وبورك لك وبورك فيك وبورك عليك يدعو له بالبركة والنماء ومن غيث تميز والدياج فارسي معرب وهو الثوب الذي سدها ولحمته حرير والوشى الثوب فيه ألوان شتى والعصب ضرب من برود اليمن يقول : إنك تخلع علينا هذه الثياب فكأنك غيث تمطر علينا فتبت جلودنا هذه الثياب فبارك الله عليك غيثا .

(٥) الجزل الكثير وهلا اسم صوت تزجر به الخيل والقصب المني والجمع أqvاص ؛ وفي الحديث : الذي يتخطف رقاب الناس يوم الجمعة كالجار قصبه في النار قيل اسم للأعماء كلها ، وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأعماء يقول : وبوركت من رجل يهب المطاء جزلا ويزجر الخيل يستحثها ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ويشق الأعماء فينثرها .

(٦) رأيك مرفوع بفعله وفعله هنيئاً وأصله ثبت رأيك هنيئاً لهم لحذف الفعل وأقيم الحال « هنيئاً » مقامه فصارت تعمل عمله ، وحزب الله منادى أو منصوب على الاختصاص يقول : ليهنهم حسن رأيك فيهم وأنت صرت لهم حزبا — أى أعوانا وأنصاراً — في حال أنك حزب الله .

وَأَنْكَ رُعْتَ الدَّهْرِ فِيهَا وَرَيْبَهُ فَإِنْ شَكَ فَلْيُحْدِثْ بِسَاحَتِهَا خَطْباً^(١)
 فَيَوْمًا بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمْ وَيَوْمًا بِجُودٍ يَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجُدْبَا^(٢)
 سَرَايَاكَ تَتَرَى وَالْدُّمُسْتَقُ هَارِبُ وَأَصْحَابُهُ قَتْلَى وَأَمْوَالُهُ نُهْبَى^(٣)
 أَنِّي مَرَعَشًا يَسْتَقْرِبُ الْبَغْدَ مُقْبِلًا وَأَذْبَرًا إِذَا أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَا^(٤)
 كَذَا يَتْرُكُ الْأَعْدَاءُ مَنْ يَكْرَهُ الْقَنَا وَيَقْفُلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيَّتُهُ رُعْبَا^(٥)

(١) وأنك عطف على وأنك حزب الله في البيت السابق والضمير في فيها وفي بساحتها للأرض وأرجعه إلى غير مذكور على حد قوله تعالى « كل من عليها فان » ورعت أفزعت وريب الدهر صروفه وحوادثه . يقول : هنيئاً لأهل الثغر أنك صرت لهم حزبا وأنك فعلت في الأرض أفصلاً أفزعت الدهر وصروفه ، فإن شك الدهر في قولى فليحدث في الأرض خطبا . يعنى أن الناس آمنون من تصارييف الدهر فليس في استطاعته أن يمسم بسوء هية لك .

(٢) عنهم : أى عن أهل الثغر . والجذب : القحط .

(٣) السرايا جمع سرية وهى الجماعة من الجيش سميت كذلك قيل لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشئ السرى أى النفيس وقيل لأنهم ينفنون سرأ وخفية وتترى متواترة متتابعة وبينها فجوات وفترات قال تعالى « ثم أرسلنا رسلا تترى » وهو معلوم أن بين كل رسولين فترة قال الجوهري تترى فيها لفتان تلتون ولا تلتون فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث وهو أجود وأصلها وترى من الوتر وهو الفرد ومن نونها جعلها ملحقة والمراد هنا الذى يخلف بعضها بعضا ونهى أى منهوبة والدستمق اسم لقائد الروم .

(٤) مرعش حصن من أعمال ملطية ؛ يقول : آنى الدستمق هذا الثغر مهزوزاً نشيطاً مبتهجا يجد البعيد قرياً فلما أقبلت عليه ولى مدبراً وهو يرى القريب جيداً خوفاً وذعراً أن تدركه ، قال العكبرى : ولقد أحسن القائل الناظر إلى هذا المعنى :

والله ما جِئْتُمْكُمْ زَائِرًا إِلَّا رَأَيْتُ الْأَرْضَ تَطْوِي لِي
 وَلَا أَشَى عَزَمِي عَنْ بَابِكُمْ إِلَّا تَمَثَّرْتُ بِأَذْيَالِي

(٥) يقول : كذا من أقدم على الحرب وهو يكره الجلاذ جنباً يترك أعداءه ويخيم

وَهَلْ رَدَّ عَنْهُ بِاللَّقَانِ وَقُوفُهُ صُدُورَ الْعَوَالِي وَالطُّهْمَةِ الْقَبَا^(١)
مَضَى بَعْدَ مَا تَفَّ الرَّمَّاحَانِ سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَّى الْهَدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهَذْبَا^(٢)
وَلَسِكَتُهُ وَلَّى وَلِلطَّنِّ سَوْرَةٌ إِذَا ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجُنْبَا^(٣)
وَخَلَّى الْعَذَارَى وَالْبَطَارِيْقَ وَالْقُرَى وَشُعْثَ النَّصَارَى وَالْقَرَائِنَ وَالصُّلْبَا^(٤)

عن اللقاع وينكس على عقبيه وكذا يرجع عن الحرب من لم يغنم سوى الرعب : أى
أن الممستق عُد مرعوباً فكان الرعب له بمنزلة الغنيمة لغيره .

(١) اللقاع ثمر يلاذ الروم « الأناضول » والعوالى من الرماح ما دخل فى السنان
إلى ثلثه والحيل للطمحة الثامة الخلق والقب جمع أقب وهو الضامر البطن ووقوفه فاعل
رد ؛ قال الواحدى : كان الممستق قد أقام باللقان فلما أقبل سيف الدولة انهزم . يقول :
فهل أغنى عنه وقوفه وهل رد عنه الرماح والحيل الحسان الضامرة .

(٢) يريد بالرمحين رماح الفريقين فنى الجمع كما قال أبو النجم :

• بين رماحين مالك ونهشل

والهدب : أشجار العيين ، يقول : انهزم بعد أن تشاجرت الرماح ساعة كما تختلط
الأهداب الأعلى والأسافل عند الرقاد وهذا مثل قول بعضهم :

بأ الثقيفا بمحمد ربى إلا مثل ما تلتقى جفون السليم

(٣) السورة الحدة يقول : ولكته انهزم ولطمن فى أصحابه حدة إذا تذكرها
لمس جنبه قائلا : هل أصابه شيء منه ؟ أى أنه انهزم مدهوشا مرعوبا لا يدرى ما حاله
وهل أصابته طعنة نافذة ؟ قال بعض الشعراء : إنه هرب وبقي من دهشه لا يدرى
ما صنع فكان يمس جنبه هل يجد روحه بين جنبيه من الدهول والفرع وهذا من
قول أبي نواس :

إذا تفكرت فى هسواى له مسيت رأسى هل طار عن بدى

(٤) العذارى جمع عذراء وهى البكر من النساء والبطاريق جمع بطريق وهم
قواد الروم والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس والمراد بهم هنا الرهبان والقرايين جمع
قريان وهو ما يتقرب به إلى الله والمراد هنا خاصة الملك والصلب جمع صليب وسكن اللام
على لنة تميم يقول : إنه انهزم وترك هؤلاء ولم يلتفت إليهم لهول ما رأى .

أَرَى كُلَّنَا يَبْنِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ حَرِيصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبًّا^(١)
 فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الثَّقَى وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الْحُرِّيَّا^(٢)
 وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِدٌ إِلَى أَنْ يُرَى إِحْسَانُ هَذَا لِذَا ذَنْبًا^(٣)

(١) المستهام الذى ملك عليه العشق أمره فهم على وجهه ، والصبابة رقة الشوق : يقول : كل منا يطلب الحياة عاشقا لها محبا حريصا عليها .

(٢) يقول : كل من الجبان والشجاع سواء فى حب النفس وإن اختلف فعلهما فالجبان جبا لنفسه وإبقاء على حياته اتقى الحرب وترك القتال والشجاع إنما أقدم على الحرب دفاعا عن نفسه وذودا عن مهجته لأنه يخاف على نفسه العدو إن هو قعد عن الحرب أو لأنه إذا أرى من نفسه الشجاعة تحاماه الناس واتقوه فكان فى ذلك بقاؤه كما قال الحماسى — الحصين بن الحمام — :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
 وتقول الحسناء .

نُهِنَ النَّفْسُ وَهَوْنُ النَّفْسِ يَوْمَ الْكُرْبَةِ أَبْقَى لَهَا

وروى أن الصديق رضى الله عنه قال لخالد بن الوليد — وقد ودعه لحرب أهل الردة — : احرص على الموت توهب لك الحياة ، ومعناه إما أن الشجاع مهيب مرهوب لا يحام حوله ، وإما أن ذكره يبقى بعده فيكون كأنه حى كما قال جيب :

سَلَفُوا يَرَوْنَ الذِّكْرَ عُقْبًا صَالِحًا وَمَضُوا يَمْدُونَ الثَّنَاءَ خَسِلُودًا

وإما أنه إذا استشهد صار حيا كما قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » قال المكبرى : وهذا البيت من الحكمة ، قال الحكيم : النفس للتجوهرة تأبى مقارنة الدل كل الإباء وترى فناءها فى طلب العز حياتها : والنفس الدنيئة على الضد من ذلك ، وروى بدل النفس الحرب .

(٣) قال الواحدى . يقول : إن الرجلين ليفعلان فعلا واحدا فيرزق أحدهما بذلك الفعل ويحرم الثانى حتى كأن إحسان المرزوق ذنب للمحروم ومثاله ذلك أن يحضر الحرب اثنان يغم أحدهما ويحرم الآخر فحضور الحرب إحسان من الغائم ذنب للمحروم وكلاهما فعل فعلا واحداً وكذلك مسافران مثلا سافرا فربح أحدهما وخسر الآخر فيعد السفر من الراجح إحسانا يحمده عليه ومن الخاسر ذنبا يلام عليه وهذا كما أنشده ابن الأعرابى :

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى المني من حيث يحرم صاحبه
وفي هذا — أسعدك الله — من الدلالة على القضاء وكونه ولعبه بالإنسان وعلى الحظ
وأثره في تصرفات الناس مالا سبيل إلى إنكاره ونورد هنا بعضاً مما قاله الشعراء مما
يتصل بهذا الباب وهو باب واسع جداً . قال رهين الحبسين :

لا تَظْلِبَنَّ بِاللَّهِ لَكَ رُتْبَةٌ قَلَمُ الْبَالِغِ بَغِيرَ حَظٍّ مِغْزَلُ
سَكَنَ السَّامَكَانِ السَّمَاءَ كَلَامَهَا هَذَا لَهُ رُوحٌ وَهَذَا أُغْزَلُ
وقال :

سَيَطْلِبُنِي رِزْقُ الذِّي لَوْ طَلَبْتُهُ لَمَا زَادَ وَالْدُّنْيَا حُظُوظُ وَإِقْبَالُ
إِذَا صَدَقَ الْجَدُّ افْتَرَى الْعَمُّ لِلْفَتَى مَكَارِمَ لَا تُكْرَى وَإِنْ كَذَبَ الْخَالُ
« الجد هنا الحظ والعم الجماعة . وتكرى من أكرى الزاد إذا نقص ، واقرى
كذب والخال الخيلة » . ويقول أبو تمام :

يُنَالُ الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ وَيُكْدَى الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ^(١)
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَأْتِي عَلَى الْحِجَا إِذَنْ هَلَكْتُ مِنْ جَهْلِهِنَ الْبَهَائِمُ
ويقول أبو إسحاق الصابي :

إِذَا جَمَعْتُ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ صِنَاعَةً فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَدْرِيَ الَّذِي هُوَ أَحْدَقُ
فَلَا تَنْفَقِدْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا جَرَتْ بِهِ لَهَا الْأَرْزَاقُ حِينَ تَفَرَّقُ
لَخَيْثُ يُكُونُ الْجَهْلُ فَالْرِزْقُ وَاسِعٌ وَحَيْثُ يُكُونُ الْعِلْمُ فَالْرِزْقُ ضَيِّقُ
وقال الإمام الشافعي :

لَوْ أَنَّ بِالْحَيْلِ الْفَتَى لَوْ جَدْتَنِي بِنَجُومِ أَفْلَاكِ السَّمَاءِ تَعَلَّقُ
لَكِنَّ مِنْ رِزْقِ الْحِجَا حُرْمَ الْفَتَى ضِدَّانِ مُفْتَرِقَانِ أَى تَفَرَّقُ

(١) أكدى الرجل خاب ولم يظفر بشيء وأصله من حافر البئر ينتهى إلى كدية
أى صخرة صلبة — فلم يمكنه الحفر فتركه .

فَأُضْحَتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقِ بَدْنِهِ إِلَى الْأَرْضِ قَدْ شَقَّ الْكَوَاكِبُ وَالتُّرَابُ^(١)
تَصُدُّ الرِّيحَ الْهَوَجُ عَنْهَا مَخَافَةً وَتَنْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقُطَ الْحَبَّ^(٢)

فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَحْرُومًا أَنَّى مَاءٌ لِيَشْرَبَهُ ففَاضَ فَصَدَّقِ
أَوْ أَنْ مَحْظُوفًا غَدًا فِي كَفِّهِ عُدَّ فَأُورِقَ فِي يَدَيْهِ فَخَفِّقِ
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَكَوْنِهِ بُوُسُ اللَّيْبِ وَطَيْبُ عَيْشِ الْأَحْقِ
والإشارة في قول المتنبي هذا ولذا للمرووق والمحروم المفهومين من قوله
ويختلف الرزقان .

(١) فأضحت أى قلعة مرعش يقول — كما ذهب إلى ذلك الخطيب وتاجه جماعة
من الشراح — : إن هذه القلعة لعلوها في الجو كأنما ابتدئ بها من الجو فأُسست هناك
فنشئت الكواكب والترب : يعنى الذى ارتفع منها إلى الجو حوالها فكانها مقلوبة أسها
في السماء وأعلى حائطها إلى الأرض وروى ابن جنى من فوق يرفع القاف وبدؤه بالرفع
أيضا جعل فوق معرفة وبناء كقبل وبعد وأراد فوقه فلما حذف الماء بناء كقبل وبعد
ورفع بدؤه على الابتداء ، قال الواحدي : على رواية ابن جنى لا يستقيم لفظ البيت ولا
معناه لأنه — أى المتنبي — يقول : أضحت هذه القلعة — يعنى مرعشا — كأن سورها
من فوق بدئه أى من أعلى ابتدائه قد شق الكواكب بعلوه في السماء وشق التراب
برسوخه في الأرض وهو كقول السموأل :

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل

رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لا يرام طويل

(٢) تصد تعرض والهوج جمع هوجاء وهى الرياح الحقاء التى تارة تأتى من هنا
وتارة تأتى من هنا وعنهما متعلق بتصد ومخافة مفعول من أجله وأن تلتقط في موضع
نصب على حذف حرف الجر أى من أن تلتقط : يقول : إن الرياح الهوج تعرض عنها
مخافة أن تعجز عن الوصول إلى أعلاها وكذلك الطير تحس من نفسها العجز عن
الارتقاء إليها والتقاط الحب من ذراها وقال القاضى أبو الحسن الجرجاني : يريد أن
الرياح لا تدنو منها خوفا من تثقيف سياسته والطير لا تقع عليها خشية أن يجرى عليها

وَتَرَدَّى الْجِيَادُ الْجُرُودُ فَوْقَ جِبَالِهَا وَقَدْ نَدَفَ الصَّنْبُرُ فِي طَرْقِهَا الْمُطْبَا^(١)
كُنِيَ عَجَبًا أَنْ يَمَجَّبَ النَّاسُ أَنَّهُ بَنَى مَرَعَشًا تَبَا لَا رَأْيَ لَهُمْ تَبَا^(٢)

إذا هي التقطت الحب ما توجه حال التناول من دون إذن ، وهذا المعنى منقول من قول حبيب :

قَدْ بَثَّ عَبْدُ اللَّهِ خَوْفَ انتقامِهِ عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدِبُّ عَقَارُهَا
وهو كقول الآخر :

وكانت لا تطير الطير فيها ولا يسرى بها للجن سارى
(١) تردى من الرديان وهو ضرب من العدو ترجم فيه الجياد الأرض بحوافرها ،
والجرود اقصار الشعر وهو من آيات العتق والكرم ، والصنبر السحاب البارد الريح
في غيم وأيضاً اسم اليوم الثانى من أيام العجوز قالوا وهى سبعة أيام وأنشدوا لابن أحرر
وقيل لابن شبل الأعرابي :

كَسَعَ الشَّاهُ بِسَبْعَةِ غُرٍ أَيَّامَ شَهْلَتِنَا مِنَ الشَّهْرِ
فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا وَمَضَتْ صِنْ وَصَنْبُرٌ مَعَ الْوَبْرِ
وَبَأَمْرِ وَأَخِيهِ مُؤْتَمِرٍ وَمُعَلَّلٍ وَمُطْفِئِ الْجُمْرِ
ذَهَبَ الشَّاهُ مُؤَلِّيًا هَرَبًا وَأَتَتْكَ وَافِدَةٌ مِنَ النَّجْرِ^(١)

يقال إن عجوزا كان لها سبعة أولاد خرج كل واحد منهم في يوم من هذه الأيام
فقتله البرد . والعطب القطن والعطب مثله كسر وعسر .
قال الشاعر :

كَأَنَّهُ فِي ذُرَى عَمَائِهِمْ مُوَضَّعٌ مِنْ مَنَادِفِ الْمُطْبِ
يقول : خيلك تعدو فوق جبال هذه القلعة وقد امتلأت طرقها بالثلج الذى كأنه
قطن ندفه فيها برد الشتاء وصقيعه .

(٢) أن يعجب فاعل كنى وعجبا تميز وتبا : أى خسرا وهلاكاً . يقول : من العجب

(١) السكع شدة المر ، يقال كسعه بكذا وكذا إذا جله تابجاً له ومذهبا به والسهلة
العجوز . والنجر : الحر . وكل شهر في صميم الحر ناجر للعطش الذى يسببه
(١٣ — انتهى ١)

وَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ وَبَيْنَهُ إِذَا حَذَرَ اللَّحْدُورَ وَاسْتَنْصَبَ الصَّغْبَا^(١)
لَأَمْرٍ أَعَدَّتْهُ الْخِلَافَةُ لِلْعِدَا وَنَمَّتْهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمِ الْعَضْبَا^(٢)
وَلَمْ تَتَفَرَّقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً وَلَمْ يَتْرِكِ الشَّامُ الْأَعَادِي لَهُ حُبًّا^(٣)
وَلَكِنْ تَقَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمُ الثَّنَا مَا سُبَّ قَطُّ وَلَا سَبًّا^(٤)
وَجَيْشٌ يُنْقَى كُلُّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ خَرِيقُ رِيَّاحٍ وَاجَهَتْ غُصْنَا رَطْبًا^(٥)

أن يجب الناس عن بني هذه القلعة وتباً لأرائهم حين لم يدركوا أنه بقدر طي كل ما يقصد إليه فكيف يتعجبون من قادر يبلغ ما يريد ؟

(١) يقول : وأى فرق بينه وبين غيره وأية مزية يمتاز بها عما سواه إذا كان يخشى ما يخشاه غيره أو كان ممن يستصعب الصعب ؟ إنما ينفصل عن الأغيار ويفضلهم لأنه لا يخشى شيئاً ولا يتصعب عليه أمر مهما كان .

(٢) الصارم العضب : السيف القاطع يقول : إن الخلافة ماعدته لأعدائها وسمته سيف الدولة دون غيره إلا لأمر عظيم ، وذلك أنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغاً لم يبلغه أحد .

(٣) يقول : إن أعداءه لم يخيموا عن لقائه وانهزموا أمامه رحمة له وإشفاقاً ولم يجلوا عن الشام حجة له ورغباً ولكنهم فعلوا ذلك فرقا وفزعا وهذا المعنى كقول مروان بن أبي حفصة :

وما أحجم الأعداء عَنْكَ بَقِيَّةً عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْعَمًا
(٤) قوله غير كريمة حال أى نفي هذه الأسنة عنه في حال كونها غير كريمة كريم انثناء الخ والمراد نفي أصحابها يقول : لم تتفرق عنه أعداؤه ولا تركوا الشام حباله وإنما تقام عن الشام أذلاء صاغرين أنه رجل كريم انثناء ماسبه أحد لأنه لا يفعل ما ياسب عليه ولا سب أحداً لأدبه وكرمه . وانثناء ممدود ولكنه قصره هنا ضرورة اسم من أنفى عليه إذا وصفه بخير أو شر ولكنه غلب في الملح ويروى الثنا وهو قريب من الثنا وقوله كريم الثنا تجريد على إضمار محذوف أى تقاهها منه رجل كريم الثنا الخ .

(٥) قوله وجيش عطف على كريم الثنا . والطود الجبل العظيم والحريق الريح الشديدة كأنها الإعصار يقول : وتقاهها عنه جيش إذا مر بجبل كان لكثرة كآنه جبل

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُفَارَهُ فَمَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجَبًا^(١)
فَمَنْ كَانَ يُرْضَى اللُّؤْمُ وَالْكَفَرُ مُلْكُهُ
فَهَذَا الَّذِي يُرْضَى الْمَكَارِمَ وَالرَّبَا^(٢)

آخر قصار به الجبل جبلين وهذا معنى قوله : يثني كل طود ، ثم قال : وهو مع هذه
لكثرة والسكناة إذا لاقى عدواً كان لشدة كآته عاصف من الريح لقي غصنا رطباً
فصعب به وحطمه وعجاجة السراج أن هذا الجيش إذا مر بجبل شقه نصفين لكثرت
له صلصلة تسمع كالريح الحريق إذا مرت بنصف رطب قال الشاعر :

كَأَنَّ هُبُوبَهَا خَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيقٍ بَيْنَ أَعْلَامٍ طَوَالٍ

وهذه العبارة من النصوص بحيث تحتاج هي الأخرى إلى شرح . . .

(١) مفاراه أى إغاراته والعجاجة الغبار يقول : إن غبار هذا الجيش حجب السماء
حتى لم تبد النجوم فكان النجوم خافت إغاراته عليها فاحتجبت عنه بذلك الغبار حتى
لا يراها ، وقد أخذ هذا المعنى الجبل الحيمس يعنى فقال :

نَفَى وَاضِحَ التَّشْرِيقِ عَنْ أَرْضِ رَبِيهِ دُخَانُ قُدُورٍ أَوْ عَجَاجَةٍ مُصَدِّمٍ^(١)

(٢) يقول : إذا كان هناك من الملوك من يرضى اللؤم والكفر بأن ينزل على
حكمها ويحل ما يقتضيه فهذا يرضى المكلام بعبوده ومخائنه ويرضى الله بجهاده
في سبيله . وقال الشريف بن العجوى في أماليه : الإشارة في قوله فهذا إلى الملك لا إلى
المدوح لأمرين : أحدهما أنه لو أراد المدوح لقال فَأَتِىَ الَّذِي تَرْضَى لِأَنَ الْخَطَابِ
في مثل هذا أمدح والآخر أنه أشار إلى الملك فجعل الإرضاء له لأن الإرضاء الأول مسند
إلى الملك فوجب أن يكون الإرضاء الثانى كذلك لأن وجه الإشارة إليه أن قوله ملكه
قد دل عليه كما توجهت الإشارة في الضمير إلى الصبر من قوله تعالى « ولئن صبر وغفر
إن ذلك » لدلالة صبر عليه وكما عاد الضمير إلى الملك من قول القطامي :

مِ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ مِ وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولَى

(١) رجل مصدم : محرب . من التصادم

وقال فيما كان يجري بينهما من معاتبة مستعجلاً (*) :

قال: وكان الوجه لأبي الطيب أن يقول في المقابلة يرضى المكارم والإيمان ليقابل بالإيمان الكفر كما قابل بالمكارم اللؤم ولكن لما اضطرت القافية وضع لفظ الرب موضع الإيمان فكان ذلك في غاية الحسن لأن المراد في الحقيقة إرضاء أهله وإرضاء أهله تابع لإرضاء الله تعالى.

(*) مستعجلاً : مستعجلاً . قال الواحدى : لما انصرف أبو الطيب من مجلس سيف الدولة وقف له رجاله في طريقه ليخاطبوه فلما رآهم أبو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم سل سيفه وجاءهم حتى اخترقهم فلم يقدموا عليه ونعى ذلك إلى أبي العتاش فأرسل عشرة من خاصته فوقفوا ياب سيف الدولة وجاء رسوله إلى أبي الطيب فسار إليه حتى قرب منهم فضرب أحدهم يده إلى عنان فرسه فسل أبو الطيب السيف فوثب الرجل أمامه وتقدمت فرسه الحيل وعبرت قطرة كانت بين يديه واجتمعهم إلى الصحراء فأصاب أحدهم نحر فرسه بسهم فانتزع أبو الطيب السهم ورمى به واستقلت الفرس وتباعد بهم ليقطعهم عن إمداد إن كان لهم ثم كر عليهم بعد أن فنى النشاب فضرب أحدهم قطع الوتر وبعض القوس وأسرع السيف إلى ذراعه فوقفوا عنه واشتغلوا بالضروب فسار وتركهم فلما يشعروا منه قال له أحدهم في آخر الليلة نحن غلمان أبي العتاش ولذلك قال : ومتسبب عندي إلى من أحبه . . ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة في الليلة الثانية مستخفياً فأقام عند صديق له والمراسلة بينه وبين سيف الدولة وسيف الدولة ينكر أن يكون قد فعل ذلك أو أمر به وعند ذلك قال هذه الآيات وجاء في الصبح النبي ما يأتي : قال أبو فراس الحمداني يوماً لسيف الدولة : ان هذا المتشدد — يعنى للتنبى — كثير الإدلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ، فتأمر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه وكان التنبى غائباً وبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وأنشده :

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً فداء الورى أمضى السيوف مضارباً

الآيات — قال : فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته — فخرج للتنبى من عنده متعيراً وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في الوقعة في حق للتنبى واقطع أبو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي أولها

• • • • •
* وَاَحَرَّ قَلْبَاهُ مِنْ قَلْبِهِ شَبِيحًا *

ثم جاء وأنشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه بقوله :

مَالِي أَكْتَمَ حَبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدْعَى حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمِّ

إِلَى أَنْ قَالَ :

قَدْ زَرْتَهُ وَسَيْوْفَ الْهِنْدِ مَغْمَدَةً وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسَّيْوْفَ دَمَ
فَهْمِ جَمَاعَةٍ بَقَلَهُ فِي حَضْرَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ لَشْدَةً إِدْلَالَهُ وَإِعْرَاضِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ عَنْهُ
فَلَمَّا وَصَلَ فِي إِنْشَادِهِ إِلَى قَوْلِهِ :

يَا أَعْدِلْ النَّاسَ إِلَّا فِي مَعَامِلَتِي فَيْكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ

قَالَ أَبُو فِرَاسٍ قَدْ مَسَخَتْ قَوْلَ دَعْبِلٍ وَادْعِيَّتِهِ وَهُوَ :

وَلَسْتُ أَرْجُو اتِّصَافًا مِنْكَ مَا ذَرَفْتُ عَيْنِي دُمُوعًا وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ

فَقَالَ الْمُتَنَبِّي :

أَعْيِذُهَا نَظَرَاتِ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فَيَمِينَ شَحْمَهُ وَرَمَ
فَعَلِمَ أَبُو فِرَاسٍ أَنَّهُ يَعْنِيهِ فَقَالَ وَمَنْ أَنْتَ يَا دَعْبِلُ كُنْدَةً حَتَّى تَأْخُذَ أَعْرَاضَ أَهْلِ الْأُمِّيرِ
فِي مَجْلِسِهِ ؟ فَاسْتَمَرَ الْمُتَنَبِّي فِي إِنْشَادِهِ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ قَالَ :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسَنَا بِأَنْتَى خَيْرٍ مِنْ تَسْمَى بِهِ قَدَمُ

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعْتُ كَلَامِي مِنْ بِهِ صَمَمُ

فَزَادَ ذَلِكَ أَبُو فِرَاسٍ غَيْظًا وَقَالَ قَدْ سَرَقْتَ هَذَا مِنْ عَمْرُو بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الْعَبْدِ

حَيْثُ يَقُولُ :

أَوْضَحْتَ مِنْ طَرَقِ الْأَدَابِ مَا اشْتَكَلَتْ دَهْرًا وَأَعْظَمْتَ إِغْرَابًا وَإِبْدَاعًا

حَتَّى فَتَحْتَ بِأَعْجَازٍ خَصَصْتَ بِهِ لِلْعَمَى وَالْعَمِّ أَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا

وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

الْخِيلَ وَاللَّيْلَ وَالْبِيدَاءَ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفَ وَالرَّمْحَ وَالْقُرْطَاسَ وَالْقَلَمَ

قال أبو فراس وماذا أبقيت للأمير إذا وضعت نفسك بكل هذا ؟ تمدح الأمير بما سرقتك من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير ؟ أما سرقت هذا من قول المهيم بن الأسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العباني :

أعاذلتي كم مهمسه قد قطعته أليف وحوش ساكنا غير هائب
أنا ابن الفلا والطن والضرب والشرى وجرد المذاكي والقنا والقواضب
حليم وقور في البسلاد وهيبتي لما في قلوب الناس بطش الكتاب
قال التنبي :

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم
فقال أبو فراس وهذا سرقتك من قول محفل الجبلى :

إذا لم أميز بين نور وظلمة بعينى فالعينان زور وباطل
ومثله قول محمد بن أحمد بن أبي مرة الكشي :

إذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمى والبصراء
وخبر سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها فضربه
بالدواة التي بين يديه فقال للتنبي في الحال :

إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم
قال أبو فراس وهذا أخذته من قول بشار :

إذا رضيتم بأن نجحنى وسركم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر
ومثله قول ابن الرومي :

إذا ما الفجائن أكسبنى رضاك فما الدهر بالفاجع
فلم يلتفت سيف الدولة إلى ما قال أبو فراس وأعجبه بيت التنبي ورضى عنه في الحال
وأدناه إليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أردفها بألف أخرى فقال التنبي :

جاءت دنائرك مختومة عاجلة ألفا على ألف
أشبهها فملك في فيلق قلبته صفا على صف

من القصيدة الميمية :

أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبًا فِدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبًا^(١)
وَمَا لِي إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ تَنَافًى لَا أَشْتَقُهَا وَسَبَابًا^(٢)
وَقَدْ كَانَ يُدْنِي مَجْلِسِي مِنْ سَمَائِهِ أَحَادِثُ فِيهَا بَذَرَهَا وَالْكَوَاكِبُ^(٣)
حَنَانِيكَ مَسْئُولًا وَكَبِينِكَ دَاعِيًا وَحَسْبِي مَوْهُوبًا وَحَسْبُكَ وَاهِبًا^(٤)

(١) فداه الورى : دعاء . وعاتباً حال ، وأمضى السيف خبر مبتدأ محذوف : أى هو أمضى السيف مضارباً ، أو تقول إنه منصوب على اللوح ومضارباً تميزاً ومضارب السيف حدودها . يقول : مالم سيف الدولة غضبان ؟ أى لم غضب ؟ وما سبب غضبه ؟ فلست أعرف لى ذنباً يوجب ذلك ، ثم دعاه ، ثم قال لا سيف أمضى منه مضرباً .

(٢) التنافى جمع تنوفة وهى المفاضة ، والسباب جمع سبب وهى الفلاة القفر . يقول : مالى إذا اشتقت إليه أبصرت بينى وبينه فلوأت بعيدة مترامية الأطراف من عتبه وتجافيه واستيحاشه ؟

(٣) أراد بالسماء مجلسه ، جعله كالسماء رفعة له وجعله كالبدر ومن حوله من ندمائه وأهل مجلسه كالكوكب ؛ وعبرة الخطيب التبريزى : شبه مجلسه بالسماء وجعله بدرأ وحوله كواكب ، فهو كقوله أيضاً :

أَقْلَبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَمَاءٍ وَإِنْ طَلَعْتَ كَوَاكِبَهَا خَصَالًا

(٤) حنانيك كلمة موضوعة المصدر استعملت مثناة كأنه حنان بعد حنان أى تحننا بعد تحنن ، ومثلها ليك من لب به إذا لزمه ، وحسبى وحسبك خبران مبتدأهما محذوفان : أى وأنت حسبى وأنا حسبك والنصبون كلها على الحال وقيل : على التمييز . يقول : تحنن على تحننا بعد تحنن إذا كنت مسئولا ولك الإجابة إذا كنت داعياً وكفى بى موهوباً : أى إننى أشكر من يهينى وأشيد بذكره وكفى بك واهباً ، أى : أنك أشرف الواهبين ولست أحتاج إلى واهب آخر بعد هباتك .

أَهَذَا جَزَاءُ الصَّدَقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا
 أَهَذَا جَزَاءُ الْكَذِبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا^(١)
 وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلُّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
 نَحَا الذَّنْبِ كُلِّ الْمَخْرُجِ مِنْ جَاءِ تَائِبًا^(٢)
 وقال وقد عرض على سيف الدولة سيوف مذهب وفيها سيف غير مذهب فأمر
 بإذهابه :

أَحْسَنُ مَا يُخَضَّبُ الْحَدِيدُ بِهِ وَخَاضِيَةُ النَّجِيعِ وَالْفَضْبُ^(٣)

(١) قال الواحدى : أى إن كنت صادقاً فى مديحك فليس ماتعاملنى به جزاء
 لصدقى . وإن كنت كاذباً فليس هذا جزاء الكاذبين ، لأنى إن كذبت قد تجملت لك
 فى القول فتجمل لى أنت أيضاً فى المعاملة .

(٢) يقول : إن كان ذنبى ذنباً ليس بعده ذنب فالتوبة من الذنب محو ليس بعده
 محو ؛ وهذا المعنى مأخوذ من الحديث الشريف : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(٣) الذى صرح عن التنبى : وخاضيه — على التثنية — وهو عطف على ما : أى
 وأحسن خاضيه ، والنجيع الدم . يقول : إن هناك خضابين الذهب والدم وأحسنهما
 الدم ، وهناك خضبان الصناعة والفضب — لأن خضبه بالذهب لا يكون إلا صناعة
 الصيقل ، وخضبه بالدم إنما يكون بسبب الفضب الباعث على الجلاد بالسيف — وأحسن
 الخاضبين الفضب ، وروى : وخاضيه — بكسر الباء — على أنه جمع خاضب قال ابن
 جنى : وخاضيه عطف على ما ، وجمع الخاضبين جمع تصحيح لأنه أراد من يعقل ومالا
 يعقل كقوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمضى على بطنه » الآية : كأنه
 خلط الجميع وكفى عنهم بما يكفى به عمن يعقل : وذكر الفضب مجازاً وأراد صاحبه . وقال
 ابن فورجه : خضض خاضيه على القسم أى وحق خاضيه وجعل الفضب خضاباً للحديد
 لأنه يخضبه بالدم على سبيل التوسع وحسن ذلك لأن الفضب يحمر منه الإنسان ، وهذا
 كقولك أحسن ما يخضب الحدود الحمراء والحجل لأن الحجل يصبغ الحنء الأحمر ، فلما
 كانت الحمرة تابعة للحجل جمعها تأكيذاً ؛ كذلك لما كان النجيع تابعا للفضب جمعها
 وهو يريد للدم وحده ويكون الفضب تأكيذاً للنجيع : أتى به للقافية .

فَلَا تَشِينَنَّهُ بِالنُّضَارِ فَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ^(١)

وتشكى سيف الدولة من دمل فقال فيه :

أَيَذْرَى مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ وَهَلْ تَرَقَى إِلَى الْفَلَكَ الْخُلُوبُ^(٢)
وَجِسْمُكَ فَوْقَ هَبَّةٍ كُلِّ دَاءٍ فَقُرْبُ أَقْلَهَا مِنْهُ عَجِيبُ^(٣)
يُجَمِّسُكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا وَقَدْ يُؤْذَى مِنَ اللَّقَةِ الْخَبِيبُ^(٤)
وَكَيْفَ تُمَلِّكَ الدُّنْيَا شَيْئًا وَأَنْتَ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَبِيبُ^(٥)

(١) شأنه عابه ، والنضار الذهب . يقول : لا تشنه بالأذهاب فإنه إذا أذهب — ولا يكون ذلك إلا بعد إسمائه — ذهبت سقايته أى ماؤه .

(٢) أراه : أفزعه وأوقع به شيئاً يشك في عاقبته : أخيراً يكون أم شراً ؟ يقول : هل يدرى هذا الدمل أى الناس قد ألقى ؟ وهذا استمهام تعجب واستعظام ، ثم قال متعجباً : وهل رقى خطوب الدهر وأحداثه إلى الفلك ؟ جملة كالملك لمؤ قدره ورفعة شأنه .

(٣) الضمير في أكلها يعود إلى كل داء : كما في قوله تعالى « وكل في فلك يسبحون » أو تقول إن الضمير يعود على المجموع المستفاد من المعنى : أى أكل الأدوية يقول : إن جسمك لا ينبغي أن تتألم منه الأدوية ، فمن العجب أن يقربك أكل الأدوية . وجعل للأدواء همة مجازاً .

(٤) التجميش : شبه للغازلة والللاعية بين الحبيبين ؛ قال أبو العباس ثعلب : قيل للغازلة تجميش من الجش وهو الكلام الخفى وقيل من الجش الذى هو ضرب من الحب لجشها بأطراف الأصابع ؛ واللقة : الهبة ، وأصلها ومق . يقول : إن الذى ألم بك إنما هو تجميش من الزمان لحبه إياك وتعلقه بك لأنك جماله وأمثل أهله ، وقد يكون الحب سبباً لإيذاء المحبوب .

(٥) يقول : أنت طبيب الدنيا الذى تشفى أدواءها فتقوم للمعوج وتطرد الظلم والغيث والفساد فكيف تملك وأنت طبيبها ؟

وَكَيْفَ تَتُوبُكَ الشُّكْوَى بِدَاءِ وَأَنْتَ الْمُسْتَفَاتُ لِمَا يَنْوُبُ^(١)
 مَلَيْتُ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ طِعَانٌ صَادِقٌ وَدَّ صَبِيبُ^(٢)
 وَأَنْتَ الْمَلَكُ تُمْرِضُهُ الْحَشَايَا لِهِمَّتِهِ وَتَشْفِيهِ الْحُرُوبُ^(٣)
 وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا وَعَثِيرُهَا لِأَرْجُلِهَا جَنِيبُ^(٤)
 مُجَلِّعَةٌ لَهَا أَرْضُ الْأَعَادِي وَلِلشُّمْرِ الْمُنَاحِرُ وَالْجَنُوبُ^(٥)

(١) يقول : وكيف تلم بك الشكوى وبك يستفاد مما ينوب من نوائب الدهر فتفيث وترفع الشكوى ؟

(٢) و (٣) مقام : مصدر ميمي بمعنى الإقامة ، يفتح ويضم . وصيب : مصبوب ويقال ماء صيب وصب كما تقول ماء سكب وماء غور ، قال دكين بن رجاء :

تَنْضَحُ ذِفْرَاهُ بِمَاءِ صَبٍّ مِثْلِ الْكُحَيْلِ أَوْ عَقِيدِ الرَّبِّ^(١)
 والحشاياء جمع حشية معدولة عن المحشوة وهى الفرش المحشوة . يقول : لقد اعتدت الطعان والجلاد وسفك دم الأعداء ولبعد همتك لا ترى شفاء لك إلا فى ممارسة الحروب ولا آلم ولا أجلب للأدواء من الجلوس على الفرش المحشوة أو النوم عليها ومن أجل ذلك تمل الإقامة يوماً واحداً لا تخرج فيه للغزو ولا يكون فيه طعن صادق ودم مصبوب .

(٤) الضمير فى تراها للخيول وإن لم يحرها ذكر لتقدم ما يدل عليها ؛ والعشير مثال درهم الغبار ، والجنيب الذى تقوده إلى جنبك . يقول : ما بك مرض غير نزاعك إلى ملاقاته العدو بخيل يتبع الغبار قوائمه كأنه جنب تقوده ، أى أنك انقطعت عن ذلك فنال منك حبه كما ينال الحب من العاشق إذا انقطع عن رؤية معشوقه .

(٥) مجلعة حال ثانية للخيول والحال الأولى جملة وعثيرها لأرجلها جنب ، ومجلعة

(١) الذفرى الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن وهما ذفران والكحيل النفط الذى تطلى به الإبل الجرباء ، ورب السمن والزيت : ثقله الأسود ، وعقيدته ما غلظ منه .

قَرَّطَهَا الْأَعْنَةَ رَاجِعَاتٍ فَإِنَّ بَعِيدَ مَا طَلَبْتَ قَرِيبٌ^(١)
أَذَا دَلَّهُ هَذَا بَقَرَاطُ عَنْهُ فَلَمْ يُعْرِفْ لِصَاحِبِهِ ضَرْبٌ^(٢)
يَسْتَفِ الدَّوْلَةَ الْوُضَاءُ تُمْنِي جُفُونِي تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَنْيِبُ^(٣)

مصممة ماضية شديدة الأقدام ؛ و يروى محجلة ، و على هاتين الروايتين يكون لها خبرا مقدما عما بعده ؛ و روى الخوارزمي محجلة أى قد أحلت لها أرض العدو فهى تطؤها ؛ و البحر الرماح ؛ و للناحر جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق ؛ و الجنوب جمع جنب وهو ما يلى الإبط إلى الكشح . يقول : وما بك مرض غير أن ترى الحبل على تلك الحال وأن تراها مصممة ماضية أحلت لها أرض الأعدى تطؤها و تحتاحها و أحلت للرماح حناجرهم و جنوبهم تنفذ فيها .

(١) الأعنة جمع عنان سير اللجام ، و قرط الفارس عنان فرسه أرخاه حتى يجعله فى قذاله للحضر^(١) فيصير لأذنه بمنزلة القرط يقول : أرخ لها الأعنة لترجع إلى بلاد الأعدى فإنها لا تبعد عليها إذا طلبتها ل سرعتها .

(٢) الهزمة للاستفهام المحض أو للتقرير ، و ذا اسم إشارة ، و هفا زل . و الضرب النظير ، و بقرط الطبيب اليونانى المشهور . يقول : أهذا الداء — داء ولوعه بالحرب إلى حد أن فيها شفاء وأنه لو قد غلب عليها يوما فخير ومرض — أهذا داء مضل لم يهتد إليه بقرط و ليس لصاحبه نظير لأنه لا يعرف أحد يمرض لترك الحرب ، و يروى إذا داء على أن إذا أداة شرط و داء فاعل لفعل محذوف يؤخذ من لازم ما بعده أى إذا خفى داء أو إذا أعزل داء و نحو ذلك ؛ و قوله فلم يعرف جواب إذا . و الفاء زائدة على مذهب البصريين ، فيكون الفعل بعدها مستقبلا . يقول: الداء الذى لم يذكره بقرط لا نظير لصاحبه بين الناس لأنه لو كان له نظير لسبق مثله فذكره الأطباء و يروى إذا داء — بجر داء — على أن الهزمة للنداء و ذا بمعنى صاحب : أى يا صاحب الداء الذى هذه صفته .

(٣) الوضاء ضم الواو و تشديد الضاد : الشديد الوضاءة ؛ أى الحسن من صيغ البالغة كحسان و كبار . يقول : إنه ينظر منه إلى شمس لا تنيب لأنه موجود ليل نهار بخلاف الشمس .

(١) القذال ما بين الأذنين من مؤخر الرأس ، و الحضر : الجرى .

فَاغْزُوْ مِنْ غَزَا وَبِهِ اِقْتَدَارِي وَأَرْمِي مَنْ رَمَى وَبِهِ أَصِيبُ
وَالْحُسَادِ عُدْرُ أَنْ يَشْحُوا عَلَى نَظَرِي إِلَيْهِ وَأَنْ يَذُوبُوا^(١)
فَإِنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ عَلَيْهِ تَحْسُدُ الْحَدَقَ الْقُلُوبُ^(٢)
وأحدث بنو كلاب حدثاً بنواحي بالس وسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب
معه فأدركهم بعد ليلة بين ماءين يعرفان بالفبارات والخمرات فأوقع بهم وملك
الحريم فأبقى عليه فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة - وأنشده إياها في
جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة :

بَغِيرِكَ رَاعِيًا عَيْثَ الذَّنَابُ وَغَيْرِكَ صَارِمًا ثَلَمَ الضَّرَابُ^(٣)
وَتَمَلِّكَ أَنْفَسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلَابُ^(٤)
وَمَا تَرَكَوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ يُعَافُ الْوَرْدُ وَالْمَوْتُ الشَّرَابُ^(٥)

(١) أن يشحوا أى فى أن يشحوا : أى أنى أعذر الحساد فى شحمهم ؛ أى بخلمهم
بالنظر إليه .

(٢) يقول : إن القلوب تحسد العيون على نظر المدح فإذا حسده على ذلك أحد
فهو معذور .

(٣) راعيا وصارما منصوبان على التمييز ، وأصل العبث اللعب ، ويقال عبث به إذا
ابتذله واستباح حرمة ، والصارم السيف القاطع ، والضراب بمعنى المضاربة ؛ شبه
بالراعى وشبه هؤلاء الثأثرين بالذئاب . يقول : إن الذئاب تعبت بغيرك فى حال رعيه
وسياسته وبلم الضراب غيرك فى حال قطعه : أى إذا كنت أنت الراعى لم تعبت الذئاب
بسوامك وإذا كنت أنت الصارم لم يهلك الضرب ؛ والمعنى إذا كنت أنت الحافظ لرعيك
لم يحم حولهم أحد بما يضرهم خوفا منك .

(٤) طرأ أى جميعا نصب على الحال . يقول : أنت تملك أنفوس الإنس والجن جميعا
فكيف يكون لهذه القبيلة — قبيلة بنى كلاب — أن تملك أنفسها ؟

(٥) معصية نصب على أنه حال أو مفعول لأجله ، ويعاف يمقت ويتحاشى ، والورد
ورود الماء والواو فى قوله والموت الشراب : للحال . يعتذر لهم يقول : إنما تركوك

طَلَبْتَهُمْ عَلَى الْأَمْوَاءِ حَتَّى تَخَوْفَ أَنْ تُفَنِّشَهُ السَّحَابُ^(١)
 فَبِتْ لَيَالِيَا لَا نَوْمَ فِيهَا تَحْبُ بِكَ الْمُسَوِّمَةُ الْعِرَابُ^(٢)
 يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ^(٣)
 وَتَسْأَلُ عَنْهُمْ الْفَلَوَاتِ حَتَّى أَجَابَكَ بِمَعْضُهَا وَهُمْ الْجَوَابُ^(٤)
 فَاتَّلَ عَنْ حَرِيمِهِمْ وَفَرَّوْا نَدَى كَفَيْكَ وَالنَّسْبُ الْقُرَابُ^(٥)

وانهزموا حين طلبتهم خوفا منك لا عصيانا وعمردا عليك لأنهم إذا ثبتوا أوردوا أنفسهم موارد التلف والهلاك .

(١) يقول : تقيت أمواه البادية في طلبهم حتى خشي السحاب أن تفتشه تطلبهم لديه لما فيه من الماء .

(٢) خب الفرس أسرع ؟ وقيل : الحجب أن يتقل الفرس أيامه جميعاً وأياسره جميعاً وقيل هو أن يراوح بين يديه ورجليه وكذلك البعير ؛ والمُسَوِّمَةُ الخيل المعلقة بعلامات تعرف بها : وقال أبو زيد في قوله تعالى « والخيال المسومة » : الخيل المسومة ، المرسله وعليها ركبتها وهو من قولك سومت فلاناً إذا خلطته وسومه ، أى وما يريد والعرب العريية . يقول تعدو بك الخيل العريية المعلقة في طلبهم لاتعرف النوم .

(٣) العقاب طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوى الخالب له منقار أعقف . شبهه - وهو في قلب الجيش والجيش حوله يضطرب للسير - بقاب تهز جناحها وتحركهما لدى طيرانها .

(٤) الفلوات الصحاوى ، جعل طلبه إلام في الفلوات كالسؤال عنهم وجعل الظفر بهم كالجواب وليس ثم سؤال ولا جواب . وإنما لاستعارة رائمة . يقول : ما زلت تتبع آثارهم في الفلوات حتى أدركتهم في إحداها .

(٥) ندى كفيك فاعل قاتل ، والواو من وفروا للحال : أى والحال أنهم قد فروا وأصل الحرم ما يحمله الرجل ويذود عنه ؛ والمراد هنا النساء ، والقرباب القريب . يقول : إنهم فروا أمامك وهربوا وظفرت بحريمهم فما كان منك إلا أن أحسنت إلى الحرم وحات دون سبيه وصنته فكان جود كفيك والنسب القريب الذى بينك وبينهم قاتلا دون حريمهم .

وَحَفِظْتُكَ فِيهِمْ سَلَفِي مَعَدَّةً وَأَنْتَهُمُ الْعَشَائِرُ وَالصَّحَابُ^(١)
 تُكَفِّفُ عَنْهُمْ صُمَّ الْعَوَالِي وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُهُنِهِمُ الشَّعَابُ^(٢)
 وَأَسْقَطْتَ الْأُجْنَةَ فِي الْوَلَايَا وَأَجْهَضْتَ الْحَوَائِلُ وَالسَّقَابُ^(٣)
 وَعَمَرُوا فِي مَيَّامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكَعَبُ فِي مَيَّاسِرِهِمْ كِعَابُ^(٤)

(١) يقول : وقاتل عنهم حفظك فيهم سافى معد — يريد ربيعة ومضر لأن سيف الدولة ينتهي إلى ربيعة لأنه من تطلب وبنو كلاب يتنهبون إلى مضر لأنهم من قبيل ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان — وأنهم عشائرهم وأنهم أصعابك .

(٢) تكفكف تكف ، والصم الصلاب ، والعوالي صدور الرملح ، وشرقت غصت والظعن جمع ظئنة وهي المرأة ما دامت في الهودج ثم كثر حتى قيل للمرأة ظئنة وإن لم تكن في هودج . والشعاب جمع شعب وهو الطريق في الجبل . يقول : إنك تكف عنهم الرماح إشفاقا عليهم وقد فروا وغصت بظعناتهم شعاب الجبال .

(٣) الأجنة جمع جنين وهو الولد في بطن أمه ، والولاياء جمع ولية وهي شبه البرذعة تحمل على سنام البعير أو كساء يحمل تحت البرذعة وقيل كل ما ولي ظهر البعير من كساء أو غيره فهو ولية ، وأجهضت أسقطت والحوائل جمع حائل : الأنثى من أولاد الإبل ؛ والسقاب جمع سقب الذكر منها . يقول : لشدة فزعهم والهول الذي ألم بهم أجهضت النساء في البراذع : أي على ظهور الإبل وأسقطت نوقهم أولادها ذكورا وإناثا .

(٤) عمرو قبيلة منهم ذهب ذات اليمين وتفرقت فصارت عمورا وكعب ذهبت ذات اليسار وتفرقت فصارت كعابا . يريد أنهم لما انهزموا تفرقوا فصارت عمورا وعمورا وكذلك كعباً ؛ وفي هذا المعنى يقول كعب بن مالك :

رَأَيْتُ الشَّعْبَ مِنْ كَعْبٍ وَكَانُوا مِنْ الشَّنَانِ قَدْ صَارُوا كَعَاباً^(١)

(١) يريد أن آراءهم تفرقت وتضادت فكان كل ذي رأى منهم قبيلة على حدته فلذلك قال صاروا كعابا .

وَقَدْ خَذَلَتْ أَبُو بَكْرٍ بَيْنَهَا وَخَاذَلَهَا قُرَيْظُ وَالضَّبَابُ^(١)
إِذَا مَا سِرَتْ فِي آثَارِ قَوْمٍ تَخَاذَلَتْ الْجَمَاجِمُ وَالرَّقَابُ^(٢)
فَمَدَّنَ كَمَا أَخَذَنَ مُصَكَّرَاتٍ عَلَيْهِنَّ الْقَسَالِيدُ وَالْمَلَابُ^(٣)

(١) هؤلاء بطون بني كلاب ، وأنت أبا بكر على معنى القبيلة أو للعشيرة . يقول :
إنهم لما اتهموا خذل بعضهم بعضا لتشاغلهم بأرواحهم .
(٢) قال ابن جني : التخاذل التأخر ، وإذا تأخرت الجمجمة والرقبة تأخر الإنسان :
أى لما سرت وراءهم تأخرت رموسهم لإدراكك إياهم وإن كانت في الواقع قد أسرع
واستبعد العروضي هذا للمعنى قال : تخاذل الجماجم والرقاب هو أن يضربها بالسيف
فيقطعها ويفصل بينهما فتساقط فكأن كل واحد منهما خذل صاحبه . وقال الواحدى :
الذى أراه غير هذا ، يقول : إن الرءوس تتبرأ من الأعناق والأعناق تتبرأ منها خوفاً
منك فلا يبق بينهما تعاون . وهذا المعنى أراه الخوارزمي فقال :

وكنيت إذا نهدت لفزو قوم وأوجبت السياسة أن يبيدوا
تبرأت الحياة إليك منهم وجاء إليك يعتذر الحديد
وطلقت الجماجم كل نخذ وأنكر صحبة العنق الوريد

وعبارة بعض الشراح إذا نوت رقابهم الثبات نوت جماجمهم التأخر لشدة خوفها من
سيفك وكذلك عند المكس فيكاد كل فريق منهما يطلب صبيغ الفرار بنفسه ويترك الآخر .
(٣) للملاب : ضرب من الطيب ، فارسي معرب . قال الجوهري : كالخلوق ، قال
جرير يهجو نساء بني تميم :

ولو وَطِئَتْ نِسَاءُ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى تَبْرَاكِ أَخْبَثْنَ التَّرَابَا
تَطَلَّى وَهِيَ سَيِّئَةُ الْمَرْءِ بِضْنِ الْوَبْرِ تَحَسَّبُهُ مَلَابَا^(١)

يقول : لما ظفرت ببني كلاب أخذت نساءهم إلى أما كنهن مكرمات مصونات من
من الابتذال ، عليهن قلائدهن وطيهن لم يضع منهن شيء فالضمير في عدن وما بعده

(١) تبراك : ماء لبني العنبر ، والصن بالكسر : بول الوبير ينثر للأقوية وهو
متن جداً .

يُثَبِّتَكَ بِالَّذِي أُوتِيتَ شُكْرًا وَأَيُّنَ مِنَ الَّذِي تُؤَلِّي الثَّوَابَ^(١)
وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ شَيْئًا وَلَا فِي صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابٌ^(٢)
وَلَا فِي قَدْحِهِنَّ بَنِي كِلَابٍ إِذَا أَبْصَرْنَ غُرَّتَكَ أَغْتَرَابٌ^(٣)
وَكَيْفَ يَتِمُّ بِأُسْكَ فِي أَنَاسٍ تُصَيِّبُهُمْ قِيَوْمُكَ الْمَصَابِ^(٤)

يعود على النساء وإن يجر لهن ذكر اعتمادا على ما ذكر في البيت : فقاتل عن حريمهم وفروا . . . البيت .

(١) أثابه كافاه ، وأوليت أنعمت . يقول : إنهن يشكرن لك ما أوليتهن من الإحسان ولكن إحسانك أعظم وأجل من أن يكافأ .

(٢) يقول : ليس في مصيرهن إليك وصونهن لديك أى عيب لأنهن يكرامن إياهن كأنهن عند أهلهن وأزواجهن .

(٣) القرة الوجه . يقول : لا غربة عليهن إذا رأيتك ؛ إذ لا فرق بينك وبين أزواجهن وأقاربهن .

(٤) البأس الشدة ؛ والمصاب مصدر ميمي بمعنى الإصابة . يقول لا يتم فيهم بأسك وشدتك لأنك حين تصيبهم بمكروه ينال ذلك منك فإصابتك إياهم كأنك تصيب نفسك وهذا المعنى قديم تعاوره الشعراء كثيرا : قال قيس ابن زهير العبي :

فإن ألك قد بردتُ بهم غليلي فلم أقطع بهم إلا بناني
وقال الحماسي — الحارث بن ولة الجرمي — :

قومي هم قتلوا أميم * أخي فإذا رميتُ يصيبني سَهْمِي
ولئن عفوتُ لأعفونَ جَلَلًا ولئن سطوت لأوهنَ عظمي^(١)
وقال المديل :

وإني وإن عاديتهم أوجفوتهم لتألم مما عل أ كبادهم كبدي
وقال النيمري :

فإنك — حين تبلغهم أذاة وإن ظلموا — لمحترق الضمير

(١) أميم : مرخم أميمة ، وهو منادى وأخى مفعول قتلوا .

تَرْفُقْ أَيُّهَا اللَّوِيُّ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ^(١)
وَلَا يَنْهَمُ عَيْدُكَ حَيْثُ كَانُوا إِذَا تَدْعُو لِجَادِئَةٍ أَجَابُوا^(٢)
وَعَيْنُ الْمَخْطِئِينَ هُمْ وَلَيْسُوا بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطِئُوا فَتَابُوا^(٣)

(١) يقول : ارفق بهم وإن جنوا فإن من رفق بمن جنى عليه كان ذلك الرفق عتاباً لأن الصفع عن الجاني يحمله عبداً لك * وما قتل الأحرار كالغفو عنهم *
(٢) و (٣) الخطأ والخطاء ضد الصواب ، تقول أخطأ بخطيء إذا سلك سبيل الخطأ ؛ أما الخطأ بكسر الحاء فهو الذنب ؛ تقول خطأ بخطأ خطأ وخطأة كقطة ؛ والاسم الخطيئة كفعيلة ؛ ولك أن تشدد الياء لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة ، أو واو ساكنة قبلها ضمة وهما زائدتان للدلالة للألحاق ولاهما من نفس الكلمة فإنك قلبت همزة بعد الواو واوا وبعد الياء ياء وتدغم وتقول في مقروء مقروء وفي خبيء خبيء بتشديد الواو والياء ؛ وجمع الخطيئة خطايا . وكأن الأصل خطائي بهمزة على فاعل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياء لأن قبلها كسرة واستقلت والجمع ثقيل وهو مع ذلك معتل فقلبت الياء ألفاً ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لخفاؤها بين الألفين . وقال أبو عبيدة : خطيء وأخطأ بمعنى واحد ، وهما لفتان ؛ قال امرؤ القيس :

يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِذْ خَطَيْنَ كَاهِلًا الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحَلَّاحِلًا^(١)

وقال غيره : الخطيء من أراد الصواب فصار إلى غيره والخطيء من تمعدلما لا ينبغي وتخطأه وتخطأه أي أخطأه ؛ قال أوفى بن مطر المازني :

أَلَا أُبَلِّغُ خَلْقِي جَابِراً بَأَنَّ خَلِيلَكَ لَمْ يُقْتَلْ^(٢)
تَخَطَّاتِ النَّبْلُ أَحْشَاءُهُ وَأَخَّرَ يَوْمِي فَلَمْ يَعْجَلْ

(١) خطئن أي أخطآن ، يريد الخيل وإن لم يجر لها ذكر على حد قوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » وهند هذه امرأة أبيه لم تلد لأبيه حبر شيئا ، خلف عليها امرأ القيس وخرج في طلب بني كاهل فأوقع بحمي من بني كنانة وهو يظن أنهم من كاهل ، وكاهل بطن من بني أسد ، والحلال السيد في عشيرته الشجاع الضخم المروءة .
(٢) الحلقة الصديق ، الذكر والأنثى والواحد والجمع في ذلك سواء .

(١٤ - المتبى ١)

وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ وَهَجَرُ حَيَاتِهِمْ لَكُمُ عِقَابٌ^(١)
 وَمَا جَهِلْتَ أَيَادِيكَ الْبَوَادِي وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ^(٢)
 وَصَكَمَ ذَنْبٌ مَوْلَدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بَعْدَ مَوْلَدِهِ اقْتِرَابُ^(٣)
 وَجُزْمٌ جَرَّةٌ سُفْهَاءُ قَوْمٍ وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ^(٤)

يقول : إن كانوا عخطين فليسوا أول من أذنب وقد تابوا والتوبة تجب « تقطع »
 ما قبلها وهم عبيدك حيث كانوا إذا دعوتهم للموت أجابوك . يعتذر عنهم إلى سيف الدولة .
 (١) يقول : أنت الذي بك بقاءهم فإذا غضبت عليهم وهجرتهم فقد هجرتهم الحياة
 ولا عتاب أكثر من هجر الحياة .

(٢) أيديك نعمك والبوادي خلاف المدن ؛ يريد أهل البوادي ، والبوادي : فاعل
 جهلت ؛ وأيديك مفعوله ، وقال العكبري : سألت شيخنا أبا محمد عبد النعم النحوي
 عند قراءته عليه عن هذا البيت وقلت له يجوز أن يكون البوادي نعتاً للأيادي والبوادي
 في نصف البيت ، فكأنه عن الوقف وهو موضع وقف ، كقولك أجب الداعي ؛
 وقد يوقف على قوله تعالى « يومئذ يقيمون الداعي » بالسكون ، ويكون فاعل جهلت
 مضمرّاً فيها . فقال لي : أنت مقرأ وقد قست ، ومع هذا أنت حفي^(١) ، فصوب
 ما قلت ؛ ويكون البوادي على هذا : السابقات التي بدت إليهم . يقول : إنهم لم يحفلوا
 بصيانتك سوابق نعمك ، ولكن قد يغني الصواب على المرء فيأتي غيره .

(٣) يقول : قد يتولد الذنب من الدلال فيأتي المدل بالذنب يظنه دلالاً ، وقد يكون
 البعد سببه القرب . يعتذر عنهم : أي أنهم أدلوا عليك لفرط إحسانك إليهم فأتوا في ذلك
 بما صار ذنباً وجناية منهم .

(٤) الجرم : الذنب ؛ والسفه : خفة الحلم أو تقيضه . يقول : وكم جرم جناه سفه
 فزل العذاب بغيره ؟ وهذا المعنى قد طرقة الشعراء كثيراً قال :

رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَجْنِيهَا رِجَالٌ وَيَصْنَلِي حَرَّهَا قَوْمٌ بَرَاءٌ
 وقال :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به إن القى بآبن عم السوء مأخوذ

(١) لعله يريد الحق بمعنى المستقصى في السؤال .

قَانْ هَابُوا بِجُرْمِهِمْ عَلِيًّا فَقَدْ يَرْجُو عَلِيًّا مِنْ يَهَابٍ^(١)
وَأِنْ يَكْ سَيْفَ دَوْلَةٍ غَيْرِ قَيْسٍ فَمِنْهُ جُلُودُ قَيْسٍ وَالثِّيَابُ^(٢)
وَتَحْتَ رَبَابِهِ نَبَتُوا وَأَثْوَا وَفِي أَيَّامِهِ كَثُرُوا وَطَابُوا^(٣)

وقال النابغة :

وَحَمَلْتَنِي ذَنْبَ أَرْمِيهِ وَتَرَكْتُهُ كَذِي الْعُرِّ يُسْكُو غَيْرُهُ وَهُوَ رَائِعٌ^(١)
وقال البحري :

نصد حياء أن نراك بأعين جنى الذنب عاصيها فلم مطيعها
وأروع الجميع — وقه التل الأعلى — قوله جل شأنه : « واتحوا فتنة لا تصين
الدين ظلموا منكم خاصة » .

(١) علي : اسم سيف الدولة . يقول : إن خفيوه بسبب جرمهم فله رجى الفخر عنده
كما يهاب ، لأنه جواد مهيب .

(٢) يقول : إن يك سيف الدولة من تطلب لا من قيس فهو ولي نعمتهم ؛ لأن
جلودهم نبتت بإحسانه إليهم ، واكتست بما خلع عليهم من ثياب .

(٣) الرباب : غيم يضرب إلى السواد ؛ يرى كأنه دون السحاب ؛ قال عبد الرحمن
ابن حسان :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُورِينَ السَّحَابِ نَعْلُمُ تَعْلَقَ بِالْأَرْجُلِ
وَأَثْوَا : تقووا وكثروا ، من أث النبات : كثرت واتنف ، وهو أثيث ، وقال كذلك
شعر أثيث ، وامرأة أثينة : كثيرة اللحم ، ونسوة أثاث ، قال رؤبة :

وَمِنْ هَوَايَ الرَّجُلِ الْأَثَاثُ تَمِيلُهَا أَجْزَاؤُهَا الْأَوَاثُ
« الرج : جمع رباح ، وهي الثقلة السمينة ، والأواث : اللينات : فكان
الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . يقول : إنهم نشأوا في نعمته وقووا وعزوا

(٢) المر : قروح مثل القوباء ، تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل
منها مثل الماء الأصفر فتسكوى الصحاح لثلا تعديها للراض .

وَتَحْتَ لَوَائِهِ ضَرَبُوا الْأَعَادِي وَذَلَّ لَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الصَّعَابُ (١)
وَلَوْ غَيْرَ الْأَمِيرِ غَزَا كِلَابًا ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمْ ضَبَابُ (٢)
وَلَأَقَى دُونَ نَابِهِمْ طَعَانًا يُبْلَقُ عِنْدَهُ الذُّنْبُ الْغَرَابُ (٣)
وَحَيْلًا تَقْتَنِذِي رِيحَ الْوَاوِي وَيَكْنِيهَا مِنَ الْمَاءِ السَّرَابُ (٤)

بإحسانه كالنبات الذي نما بماء السحاب ، فاستعار السحاب للاخسان ، والنبات للمسحون إليه .

(١) يقول : باتمسابهم إليه وإلى خدمته تمكنوا من أعدائهم واتقاد لهم من العرب من لا يتقاد لأحد :

(٢) قال الواحدى : يذكر قوتهم وشوكتهم ، وأن غير سيف الدولة لو أتاها ظفر بهم ، وكفى بالشموس عن النساء وبالضباب عن الحمامة دونهم : لأن الضباب يستر الشمس ويحول دون النظر إليها . قال : ويجوز أن يكون هذا مثلاً معناه لو غزاهم غيره لكان له ما يشغله بما يلقى قبل الوصول إليهم وإباحة حريمهم : أى أنه كان يستقبله من قليلهم ما يمنعه من الوصول إلى الذين هم أكثر منهم ؛ فجعل الضباب مثلاً للرعاع ، والشموس مثلاً للسادة ، وقال ابن الإفليلي : يريد شمس كل يوم يقاتلهم فيه .

(٣) ولأقى : عطف على ثناه ، والثانى : جمع ثاية : كآى وآية ، وهى حجارة تجعل حول البيت يأوى إليها الراعى ليلاً ، وفيها مبارك الإبل ومرابض الغنم . يقول : لو غزاهم غيره لثناه ضباب عن شمسهم وللاقى دون وصوله إلى هذه الحجارة حرباً يكثر فيها القتل حتى يجتمع عليهم الذنوب والغراب طلباً للحوم اقتلى ، فكيف له بالوصول إلى استباحة حريمهم ؟ وقد تورك بعضهم على التنبي أن الذنوب لا يأكل إلا ما اقترسه ، بخلاف الضبع والكلب ؛ وأنشد فى ذلك :

ولكل سيدٍ معشرٍ فى قومه دُعَرٌ يَدْنُسُ عِرْضَهُ وَيُعِيبُ
لولا سواه تجزرت أوصاله عُرْجُ الضَّبَاعِ وَصَدَّ عَنْهُ الذِّيبُ
« الدعر : الحائض الذى يعيب أصحابه » .

(٤) وخيلاً : عطف على طعانا . والواوى : جمع مومة ، وهى اللقطة يقول : وكان يلقى خيلاً تعودت قطع الفاويز على غير علف وماء حتى كأن غذاءها الريح وماءها السراب لأنها هراب مضرة معودة قلة العلف والماء .

وَلَكِنْ رَبُّهُمْ أَسْرَى إِلَيْهِمْ فَمَا نَفَعَ الْوُقُوفُ وَلَا الذَّهَابُ^(١)
وَلَا آسَلُ أَجَنٍّ وَلَا نَهَارٌ وَلَا خَيْلٌ حَمَلَنَ وَلَا رِكَابٌ^(٢)
رَمَيْتَهُمْ بِبَحْرِ مِنْ حَدِيدٍ لَهُ فِي الْبَرِّ خَلْفَهُمْ عُبَابٌ^(٣)
فَسَّاهُمْ وَبُسَطَهُمْ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسَطَهُمْ تُرَابٌ^(٤)
وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاقَةٌ كَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِصَابٌ^(٥)
بَنُو قَتْلَى أَيْكَ بِأَرْضٍ نَجْدٍ وَمَنْ أَتْبَقَى وَأَبْقَتْهُ الْحِرَابُ^(٦)
عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صِفَارًا وَفِي أَعْنَاقِ أَكْثَرِهِمْ سِخَابٌ^(٧)

(١) رب كل شيء : مالكة ، ويقال أسرى إذا سار ليلا ، وسرى إذا سار نهراً وقيل هما لفتان تستعملان بمعنى واحد . يقول : إنك سرت إليهم فما نفعم الوقوف في ديارهم للذود والدفاع ، ولا الذهب للهرب ، لأنهم إن وقفوا قتلوا ، وإن هربوا أدركوا .

(٢) الركاب : الإبل . يقول : ولم ينفعهم ليل يسترون تحته ، ولا نهار يكاشفونك فيه ، ولا خيل وإبل تحملهم للهرب ، فهم لميتك تلددوا حائرين حين طلبتهم فلم ينج بهم شيء من ذلك .

(٣) العباب : معظم الماء وكثرته ، جل جيشه بجزأ من حديد لكثرة لابسى الحديد فيه . ثم جعلهم يموجون خلفهم في سيرهم ، فكأنهم بحر يمد عبابه وراءهم .
(٤) يقول : طردهم ليلاً وهم يفترون الحرير آمنون فيبتهم وقتلهم حتى جدلوا على على الأرض وأصبحوا وفرشهم التراب بعد الحرير ؛ وقال للمرى : يريد نهبهم فلم يترك لهم شيئاً يقدون عليه سوى التراب .

(٥) يقول : وصار الرجال كالنساء ، ذلاً واستخذاءً واثقياداً .

(٦) بنو : خبر مبتدأ محذوف : أي هم بنو قتلَى أَيْكَ ؛ ومن أتقى : عطف عليه ، وفاعل أتقى : ضمير يعود على أَيْكَ : يشير إلى ما كان من أبى الهيجاء والد سيف الدولة مع بنى كلاب ، وذلك أنه لما هم بالحج كان أوقع بهم في أرض نجد وقتك بهم . فهو لاء هم أبناء أولئك وبقيتهم .

(٧) السخاب : قلادة من قرنفل ونحوه ليس فيها من الجوهر شيء يلبسها الصبيان ،

وَكُلُّكُمْ أُنَى مَا نَى أَبِيهِ فَعَلَّ كَلِّكُمْ عَجَابٌ (١)
كَذَا فَلَيْسَ مِنْ طَلَبِ الْأَعَادَى وَمِثْلُ سُرَاكَ فَلَيْكُنِ الطَّلَابُ (٢)

وجمعها سخب . يقول : إن أباك قتل آباءهم وعفا عن الأبناء فأعتقهم وهم صغار يلبسون السخاب فاشوا عتقا سيغه .

(١) يقول : كلا كما فعل فعل أبيه ، فهم تقيوا آباءهم في التمرد والعصيان وأنت أخذت أخذ أبيك في النفر والفران ؛ ففعلهم حين عصوك عجيب ، إذ لم يجتروا بآبائهم ؛ وفعلك أيضاً عجيب إذ صفت عنهم وأجيت على باقيهم وأنى ما نى فلان أى فعل فعله وأخذ إخذه ، والفعال — بفتح الفاء — فعل الواحد خاصة في الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعال ، وفلان لثيم الفعال ، ولك أن تكسر الفاء على أنه جمع فعل .

(٢) يقول : مثل هذا الفعل فليعمل من يطلب الأعادى ، وليكن طلابه مثل هذا السرى الذى سرت حتى بلغت مرادك ، فقوله كذا فى موضع نصب بقوله فليسر ، والفاء إنما تعطف أو تكون جواباً . فإذا تقدم المفعول أو الخبر جاءوا بها ليحلوا أن الخبر وضع فى غير موضعه ، وبض الكوفيين تأول أخاك فاضرب : أنه منصوب بفعل مضمر تقديره أقصد أخاك فاضرب ، وهذا يحسن فى المفعول ، وأما فى الخبر فيعد . . وقوله مثل سراك نصب لأنه خبر فليكن .

وقال يرئى أخت سيف الدولة ، وقد توفيت بميافارقين وورد خبرها إلى الكوفة فكتب أبو الطيب بهذه المراثية إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة :

- (١) يَا أختَ خَيْرِ أَيْخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ آبٍ كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ (١)
 (٢) أَجَلُ قَدْرِكَ أَنْ تُسَمَّى مُؤَبَّنَةً وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَكَ لِلْعَرَبِ (٢)
 (٣) لَا يَمْلِكُ الطَّرِبُ الْحَزُونَ مَنْطِقَهُ وَدَمَعُهُ وَهَمَا فِي قَبْضَةِ الطَّرِبِ (٣)

(١) نصب كناية على الصدر ، كأنه قال كنيت كناية . يقول : يا أخت سيف الدولة ويا بنت أبي الهيجاء ، وهو المراد بأشرف النسب ، فكفى عن ذلك ، يريد أن نسبها من أشرف الأنساب ، فإذا كنيت بهما عرفت لأنهما خير الناس : فإذا قلت يا أخت خير أئخ ويا بنت خير أب عرفت .

(٢) مؤبنة : حال من الياء في تسمى : أى حال كونك مؤبنة : أى مريثة من التائبين ، وهو الثناء على الميت . يقول : أنت أجل من أن أعرفك باسمك بل وصفك يعرفك بما فيك من المحاسن والحمد التي ليست في غيرك ، وهذا يخفى عن تسميتك ، كما قال أبو نواس :

فهي إذا سُمِّيتْ لَقَدْ وُصِفَتْ فيجمعُ الاسمُ مَعْنَيْنِ مَعَا

(٣) الطرب : صفة من الطرب ، وهو خفة تمرى عند شدة الفرح أو الحزن والهم . قال النابغة الجعدي في الهم :

سَأَلْتَنِي أَمْسَى عَنْ جَارَتِي وَإِذَا مَا حَيَّ ذُو اللَّبِّ سَأَلْ
 سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَايْسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدُّغْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ
 وَأَرَانِي طَرِبًا فِي إِزْرِمِ طَرِبَ الْوَالِهَ أَوْ كَالْخَتَبِلِ

« الواله : اتناكل ، والختبل : الذي اختبل عقله : أى جن » يقول اللنبي : من استخفه الحزن غلبه على لسانه ودمعه فلا يملكهما ، لأنهما إذ ذاك يكونان في قبضة الطرب أى الحزن - يصرهما كما يشاء .

- (٤) غَدَرْتَ يَا مَوْتَ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ
 بَيْنَ أَصَابَتِ وَكَمْ أَسَكَّتْ مِنْ لَجَبٍ (١)
 وَكَمْ صَحَبَتْ أَخَاهَا فِي مُنَازَلَةٍ وَكَمْ سَأَلَتْ فَلَمْ يَبْخُلْ وَلَمْ تَخْبِ (٢)
 طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبْرٌ فَرَعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ (٣)
 حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا شَرِقتُ بِاللَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي (٤)

(١) اللجب : الضجيج واختلاط الأصوات ؛ وجيش لجب عرمرم : أى ذوجلبة وكثرة ، ومجر ذو لجب إذا سمع صوت أمواجه ، وأصله كل صوت عال يقول : غدرت يا موت بسيف الدولة إذ أخذت أخته وأنت تقضى به العدد الكثير وتهلك الجيوش وتسكت ضجيجهم ، وإذا كان عونك على الإفناء كان من حَقِّك أن ترعى ذمته ولا تتجمعه بأخته ، وقيل معنى البيت : أنه مات بموتها خلق كثير ، وسكت لجبهم وترددهم في خدمتها ، أو أنهم سقطوا عن برها وصلاتها ، فكأنهم ماتوا . قال الواحدى : وجه غدر الموت أنه أظهر إهلاك شخص وأخسر فيه إهلاك عالم كان يحسن إليهم فهلكوا بهلاكه . هذا معنى : كم أفنيت من عدد ؛ وهذا كقول القائل :

وما كان قيس هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ ولكنه بِنِيرانِ قوم تَهْدِمَا
 وكقول ابن المقفع :

وَأَنْتَ تَمُوتُ وَحَدِّكَ لَيْسَ يَدْرِي بِمَوْتِكَ لَا الصَّغِيرُ وَلَا الْكَبِيرُ
 وَتَقْتُلُنِي فَتَقْتُلُ بِي كَرِيمًا يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ

(٢) يقول : وكَمْ صَحَبَتْ أَخَاهَا يَا مَوْتَ فِي غَزَوَاتِهِ وَطَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَمَكِّنَكَ مِنْ إِهْلَاكِكَ مِنْ أَرَدْتَ فَأَجَابَكَ إِلَى ذَلِكَ وَمَكَّنَكَ بَسِيفِهِ عَنْ أَرَدْتَ ؛ وَهَذَا كَقَوْلِهِ الْآخَى فِي قَافِيَةِ اللَّامِ :

شَرِيكَ الْمَنَایَا وَالنَّفُوسِ غَنِيْمَةً فَكُلِّ مِمَاتٍ لَمْ يَمْتَهُ غُلُولُ

(٣) الجزيرة : ما بين دجلة والفرات ، وخبر تنازعه كل من طوى وجاءني يقول : لما جاءني هذا النى وطوى الجزيرة حتى ورد على في الكوفة رجوت أن يكون كذبا وتعلت بهذا الرجاء .

(٤) يقول : حتى إذا صبح الخبر ولم يبق رجاء في أن يكون كذبا غصصت بالدمع

- (٨) تَمَثَّرَتْ بِهِ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسِنَهَا
وَالْبُرْدُ فِي الطَّرْقِ وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ (١)
كَانَ فَسَلَةً لَمْ تَمَلَأْ مَوَاقِبَهَا (٢)
وَلَمْ تَرُدِّ حَيَاةً بَعْدَ تَوَلِيَّةٍ (٣)
أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مَذْنُومَتٍ (٤)
يُظَنُّ أَنَّ فُؤَادِي غَيْرُ مُنْتَهَبٍ (٥)
دِيَارَ بَكْرِ وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبِ (٦)
وَلَمْ تُفِثْ دَاعِيَا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ (٧)
فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفَتَيَانِ فِي حَلَبِ (٨)
وَأَنَّ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبِ (٩)

لغلبة البكاء وكثرة الدموع حتى كاد الدمع يشرق بي : أى حتى صرت بالقياس إلى الدموع كالشيء الذى ينفس به فى القلة . والشرق بالدمع أن يقطع الانتحاب نفسه . وحصل المعنى : كاد الدمع لإحاطته بي أن يكون كأنه غص بي .

(١) لم يلحق الباء فى به بالهاء واكتفى بالكسرة ضرورة ، والبرد جمع بريد — وسكن الراء على لفة تميم — والبريد : كلمة فارسية أصلها بريدته دم : أى محذوف الذنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذنان كالعلامة لها ، ثم سمي الرسول الذى يركب دواب البريد بريداً . يقول : لهول هذا الخبر تلجلجت به الألسنة فى الأفواه ، وتعثرت الرسل الحاملة له فى الطرق ، ورجفت أيدى الكتاب فى كتابته .

(٢) فسله : كناية عن اسم للرثية ؛ وهو خولة . يقول : مضت فكأنها لم تكن تلك التى ملأت جيوشها ديار بكر ، والتى كانت تهب وكانت تخلع فانطوى ذلك بموتها .

(٣) بالويل : متعلق بداعيا ؛ وتولية : أى ذهاب وإدبار : مصدر ولى ، والويل : الهلاك ، والحرب : ذهاب المال ، حرب الرجل ، سلب ماله ، والداعى بالويل والحرب الذى يصيح : واويلاه ، واحرباه . يقول : ولقد كانت ترد حياة الملهوف بالإغاثة والإجارة والبذل ، وتفيث من يدعوها إذا دعاها بالويل والحرب .

(٤) يقول : طال ليل أهل العراق منذ أتاها نعيمها حزنا عليها ، فكيف ليل أخيها سيف الدولة فى حلب ؟ قال العكبرى : ليس لهذا البيت معنى طائل ، وفيه سهاجة . . .

(٥) أراد : أظن ، غذف حرف الاستفهام ، والضمير لسيف الدولة ، ويروى بالتاء على الخطاب . يقول : أظن أنى غير حزين .

- (١٣) بَلَى وَحُرْمَةٌ مِّنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً لِّحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْفُضَّادِ وَالْأَدَبِ (١)
 (١٤) وَمِنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْزُوثٍ خَلَّاتِهَا وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْزُوثَةٌ النَّشَبِ (٢)
 (١٥) وَهَمَّهَا فِي الْعُلَى وَالْمَجْدِ نَاشِئَةٌ وَهَمُّ أَتْرَابِهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ (٣)
 (١٦) يَغْلُظْنَ حِينَ تَحْيَا حُسْنَ مَبْسِمِهَا وَلَيْسَ يَغْلُمُ إِلَّا اللَّهُ بِالنَّشَبِ (٤)

(١) بلى : حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله سواء كان مجردا أم مقرونا بالاستفهام . يقول : بلى فؤادى ملتهب ودمى منسكب بحق حرمة من كانت تراعى حرمة هذه الأمور ، فقوله وحرمة الخ : قسم .

(٢) ومن مضت : عطف على من كانت - في البيت السابق - . والخلائق : جمع خليفة بمعنى الخلق ، والنشب : المال . يقول : وبحرمة من ماتت ولم تورث أخلاقها ، لأنه لا يوجد بعدها من يشبهها فيها وإن كان مالها موروثا

(٣) أترابها : لداتها ونظيراتها في العمر : جمع ترب - بكسر التاء - للذكر والمؤنث . يقول : همها منذ صباها منصب في العلا وتدير الملك بينها أقرانها همهن في اللهو واللعب ، وهذا من قول حمزة بن يفيص :

فهمكُ فيها جسام الأمور وهم لداتك أن يلعبوا

(٤) النشب : قيل هو تعزيز أطراف الأسنان ، وقيل صفاؤها وتقاؤها وقيل تفلجها ، وقيل طيب نكهتها ، وقال الجرمي : سمعت الأصمعي يقول : النشب برد الفم والأسنان ، فقلت إن أصحابنا يقولون هو حديثها حين تطلع ، فيراد بذلك حديثها وطراوتها لأنها إذا أتت عليها السنون احتسكت ، فقال: ما هو إلا بردها ، وقول ذي الرمة

لمياه في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب

يؤيد قول الأصمعي ، لأن اللثة لا تكون فيها حدة . يقول : إن أترابها إذا جئن إليها رأين حسن مبسمها ولا يعلم ما وراء شفتيها من النشب إلا الله لأنه لم يذقه أحد ، قال الواحدي : وأساء في ذكر حسن مبسم أخت ملك وليس من العادة ذكر جمال النساء في مرثئهن . قال ابن جني : كان المتنبي يتجاسر في ألفاظه جدا وفي معنى بيت المتنبي

لا والذي تسجد الجباه له مالي بما ضم ثوبها خبر

ولا بفيها ولا هممت بها ما كان إلا الحديث والنظر

(١٧) مَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرَقَهَا وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ (١)
(١٨) إِذَا رَأَى وَرَآهَا رَأْسَ لَا يَبِ رَأَى الْقَانِعَ أَعْلَى مِنْهُ فِي الرُّتَبِ (٢)

(١) مفرقها : موضع افتراق الشعر من الرأس ؛ وهو مبتدأ خبره مسرة قال ابن جنى : وحسرة خبر إما عن مفرقها أو عنها تقديره : الميتة حسرة في قلوب البيض واليلب إلى أن قال : والأجود أن يجعل مفرقها خبر للسرة ، أو مسرة خبره ، والجملة خبر مبتدأ محذوف : أي وهي مسرة في قلوب الطيب مفرقها ، وهي حسرة في قلوب البيض واليلب ، واليلب : اللدروع الجمانية تتخذ من الجلود ، أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرموس خاصة تحت البيض ؛ واحدها يلبة ، قال عمرو بن كلثوم :

عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلْبُ الْيَمَانِيُّ وَأَسْيَافٌ يَقْنُنُ وَيُنْحَنِنُنَا

قال الجوهري : ويقال اليلب ما كان من جنس الجلود ولم يكن من الحديد ومنه قيل للبدق يلب . قال الشاعر :

عَلَيْهِمْ كُلُّ سَافِيَةٍ دِلَاصٍ وَفِي أَيْدِيهِمُ الْيَلْبُ الْمُدَارُ

قال : واليلب في الأصل ذلك الجلد قال أبو دهل الجحى :

دِرْعِي دِلَاصٌ شَكَّهَا شَكُّ عَجَبٍ وَجَوْبُهَا الْقَاتِرُ مِنْ سَيْرِ الْيَلْبِ

«عجوبها : أي ترسها وجوب قاتر : أي ترس حسن التقدير ، والبيض : جمع بيضة ، وهي الخوذة من حديد . يقول : إن الطيب يسر باستعمالها إياه والبيض واليلب يتحصران بتركها لبسهما ، لأنهما من ملابس الرجال ، واستعار لهما قلوبا مجازاً لوصفهما بالسرورة والحسرة .

(٢) القانع : جمع مقنع ومقنعة ، وهو ما تقنع به المرأة رأسها ، وتقدير الشطر الأول : إذا رأى البيض أو اليلب رأس لابس ورأها ، فضمير رأى للبيض واليلب ، وأفرد الضمير لأنهما مترادفان ، فكأنهما شيء واحد . يقول : إذا رأى البيض رأس لابس ورأى هذه المرأة وهي تلبس القانع رأى القانع أعلى رتبة منه فازداد حسرة على تركها إياه وحرمانه ذلك .

(١٩)

وَإِنْ تَكُنْ خُلِقْتَ أَنْتَى لَقَدْ خُلِقْتَ

كَرِيمَةً غَيْرَ أَنْتَى الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ^(١)

(٢٠)

وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْقُلُبَاءُ عَنْصُرَهَا فَإِنَّ فِي الْخُمْرِ مَغْنَى لَيْسَ فِي الْعَنْبِ^(٢)

(٢١)

فَلَيْتَ طَالَعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِبَةً وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبْ^(٣)

(٢٢)

وَلَيْتَ عَيْنَ الَّتِي آبَ النَّهَارُ بِهَا فِدَاهُ عَيْنَ الَّتِي زَالَتْ وَلَمْ تَتُوبْ^(٤)

(٢٣)

فَمَا تَقَلَّدَ بِالْيَاقُوتِ مُشَبِّهًا وَلَا تَقَلَّدَ بِالْهِنْدِيَّةِ الْقُضْبِ^(٥)

(١) الحسب : شرف الآباء أو اللعال الصالح : أى شرف الفعل وأنشد ثعلب .

* وَرُبَّ حَسِيبٍ الْأَصْلُ غَيْرُ حَسِيبٍ *

أى له آباء يفعلون الخير ولا يفعله هو . يقول : إن لها عقل الرجال وحسبهم وإن خلقت أنتى .

(٢) تغلب : قبيلة سيف الدولة . والغلباء : فى الأصل الغليظة الرقة . والمراد العريضة الأية الممتعة ، وعبارة الواحدى : الغلباء : الغلاظ القلوب ، نعمهم بخلط الرقة لأنهم لا يذلون لأحد ولا ينفادون له . يقول : هى وإن كانت من تغلب — تلك القبيلة المعروفة بالمرز والنعة — يد أن لها مع ذلك من الفضائل ما تبارز به عنهم وتفضلهم ، كالخمر أصلها العنب ، ولكن فى الخمر من المزايا ما ليس فى العنب ، ومن ثم تفضله ، وهذا مثل قوله : فإن المسك بعض دم الغزال .

(٣) جعلها وشمس النهار شمسين ثم قال : ليت طالعتهما — وهى شمس النهار — غائبة وليت غائبتهما — وهى المرئية — لم تغب . يقول : إن فى حياتها منافع جمة ، فليتها بقيت وقعدنا الشمس .

(٤) آب : رجع . يقول : وليت عين الشمس فداء عين المرئية التى غابت ولم ترجع .

(٥) الهندية : السيوف ، والقضب : جمع قضيب ، وهو اللطيف الدقيق من السيوف يقول . ليس لها شبيه ، لا من النساء ولا من الرجال .

وَلَا ذَكَرْتُ جَبِيلًا مِنْ صَنَائِعِهَا (٢٤)
 قَدْ كَانَ كُلُّ حِجَابٍ دُونَ رُؤْيَيْهَا (٢٥)
 وَلَا رَأَيْتِ عُيُونَ الْإِنْسِ تَذَرُكُهَا (٢٦)
 وَهَلْ سَمِعْتَ سَلَامًا لِي أَلَمْ يَهَا (٢٧)
 وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوْتَانَا الَّتِي دُفِنْتُ (٢٨)
 إِلَّا بَكَيْتُ وَلَا وَدُّ بِلَا سَبَبٍ (١)
 فَمَا قَنَعْتُ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ (٢)
 فَهَلْ حَسَدَتْ عَلَيْهَا أُعْيُنَ الشُّهْبِ (٣)
 فَقَدْ أَطْلَتْ وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ بَكْبٍ (٤)
 وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيَائِنَا الْغَيْبِ (٥)

(١) الصنائع : جمع صنعة ، وهى الإحسان واليد . يقول : إذا ذكرت صنائعها بكيت لمحتى إياها ، وسبب محبتى هو صنائعها لدى وإحسانها إلى وروى ابن جنى بلا ود ولا سبب أى ليس بكأى لود أو سبب سوى صنائعها التى أولت ، فهى تذكرنى فأبكي .

(٢) يقول : كانت محبوبة عن الأعين بأوفى حجاب فأحببت الأرض أن تكون من حجبها فانضمت عليها ، فكانت الأرض لم تنفع بما حولها من الحجاب حتى حجبها بنفسها .

(٣) يقول : لم تكن عيون الناس تصل إليها ، فهل حسدت الكواكب يا أرض على النظر إليها فواريتها عنهن ؟

(٤) قال الواحدى : يقول للأرض : هل سمعت سلاما لى أتاها ؟ يريد أنه يحجز إليها السلام والدعاء وسأل الأرض عن بلوغ سلامه إليها ثم قال : وقد أطلت التائبين والمرثية وتجهيز السلام عليها ولم أسلم عليها من قرب ، لأنها ماتت على بعد منه ، ولك أن تقول : إن المعنى بعبارة أخرى : هل سمعتى يا أرض أسلم عليها ؟ أى هل رأيتى قريبا منها فحسدتنى على قربها فقد أطلت اليوم من السلام عليها ولم أسلم من قرب ؟ قال الواحدى : ولم يعرف ابن جنى معنى هذا البيت ، فجعل الاستفهام فيه إنكرا وقال . يقول : قد أطلت السلام عليها وأنا جيد عنها ، فهل سمعت يا أرض سلامى قريبا منها ؟

(٥) التيب : جمع غائب ، مثل خدم وخادم . يقول : كيف يبلغ السلام أمواتنا للمدفونين وهو قد يقصر عن بلوغ أحيائنا الفائين ؟ وكأن هذا مبنى على معنى البيت السابق : أى أن سلامه لم يكن يبلغها فى حياتها للبعد الذى بينهما ، فكيف يبلغها بعد موتها ؟ والظاهر أن الكلام على عمومته ، وليس فيه — كما ذهب بعضهم — تعرض بسيف الدولة ، وأن يقصر سلامه دونه .

- (٢٩) يَا أَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أَوْلَى الْقُلُوبِ بِهَا
 وَقُلْ لِصَاحِبِهِ يَا أَنْفَعَ الشُّجْبِ (١)
 وَأَكْرَمَ النَّاسِ لَا مُسْتَنْفِيًا أَحَدًا مِنْ الْكِرَامِ سِوَى آبَائِكَ النَّجْبِ (٢)
 قَدْ كَانَ قَاتَمَتِكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا وَعَاشَ دُرُّهُمَا الْمَدْيُ بِالذَّهَبِ (٣)
 وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ إِنَّا لَنَنْفُلُ وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ (٤)

(١) أولى القلوب بها : هو قلب أخيها — أى سيف الدولة — والضمير فى لصاحبه يعود على أولى القلوب ، وصاحبه هو سيف الدولة . يقول : يا أحسن الصبر زر قلب سيف الدولة الذى هو أولى القلوب بمودتها والجزع عليها ، وقل لصاحب هذا القلب يا أنفع السحب : أى أن عطاءه أهنا لأنه بغير أذى ، والسحاب قد يؤذى سيله وتهلك صواعقه .

(٢) وأكرم الناس : عطف على أنفع السحب ، والنجب : جمع نجيب ، وهو الكريم من كل شئ . ورجل نجيب : أى كريم فاضل بين النجاية ، والنجبة مثال الحمزة النجيب ، يقال هو نجبة القوم إذا كان النجيب منهم ، وأنجب الرجل : أى ولد ولداً نجبياً . قال الأعشى :

أَنْجَبَ أَرْمَانَ وَالِدَاءُ بِهِ إِذْ تَجَلَّاهُ فَنَمَّ مَا نَجَلَا

« وسيمر بك شرح هذا البيت فى موضع آخر » وامرأة منجية ومنجاب : أى تله النجباء يقول : وقل له يا أكرم الناس غير مستثن أحد سوا آبائك الكرام . قال العكبرى : وهذا لفظ منكسر يدخل فيه الأنبياء ومن دونهم . أقول : وهى إحدى مبالغات التنبي القبيحة .

(٣) لا يريد بالشخصين : أخيه . ماتت إحداهما — وهى الصغرى — وبقيت الكبرى ، فكانت كدردى بذهب ، جعل العكبرى كالدر ، والصغرى كالذهب .

(٤) المتروك : هو الدر ، والتارك : الدهر . يقول : وبعد ذلك عاد الدهر يطلب الكبرى وأخذها . لأن الأيام لا تغفل عن طلب ما تركته . وهذا البيت الذى قبله كأنهما من قول الأعرابي :

وَقَاتَمَتْنِي دَهْرِي بَنَى مَشَاطِرًا فَلَمَّا تَقَضَى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي

- (٣٣) مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقْتًا كَانَ بَيْنَهُمَا
كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ^(١)
- (٣٤) جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْأُحْزَانِ مَغْفِرَةً
فَحَزَنٌ كُلُّ أَخِي حُزْنُ أَخِي الْغَضَبِ^(٢)
- (٣٥) وَأَنْتُمْ نَفَرٌ تَسْخُو نَفُوسَكُمْ
بِمَا يَهْنُونَ وَلَا يَسْخُونَ بِالسَّلبِ^(٣)
- (٣٦) حَلَلْتُمْ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
مَحَلٌّ سُمِرَ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ^(٤)
- (٣٧) فَلَا تَنْتَلِكِ اللَّيَالِي إِنْ أَيْدِيهَا
إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْقَرَبِ^(٥)

(١) الورد : إتيان الإبل الماء ، والقرب : سير الليل لورد الغد ، وذلك أن القوم يرعون الإبل وهم في ذلك يسيرون نحو الماء . فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجّلوا نحوه ، فذلك الليلة ليلة القرب . يقول : إن أحليهما كانا متقاربين جداً حتى إن المدة التي بينهما كانت تقصرها كأنها المدة التي بين الورد والقرب ؛ وهي ليلة .

(٢) يقول : غفر الله لك أحزانك لأن الحزن للصيبة أخو الغضب على القدر حيث لم يحجر بمراد الإنسان ، والغضب على القدر مما يستغفر منه .

(٣) يسخون : أى النفوس ، ووزنه يفعلن ، فالواو لام الفعل ، والنون علامة الإخمار وجمع التأنيت ، وهو مثل « إلا أن يفون » أى النساء ، و يروى تسخون — بلفظ خطاب الذكور — والسلب : ما يؤخذ من القتل من ثياب وسلاح ، وفي الحديث الصحيح : من قتل قتيلاً فله سلبه . يقول : إنما تحزن لأن الدهر سلبك المروية وأنتم قوم أهل عزة وأتة ، تجودون بالذى تعطونه عن طيب نفس ، ولا تجودون بما يؤخذ منكم قهراً ، وهذا المعنى كقول القائل :

لَا جَزَعًا بَلْ أَنْفًا شَابَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضَبِهِ

(٤) القنا : عيدان الرماح . يقول : أنتم بين الملوك كالقنا بين سائر القصب والقنا يفضل سائر أنواع القصب ، وكذلك أنتم تفضلون سائر الملوك .

(٥) النبع : شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال تتخذ منه القسي ، والقرب نبت ضعيف ينبت على الأنهار . يدعو له يقول : لا أصابتك الليالي بسوء ، فإنها تطلب القوى بالضعيف .

وَلَا يُعِينُ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ
وَأَنْ يَصِدْنَ الصَّقَرُ بِالْخَرْبِ^(١)
وَأَنْ سَرَزْنَ بِمَحْبُوبٍ فَجَعَنَ بِهِ
وَقَدْ أَتَيْتَكَ فِي الْحَالَيْنِ بِالْمَجَبِ^(٢)
وَرُبَّمَا أَحْسَبَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا
وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرٍ غَيْرِ مُحْتَسَبٍ^(٣)
وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَانَتَهُ
وَلَا أَتَتْهُ أَرْبٌ إِلَّا إِلَى أَرْبٍ^(٤)
تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا أَتَّفَاقَ لَهُمْ
إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخَلْفِ فِي الشَّجَبِ^(٥)
فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً
وَقِيلَ تَشْرِكُ جَنَمُ الْمَرْءِ فِي الْمَطَبِ^(٦)

٣٨
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٤٣

(١) الحرب ذكر الجباري^(١) وجمعه خربان ، يدعو له أن لا تعين الليالي من عاداه
فإنهن يصدن القوى بالضعيف ، وهو بسبب من معنى البيت السابق .
(٢) يقول : إن سرتك الأيام بوجود ما تحبه فجئتك بفقده إذا استردته وقد أرينك
العجب حيث سررتك بها ثم فجئتك بفقدها فكانت سببا للسرور والنعيم ، وهذا عجب
أن يكون شيء واحد سببا للسرور والنعيم .
(٣) يقول : قد يحسب الإنسان أن المحن قد تناهت فيلزم به شيء لم يكن في حسبانته ،
وإذن لا تؤمن فجعات الدهر .
(٤) اللبانة : الحاجة ؛ والأرب : الغرض ، فهما متقاربان ، يقول : لم يقض أحد
حاجته من الدنيا لأن حاجات الإنسان لا تنقضي ، فإذا فرغ من أرب انتهى إلى أرب
آخر ، وذلك كما يقول أمية بن أبي الصلت :

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

(٥) و (٦) الشجب : الهلاك ، والخلف : الاختلاف ، والمراد بالنفس : الروح .
يقول : جرى خلف الناس في كل شيء ولم يتفقوا إلا على الهلاك : أي أن منتهى كل
حيوان أن يموت فيهلك ، ثم اختلفوا في حقيقة الهلاك : ففريق يقول : إن الروح تسلم
من الهلاك ولا تنفك بقاء الأجسام — وهؤلاء هم المقرون بالبحث — وفريق يذهب
إلى أن الروح يفنى كالجسم — وهؤلاء هم الدهريون ومن يقول بقدم العالم .

(١) الجباري : طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقا ، وهو أنواع كثيرة ،
ويضرب به المثل في البلاء فيقال : أبله من الجباري ؛ قيل : لأنه إذا غر عشه ذهل
وحضن يفض غيره .

(٢٤) وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْتَعَبِ (١)

وأنفذ إليه سيف الدولة كتاباً بخطه إلى الكوفة يسأله المسير إليه ، فأجابه بهذه الأبيات وأنفذها إليه في ميفارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة (٢) :

فَهَنْتُ الْكِتَابَ أَبْرَّ الْكُتُبِ قَسَمًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ (٣)
وَطَوَّعًا لَهُ وَأَبْتَهَاجًا بِهِ وَإِنْ قَصَّرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجَبَ (٤)
وَمَا عَاقَبِي غَيْرُ خَوْفِ الْوُشَاةِ وَإِنَّ الْوِشَايَاتِ طُرُقُ الْكَذِبِ (٥)

(١) للهجة : الروح . يقول : من فكر في الدنيا وأنه مفارقها ألبته أتعبه هذا الفكر لما يجد في ذلك من الأسف على الدنيا والخوف على روحه ؛ ثم رأى في الوقت نفسه أن ذلك قضاء حتم لا يستطيع الفرار منه ، فيرى نفسه بين حالين من التعب والعجز .

(٢) هذه القصيدة من المتقارب ، وتقطعها فعولن أربع مرات ، دخله القصر فصار فعولن فعولن فعولن فعل ، وقد ارتكب أبو الطيب فيها سنادات توجيه ، وهو المخالفة في حركة ما قبل الروي المقيد ، ومن الناس من لا يعمده سناداً اكتفاء باتفاق الروي .

(٣) (٤) سما وطوعا وابتهاجا : ثلاثتها مصادر دلت على أفعالها : أى سمعت أمرك سما ، وطعت طاعة ، وابتهجت بكتابك ابتهاجا ، والابتهاج : الفرح يقال بهج بالشيء وله - بالكسر - بهاجة وابتهج : سر به وفرح . قال الشاعر :

كَانَ الشَّبَابُ رِدَاءً قَدْ بَهَجْتُ بِهِ فَقَدْ تَطَايَرُ مِنْهُ لِلْبَيْلَى خِرْقُ

يقول : إني سامع لأمرك ، مطيع له ، مبتهج بكتابك بيد أن فعلى في طاعتك لا يبلغ ما يجب ، إذا أنى قصرت بتخلفي عن الهوى إليك .

(٥) الوشاة . جمع واش ، وهو النمام . يقول : لم يمنعني من النهوض إليك غير خوفي الوشاة ، فإن الوشايات من طرق الكذب فلا يأمنها البريء .

وَتَكْثِيرِ قَوْمٍ وَتَقْلِيلِهِمْ وَتَقْرِيبِهِمْ يَبْنَسَا وَالْحَبَّ^(١)
وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالْحَسَبُ^(٢)
وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللَّجَيْنُ وَلَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتَ الذَّهَبُ^(٣)
فَيَقَاقَ مِنْهُ الْبَيْمُودُ الْأَنَاءُ وَيَغْضَبُ مِنْهُ الْبَطْلُ الْفَضَبُ^(٤)
وَمَا لَأَقْنِي بَلَدٌ بَعْدَ كُمْ وَلَا أَعْتَظْتُ مِنْ رَبِّ نِعْمَايَ رَبِّ^(٥)

(١) وتكثير قوم وتقليلهم : أى تكثيرهم معائبنا وتقليلهم مناقبنا ، والتقريب ضرب من العدو : يقال قرب الفرس : إذا رفع يديه معا ووضعهما معا فى العدو ، والحب : السرعة ، وقيل هو أن يراوح الفرس بين يديه ورجليه فى العدو يقول : وعاقبى أيضاً خوف تكثير قوم معائبي وتقليلهم مناقبي وسميهم بيننا بالفساد .

(٢) يقول : إنه كان يصنى إليهم ويسمع منهم ، بيد أن قلبه كان على أية حال مع بعضه فى ذلك شرفه ، فعد إصغاءه إليهم نصرا لهم . وزاعه إليه نصرا له .

(٣) و (٤) اللجين : الفضة ، والأناء : الحلم والرفق والتثبت ، وبعد الأناء كناية عن كونه لا يستخف من أول وهلة . وقوله فيقلق : جواب النفي فى البيت الأول ، والضmir فى منه يعود على المصدر المفهوم من قوله قلت : أى فيقلق من قولى هذا . يقول إننى لم أنقصك مما تستحق من المدح شيئا كما ينقص البدر بتشبيهه باللجين والشمس بتشبيهها بالذهب : أى لم أهلك فتتكبر على ولم آت فى حقك ما يوجب أن يزعم لمثلك فى بعد أناته وبطء غضبه .

(٥) لا قنى : أمسكنى وحبسنى ، يقال منه : فلان لا يليق ببلد ، أى ما يمتسك ولا يليقه بلد : أى لا يعسكه . قال الأصمى للرشد : ما ألاقنى أرض حتى أنتيتك يا أمير المؤمنين : أى ما ثبت بها ، ويقال فلان ما يليق بكفه درهم : أى ما يحتبس ، وما يليق هو درهما : أى ما يحبسه ولا يلصق به . قال الشاعر :

كَفَّاكَ كَفٌّ مَا تَلِيْقُ دِرْهَمًا جُودًا وَأُخْرَى تَعْطُ بِالسَّيْفِ الدَّمَ

ورب نعمى : صاحب نعمتى ، ووقف على الباء من قوله رب - وهى موضع نصب - ضرورة للقافية ، وخففها - وحكمها التشديد - لوقوعها روياء . يقول : ما أخذت عوضا منك ، ولا أمسكنى بلد بعدكم ، ولا أعجبني ، ولا لى مستقر إلا عندكم . إذ لا أصيب

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَمَا دِ أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ وَالْقَبَّ (١)
وَمَا قِئْتُ كُلَّ مُلُوكِ الْبِلَادِ فَدَعِ ذِكْرَ بَعْضِ بَيْنِ فِي حَلَبِ (٢)
وَلَوْ كُنْتُ سَمَيْتُهُمْ بِأَسْمِهِ لَكَانَ الْحَدِيدَ وَكَانُوا أَنْخَسَبَ (٣)
أَفَى الرَّأْيِ يُشَبِّهُ أُمَ فِي السَّخَا أُمَ فِي الشَّجَاعَةِ أُمَ فِي الْأَدَبِ (٤)
مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرُ الْقَبِّ كَرِيمُ الْجُرْشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ (٥)
أَخُو الْحَرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى فَنَاهُ وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبَ (٦)

مثلكم ، وكيف آخذ عوضاً ممن أنعم علي ؟ وهذا مثل قوله :

ومن اعتاض منك إذا افترقنا وكل الناس زور ما خلا كا

(١) الأظلاف : جمع ظلف ، وهو من البقرة والشاة والظبي بمنزلة القدم للإنسان والحف للبعير ، والحافر للفرس والبغل والحمار ، والقب والقبب : للبقرة والديك ماتدلى تحت حنكهما . جعل الجواد مثلاً لسيف الدولة ، والثور مثلاً لمن لقي بعده من الملوك ؛ وهذا كقول خدّاش بن زهير :

ولا أكون كمن ألقى رِحالته على الحمار وخلي صهوة الفرس

قال الخطيب : ذكر الركوب هنا فيه جفاء ، ولا تخاطب الملوك بمثل هذا

(٢) و (٣) بمن في حلب . متعلق بقست ، وقوله فدع ذكر بعض : معترضة بينهما يقول : لم أقس كل الملوك به فضلاً أن أقس به بعضهم ، ولو أنا شبهتهم به وسميتهم سيوفاً - كما يسمى هو سيف الدولة - لكانوا سيوفاً من خشب ، وكان هو سيفاً من حديد : يعني أن مدحه إياه حقيقة ، ومدحه إياهم مجازاً ، إذا لا شبه بينهم وبينه .

(٤) هذا استفهام إنكار يقول : ليس يشبهه أحد من الملوك في شيء من ذلك .

(٥) مبارك الاسم ، لأن اسمه على . وهو مشتق من العلو . محبوب مطلوب ، ولأنه

سمى على بن أبي طالب ، وهو من هو ؟ وأغر اللقب ، لأنه سيف الدولة ، وقد اشتهر هذا اللقب فهو أغر : أي متعالم مشهور أبلغ . وكريم الجرشي : أي النفس ؛ وشريف النسب . لأنه من ربيعة ، وهم كرام أشراف . وكلمة الجرشي : من قبيح ألفاظ التنبي .

(٦) أخو الحرب : أي عرفت به وعرف بها فصار لها أخاً ؛ وقناه : فاعل سبي :

أي رماحه . يقول : هو أخو الحرب وصاحبها ، فإذا أعطى أحداً خادماً فهو مما سباه

إِذَا حَازَ مَالًا فَقَدْ حَازَهُ فَتَى لَا يُسِرُّ بِمَا لَا يَهَبُ^(١)
وَأَنْتَى لَا تُنْبِعُ تَذْكَارَهُ صَلَاةَ الْإِلَهِ وَسَقَى السُّحْبُ^(٢)
وَأَنْتَى عَلَيْهِ بِآلَانِهِ وَأَقْرَبُ مِنْهُ نَأَى أَوْ قَرُبُ^(٣)
وَأَنْتَى فَأَرْقَنِي أَمْطَارَهُ فَأَكْثَرُ غُذْرَانِهَا مَا نَضَبُ^(٤)
أَيَا سَنَفَ رَبِّكَ لَا خَلْقِهِ وَيَاذَا الْكَارِمَ لَاذَا الشُّطْبُ^(٥)

بنفسه ، لا مما اشتراه ، لأن ماله كله جميعاً من سبائهم ؛ وإذا خلع على إنسان ثوباً فهو مما سلبه من أعدائه . يريد كثرة نكاته في الأعداء .

(١) فتى : فاعل حازه من باب التجريد . يقول : إذا جمع مالا لا يسر منه بما يدخر ، ولكن بما يهب ، وهذا كقول البحري :

لَا يَتَمَطَّى كَمَا احْتَجَّ الْبَخِيلُ وَلَا يَحِبُّ مِنْ مَالِهِ إِلَّا الَّذِي يَهَبُ^(٢)
يقول : كلما ذكرته دعوت له بهذين ، فقلت له صلى الله عليه وسلم أرضه السحاب ؛ والصلاة من الله الرحمة ، وقد جرى العرف بقصر الصلاة على الأنبياء ؛ ولكن الشعراء يدينهم البالغة وتعظيم الممدوح ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً . وقد قال ابن الرقاع :

صَلَّى الْإِلَهِ عَلَى أُخْرَى وَدَعَتْهُ وَأَتَمَّ نَعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

وقال الراعي :

صَلَّى عَلَى عَزَّةِ الرَّحْمَنِ وَأَبْنَتْهَا لَيْلَى وَصَلَّى عَلَى جَارَاتِهَا الْآخِرِ^(٣)
يقول : أنتى عليه بما وصل إلى وإلى غيرى من نعمه ، وأقرب منه بالموالاة والمهبة : أقرب محله أم جدت .

(٤) الغدران : جمع غدير ، وهو البقية من الماء تبقى بعد السيل : من غادره تركه ، قال الخطيب التبريزي : مسمى الغدير غديراً لعنيين : أحدهما لأن الغيث تركه ، والثاني لأنه يندر بأهله فينضب عنهم عند الحاجة . ونضب الماء . غار في الأرض وجد . وما : من قوله ما نضب : نافية . يقول : إذا كان به قد انقطع عني فإن ما سبق إلى منه باق كالغدران تبقى بعد المطر .

(٥) الشطب — بضم الشين والطاء ، وبفتح الطاء — جمع شطبة وهي الطرائق

وَأَبْعَدَ ذِي هِمَّةٍ هِمَّةً وَأَعْرَفَ ذِي رُتْبَةٍ رُتْبَةً^(١)
وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِيئَةً وَأَضْرَبَ مَنْ بِحَسَامٍ ضَرْبَ^(٢)
بِذَا أَلْفَظَ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ فَلَبَّيْتُ وَاللَّهَامُ تَحْتَ الْقُضْبِ^(٣)
وَقَدْ يَلْسُوا مِنْ لَذِيذِ الْحَيَاةِ فَمَعَيْنُ ثُغُورٍ وَقَنْبٌ يَجِبُ^(٤)
وَعَرَّ الدُّمُسْتَقَ قَوْلُ الْعَدَاةِ أَنْ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصَبُ^(٥)
وَقَدْ عَلِمْتَ خَيْلَهُ أَنَّهُ إِذَا هَمَّ وَهُوَ عَلِيلٌ رَكِبَ^(٦)

التي في متن السيف ؛ وسيف مشطب ومشطوب : فيه طرائق ، وكذلك ثوب مشطب .
يقول : لست ميلا كسائر السيوف . فانت سيف الله لاسيف الناس . وانت صاحب
المكارم لاسيف فيه طرائق من سيوف الحديد .

(١) و (٢) أبعد وأعرف وأطعن وأضرب : منصوبة على النداء المضاف ، والخطية :
الرمح . يقول : يا أبعد الناس همّة ويا أعرف الناس برتب الرجال وطبقاتهم قطعاً كلا
منهم المزلّة التي يستحقها ، ويا أطعن من مس رحا . وأضرب من ضرب بسيف .

(٣) قوله بذّا : أي بأطعن وأضرب ، والثغور : مواضع المخافة من فروج البلدان ؛
والهام : الرؤوس ، والقضب : السيوف القواطع . يقول إن أهل الثغور نادوك بقولهم
يا أطعن من طعن بخطية ، ويا أضرب من ضرب بحسام فأجبتهم ورؤسهم تحت سيوف
الروم تكاد تطيرها .

(٤) غارت العين : دخلت في الرأس : أي من شدة الرعب ، والوجب خفقان
القلب . يقول : إنك أجبتهم حين نادوك وقد يلسوا من الحياة ، فهم في خوف ورعب
واضطراب حتى أتقذتهم .

(٥) الدمستق : قائد الروم ، والعداة : جمع عاد بمعنى عدو ، والثقل : الشديد
المرض ، والوصب : المرض . يقول إنما اجتراً الدمستق على أهل الثغور لأنه اغتر بما
أرجف به الأعداء من أنك مريض لا تستطيع إغايتهم :

(٦) يقول : وما كان ينبغي للدمستق أن يقتل لأن سيف الدولة إذا هم بالعارة وهو
عليل ركب إلى أعدائه كما تعلم خيله من عادته .

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعٍ مِنْ أَرْضِهِمْ طَوَالَ السَّبِيبِ قِصَارَ الْعُسْبِ (١)
تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِفَاراً إِذَا لَمْ تَغِيبْ (٢)
وَلَا تَعْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوْهِ إِذَا لَمْ تَخْطَ الْقَنَا أَوْ تَذِيبْ (٣)
فَفَرَّقَ مَدْنَهُمْ بِالْجِيُوشِ وَأَخْفَتَ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّجَبِ (٤)
فَأَخْبِتْ بِهِ طَالِبَا قَهَرُهُمْ وَأَخْبِتْ بِهِ تَارِكَا مَا مَطْلَبْ (٥)
فَنَائِتَ فَقَاتَلَهُمْ بِاللَّقَاءِ وَجِثَ فَقَاتَلَهُمْ بِالْهَرَبِ (٦)

(١) أتاها : أى الدمستق ، وبأوسع : أى بخیل أوسع ، وطوال وقصار منصوبان على الحال ؛ والسبیب : شعر الناصية والعرف والذنب ؛ والعسب جمع عسیب ، وهو منبت الذنب . يقول : أتاها الدمستق بخیل موضعها من الأرض أوسع من أرض الروم ؛ وصف عسكر الروم بالكثرة . ثم وصف خيلهم بأنها من جیاد الخیل ، لأن طول شعر الذنب وقصر عظمه ، مما يستحب فى الخیل .

(٢) يقول : إذا علا جيشه الشواہق — أى الجبال العالیة — غطاها لكثرة فغابت فيه ، وإذا تخلل جوانبها ظهرت صفاراً بالإضافة إليه وإلى سعة وانتشاره حولها .
(٣) تخط — بحذف إحدى التاءین — أى تتخطى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لكثرة رماح هذا الجيش وتضایق ما بینها غص الهواء بها فلا تجد الريح منفذاً إلا أن تتخطى الرماح : أى تكون أعلى طریقاً منها أو تثب من فوقها .

(٤) اللجب : كثرة الأصوات واختلاطها . يقول : أتاها من الجیوش بما عم بلادهم فكأنها أغرقها ، وأخفی أصواتهم بأصوات جیوشه لكثرتها وارتفاعها .

(٥) أخبت به : صیغة تعجب : أى ما أخبته فى الحالین ، ویروى الثانى ؛ وأخبت به تاركا ، من الخیة ؛ وطالبا وتاركا : حالان . يقول : ما أخبته حین یحاول قتلهم لأنه استدبر فى ذلك سیف الدولة خسة منه وجبناً ، وما أخیه إذ ترك هذه المحاولة وولى هارباً یطلب النجاة .

(٦) يقول : لما كنت بعیداً عن أهل الثغور أتاها فقاتلهم بالمبارزة ، فلما جئت جعل الحرب موضع القتال : أى حمى نفسه بالحرب ، فكأما قاتلهم به کی ینجو .

وَكَاُنُوا لَهُ الْفَخْرَ كَمَا أَتَى وَكُنْتَ لَهُ الْعُذْرَ كَمَا ذَهَبَ^(١)
 سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ مَنَآيَاهُمْ وَمَنْفَعَةُ الْفَوْتِ قَبْلَ الْعَطَبِ^(٢)
 فَخَرُّوا نَحْلَاقِهِمْ سُجْدًا وَلَوْ لَمْ تُغِثْ سَجَدُوا لِلصُّلْبِ^(٣)
 وَكَمْ ذُذَّتْ عَنْهُمْ رَدَى بِالرَّدَى وَكَشَفَتْ مِنْ كَرْبٍ بِالْكَرْبِ^(٤)
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ إِنْ يَعُدُّ يَعُدُّ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُقْتَصِبِ^(٥)

(١) يقول : إنه كان يفخر بأن قصدهم وصمد لقتالهم ، فلما ارتد عنهم هارباً كنت عذراً له في ارتداده لأنه لا يقوم لك ، ومثلك من يفر منه يعذر .

(٢) يقول : إنك أدركتهم قبل أن يعصف بهم فأغثتهم قبل أن يعطبوا ، وإعما ينفع الفوت إذا كان قبل العطب والهلاك ، أما بعد ذلك فلا قيمة للفوت ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي تمام :

وَمَا نَفَعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ ظَافِئًا إِذَا مَا سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَتْ أَنْهَارُهَا
 وقول البحتري :

واعلم بأن الفيث ليس بنافع للناس ما لم يأت في إبانِهِ

(٣) الصلب : جمع صليب ، وهو ذلك الذي يتخذه المسيحيون في بيوتهم ويضعهم على شكل المصلوب . يقول : أما أقذتهم وفر الدمستق سجدوا لله شكراً ، ولو لم تنقذهم لسجدوا لصلبان الأعداء خوفاً منهم .

(٤) يقول : كم دفعت عنهم الهلاك يا هلاكك من بنى هلاكهم ؟ وكَمْ كَشَفَتْ عَنْهُمْ الْكَرْبَ بِالْكَرْبِ الَّتِي أَنْزَلَتْهَا بِأَعْدَائِهِمْ ؟

(٥) المعتصب : أى التوج الذى يعتصب التاج برأسه . يقول : وقد زعم الروم أن الدمستق سيعود ومعه الملك الأعظم ، وعبر عن مجيء الملك بالعود مع أنه لم يكن قبل ذلك قصدهم - للمشاكلة بين الفعلين ، على أن عاد قدير اد بها الإتيان لأول مرة كما قال :

فَإِنْ تَكُنِ الْإِيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً إِلَى فَقَدْ عَادَتْ لَهَا ذُنُوبُ
 أى أتت .

وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِي يَمْبُدَانِ وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبَ^(١)
لِيُدْفَعَ مَا نَالَهُ عَنْهُمَا فَيَا لِرَّجَالٍ لِهَذَا الْعَجَبِ^(٢)
أَرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الشَّرِكِينَ إِمَّا لِعِجْزٍ وَإِمَّا رَهَبٍ^(٣)
وَأَنْتَ مَعَ اللَّهِ فِي جَانِبٍ قَلِيلُ الرِّقَادِ كَثِيرُ التَّعَبِ^(٤)
كَأَنَّكَ وَخُدَّكَ وَحَدَّثَهُ وَدَانَ السَّرِيَّةُ بِابْنِ وَأَبِ^(٥)
فَلَيْتَ سُيُوفَكَ فِي حَاسِدٍ إِذَا مَا ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ كَيْبِ^(٦)
وَلَيْتَ شَكَاتَكَ فِي جَنْبِهِ وَلَيْتَكَ تَجْزِي بِبُغْضٍ وَحُبِ^(٧)
فَلَوْ كُنْتَ تَجْزِي بِهِ نِلْتُ مِنْكَ أَضْعَفَ حَظٍّ بِأَقْوَى سَبَبِ^(٨)

(١) يقول : إن المستحق والملك يستنصران السيد المسيح ويسألاه النصرة على المسلمين وهما يعتقدان أن المسيح صلبته اليهود وقتلته .

(٢) عنهما : صلة يدفع . يقول : ويطلبان أن يدفع السيد المسيح عنهما ما ناله من القتل في اعتقادهم ، ثم تعجب من هذا وقال : وكيف يستطيع أن يدفع عنهما الهلاك وهو لم يستطع الدفاع عن نفسه ؟ ولام فيا للرجال : مفتوحة ، لأنها للمستغاث به ، ولام لهذا : لام التعجب ، وهي مكسورة ، أنشد سيويه لقيس بن ذريح :

تَكُنْفَنِي الْوَشَاءُ فَأَرْجُو فِيَاللَّنَّاسِ لِلِوَاثِي الطَّاعِ

(٣) يقول : أرى المسلمين قد هادنوا المشركين واجتمعوا معهم وتركوا قتالهم ، وذلك : إما عجزاً عنهم ، أو خوفاً منهم .

(٤) يقول : وأنت مع الله في جانب آخر تنزل على أمره بالجهاد فلا تنام عنه ، وقد جانبت غيرك من المهادين والمواعين .

(٥) يقول : كأنك وحدك الموحد لله تعالى ، وسائر الناس يدينون بدين النصارى الذين يقولون بالابن والأب .

(٦) ظهرت عليهم : ظفرت بهم وغلبتهم ، وكثب كآبة : حزن وظهر فيه الانكسار يقول : ليت الحاسد الذي يكتب لظفرك بالروم يقتل بسيفك .

(٧) و (٨) أراد بالشكاة : المرض الذي يشكوه ، وقوله تجزى به : أى بالحب أو البغض ، على أن الواو في قوله وحب : بمعنى أو . ولك أن ترجع الضمير إلى البغض

وقال في صباه ارجع لا وقد عذله أبو سعيد المجيمري (*) على تركه لقاء الملوك :

أَبَا سَعِيدٍ جَنْبِ الْمَتَابَا قَرُبٌ رَأَى خَطَأَ صَوَابَا^(١)
فَإِنَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحَجَابَا وَأُسْتَوْفَقُوا لِرَدَّنَا الْبَوَابَا^(٢)
وَأِنْ حَدَّ الصَّارِمِ الْقِرْضَابَا وَالذَّابِلَاتِ الشُّمْرُ وَالْعَرَابَا
يَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحَجَابَا^(٣)

والحب جميعا ، لأن كليهما من أفعال القلب ، فكأنهما شيء واحد . والسبب : الوسيلة ، يقول : ليت المرض الذي تشكوه في جسم الحاسد وليتك تجزى من أبضك ينضه ومن أجلك بهبه كي أنال نصيبا من الحب ، إذ لو جزيتني على حبى لك - وهو أقوى سبب ، لأن حبى إياك أكثر من حب غيرى - نلت منك أقل حظ ، يشكو إعراضه عنه وأنه أقل الناس حظا منه مع أنه أشد حبا له . وعبرة ابن جنى : لو تناهيت في جزائك إياى على حبى إياك لكان ضعيفا بالإضافة إلى قوة حبى لك قال أبو الفضل العروضى : وهذا لا يقوله مجنون لبعض نظرائه ولن هو دونه فكيف ينسب التنبى سيف الدولة إلى أنه لو احتشد وتكلف في جزائه لم يبلغ كنهه ؟ وهذا الذى لاحظته العروضى لم يوفق فيه .

* هو أبو سعيد النبجى من بنى المييمر ، قبيلة بمنج من طيء .

(١) رأى خطأ : يروى راء خطأ ، وذلك على حد قولهم : ضارب عمرو وضارب عمرا ويروى بدل هذين * قرب رأى أخطأ الصوابا * يقول : أبعد عني يا أبا سعيد عتابك فلا تماثبنى ، لأنك ترى الخطأ في زيارة الملوك صوابا ولست على رأيك :
(٢) فإنهم : أى الملوك .

(٣) القرضاب : السيف القاطع ؛ والذابلات : الرماح اللينة ؛ والعراة الحيل العرية . يقول : إنما يتوصل إلى الملوك ويهتك الحجاب الذى أقاموه على أبوابهم بالسلاح والخروج عليهم لا بغير ذلك ؛ وهذا بعض ما يشف عن طموح التنبى وآماله السكار

وقال في صباه ارجعوا لبعض الكلابيين وهم على شراب :

لَأَحْبَبِي أَنْ يَمْلَأُوا بِالصَّافِيَاتِ إِلَّا كُوبًا^(١)
وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَبْذُلُوا^(٢) وَعَلَى أَنْ لَا أَشْرَبَا
حَتَّى تَكُونَ الْبَاتِرَا تِ الْمُسِمَعَاتِ فَأَطْرَبَا^(٣)

وقال يرثى محمد بن إسحاق التنوخى وينفى الشامة عن بنى عمه (*) :

لَأَيُّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نُعَاتِبُ وَأَيُّ رَزَايَاهُ يَوْتِرُ نَطَالِبُ^(٤)

(١) الصافيات : جمع صافية ، وهى الخمر ؛ والأكوب جمع كوب ، وهو القدح لا عروة له .

(٢) أى يجودوا بالشراب

(٣) الباترات . السيوف اقواطع ؛ يريد : أنه لا يطرِب إلا على صليل السيوف ؛ وهذا أيضا إحدى هنواته التى تدل على بعد همته ، ولا سيما إذا لوحظ أنه مما قله فى صباه ، مثل الأبيات التى قبلها .

* لما مات محمد بن إسحاق هذا رثاه المتنبي بأبيات مطلعها :

إِنِّى لأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَيْرُ

وَسَتَانِى ، ثم استزاده بنوعم المبت فقال هذه الأبيات :

غَاضَتْ أَنَامِلُهُ وَهَنَ بِحُجُورِ

وَسَتَمَرُ بَكَ ، ثم سألوهُ أن ينفى الثلاثة عنهم فقال :

الْأَلْ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ إِلَّا حَنِينَ دَائِمٍ وَزَفِيرَ

وترأها فى قافية الراء ، ثم سألوهُ زيادة فى نفي الشامة عنهم فقال هذه الأبيات التى

نحن بصدها

(٤) اللام فى قوله لأى : حشو ورفر لتقوية العامل ، على حد قوله تعالى « إن كنتم

للرؤيا تعبرون » أى أى صرُوف الدهر نعتاب ؛ والووتر : الثأر . يشكو الدهر يقول :

إن صرُوف الدهر ورزاياه كثيرة متوافرة ، فلا يمكن معاتبها ولا طلب الثأر منها .

مَضَى مَنْ قَدَّذَا صَبْرُنَا عِنْدَ فَقْدِهِ
وَقَدْ كَانَ يُعْطَى الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ عَارِبٌ (١)
يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ أَسْنَتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ (٢)
فَتُسْفَرُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّمَا مَضَارِبُهَا مِمَّا أَتَفَلَّلْنَ ضَرَائِبُ (٣)
طَلَعْنَ شُمُوسًا وَالْقُمُودُ مَشَارِقُ لَهْنٌ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ (٤)

(١) العازب : البعيد ، يقول : إنه كان في حياته إذا فقد الناس الصبر في الشدائد
يعينهم ويحسن إليهم حتى يصبروا على ما ينوبهم بما ينالون منه ، وقد روى يعطى - بفتح
الطاء - فيكون معناه أنه كان يصبر في المواطن التي كان يصعب فيها الصبر .
(٢) العجاجة : الغبار ؛ والاسنة : أطراف الرمح . جعل الغبار المرتفع في الهواء
سماء ، وجعل الأسنة لامة فيها كالسكواكب ، وهذا من قول بشار :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّعْجِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا كَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
وَقَالَ أَيْضًا :

خَلَقْنَا سَمَاءَ فَوْقَنَا بِنَجُومِهَا سَيْوُفًا وَنَقَعًا يَقْبِضُ الطَّرْفُ أَقْنَمًا
وَقَالَ آخَرُ :

نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءَ فَوْقَهَا جَعَلَتْ أَسْنَتَنَا نَجُومَ سَمَائِهَا

(٣) تسفر : تنجلي ، ومضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف وطبته وانفلاقه :
انفلاقه ؛ والضرائب : جمع ضريبة ، وهي الشيء المضروب بالسيف يقول : إن هذه
العجاجة تنجلي عنه ، وقد تثلث سيوفه من كثرة الضرب حتى صارت كأنها مضروبة
لاضاربة ، والعرب من عادتهم الفخر بفل سيوفها قال النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيْوْفَهُمْ بِهِنْ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وفي هذا البيت - بيت النابغة - من البديع تأكيد الدح بما يشبه الدم

(٤) الهامات : الرؤوس . يقول : إن سيوفه طلعت من أعماقها كالشمس في بريقها
ثم غربت في رؤوس المضروبين ، فصارت رؤوسهم مغارب لها ، وهذا من قول أبي نواس
في الحمر :

طَالَمَاتِ مَعَ الشَّقَاةِ حَلِينَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

مَصَائِبُ شَتَّى جُمِعَتْ فِي مُصِيبَةٍ وَلَمْ يَكُنْهَا حَتَّى قَفَّتْهَا مَصَائِبُ^(١)
 رَتَى ابْنُ أَيْبِنَا غَيْرُ ذِي رَحِمٍ لَهُ فَبَاعَدْنَا مِنْهُ وَنَحْنُ الْأَقَارِبُ^(٢)
 وَعَرَضَ أَنَا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ وَإِلَّا فَزَارَتْ عَارِضِيهِ الْقَوَاضِبُ^(٣)
 أَلَيْسَ عَجَبِيًّا أَنَّ بَيْنَ بَنِي أَبِ لِنَجْلِ يَهُودَى تَدْبُ الْعَقَارِبُ^(٤)
 إِلَّا إِمَامًا كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبُ^(٥)

(١) شتى : متفرقة ؛ وقفها : تبعها . يقول : إن مصيبتنا به ليست واحدة وإنما هي لعظمها كأنها مصائب شتى ، ولم يكن ذلك حتى تبعها مصائب أخرى ، وهى اتهام للفاسدين إيانا بأننا شامتون بموته .

(٢) قوله غير ذى رحم له : يروى ، غير ذى رحم لنا . يقول : إن هناك أجنبياً لا يمت إليه أو إلينا بأصرة قرابة يظهر الأسف على فقد ابن أيبنا — يريد ابن عمنا — فأبعدنا عنه باتهامه إيانا بالثماتة ونحن أقرباؤه ، فموته إنما يحزننا نحن لا غيرنا .

(٣) عرض أنا شامتون : أى عرض فى مرثيته بأننا شامتون ، والتعريض الإشارة إلى الغرض من غير تصريح ، والعارضان : جانباً اللحية ؛ والقواضب السيوف القاطعة . وقال الواحدى : قوله ، وإلا فزارت يحوز أن يكون من كلام المعرض حكى عنه ما قال كأنه قال : هم شامتون بموته ، وإلا فزارتنى السيوف : أى قتلت بها إن لم يكن الأمر على ما أقول ، فيكون هذا تأكيداً لما ذكر من ثماتهم ؛ ويحوز أن يكون من كلام الذين ينفون الثماتة عن أنفسهم . يقول : إن لم يكن الأمر على ما ذكر فرمى الله عارضيه بالسيوف ، فيكون هذا تأكيداً لنفى الثماتة ، وأن الأمر ليس على ما ذكر .

(٤) أن بين بنى أب : أى أنه بين بنى أب ، فاسم إن هو ضمير الشأن ، والنجل : الولد ، وديب العقارب : كناية عن النجاسة . يقول : أليس عجباً أن تدب عقارب يهودى بين بنى أب أى إخوة فيوقع بينهم العداوة ؟ يريد هذا الذى كان يمتنى بينهم بالنجاسة ، وجعله ابن رجل يهودى مبالغة فى أجنبيته عنهم ويريد بوصفه يهودى أنه خبيث دساس .

(٥) يقول : برغم أنه كان يغلب جميع الناس لم يقدر على الامتناع من الموت ، فدل ذلك على أنه ليس لله غالب ، وهذا من قول أبى تمام .

كُفِّ قَتْلُ مُحَمَّدٍ شَاهِدٌ أَنَّ الْعَزِيزَ مَعَ الْقَضَاءِ ذَلِيلٌ

وقال يمدح المفيث بن علي بن بشر العجلي :

دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجَبَا لِأَهْلِهِ وَشَقَى أُنَى وَلَا كَرَبَا^(١)
حُجْنَا فَأَذْهَبَ مَا أَتَى الْفِرَاقُ لَنَا مِنَ الْقَوْلِ وَمَا رَدَّ الَّذِي ذَهَبَا^(٢)
سَقَيْتُهُ عِبْرَاتٍ ظَنَنْهَا مَطْرًا سَوَائِلًا مِنْ جُفُونِ ظَنَنْهَا سُحْبَا^(٣)
دَارُ الْمَلَمِّ لَهَا طَيْفٌ تَهْدَدُنِي لَيْلًا فَمَا صَدَقَتْ عَيْنِي وَلَا كَذِبَا^(٤)

هذا وقال العكبري — تعليقاً على قوله : أن ليس — : أن هي الخففة من الثقيلة ، ولا تدخل إلا على الاسم ؛ ولا تدخل على الفعل حتى يحجز بينه وبينها حاجز لدخولها على الأسماء ، كقوله تعالى « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » تقديره : أنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ؛ وكقوله تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » تقديره : أنه سيكون ؛ فلا بد من حرف يحجز بينها وبين الفعل ؛ وقد دخلت هنا على ليس — وهي فعل بلا حاجز — وذلك لضعف ليس عن الأفعال ؛ ولأنها غير متصرفة كتصرف الأفعال ؛ ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ماسعى » .

(١) أنى : أى كيف وأنى بمعنى كيف كثير . قال تعالى : « أنى يحيى هذه الله بعد موتها » . وكرب : من أفعال المقاربة ، تقول كرب أن يفعل كذا : أى كاد وقارب : يقول : إنه بكى فى أطلال الأحبة بدمع قضى ما وجب لهم وشفاه بما ألم به من وجد ، ثم رجع عن ذلك وقال : وكيف أظن أن بكأتى قضى ما يجب وشقى ما فى نفسى من لوعة وهو لم يقض الحق ولم يشف الوجد ولا قارب أن يقضى ، يريد أنه قاصر عن ذلك . وفى هذا البيت من البديع ما يسمونه الرجوع ؛ وهو العود إلى الكلام السابق بالنقص والإبطال ، وهو كثير فى كلام الشعراء ، ومنه قول زهير :

قِفْ بِالذَّيَارِ الَّتِي لَمْ يَغْفِهَا الْقِدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِيمُ
(٢) عاج بالمكان : وقف به . يقول : غطفنا على هذا الربع لنزوره فأذهب ما كان بقى من عقولنا بعد الفراق بتجديده ذكرى الأحبة فضلاً عن أن يرد علينا ما كان قد ذهب منها لدى الفراق .

(٣) يقول : سقيت هذا الربع دموعاً سوائل ظننا مطراً من جفون ظننا سحبا .
(٤) دار الملم لها طيف : أى هذا الربع هو دار التى ألم طيف لها ، فدار : خبر

نَأَيْتُهُ فَدَنَا أَدْنَيْتُهُ فَنَأَى جَشَّتُهُ فَنَبَا قَبَلَتْهُ فَأَبَى ^(١)
 هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنْتَ يَتَنَا مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنْبًا ^(٢)
 مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصْنَا مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرَبَا ^(٣)

مبتدأ محذوف ، والألف واللام — فى الملم — بمعنى التى ؛ وطيف : فاعل ملم ولها حال
 مقدمة من قوله طيف . يقول : إن هذا الربع هو دار المرأة التى زارنى لها طيف .
 أوعدنى ليلا . أى هددنى بالمحجر فما صدقت عينى لأنها رأت خيالا لأن ذلك كان رؤيا ،
 ولا كذب الطيف فى تهديده لأنه هجرنى بعد ذلك ، إذ لم أتم بعدها .

(١) نَأَيْتُهُ بَاعَدْتُهُ : وروى أَنَايَتُهُ : أى أَبْعَدْتُهُ ؛ ودنا : قرب ، وجشته : غازلته
 وداعبته ، ونبا : تجافى وتباعد ؛ وَأَنْبَيْتُهُ أَنَا : دفعته عن نفسى ؛ وفى المثل :

الصدق ينبى عنك لا الوعيد

أى أن الصدق يدفع عنك الغائلة فى الحرب دون التهديد ؛ ونبا السيف : إذا لم يعمل
 فى الضريبة ؛ ونبا بصرى عن النبىء ونبا به منزله : إذا لم يوافق ؛ وأبى : امتنع ، يقول :
 كلما أردت من هذا الطيف شيئا قابلنى بضده ، وهذا قريب من قوله :

* صدت وعلمت الصدود خيالها *

(٢) الهيام : أن يذهب الرجل على وجهه لقلبة الموى عليه ؛ والطنب : جبل الحباء
 والسرادق ونحوهما ، قال ابن جنى ، يقول : ملكت قلبى بلا كلفة ومشقة ، فكانت كمن
 سكن بيتا لم يتعب فى إقامته ولا مد أطنابه . وقال الواحدى : وأحسن من هذا أن يقال :
 اتخذت بيتا من قلبى فزنته ، والقلب بيت بلا أطناب ولا أوتاد .

(٣) يقول : هى مظلومة القد — إذا شبه بالنفسن ، لأنه أحسن منه — وهى
 مظلومة الريق — إذا شبه بالعسل لأنه أحلى منه ؛ والضرب — وهو العسل الأبيض
 الغليظ — يذكر ويؤنث ؛ قال أبو ذؤيب الهذلى فى تأنيته :

وما ضَرَبَ بِيضَاءُ يَأْوِي مَلِيكُهَا إِلَى طُنْفٍ أُغْيَا بِرَاقٍ وَنَازِلٍ
 بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جَثَّ طَارِقًا وَأَشْهَى إِذَا نَامَتْ كَلَابُ الْأَسَافِلِ ^(١)

(١) يَأْوِي مَلِيكُهَا : أى يعسوها ؛ ويعسوب النحل : أميره ؛ والطنف : حيد يندر

بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا^(١)
 كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبًا^(٢)
 مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تَرَبُّنِهَا فَقُلْتُ لَهَا
 مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا^(٣)
 فَاسْتَضَحَّكَ ثُمَّ قَالَتْ كَالْمُعِيثِ يُرَى
 لَيْثَ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عِجْلِ إِذَا أَنْتَسَبَا^(٤)

(١) الحلة : الثوب ؛ ومطلوبا : منصوب على الحال أو التميز . يقول ؛ إنها لأنها
 ولين حدبها تطمع العاشق في نفسها ، فإذا حاول ذلك محاول عز عليه مطالبه لمفتها وصياتها ؛
 ومثل هذا قول بعضهم :

يُحْسِنَ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ دَوَانِيَا وَيَهِنُ عَنْ رَفَثِ الرِّجَالِ نِفَارُ^(١)
 (٢) يعي : يعجز ، والضمير في قابضه للشعاع ؛ وشعاعها فاعل يعي ، والطرف :
 النظر ؛ ومقتربا : حال . شبهها بشعاع الشمس في قربه من الطرف وبعده عن القبض
 عليه ؛ وهذا كما يقول ابن عينية :
 وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْوُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ
 ويقول الطرماح :

هِيَ الشَّمْسُ لَمَّا أَنْ تَغِيبَ لَيْلَهَا وَغَارَتْ فَمَا تَبْدُو لَعِينِ نَجْمُهَا
 تَرَاهَا عُمُومُ النَّاطِرِينَ إِذَا بَدَتْ قَرِيبًا وَلَا يَسْطِيعُهَا مَنْ يَرُومُهَا
 وأجمل من هذا قول العباس بن الأحنف :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَمَرْءُ الْفَوَادِ عَزَاءً جَمِيلًا
 فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ
 (٣) و (٤) القرب : المساوى لغيره في العمر ؛ ويقال للذة ؛ والشادن : من الظباء

من الجبل قد أعيا بمن يرقى ومن ينزل ؛ وقوله كلاب الأسافل : يريد أسافل الحمى لأن
 مواشيهم لا تبث معهم ؛ فرعاتها وأصحابها لا ينامون إلا آخر من ينام لاشتغالهم بحلبها .

جَاءَتْ بِأَشْجَعٍ مِّنْ يُسْتَعَى وَأَشْمَحَ مِّنْ
أَعْطَى وَأَبْلَغَ مِّنْ أَمَلَى وَمَنْ كَتَبَا^(١)
لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ فِي مُفَقَدٍ لَمْ تَشَى
أَوْ جَاهِلٍ لَصَحَا أَوْ أَخْرَسٍ خَطَبَا^(٢)
إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيْبَتُهُ
وَلَيْسَ يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إِذَا أُحْتَجَبَا^(٣)

الذي قوى وترعرع واستنق عن أمه ؛ يريد به المحبوبة ؛ واستضحك : بمعنى ضحك ،
والغيث : اسم المدوح ، وكالغيث : أى أنا كالغيث ، والليث : الأسد ، والشرى : موضع
تكثر فيه الأسود ، وعجل : قبيلة المدوح . يقول : مرث بن أبي نزيه تربيها قتل لها : أنت
من الظباء وترباك من العرب ، فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينهما ؟ فضحكت
ثم قالت : لا تعجب من ذلك فإنى كالغيث : تراه من الأسود ، وهو مع ذلك من عجل ؟
وكذلك أنا : ترانى من الظباء وأنا عرية . وفي هذين البيتين من البديع ما يسمونه حسن
التخلص ، وهو الخروج مما ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية
للالامة بينهما .

(١) أى جارت هذه المحبوبة بذكر رجل هذه أوصافه : وقيل جاءت هذه القبيلة
التي هي عجل بمن هذه أوصافه .

(٢) يقول : إن خاطره لتوقده لو كان في زمن^(١) لشي ، أو في جاهل لصحا من
جهله وصار عالما . أو في أخرس لقد رطى النطق .

(٣) يقول في الشطر الأول : إذا ظهر للناس حجب هيبته عيونهم عن النظر إليه
لشدة هيبته ، وهذا كقول الفرزدق :

يُبْفِضِي حَيَاءً وَيُبْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ

(١) الزمن ذو الزمالة : أى العاهة ، وهو هنا في معنى التمتع .

يَاضُ وَجْهِ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً
وَدُرُّ لَفْظِ يُرِيكَ الدَّرَّ تَحْشَلِبَا^(١)
وَسَيْفُ عَزِيمٍ تَرُدُّ السَّيْفَ هَبْتُهُ رَطْبُ الْفِرَارِ مِنَ التَّأْمُورِ مُخْتَضِبًا^(٢)

وقوله أيضاً :

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأْيَتَهُمْ خُضَعَ الرِّقَابَ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ^(١)
ويقول أبو نواس :

إِنَّ الْعِيُونَ حُجِبْنَ عَنْكَ لِهَيْبَةٍ فَإِذَا بَدَوْتَ لَهُنَّ نُكُسْنَ نَظِيرُ
ويقول في الشطر الثاني : إذا احتجب وراء الستور ظهر نور وجهه من ورأها
فلم تستطع حجبها ، وهذا كقول القائل :

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ نَلِوَةٍ هَيْبَاتٍ لَسْتُ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرٍ
وقال ابن جني : هذا يحتمل تأويلين : أحدهما أن حجابها قريب لما فيه من التواضع
فليس يقصر أحد أراده دونه وإن كان محتجبا ؛ والآخر أنه وإن احتجب فهو كلا
محتجب لشدة يقظته ومراعاته الامور . وعبارة الخطيب : الذي أراده المتنبي أن حسنه
وبهائه لا يحجب شيئا ، والبيت الذي يليه يشهد له

(١) الحالك : الشديد السواد ؛ والمخشب : خرز أبيض يشبه الدار ، والعرب
تسميه الخضض ؛ أما المخشب فهي كلمة بنطية . يقول : إن نور وجهه يغلب نور الشمس
حتى ترى إذا قابلها كأنها سوداء ، وأن لفظه أحسن من الدر حتى يرى الدر إذا نطق
كأنه خرز .

(٢) هبته : مضاهة ؛ والفرار : الحد ؛ والتأمر : دم القلب . قال أوس بن حجر .
أُنْبِئْتُ أَنَّ بَنِي سُجَيْمٍ أَوْلَجُوا أَيْبَاتَهُمْ تَأْمُورَ نَفْسِ الْمُنْذِرِ
« أي مهجة نفسه وكانوا قتلوه » يقول المتنبي : إن مضاء عزمه يصير السيْف رطب
الحد من دم الأعداء .

(١) خضع : جمع خضوع أي خاضع ونواكس جمع شاذ ويروى منكسى : نواكسى أي
مطاطقى رؤسهم منكسى أبحارهم إجلالاً له وهيبة وللنحو بين في نواكس كلام طريف فانظره
(١٦ — المتنبي ١)

عُمُرُ الْعَدُوِّ إِذَا لَقَاهُ فِي رَهَجٍ أَقْلٌ مِنْ عُمُرِ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبًا^(١)
تَوَقَّهَ قَمَتِي مَا شِئْتَ تَبْلُوهُ فَكُنْ مُعَادِيَهُ أَوْ كُنْ لَهُ نَشَبًا^(٢)
تَحْلُو مَذَاقَتَهُ حَتَّى إِذَا غَضِبَا حَالَتْ فَلَوْ قَطَرَتْ فِي الْمَاءِ مَا شَرِبَا^(٣)

(١) الرهج : الغبار ، وأرهج الغبار : أثاره . يقول : إذا لقي عدوه في غبار الحرب قصر عمره حتى يكون أقصر من عمر المال عنده إذا أخذ في العطاء .
وفال ابن القطاع : يريد أن عمر العدو حين يلاقيه قريب ، كما أن عمر المال عنده قريب حين يدخل إليه فلا يكاد حتى يهيه ؛ وليس يريد أن عمر العدو أقل من عمر المال ، وإنما يريد المساواة والمقارنة وأنهما لا يتيقنان . وقوله إذ وهبا : أى إذا أراد أن يهب .
(٢) تبلوه : أراد أن تبلوه ، لحذف أن وبقي عملها . قال العكبري : تبلوه : اتصب بإضمار أن ، وهو على مذهبنا ، فإن أهل الكوفة نصبوا بها مقدرة ، وأبى ذلك البصريون ؛ وحجتنا ما قرأ به عبد الله بن مسعود : « وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدوا إلا الله » فأعمل أن مقدرة ؛ وحجتنا أيضا قول عامر بن الطفيل :
* وَنَهَنَتْ نَفْسِي بَعْدَ مَا كِدْتُ أَفْسَلَهُ *

فنصب أفعله بأن المقدرة . والنشب : السال . يقول : احذره ولا تحم حوله بالعداء ، فإن أردت اختباره فكن عدوه أو مالا في يده حتى ترى ما يحل بك من الإباداة والإفناء ، وفي معنى هذا البيت قول مسلم بن الوليد :

تَظَلُّمُ الْمَالِ وَالْأَعْدَاءِ مِنْ يَدِهِ لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءِ ظَلَامًا
وما أحلى قول أبي نواس :

لَيْتَ مِنْ كَانَ عَدُوِّي كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ مَالًا

(٣) حالت : تغيرت ، وجعل المذاقة مما يقطر اتساعا . يقول : هو عذب الأخلاق فإذا غضب تغيرت فأضنت مرة فلو أمكن أن يمزج الماء بها لم يطق أحد شربه ؛ يعنى أن فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه ، وفي الماء يروى في البحر قال العكبري : وأراد بالبحر ههنا العذب ، قال الله تعالى « مرج البحرين » يريد الملح والعذب ؛ وأهل مصر والصعيد كلهم يسمون النيل : البحر . هذا وفي البيت تصريح ، وهو ما يحسن استعماله للخروج من قصة إلى قصة كما أسلفنا .

وَتَنْبِطُ الْأَرْضُ مِنْهَا حَيْثُ حَلَّ بِهِ
وَتَحْسُدُ أَنْخِلُ مِنْهَا أَيُّهَا رَكِبًا^(١)

(١) الغبطة والحسد : كلاهما بمعنى التمني ، بيد أن الغبطة أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه ، والحسد أن تتمنى مثل نعمته على أن تتحول عنه ؛ فالغبطة أخف . تقول منه غبطته بما نال أغبطه غبطا وغبطة فاغبط هو كقولك منعته فامتنع ، وحبسته فاحتبس . قال حريث بن جبلة العذري :
وبينا المرء في الأحياء مُغْتَبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ
وغبطت الكباش أغبطه غبطا : إذا جسست إلیته لتنظر أبه طرق أم لا؟^(٢) وغبط الشاة والناقة : جسما لينظر منهما من هزالها . قال رجل من بني عمرو بن عامر يهجو قوما من سليم :

إِذَا تَجَلَّيْتَ غَلَاَقًا^(٣) لَتَعْرِفَهَا لَاحَتْ مِنَ اللَّوْمِ فِي أَعْنَاقِهَا الْكُتُبُ
إِنِّي وَأَنْتَ ابْنُ غَلَاَقٍ لَتَقْرَيْنِي

كغايِطِ الْكَلْبِ يَتَّبِعِي الطَّرِيقَ فِي الذَّنْبِ

وقد سئل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يضر الغبط ؟ قال : لا ، إلا كما يضر العضاة الحُط ، أراد صلوات الله عليه أن الغبط لا يضر ضرر الحسد ، وأن ما يلحق الغايِط من الضرر الراجع إلى نقصان الثواب دون الإحباط بقدر ما يلحق العضاء من خبط ورقها الذي هو دون قطعها واستئصالها ، ولأنه يعود بعد الحبط ورقها : فهو وإن كان فيه طرف من الحسد فهو دونه في الإثم . وأصل الحسد : القشر ؛ وأصل الغبط الجس ؛ والشجر إذا قشر عنها لحاؤها يبست ، وإذا خبط ورقها استخلف دون يدي الأصل ، وضمير منها : للأرض ، وضمير به : لحيث حل الذي يقع مفعولا به لتببط ، وضمير منها الثانية : للخیل ، وأیها : مفعول تحسد يقول : إن الأرض يغبط بعضها البعض الذي يحل فيه ، والخیل يحسد بعضها البعض الذي يركبه . قال ابن جني : وجعل الغبطة للأرض لأنها وإن كثرت بقاها فهي كالمكان الواحد لاتصال بعضها ببعض

(١) الطرق : — الشحم أو السمن .

(٢) غلاق : — كشداد رجل أبو حى .

وَلَا يَرُدُّ فِيهِ كَفَّ سَائِلِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَيَرُدُّ الْجَحْفَلَ اللَّجِبَا^(١)
وَكُلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ فِي مُلْكِهِ أَفْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا^(٢)
مَالٌ كَانَ غَرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ فَكُلَّمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعْبَا^(٣)

والجلى ليست كذلك لأنها متفرقة فاستعمل لها الحسد ، والبيت مأخوذ من قول
أبي تمام :

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةٌ ثَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ
(١) الجحفل : الجيش العظيم ، واللجب : المختلط الأصوات . يقول : إنه جواد
هجاع لا يستطيع أن يرد سائله ، ولكنه يرد وحده الجيش العظيم .
(٢) قوله من قبل يصطحبا : أراد من قبل أن يصطحبا ، خذف أن وأبقى عملها ،
يقول : إذا اتقى الديناران لديه تفرقا قبل اصطحابها ، فهما يلتقيان مجتازين لامصطحبين
وقال الواحدى : يجوز نصب الدينار وصاحبه ويكون معناه كلما لقي المدوح الدينار
مصاحباه ، وما أجمل ما يقول النضر بن جؤية بن النضر فى هذا المعنى :

قَالَتْ حَلِيفَةُ مَا تَبْقَى دِرَاهِمُنَا وَمَا بِنَا سَرَفَ فِيهَا وَلَا خَرْقُ
إِنَّا إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا دِرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إِلَى طَرُقِ الْمُرُوفِ تَسْتَبِقُ
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ لِلْمَضْرُوبِ صُرْتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ
حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلٍ يُخْلِدُهُ يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمِرُقُ
(٣) المجتدى : السائل ، ونعيب الغراب : صاحبه ، والبين : الفراق يقول : هذا
المال كان غراب البين يرقبه ، فكما جاء مجتد صاح فيه ففترق شمله ، وعبرة الواحدى
إن ماله يرقبه غراب البين ، فإذا جاء السائل فرق المدوح ماله ، فكان غراب البين
نعب فى مال المدوح بالتفريق ، وما ذكر من رقبة الغراب ونعبيه بيان ومثال لتفريقه
المال عند مجئ السائل ، والأصل فى هذا أن العرب تقول : غراب البين إذا صاح فى
ديار قوم ففترقوا ، أما ما قاله ابن جنى من أن المعنى : كما أن غراب البين لا يفتر عن الصياح . كذلك
هذا لا يفتر عن العطاء : فهو بعيد ، ومن الذى قال إن الغراب لا يفتر عن الصياح ؟
هذا وقالوا إنما حسنت الإضافة فى غراب البين لأنه اسم مشترك يقع على أشياء ، فنهبا
غراب الفأس : أى حدها . قال الشماخ يصف رجلا قطع نبعة :

بَحْرٌ عَجَابُهُ لَمْ تُبْقِ فِي سَمَرٍ وَلَا عَجَائِبُ بَحْرِ بَدَهَا عَجَابُ^(١)
لَا يُفْنِغُ ابْنٌ عَلِيَّ نَيْلٍ مَنْزِلَةٍ يَشْكُو مُحَاوِلَهَا التَّقْصِيرَ وَالتَّعْبَا^(٢)
هَزَّ اللِّوَاءُ بَنُو عِجْلِ بِهِ فَفَدَا رَأْسًا لَهُمْ وَغَدَا كُلُّهُمْ ذَنْبًا^(٣)

فَانْحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدِّ غَرَابِهَا عَدُوٌّ لَأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مُشَارِزُ

« أَى أَمَالِ عَلَى النِّبَةِ فَأَسَا ذَاتَ حَدِّ ، غَرَابِهَا — أَى حَدِّهَا — مُشَارِزُ : أَى مُعَادِ أَوْسَىءِ الْخَلْقِ ، وَالْمُشَارِزَةُ هِيَ الْمُشَارَسَةُ » وَمِنْهَا الْغَرَابُ : قَدْ ذَالَ الرَّأْسُ يُقَالُ شَابَ غَرَابُهُ : أَى شَعَرَ قَدْ ذَالَ . وَالْغَرَابَانِ مِنَ الْفَرَسِ وَالْبَعِيرِ حِرْفَا الْوَرَكَيْنِ الْأَيْسَرِ وَالْأَيْمَنِ اللَّذَانِ فَوْقَ الذَّنْبِ حَيْثُ التَّقَى رَأْسَا الْوَرَكِ الْيَمْنَى وَالْيَسْرَى ، قَالَ الرَّاجِزُ .

يَا عَجَابًا لِلْمَعْجَبِ الْمُعْجَابِ خَمْسَةُ غُرَبَانَ عَلَى غُرَابِ

(١) السمر : المسامرة ، وهو حديث الليل ، وأصله أنهم كانوا يسمرون في ظل القمر ، وأصل السمر : ظل القمر ، والسمرَةُ مأخوذة من هذا ، وسمر يسمر سمرًا وسمرورًا لم ينم : وهو سامر ، وهم السمار ، والسامرُ أيضًا السمار ، وهم القوم يسمرون . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَقَدْ جَاءَتْ حُرُوفٌ عَلَى لَفْظِ فَاعِلٍ وَهِيَ جَمْعٌ ، فَفِيهَا الْحَامِلُ وَالسَّامِرُ وَالْبَاقِرُ وَالْحَاضِرُ ، وَالْحَامِلُ لِلْأَبْلِ وَيَكُونُ فِيهَا الذَّكَورُ وَالْإُنَاثُ ، وَالسَّامِرُ : الْجَمَاعَةُ مِنَ الْحَيِّ يَسْمُرُونَ لَيْلًا ، وَالْحَاضِرُ إِلَى الزُّوْلِ عَلَى الْمَاءِ ، وَالْبَاقِرُ : الْبَقَرُ فِيهَا الْفُحُولُ وَالْإِنَاثُ ، قَالُوا : وَالسَّامِرُ أَيْضًا : الْمَوْضِعُ الَّذِي يَجْتَمِعُونَ لِلْسَمْرِ فِيهِ ، وَأَنْشَدُوا :

• وَسَامِرٌ طَالَ فِيهِ اللَّهْوُ وَالسَّمَرُ •

وَابْنُ سَمِيرٍ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لِأَنَّهُ يَسْمُرُ فِيهِمَا . يَقُولُ : هُوَ بَحْرٌ لَهُ عَجَائِبُ فِي بَابِ الْفَضْلِ وَالشَّجَاعَةِ لِأَنَّهُمَا كِيهَا عَجَائِبُ الْبَحَارِ وَلَا مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ السَّامِرُ ، إِذْ هِيَ بِالْقِيَاسِ إِلَيْهَا كَالشَّيْءِ الْمَأْلُوفِ لِعَرَابَةٍ مَا يَدُو مِنْهُ وَيَتَحَدَّثُ عَنْهُ ، وَعِبَارَةٌ ابْنِ جَنَى : تَشَاغَلَ النَّاسُ بِالتَّعْجِبِ مِنْ فُضَائِلِ هَذَا الرَّجُلِ عَنْ عَجَائِبِ الْأَسْهَارِ وَالْبَحَارِ

(٢) مُحَاوَلَهَا : أَى طَالِبَهَا ، وَأَصْلُهُ طَلَبُ الشَّيْءِ بِالْحِيلَةِ . يَقُولُ : لَا يَقْنَعُ الْمَدُوحُ أَنْ يَنَالَ الْمَنْزِلَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي يَشْكُو طَالِبُهَا قُصُورَهُ عَنْهَا وَتَعَبَهُ فِي تَحْصِيلِهَا ، إِذْ هُوَ دَائِمًا يَطْمَحُ إِلَى مَا يَجْزِي عَنْهُ الطَّالِبُونَ .

(٣) اللِّوَاءُ الرَّايَةُ ، وَبَنُو عِجْلِ : قَبِيلَةُ الْمَدُوحِ . يَقُولُ : حَرَكُوا اللَّوَاءَ بِاسْمِهِ — أَى

التَّارِكِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَهْوَنَهَا
وَالرَّاكِبِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا صُمِبَا^(١)
مُبَرِّقِي خَيْلِهِمْ بِالْبَيْضِ مُتَّخِذِي
هَامِ الْكِمَاةِ عَلَى أَرْمَاحِهِمْ عَذَابًا^(٢)

جعلوه سيدهم وقائدهم — فاذا حركوا رايتهم حركوها باسمه ، فصار سيدهم وصاروا هم به مادة الناس ، فهو رأس بني عجل فصاروا بذلك سادة الناس ، وصار الناس أذنانا لهم وتبعوا .

(١) نصب التاركين على المدح بإضمار أعنى أو أمدح . يقول : إنهم — بعد همتهم — يتركون ما هان من الأمور وسهل وجوده ، ويرومون الصعب الشاق منها ، وفي هذا يقول الطهوى :

وَلَا يَرَعُونَ أَكْنَافَ الْمُؤَيَّنَا إِذَا حُلُّوا وَلَا رَوْضَ الْمُدُونِ^(١)
(٢) البيض : السيوف ، والهام : الرؤوس ، والكمأة : الأبطال المدجون في السلاح والعذب : جمع عذبة وهى الريش الملق في طرف الرمح . يقول : إن سيوفهم تحول دون خيلهم أن يصل إليها أحد بطعن أو ضرب : إما لمنازلتهم دونها ، أو لحذقهم بالضرب ، فتكون لها بمنزلة البراقع . والمعنى أنهم يحمونها بالسيوف لا بالبراقع والتجافيف . وعبرة أبى الفضل العروضى : أن سيوفهم مكان البراقع لحيلهم فلا يصل العدو إلى فرسانهم . وقوله متخذى هام الكمأة : معناه أنهم يأخذون رؤوس الأبطال بأطراف رماحهم ، فتكون مع شعورها بمنزلة العذب التى تطلق بالرمح . وقال جرير فى هذا المعنى :

كَأَنَّ رُءُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا
غَدَاةَ الْوَغَى تَيْجَانُ كِسْرَى وَقِصْرَا

وقال مسلم بن الوليد :

يَكْسُو السُّيُوفَ نَفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تَيْجَانًا لِقَنَا الذُّبُلِ

(١) المدون : البعة والسكون .

إِنَّ النَّبِيَّةَ لَوَ لَاقَتْهُمْ وَقَفَتْ خَرَقَاءَ تَتَّبِعُهُمُ الْإِفْدَامَ وَالْهَرَبَا^(١)
 مَرَاتِبٌ صَعِدَتْ وَالْفِكْرُ يَتَّبِعُهَا فَجَازَ وَهُوَ عَلَى آثَارِهَا الشُّبُهَا^(٢)
 مُحَمَّدٌ نَزَفَتْ شِعْرِي لِيَتَمَلَّأَهَا فَالَ مَا امْتَلَأَتْ مِنْهُ وَلَا نَضَبَا^(٣)
 مَكَارِمُ لَكَ فَتَ الْعَالَمِينَ بِهَا مَنْ يَسْتَطِيعُ لِأَمْرِ قَائِتٍ طَلَبَا^(٤)

وقال أبو تمام :

أبدلت أرووسهم يومَ الكريهة من

قنا الظهور قنا الخطي مدعما

من كل ذي لمة غطت صفائرها صدرَ القناة فقد كادت ترى علما

(١) الخرقاء : الحقاء ، مؤنث الأخرق . يقول : لولا قنهم النية يوم الوغى للبطت بالأرض خوفا وفزعا لاتبه لها رأى في السلامة فهي تهم الإقدام وتهم الهرب خشية الإدراك : أى تقدر أنها إن هربت أدركت . قال أبو تمام :

من كل أروع ترتاع النون له إذا تجرد لانكس ولا حذر

وقال أيضا :

شوس إذا خفقت عقاب لوائهم ظلت قلوب الموت منها تحق

(٢) الشهب : الكواكب . يقول : إن لهم مراتب عالية علت في السماء فصارت أعلى من الكواكب ، لأن الفكر الذى يتبعها جاز الكواكب ولم يلحقها .

(٣) نزفت : استنفدت ، وآل : عاد ورجع ؛ ونضب : جف . قال الواحدى : جعل اقتضاء المحامد أن تنظم بالشعر نزفا وجعل الشعر — لكونه مقتضى — منزوفا . يقول : لم تمتلئ هذه المحامد من شعري : أى لم تبلغ الغاية التى تستحقها من شعري ، ولا شعري فنى ، فأنا أبدا أمدحهم : ويان ذلك أن لهم محامد استخرجت شعري لينظم تلك المحامد كلها فلم تنحصر بالشعر ولم يفن الشعر يريد كثرة محامدهم وكثرة مدائمه لم يعنى أنه سيعود إلى استيفاء مديحهم ، وجعل الشعر كالماء ينزف ، واستغرق محامدهم فى الشعر كلثها بالماء ، ولما جعل الشعر . كالماء جعل فناءه نضوبا .

(٤) يقول : لك مكارم سبقت بها العالمين فليس فى مكنة أحد إدراكها ومن يستطيع

إدراك أمر قائم ؟

لَمَّا أَقَمْتَ بِأَنْطَاكِيَّةِ اخْتَلَفْتَ إِلَى الْخَبِيرِ الرُّكْبَانُ فِي حَلَبَا^(١)
 فَسِرْتُ نَحْوَكَ لَا أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ أَحْتُ رَاحِلَتِي الْفَقْرَ وَالْأَدْبَا^(٢)
 أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوَى شَرِقتُ بِهَا لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَّى مَا عَاشَ وَأَنْتَحَبَا^(٣)
 وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً وَالسَّمْهَرِيَّ أَخَا وَالشَّرِيفَ أَبَا^(٤)
 بَكْلًا أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُنْتَسِمًا حَتَّى كَانَ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَا^(٥)
 قُحَّ يَكَادُ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْذِفُهُ عَنْ سَرَجِهِ مَرَحًا بِالْقَرْوِ أَوْ طَرَبَا^(٦)

(١) و (٢) اختلفت : ترددت وجاءت مرة بعد أخرى ، والمراد بالركبان : القصاد الذين صعدوا إلى المدوح فأبوا بالهبات والعطايا ، ولا ألوى لا أعرج . يقول : لما أقمت بأنطاكية جاءتني ركبان الغاة — الذين قصدوا إليك وأنا في حلب — فما عشت أن سرت نحوك لا أعرج في سيري ولا أقف ، حتى وصلت إليك محمولا على راحلتين من قفري الذي يحفزني إلى بابك طلبا لجذواك وأدبى الذي تسببت به إليك .

(٣) شرقت : غصت ، وضمير ذاقها : للزمن . وقوله ما عاش . أى ما بقى وامتد . والاتحباب : رفع الصوت وتردده بالبكاء . يقول : أذاقني الدهر من الفقر والغربة شيئا لو ذاقه هو لبكى واتحَب . مدة حياته ولم يستطع عليه صبرا لأنه الغاية في الشدة ، فكيف أصبر أنا عليه ؟

(٤) عمرت : عشت ، والسّمهري : الرمح ، والشرفي : السيف ، كنى بهذه القربات عن ملازمة هذه الذكورات . يقول : إن عشت وتنفس بي العمر لازمت الحرب حتى أدرك طلبى . هذا ويقال عمر الرجل بكسر الميم يعمر عمرًا وعمارة وعمرا ، وعمر — بالفتح — يعمر ويعمر : أى عاش وبقي زمانا طويلا ومنه قولهم : أطال الله عمرَكَ وعمرَكَ وهما وإن كانا مصدرين بمعنى ، إلا أنه استعمل في القسم أحدهما وهو المفتوح .

(٥) و (٦) الأشعث : المفبر من طول السفر ولقاء الحروب ؛ والقح : الخالص : أى العربى الخالص النسب ؛ وقح : نعت لأشعث ، والرح : النشاط . يقول : للزمت الحرب بكل رجل قد طال تمرسه بالحروب والأسفار حتى تراه يرمى بنفسه في التهلكة كأن القتل حاجة له يبتغيها ويتهاك عليها ، وإذا هو سمع صهيل الخيل استخفه ذلك حتى يكاد يطرحه عن السرج لما يجد من النشاط والطرب ؛ وروى ابن حنبل عن صهيل الخيل

فَالْمَوْتُ أَعْدَرُ لِي وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِي وَالْبَرُّ أَوْسَعُ وَالْدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا^(١)

صهيل الجرد - جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر - وذلك مما يحمد في الخيل، ويروى بدل مرحا بالغزو : مرحا بالعز . ومن جيد ما قيل في معنى البيت الأول قول أبي تمام :
مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الْحَتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْحَتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ
وقول البحتري :

مُسْتَرْسِرِينَ إِلَى الْحَتُوفِ كَأَنَّمَا وَفَرْ بَارِضٍ عَدُوِّهِمْ يُتَنَهَّبُ

(١) يقول : الموت أعذر لي من أن أعيش ذليلاً ، فإذا قتلت في طلب المال قام الموت بعذري ، والصبر أجمل ، لأن الجزع عادة اللثام ، والبر أوسع لي من بلد يضيق بي رزقه فأنا أسافر وأضطرب في مناكب الأرض ؛ والدنيا لمن غلب وزاحم لا لمن لزم عقرداره ، قل العكبري : وهذه الأبيات التي أتى بها في آخر القصيدة خارجة عما هو فيه لأنه يمدح رجلاً ، ويذكر أنه قد قصده وأن الزمان قد أذاقه بلوى وشدة ، وقد جاء يستجدي منه ثم يذكر الشجاعة منه وطلب الملوك وأخذ البلاد . . . وأين أبو الطيب والملوك ؟ رحم الله امرأ عرف قدره . . . ولقد أحسن ابن دريد فيما قال :

من لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخلق
وقد غاب عن العكبري - رحمه الله - خلائق المتنبي وأنه لا يمدح الناس إلا لمدح نفسه وبنوه بما تنطوى عليه من الطامع والآمال الكبار والزراع إلى الطعن والنزال .

وقال يمدح على بن منصور الحاجب *

بأبي الشَّمْسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبًا اللَّابِسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِبًا^(١)
الْمَنْهَبَاتُ قُلُوبَنَا وَعُقُولُنَا وَجَنَاتِهِنَّ النَّاهِبَاتِ النَّاهِبَا^(٢)
النَّاعِمَاتُ الْقَاتِلَاتُ الْحَيَا تِ الْمُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلَالِ غَرَائِبَا^(٣)
حَاوِلُنْ تَقْدِيرِي وَخِفْنِ مُرَاقِبَا فَوَضَعْنِ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَائِبَا^(٤)

* قيل: إنه لم يحزه على هذه القصيدة إلا ديناراً واحداً ، ولذلك سميت بالدينارية .
(١) الباء للتفدية ؛ والشمس : إما مرفوعة على أنها مبتدأ محذوف الخبر والتقدير :
الشمس مفديات بأبي ؛ وإما منصوبة على أنها مفعول فعل محذوف والتقدير : أفدى
الشمس بأبي ؛ والجناحات : المائلات ؛ والجلاب : جمع جلباب ، وهو ما يلتحف
به من الثياب ، وأصله جلايب : قال تعالى « يدنين عليهن من جلابيبهن » فحذف الياء
ضرورة ؛ كنى بالشمس عن النساء ، وبغروبهن . عن بعدهن . وعبرة الواحدي :
لما سماهن شموماً كنى عن بعدهن بالغروب ، لأن بعد الشمس عن العيون لا يكون إلا
بالغروب ، وقد بين في آخر البيت أن الشمس : النساء الحسنات ؛ إذ قال : اللابسات الخ .
وقال ابن جني : غبن عنك في الحدور .

(٢) المنهبات : اسم فاعل ، وجناتهن : مفعول أول ؛ وقلوبنا : مفعول ثان ،
وعقولنا : عطف عليه ؛ والناهبات : صفة لوجناتهن ؛ ولك أن ترفع وجناتهن على أنها
فاعل المنهبات : أى اللاتي أنهبت وجناتهن قلوبنا ، فيكون قد اقتصصر على مفعول واحد ؛
ويقال أنهبت الشيء إذا جعلته نهباله . يقول : اللواتي جعلن قلوبنا وعقولنا نهبال لوجناتهن
يسمينها بحسنهن ، ثم وصف الوجنات بأنها تنهب الناهب : أى الرجل الشجاع المغوار
الذى ينهب الناس . بعد أن أبلى البلاء الحسن في الحرب ، وهذا من قول أبي تمام :

سَلَبْنَ غِطَاءَ الْحَسَنِ عَنْ حُرٍّ أَوْجُهُ تَقَالُ لِلْبِّ السَّالِيهَا سَوَالِبَا

(٣) الناعمات : أى اللينات المفاصل ، والقاتلات : أى بهجرهن ، والمحييات :
بوصلهن ، والمبديات : أى المظهرات من الدلال عجائب ، والدلال : جرة المرأة على
الرجل في تكسر وتفتيح .

(٤) الترائب : موضع القلادة من الصدر . يقول : حاولن أن يقلن لى نقدك بأنفسنا
فوضعن أيديهن على صدورهن إشارة إلى ذلك خوف الرقيب . وقال ابن جني : أشرن

وَبَسَمَنَ عَنْ بَرْدٍ خَشِيتُ أَذِيهٗ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي فَكُنْتُ الذَّاكِبَ^(١)
يَا حَبْدًا الْمُتَحَمِّلُونَ وَحَبْدًا وَإِ لَثَمْتُ بِهِ الْفَزَالَهَ كَاعِبًا^(٢)
كَيْفَ الرَّجَاءِ مِنَ الْخُطُوبِ تَخْلُصًا مِنْ بَعْدِ مَا أَنْشَبَنِي فِي مَخَالِبًا^(٣)

إلى من بعيد ولم يجهرن بالسلام والتحية خوف الرقباء والوشاة . جعل ابن جني هذه الإشارة تحية وتسليما ، وقال الواحدى : طلبن أن يقلن تفديك بأنفسنا وخفن الرقيب ، فنقلن التفدية من القول إلى الإشارة : أى أنفسنا تفديك ؛ وهذا أولى من قول ابن جني لذكر التفدية فى البيت ، ولم يقل حاولن تسليمى ؛ لأن الإشارة بالسلام لاتكون بوضع اليد على الصدر . وقال ابن فورجه : وضع اليد على الصدر لا يكون إشارة بالسلام وإنما أراد وضع أيديهن فوق ترائهن تسكيناً للقلوب من الوجيب . قال الواحدى : وليس كما قال — ابن فورجه — ، وصدر البيت ينقض ماقله . هذا وبديع قول بعضهم ينظر إلى هذا المعنى :

أَضْحَى بِجَانِبِي مُجَانِبَةَ الْعِدَا وَيَبِيتُ وَهُوَ إِلَى الصَّبَاحِ نَدِيمٌ
وَيَمُرُّ بِي خَوْفَ الْوُشَاةِ وَلَفْظُهُ شَتْمٌ وَحَشْوٌ لِحَاضِهِ تَسْلِيمٌ
(١) أراد بالبرد : أسنانهن التى تشبه البرد فى نقائها ، وقوله خشيت أذيه : أى أن أذيه . يقول : إني كنت أخاف على ثورهن أن تذوب من حرارة أنفاسى ، فلما رحلن ذبت أنا من شوق إليهن ، ومن هذا الباب قول الصنوبرى :

وضاحكٍ عن بَرْدٍ مُشْرِقٍ أبا حَنِيهٍ دُونَ جُلَاسِي
فكَلَمًا قَبْلَهُ خِفْتُ أَنْ يَذُوبَ مِنْ نِيرَانِ أَنْفَاسِي
وقول بعضهم :

وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ يُذِيبَ مَفَاصِلِي مَنْ لَوْ جَرَى نَفْسِي عَلَيْهِ لَذَابَا
(٢) المتحملون : المرتحلون ؛ والمراد بالفزالة إما الشمس وإما الحيوان المعروف ، والكاعب : التى بدا ثديها للنهود . يقول : قبات غزالة فى صورة كاعب من النساء .
(٣) الخطوب : الأمور الثقالة ، وتخلصا : مفعول الرجاء ، أعمله مع اقترانه بأل وهو ضعيف ، أنشد سيويه :

أَوْ حَدَّثَنِي وَوَجَدَنَ حُزْنًا وَاحِدًا مُتَّاهِيًا فَعَجَلَنَّهُ لِي صَاحِبًا^(١)
وَنَصَبَنِي غَرَضَ الرِّمَاءِ تُصِيبُنِي مَحْنٌ أَحَدٌ مِنَ الشُّيُوفِ مَضَارِبًا^(٢)
أُظْمِتَنِي الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبًا^(٣)
وَحَبِيتُ مِنْ خَوْصِ الرُّكَّابِ بِأَسْوَدٍ
مِنْ دَارِشٍ فَفَدَوْتُ أُمِّي رَاكِبًا^(٤)
حَالٌ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبًا^(٥)

ضعيفُ النِّكَايَةِ أعداءه يَحَالُ الْفِرَارُ يُرَاحِي الْأَجَلَ^(١)

وأُنشِبَنِي : علقن ، والخاب : جمع الخلب — بكسر الهم — وهو للسباع وجوارح
الطير بمنزلة الظفر للانسان يقول : كيف أرجو التخلص من الخطوب بعد أن نالت مني
وتقد في حكمها ؟

(١) أوحدني : أى الخطوب — أى صيرني واحدا . يقول : تركتني الخطوب
وحيدا بعد أن فرقت بيني وبين الأخوة ، وجعلت صاحبي بدم ما أجده من الحزن التناهي
الذي هو واحد الأحزان ، وهو حزن الفراق .

(٢) انقض : الهدف يرمى بالسهم ؛ ومضاربا : تميز جمع مضرب — بفتح الراء
وكسرها — حد السيف . يقول : إن الخطوب نصبت هدفا للمحن .

(٣) أظمتني من الظما : العطش : فأصلها أظمتني ، فأبدل الهمزة ألفا ثم حذفها .
يقول : كان حظي من الدنيا الحرمان . فلما التمس عطاءها أفرغت على المصائب .

(٤) قوله من خوص الركاب : أى بدلا من خوص الركاب ، والخوص جمع الخوصاء ،
وهي الناقة الفائرة العينين من الجهد والإعياء ، والركاب : الإبل ، والدارش : ضرب
من السخيان ، وهو جلد أسود : يقول أعطيت عوضا من الإبل خفا أسود ، فأنا
راكب ماش .

(٥) حال : خبر مبتدأ محذوف : أى هذه حال ، ويروى حالا — بالنصب — على

(١) يهجو رجلا يقول : هو ضعيف عن أن ينكى أعداءه وجبان عن أن يثبت لقرنه
ولكنه يلجأ إلى الفرار ويغاله مؤخرأ لأجله .

مَلِكٌ سِنَانُ قَنَاتِهِ وَبَنَانُهُ يَتَبَارَيَانِ دَمًا وَعُرْفًا سَاكِبًا^(١)
يَسْتَصْفِرُ الْخَطَرَ الْكَبِيرَ لَوْفِدِهِ وَيَظُنُّ دِجْلَةَ لَيْسَ تَكُنِي شَارِبًا^(٢)
كَرَمًا فَلَوْ حَدَّثْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِعَظِيمٍ مَا صَنَعْتَ لَظَنَكَ كَاذِبًا^(٣)

إضمار عامل محذوف : أى أشكو أو أذم . يقول : إن حالى هذه لو علم بها ابن منصور تلافاها بإحسانه وحال دون إساءة الزمان ، فيكون إحسانه بمنزلة توبة الزمان إلى ومثل هذا لأبى تمام قال :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فَقَدْ يَرَى بِنْدَاكَ وَهُوَ إِلَى مِنْهَا تَائِبٌ
وَقَالَ أَيْضًا :

عَصَبٌ إِذَا هَزَهُ فِي وَجْهِ نَائِيَةٍ جَاءَتْ إِلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ
(١) السنان : نصل الرمح ، والبنان فى الأصل : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا الكف ، ويتباريان : يفل كل منهما ما يعارض به صاحبه . ودما : تميز أو منصوب على نزع الخافض : أى فى دم ، والعرف : المروف والمراد به الجود ، والساكب : المنسكب . يقول : إن سنان رعمه يقطر دما من الأعداء ، وكفه تسكب جوداً على الأولياء . وهذا من قول البحرى :

تَلْقَاهُ يَقْطُرُ سَيْفُهُ وَسِنَانُهُ وَبَنَانُ رَاحَتِهِ دَمًا وَنَجِيمًا
(٢) الخطر : الأمر الخطير : أى العظيم . يقول : إنه يستصفر الشيء العظيم لمن يقصده ويتبع إلى لكرمه ويظن — لكثرة عطائه — أن نهر دجلة — ذلك النهر العظيم — ليس يكنى شارباً . ومثل هذا قول أبى تمام وزاد الشكر :

فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ مَاحْبُوتٍ مِنَ اللَّهِأ زَرَرًا وَأَصْفَرَ مَا شَكَرْتُ جَزِيلًا
(٣) كرما : مفعول مطلق : أى كرم كرماً ، أو مفعول له عامله . يظن فى البيت قبله يقول : لو حدثته بما صنع من الأفعال الجسام لظنك كاذباً لخروج تلك الأفعال عن طوق القدرة . قال الواحدى — ناقدًا — : وقد أساء فى هذا ، لأنه جعله يستعظم فعله وفضده يمدح ، وإنما يحسن أن يستعظم غيره مافعل كما قال أبو تمام .

تَجَاوَزَ غَايَاتِ الْعُقُولِ رَغَائِبٌ تَكَادُ بِهَا لَوْلَا الْعِيَانُ تُكَذِّبُ
وَقَالَ الْبَحْرَى :

سَلْ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَزُرْهُ مُسَالِمًا وَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ مُحَارِبًا^(١)
فَالْمَوْتُ تُعْرِفُ بِالصِّفَاتِ طِبَاعُهُ لَمْ تَلَقْ خَلْقًا ذَاقَ مَوْتًا آيِبًا^(٢)
إِنْ تَلَقَّهِ لَا تَلَقْ إِلَّا قَسْطَلًا أَوْ جَحْفَلًا أَوْ طَاعِنًا أَوْ ضَارِبًا^(٣)
أَوْ هَارِبًا أَوْ طَالِبًا أَوْ رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا أَوْ هَالِكًا أَوْ نَادِبًا^(٤)

وَحَدِيثٌ مَجْدٍ عَنْكَ أَفْرَطُ حُسْنِهِ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَوْضُوعٌ

(١) حذار : اسم فعل بمعنى احذر ، ومسالما ومحاربا : حالان . يقول : سل عن شجاعته لتعرفها بالخبر ولا تحاول أن تعرفها بالمشاهدة والتمرس بها وإلا هلكت : أى لا تحاول أن تعرفها بالقتال ، فإنك إن قاتلته قتلت ، وقد ضرب البيت التالى مثالا لذلك .
(٢) يقول : فإن الموت يعرف بالوصف لا بالتجربة ، إذ لم نجد مخلوقا مات ثم رجع فيخبرنا عن حقيقة الموت ، وإذن فالموت إن عرف بالمشاهدة أهلك ألتة ، وكذلك شجاعة المدوح ، وقوله خلقا : أى مخلوقا ، مفعول أول لتلق ، وآيا : مفعول ثان .
(٣) انقسطل هنا : غبار الحرب ؛ وهو انقسطل ، والقسطال والقسطول والقسطلان والقسطل — بالصاد — كاه . الغبار الساطع . وقال الجوهري : القسطال لغة فيه كأنه محدود منه مع قلة فعلا في غير المضاعف ؛ وأشد أبو مالك لأوس بن حجر يرثى رجلا :

وَلْنِعَمَ رِفْدُ الْقَوْمِ يَنْتَظِرُونَهُ وَلْنِم حَشْوُ الدِّرْعِ وَالسِّرْبَالِ
وَلْنِم مَأْوَى الْمُسْتَضِيفِ إِذَا دَعَا وَالْخَلِيلِ خَارِجَةً مِنَ الْقَسْطَالِ

وقال آخر :

* كَأَنَّهُ قَسْطَالٌ رِيحُ ذِي رَهَجٍ *

الجحفل : الجيش العظيم . يقول : إنه لا ينفك عن هذه الأشياء

(٤) تبين لأحوال الناس معه . يقول : فلا ترى إلا هاربا من جيشه ، أو طالبا رفقده ، أو راغبا في إحسانه ، أو راهبا من بأسه ، أو هالكا بسيفه ، أو نادبا على قتل له من الأسرى الذين أسرم . وقال الواحدى : ويجوز أن تكون هذه أحوال المدوح : أى تلقاه هاربا من الدنيا ، وطالبا للعلی ، وراغبا فى المكارم ، وراهبا من الله تعالى . وهالكا : أى مهلكا — كما قال العجاج :

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجِبَالِ رَأَيْتَهَا فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلًا وَقَوَاضِيَا^(١)
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا تَحْتَ الْجِبَالِ فَوَارِسًا وَجَنَائِبًا^(٢)
وَعَجَاجَةً تَرَكَ الْخَلِيدُ سَوَادَهَا زَنْجًا تَبَسُّمٌ أَوْ قَذَالًا شَائِبًا^(٣)

وَمَهْمَهُ هَالِكٌ مَنْ تَعَرَّجَا^(١)

ونادبا : من يبارزه من الندب . وهذا تعسف من الواحدى كما ترى .
(١) و (٢) العواسل : الرماح ، والقواضب : السيوف ، والجنايب : جمع الجنيبة ،
وهى التى تقاد إلى جنب الفارس . يقول : عمت جنوده السهل والجبل ، فإذا نظرت إلى
الجبال رأيتها رماحا وسيوفاً ، وإذا نظرت إلى السهول رأيتها فوارس وجنايب :
أى غصت بهما .

(٣) وعجاجة . بالنصب . عطف على ما تقدم : أى ورأيت عجاجة ، أو
بالجر على إضمار رب ، والعجاجة : الغبار ، وتبسم - بحذف إحدى التائين - أى تبسم ،
والقذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق فأس القفا ، وقال ابن الأعرابي :
القذال : مادون القمحدوة إلى قصاص الشعر ، قال الأزهري : اقمحدوة ما أشرف على
القفا من عظم الرأس ، والهامة فوقها ، والقذال دونها مما يلي اللقذ ، ويقال : القذالان
ما اكتنف فأس القفا عن يمين وشمال ، والزنج - بفتح الزاى وكسرهما - جيل من
السودان ، وهم الزنوج يقول : إن بريق الأسلحة فى سواد الغبار يشبه تبسم الزنج أو شيب
القذال ، ولحمود الوراق :

حتى تبدى الصبح يتلو الدجى كالحكىشى افتر للضحك
ولأبى نواس :

لما تبدى الصبح من حجابهِ كطلعةِ الأشمط من جلابهِ
وهذا التشبيه متداول كثير فى الشعر :

(١) تمامه : هائلة أهواله من أدلجا . قال فى اللسان : هالك بمعنى مهلك لغة تميم
كما يقال : ليل غاض أى مغض ، وقال الأصمى فى قوله ، هالك من تعرجا : أى هالك
المتعرجين إن لم يهذبوا فى السير : أى من تعرض فيه هلك .

فَكَأَنَّكَ كَيْسَى النَّهَارُ بِهَا دُجَى لَيْلٍ وَأَطْلَمْتَ الرِّمَاحُ كَوَاكِبًا^(١)
 قَدْ عَسْكَرْتَ مَعَهَا الرِّزَايَا عَسْكَرًا وَتَكْتَبْتُ فِيهَا الرِّجَالُ كِتَابًا^(٢)
 أَسَدٌ فَرَانِسُهَا الْأَسُودُ يَقُودُهَا أَسَدٌ تَصِيرُ لَهُ الْأَسُودُ نَعَالًا
 فِي رُتْبَةٍ حَجَبَ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا وَعَلَا فَسَمَّوَهُ عَلَى الْحَاجِبَا^(٣)
 وَدَعَوَهُ مِنْ فَرْطِ السَّخَاءِ مُبَذَّرًا وَدَعَوَهُ مِنْ غَضَبِ الثُّفُوسِ الْفَاصِبَا
 هَذَا الَّذِي أَفْنَى الثُّنَّارَ مَوَاهِبَا وَعِدَاهُ قِتْلًا وَالزَّمَانَ تَجَارِبَا^(٤)
 وَغَيْبُ الْمَذَالِ فِيمَا أَمَلُوا مِنْهُ وَلَيْسَ يَرُدُّ كَفًّا خَائِبَا^(٥)

(١) شبه بياض الحديد في ظلمة العجاجة بكواكب في ليل . يقول : كأن النهار البس تلك العجاجة ظلمة ليل ، وكأن الرماح أطلمت من أسنتها كواكب ، وأطلمت هي كواكب في تلك الظلمة . فقله : أطلمت إما قرأتها بصيغة المعلوم على أنه من فعل الرماح ، وإما بصيغة المجهول لما كلة قوله كسى ، وهذا المعنى من قول صريع الغواني :
 فِي عَسْكَرٍ شَرِيقِ الْأَرْضِ الْفَضَاءُ بِهِ كَاللَّيْلِ أَنْجَمُهُ الْقُضْبَانُ وَالْأَسْلُ
 وقول بشار :

كَأَنَّ مُنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَمْسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلُ تَهَاوَى كَوَاكِبِهِ
 (٢) عسكرت : تجمعت ، وتكتبت : تجمعت كتاب ، والكتائب : جمع كتيبة .
 الفرقة من الجيش - وعسكرا وكتائب : حالان . يقول : إن المصائب تجمعت مع تلك العجاجة كأنها عسكر تقع بالمدو ، وتكاثر فيها رجال المدوح حتى صارت كتائب .
 (٣) هذا مثل قول ابن الرومي :

كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ سَمَاهُ صَاعِدًا دَرَى كَيْفَ يَرْتَقَى فِي الْمَعَالَى وَيَصْعَدُ
 وقوله على : أراد عليا ، فاضطره الوزن إلى حذف التنوين ، وسوغ له ذلك سكونه وسكون اللام في الحاجب : ومثلا كثير ، وذلك كقراءة من قرأ « قل هو الله أحد »
 الله « بغير تنوين ، حذفه لا لقاء الساكنين .

(٤) الثنار : الذهب ، ومواهبها وما بعده : تميز . يقول : إنه أفنى الذهب بالعتاء ، والأعداء بالقتل ، والزمان بالتجارب : أى أنه حصل له من التجارب ما يعرف به ما يأتي في المستقبل من الزمان ، فكأنه أفنى الزمان لانه لا يحدث عليه شيئا لا يعرفه .
 (٥) وغيب : عطف على « هذا الذي أفنى » في البيت قبله ، وذكر السكف وإن كان

هَذَا الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ حَاضِرًا مِثْلُ الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ غَائِبًا^(١)
كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتُهُ يَهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبًا^(٢)
كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا جُودًا وَيَبْقَى لِلْبَعِيدِ سَحَابًا
كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا يَفْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

الأصح تأنيثها - على معنى الضو ، أو على إرادة السائل : أى لا يرد سائلا ، أو للراد خائبا صاحبها . وبعد : فإن أكثر ما استعمل العرب الكف مؤنثة على أنها بمعنى اليد ، فهم يقولون هذه كف واحدة ، وقال بشر بن أبى خازم :

لَهُ كَفَانٌ كَفٌّ كَفٌّ ضَرٌّ وَكَفٌّ فَوَاضِلٌ خَصِلٌ نَدَاها
وقال الأعشى :

يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ وَآخَرَى إِذَا مَا ضَنَّ بِالْمَالِ تُنْفِقُ
وقالت الحنساء :

فَا بَلَغَتْ كَفٌّ أَمْرِي مُتَنَاوِلٍ بِهَا الْمَجْدَ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلُ
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فَيْكَ أَفْضَلُ
أما قول الأعشى :

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَفْضُمُ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبًا
فانه أراد الضو ، وقيل هو حال من ضمير يضم ، أو من هاء كشحه .

(١) أبصرت - بناء للتكلم - يعنى التنبى نفسه ، ويروى على الخطاب وحاضرا وغائبا على الروایتين : حال من فاعل أبصرت ، ومثل : يجوز فيه الرفع والنصب ، فالرفع قال ابن جنى : هذا مبتدأ أول ، والذى : مبتدأ ثان ، ومثل : خبر الذى ، والجملة خبر هذا ، والمآل على هذا من الجملة التى هى خبر عنه الماء فى منه . والنصب يحمل هذا ابتداء ، والذى : خبره ، ونصب مثل أبصرت . يقول : إنه يرى عطاءه حينما كان حضره أو غاب عنه ، ومثله لأبى تمام :

شَهِدْتُ جَسِيَّاتِ الْمَلَا وَهُوَ غَائِبٌ وَلَوْ كَانَ أَيْضًا حَاضِرًا كَانَ غَائِبًا
(٢) الثاقب : اللقىء . يقول : حينما كنت ترى عطاءه قد غمر الناس - قريبهم
(١٧ - للتنبى ١)

أُمُهَجْنِ الْكُرْمَاءَ وَالزَّرِي بِهِمْ وَتَرَوْكَ كُلَّ كَرِيمٍ قَوْمٍ عَاتِبًا^(١)

وبعدهم - كما ترى ضوء القمر حيثما كنت من البلاد ، والبيتان التاليان في معنى هذا البيت : يريد أنه عام النفع ، ومثل هذا لأبي تمام :

قَرِيبُ النَّدَى نَائِي الْمَحَلِّ كَأَنَّهُ هِلَالُ قَرِيبِ النُّورِ نَائِي مَنَازِلِهِ
وللبحتري :

كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْغُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبٍ
وله أيضا :

عَطَاءُ كَضَوْءِ الشَّمْسِ عَمَّ قَمَرِيبٌ يَكُونُ سَوَاءً فِي سَنَاهُ وَمَشْرِقُ
وقال العباس بن الأحنف :

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ ثَبَتَ الْإِشْرَاقُ فِي كُلِّ بَلَدٍ

(١) أمهجن : أى يا مهجن ، فالهمزة للنداء ، وهجته : قبحه ، قال صاحب اللسان : المهجنة من الكلام ما يعيبك ، والمهجين : العربى ابن الأمة لأنه معيب ، ولهذه المناسبة نقول : إن المهجنة في الناس والحيل إنما تكون من قبل الأم ، فإذا كان الأب عتيقا والأم ليست كذلك : كان الولد هجينا . قال الراجز :

الْعَبْدُ وَالْمُهَجِّنُ وَالْفَلَنْقَسُ ثَلَاثَةٌ فَأَيُّهُمْ تَلَسُّ

والأقواف : من قبل الأب ، أو الذى أمه عتيقة وأبوه ليس كذلك . روى الرواة أن روح بن زبناح كان قد تزوج هند بنت النعمان بن بشير فقالت - وكانت شاعرة - :

وَهَلْ هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرِيَّةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَنَفْلُ
فَإِنْ نَتَجَّتْ مُهْرًا كَرِيمًا فَبِالْحَرَى وَإِنْ يَكُ إِقْرَافٌ فَمِنْ قَبْلِ الْفَحْلِ

وأزرى به : عابه ، قال في اللسان : الإزراء : التهاون بالشئ ، يقال أزريت به : إذا قصرت به ، وحقرته ، وهوته ، وزريت عليه ، وزرى عليه زريا ، وزراية ، ومزرية ، ومزارة ، وزريانا : عابه وعاتبه . قال الشاعر :

يَا أَيُّهَا الزَّارِي عَلَى عُمَرٍ قَدْ قَلَّتْ فِيهِ غَيْرَ مَا تَقْلَمُ
وقال الآخر :

وَأِنِّي عَلَى لَيْلَى لَزَارٍ وَإِنِّي عَلَى ذَاكَ فَمَا يَبْنَا مُسْتَدِيمًا

شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ وَشِدَّتْ مَنَاقِبَا وَجِدَتْ مَنَاقِبُهُمْ بَيْنَ مَثَالِيَا^(١)
 كَبَيْتِكَ غَيْظَ الْحَاسِدِينَ الرَّائِيَا إِنَّا لَنَخْشِرُ مِنْ يَدِكَ عَجَائِيَا^(٢)
 تَذِيرُ ذِي حُنْكَ يُفَكِّرُ فِي غَدٍ وَهَجُومُ غَيْرٍ لَا يَخَافُ عَوَاقِيَا^(٣)

أى عاتب ساخط غير راض، وزرى عليه عمله : إذا عابه وعنفه ، وترك مبالغته في تارك ، وهو مضاف لكل - الذى هو مفعوله الأول - وعابها مفعول ثان ، وروى عابها . يقول : إنك هجنت الكرماء لتقصيرهم عن بلوغ كرمك وتركهم عاتبين عليك لما يظهر من كرمك المزرى بهم أو عاتبين على أنفسهم حيث لم يفعلوا ما فعلت ، أو تركتهم عاتبين لك حسدا .

(١) شادوا : بنوا ورفعوا ، وتشديد البناء : إحكامه ورفعته ، والبناء اللشيد بالشديد المطول ، أما الشيد فهو : اللبى بالشيد ، والشيد كل ما طلى به الحائط من جص أو بلاط . قال عدى بن زيد :

شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلَسًا فَلَطِيرٍ فِي ذَرَاهُ وَكُورُ

هذا ما عليه أكثر أهل اللغة ، ومنهم من يجعل اللشيد وللشيد بمعنى ، وما يتفرع عن هذه المادة قولهم : أشاد بذكره : أى نوه به ورفع قدره ، وقال أبو عمرو : أشدت بالئى : عرفته . والمناقب : المفاخر ، والمثالب : المخازى والمعايب . يقول : لفضل مناقبك على مناقبهم صارت مناقبهم كالمثالب ، وهذا كقول أبى تمام :

مَحَاسِنُ مِنْ تَجَدٍ مَتَى يَقْرِنُوا بِهَا مَحَاسِنُ أَقْوَامٍ تَكُنْ كَالْمَعَايِبِ

(٢) ليك : أى إجابة لك بعد إجابة ، ونصبه على المصدر ، وغيط الحاسدين : منادى ، والراب : الثابت القيم ، ونحبر : نشاهد ونعلم . قال الواحدي : أظهر الإجابة إشارة إلى أنه ببناء مناد . أى كأن المدوح يناديه بلسان كرمه للتتويه به . وسماه غيط الحاسدين إشارة إلى أنه قد بالغ في غيظهم حتى صار يعرف بذلك . قال الخطيب : وصرع البيت لا تنقله من المدح إلى الإجابة .

(٣) تدير : مبتدأ محذوف الخبر : أى لك تدير . وروى تدير وهجوم : منصوبين ، على أن تدير بدل من عجائب - فى البيت السابق - وهجوم : عطف عليه . وخنك : جمع حنكة ، وهى الخبرة والتجربة ، وضده الغر : أى الذى لم يجرب الأمور ولا يفكر فى العواقب . يقول : إنك تدبر ملكك تدير مجرب مختبر مفكر فى العواقب . وإذا

وَعَطَاهُ مَالٌ لَوْ عَادَهُ طَالِبٌ أَنْفَقْتُهُ فِي أَنْ تُلَاقِيَ طَالِبًا^(١)
خُذْ مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ مَا أَسْطِيعُهُ لَا تُلْزِمْنِي فِي الثَّنَاءِ الْوَاجِبَ^(٢)
فَلَقَدْ دَهَشْتُ لِمَا فَعَلْتَ وَدُونَهُ مَا يَدْهَشُ الْمَلِكَ الْخَفِيفُ الْكَاتِبَ^(٣)

هجت في الوغى هجت هجوم النمر : أى أنك تفعل كلا في موضعه ، فتدبر الملك تدبير
مجرّب بصير بأعقاب الأمور ، وتقدم في الحرب إقدام النمر ؛ وهذا من قول أبى تمام :
وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَاسِهِ فَإِذَا لُقُوا فَكَانَهُمْ أَغَارُ
وقوله :

كَهْلُ الْأَنَامِ فَتَى الشَّدَاتِ إِذَا غَدَا لِلْحَرْبِ كَانَ الْمَاجِدَ الْفَطْرِيفَا
وقال البحتري :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ غِرٍّ وَاعْتِزَامُ مَجْرِبٍ
(١) وعطاء : عطف على تدبير ؛ وعداء : تجاوزه . يقول : إذا لم يأتك طالب
أتفقت مالك في البحث عن طالب تعطيه .

(٢) أسطيعه : هو أستطيعه ، وبهما جاء التثنييل الحكيم . يقول : إني إنما أثنى
عليك بقدر ما أستطيع ، لا بقدر ما يجب لك وما تستحقه ، لأنه فوق طاقتي ، فاعذرنى
في ذلك ، ثم بين عذره في البيت التالى . وقد قصر أبو الطيب الثناء في قوله ثنائى - وهو
ممدود - ضرورة . قال العكبرى : حكى ابن سعد عن أبى الطيب - وهو على بن سعد ،
وليس هو محمد بن سعد صاحب الطبقات ، لأن ذلك قديم الوفاة . توفى بعد المائتين ،
وأبو الطيب ولد سنة ثلاث وثلاثمائة - قال سمعت أبا الطيب يقول : ما قصرت ممدوداً
في شعري إلا هذا الموضع - خذ من ثنائى - وذلك أنه رأى بخط أبى الفتح - ابن جنى - :
* وقد فارقت دارك واصطفاك *

بكسر الطاء - هذا وقد قال أهل اللغة : إن الثناء ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم
أى أنه يستعمل في الخير والشر ، وأنشدوا :

أَثْنِي عَلَىٰ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي أَثْنِي عَلَيْكَ بِمَثَلِ رِيحِ الْجَوْرِبِ

وخصى بعضهم به اللدح .

(٣) دهش : تخير ، ومثله شده . قال صاحب اللسان : دهش دهشاً ، فهو دهش

وقال يمدح بدر بن عمار ارتجالاً وهو على الشراب والفاكهة والرجس حوله :
 إِنَّمَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ سَحَابٌ هَطِلٌ فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ^(١)
 إِنَّمَا بَدْرُ رَزَايَا وَعَطَايَا وَمَنَايَا وَطِعَانٌ وَضِرَابٌ^(٢)
 مَا يُجِيلُ الطَّرْفَ إِلَّا حِدَتُهُ جُهِدَهَا الْأَيْدِي وَذَمَّتْهُ الرِّقَابُ^(٣)

ودهش فهو مدهوش ، وحكرها بضمهم وأدهشه الله وأدهشه الأمر ودهش
 الرجل — بالكسر — دهشاً : تهيّر ويقال : دهش وشده ، والله العاليه :
 دهش ، على فعل ، والملك الحفيظ : هو الموكل بالإنسان يكتب حسنه
 وسياته . يقول : لقد تهيّرت أمام أفعالك فلا أقدر أن أحصيها وأنتي بها ، وأقل من ذلك
 ما يهيّر الملك للموكل بك ، لأنه لم ير مثله من غيرك ، ولأنه لكثرة يجرى عن كتابته .
 (١) يقول : هو تفاع ضرار ، مثله في ذلك مثل السحاب الذي ينهل بالمطر وتنقص
 منه الصواعق ، فيه حياة لقوم ، وهلاك لآخرين . قال الواحدى : هذه الآيات مضطربة
 الوزن ، وهى من الرمل ، وذلك لأنه جعل العروض فاعلاتن ، وهو فى الأصل فى المداورة ،
 ولكن لم يستعمل العروض هنا إلا مخدوفة السبب على وزن فاعلن كقول عبيد :
 مِثْلَ سَحْقِ الْبُرْدِ عَفَّ بِمَذَكِ الْقَطْرِ مَفْنَاهُ وَتَأْوِيْبُ الشَّمَالِ^(١)
 غير أن هذا البيت الأول صحيح الوزن ، لأنه مصرع ، فبعت عروضه ضربه .
 (٢) جملته هذه الأشياء مبالغة لكثرة وقوعها منه حتى صاروا إياها كالشيء الواحد ،
 على حد قول الحنفاء :

تَرْتَعُ مَا رَتَمَتْ حَتَّى إِذَا دَكَّرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ
 « تصف الحنفاء وحشية تطلب ولها مقبلة ومدبرة ، فجعلها إقبالا وإدبارا
 لكثرتها منها »

(٣) الطرف — بفتح الطاء — العين ؛ والجهد — بالضم — الطاقة ، أما بالفتح فهو
 المشقة ، وقيل هما لفتان : كالشهد والشهد ، والأيدى : فاعل حمدته . يقول : إنه لا يجيل
 رفه إلا على إحسان وإساءة ، فله فى كل طرفة ونظرة إحسان تحمده الأيدى جهدها لأنه

(١) السحق : الثوب الخلق الذى انسحق وبلى ؛ كأنه بعد من الاتفاح به

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَزْجُو الذَّنَابُ^(١)
 فَلَهُ هَيْبَةٌ مَنْ لَا يُتَرَجَّى وَلَهُ جُودٌ مُرْجَى لَا يَهَابُ^(٢)
 طَاعِنُ الْفُرْسَانِ فِي الْأَخْدَاقِ شَزْرًا
 وَعَجَّاجُ الْحَرْبِ لِلشَّمْسِ نِقَابُ^(٣)
 بَاعِثُ النَّفْسِ عَلَى الْمَوَلِ الَّذِي لَيْسَ لِنَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ إِيَابُ^(٤)
 بِأَبَى رِيحِكَ لَا تَزْجُسُنَا ذَا وَأَحَادِيثُكَ لَا هَذَا الشَّرَابُ^(٥)

يملؤها بالعطاء ، وذهب اليازجى إلى أن الطرف بكسر الطاء - أى الفرس الكريم .
 قل : يقول التنبى : إنه ما أجال فرسه فى الحرب إلا ملأ أيدى أوليائه من الغنائم فحمدته
 جهدها ؛ وضرب رقاب أعدائه فذمته . . .

(١) يقول : لا يقتل أعدايه ليستريح منهم لأنه آمن جانبهم لعجزهم عن أذاه فلا يهجمه
 بقاؤهم ، ولكنه قد عود الذئاب أن يطعمها لحوم انقتل ، فهو إنما هو يقتل الأعداء خشية
 أن يخلف رجاء الذئاب ، وهو لم يتود أن يخيب راجيا ؛ وهذا كقول مسلم :
 قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقَنَ بِهَا فَهِنَّ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلٍ

(٢) يقول : إنه مهيب كل الهية ، وجواد غاية فى الجود ، فإنه يهاب هية من لا يرجى
 العفو عنده ، وبجود جود سمع كريم يرجى إحسانه ولا تخشى مهايته .

(٣) الطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال ، والعجاج : الغبار ، والنقاب : ما تستر
 به المرأة وجهها . يصفه بالخذق فى الطعن . يقول : إنه يصيب أحداق الفرسان والجو
 مظلم بغبار الحرب الذى كأنه نقاب للشمس يسترها ، وهذا كقوله :

* يضع السنان بحيث شاء محاولا *

(٤) يقول : إنه يحمل نفسه على ركوب الأمر العظيم الهائل الذى لا خلاص لمن
 وقع فيه

(٥) بأبى : تفدية . قال الواحدى : يريد أن ريحه أطيب من ريح الزجس « الذى
 بين يديه » وحديثه ألد من الشراب ، وليس هذا بما يمدح به الرجال : أى وإنما يخاطب
 بمثله المحبوب .

لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ إِنْ بَرَزْتَ سَبْقًا غَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعَرَابِ^(١)

وجلس بدر بن عمار يلعب بالشطرنج وقد كثر المطر فقال أبو الطيب :

أَلَمْ تَرَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَرْجِيُّ عَجَائِبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّحَابِ
تَشْكِي الْأَرْضُ غَيْبَتَهُ إِلَيْهِ وَتَرْشِفُ مَاءَهُ رَشْفَ الرُّضَابِ؟^(٢)
وَأَوْهَمُ أَنَّ فِي الشُّطْرَنْجِ هَمِّي وَفِيكَ تَأْمَلِي وَلَكَ انْتِصَابِي^(٣)

(١) برز : بذ وسبق ، وسبقا : مفعول مطلق ، كأنه قال إن سبقت سبقا ، والعرب : الخيل العربية . يقول : ليس بمستكر أن تسبق الناس وتبذم لأنك أهل ذلك ، كما أن كرام الخيل لا تدفع عن السبق . هذا وكان الوجه أن يقال غير مدفوعة عن السبق العرب ، كما تقول هند غير مصروفة ، ولكنه ذكر ضرورة كأنه أراد العرب جنس غير مدفوع . قال ابن جني : كان يجوز له أن يقول غير هذا ويقول : لا تدفع عن السبق العرب — بالتاء والياء — فأجرى غير مجرى لا ، وأجرى مدفوع مجرى يدفع ضرورة ؛ وقد يترن البيت بأن يقول :

* قط لا يدفع عن سبقِ عرب *

أقول : وابن قط لا يدفع عن سبق عرب من غير مدفوع عن السبق العرب ؟ ولكنه النحو والنحويون .

(٢) تشكى — بحذف إحدى التائين — أي تشكى ؛ وإليه : متعلق بتشكى ، والضمير في غيبته وفي إليه : للسحاب ؛ والرشف : المص ، وأصله أن تستقصي مافي الإناء حتى لا تدع فيه شيئا ، والرضاب : الريق . يريد بيان ما ذكره في البيت السابق من العجائب . يقول : إن الأرض بعطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها ، وعند لقائه ترشف ماءه كما يرشف العاشق ريق الممشوق .

(٣) يقول : إني أنما أتأمل في محاسنك لافي الشطرنج ، وأنتصب جالسا لأراك لا لأراه . والشطرنج فارسي معرب من شدرنج ، ومعناه — كما قال العكبري — من اشتغل به ذهب عناؤه باطلا . وكسر الشين فيه أجود ليكون من باب جرد حل : وهو الضخم من الإبل : هذا وقد قال ابن جني : إن هذه الآيات لم أقرأها عليه ، وشعره عندي أجود منها ، وقال غيره هي مقروءة عليه بمصر وبهذاد .

سَأْمِضِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي مَغِيبِي لَيْلَتِي وَغَدَا إِيَّابِي^(١)

وقال في لعبة أحضرت مجلس بدر على صبورة جارية وأديرت فوقفت حذاء بدر رافعة رجلها وكانت ترقص بحركات :

يَا ذَا الْمَالِ وَمَعْدِنِ الْأَدَبِ سَيِّدَنَا وَأَبْنِ سَيِّدِ الْعَرَبِ
أَنْتَ عَلِيمٌ بِكُلِّ مُعْجَزَةٍ وَلَوْ سَأَلْنَا سِوَاكَ لَمْ يُجِبِ^(٢)
أَهْذِهِ قَابِلَتِكَ رَاقِصَةً أَمْ رَفَعْتَ رِجْلَهَا مِنْ التَّغَبِ؟

وقال يمدح على بن محمد بن سيار بن مُكرم التميمي ، وكان يحب الرمي بالنشاب ويتعاطاه ، وكان له وكيل يتعرض للشعر ، فأفغذه إلى أبي الطيب يناشده ، فتلقاه وأجلسه في مجلسه ، ثم كتب إلى عليّ يقول :

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَاقُ ضُرُوبَا فَأَعْذَرُهُمْ أَشْفَهُمْ حَبِيبَا^(٣)
وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الْأَعَادِي فَهَلْ مِنْ زَوْرَةٍ تَشْفِي الْقُلُوبَا؟^(٤)

(١) يقول: إنني سأمضي وأغيب عنك ليلة واحدة ثم أعود إليك .

(٢) بكل معجزة : أى بكل مسألة يعجز الناس عن يانها والإجابة عليها ، فلو سئل عنها غيره أجبل « انقطع » قال العكبري : هذه آيات رديئة عملها ارتجالا في معان ليست هناك .

(٣) الضروب : الشكول والأصناف ؛ وأشفهم : أفضلهم . يقول : شكول الناس على اختلافهم يحبون شكول المحبوبات على اختلافها ، وأحقهم بأن يعذر في العشق والحب من كان محبوبه أفضل ، وهذا كالتمهيد للبيت التالي . هذا وقد ذهب بعض السراخ إلى أن ضروباً : حال ، كأنه قال : الناس عشاق مختلفين في عشقهم . ولكن الأجود أن يكون منصوباً بوقوع الفعل عليه وهو العشق : أى ضروب الناس يعشقون ضروباً .

(٤) السكن : ما تسكن نفسك إليه وتهواه . يقول : فالذي أحبه أنا وتسكن إليه نفسي هو قتل أعدائي ، فهل من زيارة لهذا الحبيب ؟ أى هل أظفر بذلك وأتمكن منه حتى أشفي قلبي كما يشفي قلب المحب زورته الحبيب ؟

تَنْظُرُ الطَّيْرُ مِنْهَا فِي حَدِيثٍ تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ ، وَالنَّيْمِيَا ^(١)
 وَقَدْ لَبَسَتْ دِمَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ حِدَادًا لَمْ تَشُقَّ لَهَا جُيُوبًا ^(٢)
 أَدَمْنَا طَعْنَهُمُ وَالْقَتْلَ حَتَّى خَلَطْنَا فِي عِظَامِهِمُ الْكُمُوبَا ^(٣)
 كَأَنَّ خِيُولَنَا كَانَتْ قَدِيمَا تُسْقَى فِي قُحُوفِهِمُ الْحَلِييَا ^(٤)
 فَمَرَّتْ غَيْرَ نَافِرَةٍ عَلَيْهِمْ تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالْتَرِيَا ^(٥)
 يُقَدِّمُهَا وَقَدْ خُضِبَتْ شَوَاهَا فَتَى تَرْمِي الْحُرُوبُ بِهِ الْخُرُوبَا ^(٦)

(١) ترد : أى تردد : والصراصر : جمع صرصرة ، وهو صوت النسر والبازي ونحوهما ، والنميب : صوت الغراب . يقول : هل من سبيل إلى وقعة تكثر فيها القتل فيجتمع عليها الطير فيصرصر النسر وينب الغراب ؟ جل صياح الطيور المبتعدة على القتل كأنه حديث يتحدثن به .

(٢) وقد لبست : أى الطير ؛ وعليهم : متعلق بحدادا ؛ والحداد : الثياب السود تلبس عند الصيية ؛ والجيوب : جمع جيب ، وهو طوق اقميص ؛ وعند العامة : كيس يغط في جانب الثوب من الداخل ويحمل فمه من الخارج . يقول : إن هذه الطير تغوص في دماء القتل فتلتطخ بها وتنجف عليها فتسود وتصير كأنها ثياب حداد على القتل . بيد أنها لم تشق على هؤلاء القتلى جيوبا كما تعمل ربات الحداد . هذا وقد روى دماؤهم — بالرفع — فيكون للمعنى أن الدماء أسودت على القتل ، فكأنها لبست ثوبا غير ما كانت تلبس من الحرمة .

(٣) الكموب : جمع كعب ، وهو ما بين الأنوبتين من القناة . يقول : لم نزل نطعنهم حتى كسرنا كموب الرماح فيهم فاختلفت في أبدانهم بعظامهم .

(٤) و (٥) اتقحوف : جمع قحف — بكسر القاف — وهو العظم الذى فوق الدماغ ؛ والججمة : العظم الذى فيه الدماغ ؛ والتريب : عظم الصدر ، والجمع : اثرائب : موضع القلادة من الصدر . يقول : كأن خيلنا كانت في صفها تسقى اللبن في أقحاف رؤسهم فألفتهم حتى صارت تدوس جماجمهم وصدورهم ونحن عليها لاتفر منهم ... وقد جرت عادة العرب بأن تسقى اللبن كرام خيولها .

(٦) الشوى من الحيل : قوائمها . يقال : فرس عبل الشوى ، والشوى من الآدميين اليدان والرجلان ؛ وقبل اليدان والرجلان والرأس ، وكل ما ليس مقتلا ؛ ومن هذا

شَدِيدُ الْخُزُونَةِ لَا يُبَالِي أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أُمُّ أُصَيْبًا^(١)
أَعَزَمِي طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَانْظُرْ أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أَنْ يَثُوبًا؟^(٢)
كَأَنَّ الْفَجَرَ حَبٌّ مُسْتَزَارٌ يَرَايَ مِنْ دُجْنَتِهِ رَقِيْبًا^(٣)

قولهم : رماء فأشواه : أى أصاب شواه ، ولم يصب مقتله ، قال الهذلى :

فَإِنْ مِنَ الْقَوْلِ الَّتِي لَا شَوَى لَهَا إِذَا زَلَّ عَنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ انْفِلَاحُهَا

« أى إن من القول كلمة لاتشوى ولكن تقتل » وقال الفراء فى قوله تعالى « كلا إنها لظى » نزاعة للشوى — : الشوى اليدان والرجلان وأطراف الأصابع وقحف الرأس : ويقال لجلدة الرأس شواة ، وقد توسعوا فى الشوى فاستعملوه فى كل من أخطأ غرضا وإن لم يكن له شوى ولا مقتل — وقد رويت خضبت — بالبناء للمعلوم ، والضمير للخليل — ، يقول : إن هذه الخيل يقدمها إلى الحرب — وقد خضبت قوائمها بالدم — فتى قد طال تمرسه بالحروب — يعنى نفسه — فكلمها فرغ من حرب : خاض حربا أخرى .

(١) الخنزوانة فى الأصل : ذبابة تطير فى أنف البعير فيشمع لها بأنفه ، واستعيرت للكبر . وتتمر . صار كالتمر غضبا . وقوله أصاب ، أى أصاب — بهمزة التسوية — يقول : إذا غضب على أعدائه وقتلهم لايبالى أقتلهم أم قتلوه .

(٢) الهمزة فى أعزى : للداء ، ويفرق : يخاف ، ويثوب : يرجع ، يقول . — مخاطبا عزمه — انظر يا عزمى هل علم الصبح بما أنا عازم عليه من الاقتحام فتأخر خشية أن يصاب فى جملة أعدائى ؟ وعبرة ابن فورجه : أراد : لعظم ما عزمت عليه ولشدة ما أنا عليه من الأمر الذى قتت به ، كأن الصبح يفرق من عزمى ، ويعنى أن يصيبه بمكرهه ، فهو يتأخر ولا يثوب .

(٣) الحب : المحبوب : ويراعى : يراقب وينتظر ، والدجنة الظلمة ، والدجنة من النعيم المطبق تطبيقا والريان المظلم الذى ليس فيه مطر ، يقال : يوم دجن ويوم دجنة — وكذلك الليلة على وجهين بالوصف والإضافة ، — والدجنة : الظلمة جمعها دجن ودجنات ، والداجنة : المطرة المطبقة نحو : الديمة ، والضمير فى دجنته : ليل . شبه الفجر بحبيب قد طلب إليه زيارة محبه وهو يراعى من ظلمة الليل رقيبا فتأخر زيارته خوف الرقيب — يريد طول الليل ، وأن الفجر ليس يطلع ، فكأنه حبيب يخاف رقيبا .

كَأَنَّ نُجُومَهُ حَلَىٰ عَلَيْهِ وَقَدْ حُذِيتَ قَوَائِمُهُ أَجْبُوبًا^(١)
كَأَنَّ أَلْجَوَّ قَاسَىٰ مَا أَقَاسَىٰ فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبًا^(٢)
كَأَنَّ دُجَاهَهُ يَحْذِيهَا سُهَادَىٰ فَلَيْسَ تَغِيْبُ إِلَّا أَنْ يَغِيْبَا^(٣)
أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي
أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبًا^(٤)

(١) الجيوب : وجه الأرض ومنها ، من سهل أو حزن أو جبل ، وقيل الأرض الغليظة ، وقيل: الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين ، ولا يجمع . والحلى : ما تزين به من الذهب والفضة وغيرها ، وجمعها حلى : مثل ثدى وثدى ، وقد تكسر الحاء لمكان الياء مثل عصى . قال الفارسي : وقد يجوز أن يكون الحلى جمعا وتكون الواحدة حلية كهدية وهدى ؛ وحذيت قوائمه الجيوب : أى جعل الجيوب حذاء لقوائمه . يقول : كأن النجوم حلى على الليل فليست تتأرقه ، وكأن الأرض قد جعلت حذاء له فلا يستطيع أن يمشى لثقل الأرض على قوائمه .

(٢) الشحوب : تغير اللون من هزال ونحوه ، والضмир من سواده ليل ، ومن فيه : للجو . يقول : كأن الجو كابد ما أكابد من طول الوجد فاسود لون الليل وصار سواده شحوبا : أى كأن الليل اسود لأنه دفع إلى مادفت إليه فصار السواد بمنزلة الشحوب

(٣) الدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة ، والسهاد : السهر . يقول : إن سهاده يطول والليل يطول معه ، فكأن سهاده يجذب ظلمة الليل ، فهى لا تنقضى إلا بانقضائه ، وسهاده لا ينقضى ، وكذلك ظلمة الليل .

(٤) يقول : إني أقلب أجفاني فى ذلك الليل ، ولكثرة تقلبي إياها كأتى أعد على الدهر ذنوبه ، فكأن أن ذنوب الدهر كثيرة متوافرة لاتكاد تنفى . كذلك تقلبي أجفاني كثير لا يفتى ، فلا نوم هناك . ولك أن تقول : أقلب أجفاني فى ذلك الليل وأنا أرى نجومه كأتى أعد بها ذنوب الدهر التى هى مثلها فى العدد . وهذا المعنى ينظر إلى قول ديك الجن :

أَنَا أَحْصَىٰ فِيكَ النُّجُومَ وَلَكِنْ لِّذُنُوبِ الزَّمَانِ لَسْتُ بِمُحْصٍ

وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَادِي مَشُوبًا^(١)
وَمَا مَوْتُ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ أَرَى لَهُمْ مَعِيَ فِيهَا نَصِيبًا^(٢)
عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْخَدَنَانِ حَتَّى لَوْ اُنْتَسَبْتُ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيبًا^(٣)
وَلَمَّا قَلَّتِ الْإِبِلُ اُمْتَطَلَيْنَا إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ اُلْخَطُوبَا^(٤)
مَطَايَا لَا تَذِلُّ لِمَنْ عَلَيْهَا وَلَا يَنْبَغِي لَهَا أَحَدٌ رُكُوبًا^(٥)
وَتَرْتَعُ دُونَ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِينَا فَمَا فَارَقْتُهَا إِلَّا جَدِيدًا^(٦)
إِلَى ذِي شَيْمَةٍ شَفَعْتُ فَوَادِي فَلَوْلَاهُ لَقُلْتُ بِهَا النَّسِيبَا^(٧)

(١) بلحظ حسادى أى بلحظى حسادى . يقول : ليس لى وإن طال بأطول من نهار يشوبه - أى يخالطه - أن أنظر فيه إلى حسادى وأعدائى .
(٢) يقول : إذا كان لحسادى نصيب مئ فى الحياة وشاركونى فيها وعاشوا كما أعيش فليس الموت بأبغض إلى من تلك الحياة : أى أنه لا تحلو له الحياة حتى يقتل حساده .
(٣) الخدنان : حوادث الدهر ونوبه ؛ ويقال : انتسب الرجل إلى فلان : إذا نسب نفسه إليه ؛ والنقيب : الخير بأحوال القوم وأنسابهم . يقول : لكثرة ما أصابنى من نوائب الدهر صرت عارفاً بها حتى لو كان لها أنساب لكنت أنا نقيبها .
(٤) يقول : لما أعوزتنا الإبل وقصدناها لقلة ذات اليد أدتني المحن والشدائد إلى المدوح ، فكأنها كانت مطايا ركبناها إليه .

(٥) و (٦) رمت الإبل : رعت فى مجبوحة وخصب ؛ والجديب : ضد الخصب ؛ ومكان جديب : لا نبات فيه . يقول : إن الخطوب مطايا لا ينبغى أحد ركوبها ، وهى لا ترعى نبات الأرض ، إنما ترعانا وتناو منا . فما فارقتها عند وصولى إليك إلا جديداً لأنها رعتنى وأنت على فلم تترك منى شيئاً .

(٧) الشيمة : الخلق ؛ وتقول : شفقتى جبا وشفقتنى ؛ والمعنى تيمنى وبلغت منى ، وشفقتنى : من شفاف القلب ، وهو غلافه ، أو سويداؤه . والنسيب : التشبيب بالنساء فى الشعر . يقول : إن أخلاق المدوح شفقتنى بحسبها . فلو لا مهابته واحتشامه لغزلت بها كما يتغزل العاشق بمعشوقه .

تُنَازِعُنِي هَوَاهَا كُلُّ نَفْسٍ وَإِنْ لَمْ تُشَبِّهِ الرَّشَّ الرَّبِيَا^(١)
عَجِيبٌ فِي الزَّمَانِ وَمَا عَجِيبٌ أَتَى مِنْ آلِ سَيَّارٍ عَجِيبَا^(٢)
وَشَيْخٌ فِي الشَّابِّ وَلَيْسَ شَيْخًا يَسْمَى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيْبَا^(٣)
قَسَا فَلَأَسْدُ تَفْرَعُ مِنْ قَوَاهُ وَرَقٌ فَتَحْنُ تَفْرَعُ أَنْ يَذُوبَا^(٤)
أَشَدُّ مِنَ الرِّيَّاحِ الْهُوجِ بَطْشًا وَأَسْرَعُ فِي النَّدَى مِنْهَا هُبُوبَا^(٥)
وَقَالُوا ذَاكَ أَرْمَى مَنْ رَأَيْنَا فَقُلْتُ رَأَيْتُمْ الْفَرَضَ الْقَرِيْبَا^(٦)

(١) الضمير في هواها : للشيمة ؛ والرشأ : ولد الظبية إذا تحرك ومشى ؛ والريب للربي . يقول : إن كل نفس تمسق أخلاقه كما أعشقها أنا . فهي محبوبة إلى كل إنسان ، وإن لم يكن بينها وبين الرشأ شبه ، لأنها من الرجولة والفضل بحيث تسمو عن شبهها بالظباء التي تشبه بها الحسان .

(٢) عجيب : خبر مبتدأ محذوف يعود إلى المدحوح ؛ وعجيبا : خبر ما العاملة عمل ليس . يقول : هو عجيب في الزمان ، وليس ما يأتي من آل سيار عجيبا ، لأنهم الناية في المجد والكرم .

(٣) وليس شيخا إلخ : أي ليس كل من بلغ الشيب يسمى شيخا ؛ فشيوخا : مفعول ثان مقدم ليسمى ؛ وكل : يجوز أن يكون اسم ليس ، أو نائب فاعل يسمى على طريق التنازع . يقول : هومع أنه شاب — في حكمة الشيوخ وجودة رأيهم ورجحان ألبابهم ؛ ورب إنسان غيره بلغ للشيب ولكنه لا يستحق أن يسمى شيخا لتخلفه ونقصه .

(٤) قوله من قواه : يروى من يديه . يقول : قسا قلبه في الحروب حتى لتخاف الأسد بطشه وسطوته وهو مع ذلك في مجلسه قدرق طبعا وكرما حتى لتخاف أن يذوب ؛ ويقال فلان يذوب ظرفا : إذا لان جانبه ، واحلوت شيمته .

(٥) الهوج : جمع هوجاء : وهي الشديدة العصف في حق وطيش . والبطش : الأخذ بقوة ؛ والندى : الجود ؛ وبطشا وهبوبا : نصبا على التميز ؛ وقال آخرون : هما مصدران وقعا موقع الحال . يقول : هو لدى الودعي أشد بطشا من هوج الرياح ، ولدى الجود أسرع منها في العطاء .

(٦) الفرض : الهدف يرمى بالسهم . يقول : إن الناس يقولون : إنه أرمى من رأيناه

وَهَلْ يُخْطِي بِأَسْهُمِهِ الرَّمَايَا وَمَا يُخْطِي بِمَا ظَنَّ الْغُيُوبَا^(١)
 إِذَا نُسِيتُ كِنَانَتُهُ اسْتَبْنَا بِأَنْصُلِهَا لِأَنْصُلِهَا نُدُوبَا^(٢)
 يُصِيبُ بِيَعِضِهَا أَفْوَاقَ بَعْضٍ فَلَوْلَا الْكَسْرُ لَا تَصَلَتْ قَضِييَا^(٣)
 بِكُلِّ مُقَوْمٍ لَمْ يَنْصَحِ أَمْرًا لَهُ حَقٌّ ظَنَّنَاهُ كَيْبَا^(٤)
 يُرِيكَ النَّزْعُ بَيْنَ الْقَوْسِ مِنْهُ وَبَيْنَ رَمِيهِ الْهَدَفَ أَلَمِييَا^(٥)

رمى السهام ، قلت: إنكم رأيتموه وهو يرمى الغرض القريب منه . فكيف لو رأيتموه
 يرمى الغرض البعيد ؟

(١) الرمايا : جمع رمية ، اسم لكل ما يرمى بالسهم من غرض أو صيد . يقول :
 إنه صائب الفكرة فهو يرمى المغييات بسهام ظنه فيصيبها لثقوب فكره ، فكيف لا يصيب
 المحسات بسهامه ؟

(٢) و (٣) الكنانة : الجعبة التي توضع فيها السهام ؛ ونسبت : قلبت على رأسها
 لينثر ما فيها ؛ واستبنا : تبينا ورأينا : والندوب في الأصل : آثار الجروح ؛ والمراد هنا
 مطلق الأثر ؛ والأفواق : جمع فوق ، وهو موضع الوتر من السهم . يقول : إذا نثرت
 كِنَانَتُهُ وأفرغ ما فيها من السهام رأينا لنصوله آثاراً في نصوله لسرعة رميه ورميه إياها
 على طريقة واحدة حتى يدرك بعضها بعضاً من غير أن يميل عنه ويصيب اللاحق منها
 فوق السابق ، فلولا أن ينكسر النصل بالفوق لاتصل بعضها ببعض وصارت مستوية
 كالقضيبي . وكان الوجه أن يقول : بأفوقها لأنصلها ندوبا بدليل البيت الثاني ، ولأن
 النصال إذ ذاك لا تقابل ، اللهم إلا إذا كان يريد بالأصل : السهام ، لا الحديد بخصوصه .
 (٤) بكل مقوم : بدل من قوله ببعضها : أي يصيب بكل سهم هذه صفته . يقول :
 إن سهمه يتجه كيف شاء ، فكأنه عاقل يأمره فيطيع .

(٥) النزع : جذب الوتر للرمى ؛ وضمير منه : للسهم ؛ والرمى المرمى ، فهو فعيل
 بمعنى مفعول ؛ والهدف : بدل من رميه . يقول : إذا جذب الوتر ورمى السهم رأيت منه
 ناراً بين القوس والهدف ، وذلك أن حفيف السهم في سرعة مهوره يشبه حفيف النار
 في التهاهما ؛ والعرب إذا وصفت شيئاً بالسرعة شبهته بالنار ؛ ومنه قول العجاج يصف
 سرعة مشي الحمار والأتان :

أَلَسْتَ ابْنَ الْأُولَى سَعِدُوا وَاسَادُوا وَلَمْ يَلِدُوا أَمْرًا إِلَّا نَجِيًّا^(١)
وَنَالُوا مَا أَشْتَهَوْا بِالْحَزْمِ هَوْنًا وَصَادَ الْوَحْشَ تَمْلَهُمْ دَيْبِيًّا^(٢)
وَمَارِيجُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلَكِنْ كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِي التُّرَابِ طِيًّا^(٣)
أَيًّا مَنْ عَادَ رُوحُ الْمَجْدِ فِيهِ وَعَادَ زَمَانُهُ السَّالِي قَسِيًّا^(٤)

كأَنَّمَا يَسْتَضَرِّمَانِ الْعَرْجَانِ^(١)

(١) الأولى بمعنى الدين : والاستفهام للتقرير أى أنت ابن أولئك ، وسعدوا ؛ من السعادة ؛ والنجيب : الكريم .

(٢) يقول : وأنت ابن الذين أدرکوا بحزمهم ما طلبوا في رفق وأناة وتؤدة فأدرکوا الصعب البعيد بأهون سبب ودون جهد ونصب . وجعل الوحش مثلا للمطلوب البعيد ؛ ودبيب النمل مثلا لرقصهم ولطف تأنيهم .

(٣) يقول : إن الطيب الذى يتضوع من الرياض ليس لها في الحقيقة ولكنه شيء أفادته من دفن آباءه في التراب ، وهذا من قول أبي تمام :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فِطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلٌّ عَلَى الْقَبْرِ

(٤) الضمير في زمانه : للمجد ، والقشيب الجديد ، قال ابن جني : معناه أن روح المجد انتقل إليه فصار هو المجد مبالغة ، وقال غيره : إن روح مجد آباءه انبعث فيه فعاد إلى عالم الظهور ، وتجدد زمانه بعد انقضائه ، وقال آخرون : معناه يا من عاد به روح المجد في المجد ، أى أن المجد كان ميتاً فعاد به حياً وعاد الزمان الذى كان باليا جديداً به ، وقد نظر إلى هذا المعنى بعضهم فقال :

سَأَلْتُ النَّدَى وَالْمَجْدَ حَيَّانٍ أَتَمَّا وَهَلْ عَشْتُمَا مِنْ بَعْدِ آلِ مُحَمَّدٍ

فَقَالَا نَعَمْ مَتَنَا جَمِيعًا وَضَمْنَا ضَرِيحًا وَأَحْيَانًا دَيْسَ بْنِ مَزِيدٍ

(١) العرفج شجر معروف سريع الاشتعال بالنار ، ولهبه شديد الحمرة ، ويبلغ بحمرته فيقال : كأن لحية ضرام عرفة .

تَيْمَنِي وَكَلِّكَ مَادِحًا لِي وَأُنْشِدَنِي مِنَ الشَّعْرِ الْغَرِيبِ^(١)
فَاجْرِكَ إِلَاهُ عَلَى عَلِيلٍ بَعَثَ إِلَى السَّيِّحِ بِهِ طَبِيبًا^(٢)
وَلَسْتُ بِمُنْكَرٍ مِنْكَ الْهَدَايَا وَلَكِنْ زِدْتَنِي فِيهَا أَدِيًا
فَلَا زَالَ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ وَلَا دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الْغُرُوبَا^(٣)
لَا صَبِيحَ آمِنًا فِيكَ الرَّزَايَا كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ الْعُيُوبَا^(٤)

(١) تيمنى قصدنى ، قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا المجد كرم بن الفضل رحمه الله
قال : سمعت والدى أبا بشر قاضى القضاة يقول : أخبرنى أبو الحسين الثامى للقلب بالمشوق
قال : كنت عند للتنبى فجاءه هذا الوكيل فأنشده هذه الأبيات :

فَوَادَى قَدْ انْصَدَعَ وَضُرْسَى قَدْ انْقَلَع
وَالْيَالِ عَقْلَى قَدْ انْهَوَى وَمَا رَجَعَ
يَا حَبْ ظَبَى غَنَجَ كَالْبَدْرِ لَمَّا أَنْ طَلَعَ
رَأَيْتَهُ فِي بَيْتِهِ مِنْ كَوْتِهِ قَدْ اطْلَعَ
فَقُلْتُ تَهْ تَهْ تَهْ وَتَهْ قَالُوا لِي مَرَّ يَالْكَعْ
هَاتِ قَطْعَ ثُمَّ قَطْعَ ثُمَّ قَطْعَ ثُمَّ قَطْعَ
وَضَعْ بِكَفَى وَفَى جِئْتَنِي أَدْعُكَ أَنْ تَضَعَ

فهذا الذى عناه للتنبى بقوله : وأنشدنى من الشعر الغريب .

(٢) آجره الله : أثابه ؛ جعل نفسه كالسيح ؛ وهذا الشاعر كليل قد جاء ليداوى
السيح الذى يحى الموت ويبرىء الأكمه والأبرص ، وإذا فلا حاجة به إلى طبيب ؛ ولا سيما
إذا كان الطبيب عيلا .

(٣) جله شمسا لشرفه وعموم منفعة ، يدعو له بأن لا تزال دياره مشرقات بنوره
وبأن لا يشرف على الغروب : أى لا يموت .

(٤) لأصبح : تعليل للدعاء السابق : يقول : أنا آمن عليك من العيوب فإتينا
لا تعيرك ، ولكن الذى أخشاه أن نرزا فىك ، فأنا أدعو الله أن يعيك الرزايا لأصبح
آمنا فىك المذورين معا .

وقال يصف مجلسين لأبي محمد الحسن بن عبد الله بن طنج ، قد انزوى أحدهما
عن الآخر ليرى من كل واحد منهما ما لا يرى من صاحبه :

لِلجَلِيسَانِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا مُقَابِلَانِ وَلَكِنْ أَحْسَنَا الْأَدَبَاً^(١)
إِذَا صَعِدْتَ إِلَى ذَا ، مَالٍ ذَارِهَبَاً وَإِنْ صَعِدْتَ إِلَى ذَا ، مَالٍ ذَارِهَبَاً^(٢)
فَلَمْ يَهَابْكَ مَا لَا حِسَّ يَرُدُّعُهُ إِنِّي لَأَنْصِرُ مِنْ شَأْنِهِمَا عَجَبَاً^(٣)

وقال وقد استقل في القبة ونظر إلى السحاب :

تَعَرَّضَ لِي السَّحَابُ وَقَدْ قَفَلْنَا فَقُلْتُ لِمَ لَيْكَ إِنَّ مَيَّ السَّحَابَاً^(٤)
فَإِسْمٌ فِي الْقُبَّةِ الْمَلِكِ الْمَرْجَى فَأَنْسَكَ بَعْدَ مَا عَزَمَ أَنْسِكَابَاً^(٥)
وأشار إليه طاهر العلوى بمسك وأبو محمد حاضر فقال :

أَلَطِيبُ مِمَّا غَنِيَتْ عَنْهُ كَفَى بِقُرْبِ الْأَمِيرِ طَيِّبَاً
يَبْنِي بِهِ رَبُّنَا لِلْمَالِ كَمَا بِكُمْ يَنْفِرُ الذُّنُوبَاً^(٦)

(١) و (٢) يقول : إن هذين المجلسين — وإن كان قد ميز كل منهما في وضعه عن
الآخر — مقابلان بعضهما لبعض ولكنهما أحسنا الأدب تميزاً فإنك إذا صعدت إلى
أحدهما جلست عليه مال الآخر عنه هية لك .

(٣) يقول : إذا كان مالا حس له ولا عقل بهابك فما الظن بغيره ؟

(٤) و (٥) قفلا : رجنا ، وإليك بمعنى أكفف ، وشم أمر من شام البرق إذا
نظر إليه يرجو المطر ، وتقول عزم فلان الأمر وعزم عليه إذا هم به ، وقوله قسم — البيت
— يأمر السحاب بأن ينظر إلى الأمير يرجو مطره كما ترجو الناس من السحاب مبالغة
في جود الأمير حتى صار السحاب مفتقراً إلى سقيه ، ثم قال : إنه لما قال ذلك للسحاب
أمسك عن الانسكاب بعد أن هم به حياء من جوده .

(٦) ضمير به للأمير . والخطاب في بك لمطاهر العلوى ، وهو من نسل الزهراء كريمة
سيدتنا رسول الله عليه وسلم ، ومن ثم قال : كما بك ينفر الذنوباً .

وقال وقد استحسّن عين باز في مجلسه :

أَيَا مَا أَحْيَيْسِنَهَا مُثْلَةً وَلَوْلَا الْمَلَاَحَةُ لَمْ أَعْجَبِ^(١)
خَلُوقِيَّةٌ فِي خَلُوقِيَّهَا سُوَيْدَاهُ مِنْ عِنَبِ الثَّعْلَبِ^(٢)
إِذَا نَظَرَ الْبَاَزُ فِي عِطْفِهِ كَسْتُهُ شُعَاعًا عَلَى الْمَنَكِبِ^(٣)

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوى^(*) :

أَعْيِدُوا صَبَاحِي فَهَوَّ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ
وَرُدُّوا رُقَادِي فَهَوَّ لِحَظُ الْخَبَائِبِ^(٤)

(١) التصغير في ما أحيسنها : مبالغة في الاستحسان ؛ وقوله لم أعجب : أى لم أقل ما أحيسنها : أى لولا حسنها لم أقل ذلك .

(٢) خلوقية : نسبة إلى الخلق ضرب من الطيب أصفر اللون — وفي خلوقها : خبر مقدم ، وسويداء : مبتدأ مؤخر يقول : هذه القلة صفراء مثل لون الخلق يتوسط صفرتها إنسان — إنسان عين — أسود كأنه الحبة الصغيرة من عنب الثعلب .

(٣) يقول : إذا التفت الباز إلى جانبه اكتسى من نور مقلته شعاعا .
* قالوا : إن الأمير أبا محمد بن طنج لم يزل يسأل المتنبي أن يخلص أبا القاسم طاهراً العلوى بقصيدة من شعره وأنه قد اشتى ذلك ، وأبو الطيب يقول : ما قصدت إلا الأمير ولا أمدح سواه ؛ فقال أبو محمد : عزمت أن أسألك قصيدة تنظمها في فاجلها فيه .
وضمن له عنده مئات من الدنانير فأجاب . قال محمد بن القاسم الصوفي : فسررت أنا والمطلبي برسالة طاهر إلى أبي الطيب فركب معنا حتى دخلنا عليه وعنده جماعة من الأشراف ، فلما أقبل أبو الطيب ، نزل طاهر عن سريرته والتقاء مسلماً عليه ؛ ثم أخذه يده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها ، وجلس هو بين يديه وتحدث معه طويلاً .
ثم أنشد أبو الطيب خُلع عليه — للوقت — خلعة نفيسة . قال علي بن القاسم الكاتب : كنت حاضراً هذا المجلس ، فما رأيت ولا سمعت أن شاعراً جلس المدح بين يديه مستمعاً للمدح غير أبي الطيب ؛ فإني رأيت هذا التبريد قد أجلسه في مجلسه وجلس بين يديه فأنشده هذه القصيدة .

(٤) الكواعب : جمع كاعب ، وهى التي بداندباها للنهود ، والخبائب : جمع خبيبة ولحظ الخبائب أى رؤيتهن . قول : أصبح دهرى ليلا كله بعد ظن الأجرة فليس هناك

فَإِنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مُدْهِمَةٌ عَلَى مُقَلَّةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِي غِيَابٍ^(١)
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هَذَبٍ بِحَاجِبٍ^(٢)
وَأُخْسِبُ أَنِّي لَوْ هَوَيْتُ فِرَاقَكُمْ
لَفَارَقْتُهُ وَالْأَمْرُ أَخْبَثُ صَاحِبٍ^(٣)

صباح إلا بردهن ، وقد نفي عن الكرى فلا رقاد إلا برؤيتهن ، والمعنى ردوهن على حق يرتد صباحى ورقادى .

(١) مدهمة: شديدة السواد ، والغياب : الظلمات ، وهذا البيت كالتعليل لما ذكره في البيت السابق . يقول : لما رحلت لم أبصر بعدكم شيئا : أى بكيت حتى عميت ، فأض نهارى ليلا حالك السواد . وعبرة الواحدى : يريد أن جفونه مختومة بعدهن لم تنفتح ، وإذا انطبقت الجفون فالنهار ليل . وقال التبريزى : هذا معنى البيت الأول : أى غلب عنى الكواعب فغاب صباحى بعدهن ، لأن الدنيا تنظم فى عين المهزون ، فردوا رقادى فقد كنت أراهم فى نومي وقد قدعتهم منذ فارقت الرقاد . رالعرب إذا وصفت الأمر الشديد شبهت النهار بالليل لإظلام الأمر .

(٢) بعيدة : بدل من مقلة — فى البيت السابق — ومن روى بعيدة بالرفع فهى خبر ابتداء محذوف أى هى بعيدة ، والهدب : الشعر النابت على أشعار العين ولكن المراد بأعلى كل هذب : ما نبت على الجفن الأعلى فهو عام قد خصص . ونص عبارة الواحدى : إذا حمل قوله كل هذب على العموم فالحاجب ههنا بمعنى المانع لأننا إذا حملنا الحاجب على المهود كان مغمضا لأن هذب الجفن الأسفل إذا عقد بالحاجب حصل التغميض ، وإذا حملنا الحاجب بمعنى المانع صح الكلام : وإن حملنا الحاجب المهود حملنا قوله كل هذب على التخصيص ، وإن كان اللفظ عاما ، وهذا مثل قول الآخر :

وَرَأْسِي مَرْفُوعٌ لِنَجْمٍ كَأَنَّمَا قَفَاهُ إِلَى صُلْبِي بِخَيْطٍ مُخَيَّطٍ
يقول : إن عينيه لا تطبقان وتباعدت أجفانه حتى لكان أعلى أهدابها قد عقدت بالحاجبين ، وهذا مثل قول بشار بن برد :

جَفَتَ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ
(٣) يقول : إن الدهر مولع بمخالفتى حتى لو هويت فراقكم لواصلتمونى : يعنى أن

فَيَاكَلَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَبِّي مِنْ الْبُؤْسِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَصَائِبِ ^(١)
 أَرَاكَ ظَلَنْتَ السَّلَكَ جِسْمِي فَمَقَّتْهُ عَلَيْكَ بِدْرٌ عَنْ لِقَاءِ التَّرَائِبِ ^(٢)
 وَلَوْ قَلَمَ أَلْقَيْتُ فِي شَقِّ رَأْسِهِ مِنْ الشَّقَمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ ^(٣)

من أهواء يعد عني ، ومن أجتوبه يقرب مني لسوء صعبة الدهر إياي ، قوله لفارقه :
 أي لفارقت العراق مضطراً بحكم الدهر — وفي هذا يقول بعضهم :

أَرَى مَا أَشْتَهِي يَفْرُؤُنِي وَمَا لَا أَشْتَهِي إِلَيَّ يَأْتِي
 وَمَنْ أَهْوَاهُ يُبْغِضُنِي عِنَاداً وَمَنْ أَشْنَاهُ يَشْبُثُ فِي لَهَائِي
 كَانَ الدَّهْرَ يَطْلُبُنِي بِثَارٍ فَلَيْسَ بِسُرٍّ إِلَّا وَقَائِي

وقال المكبري : قوله لفارقه : كان الوجه أن يقول لفارقي ، لكنه قلبه لأن من
 فارقك قد فارقته ، وهذا من باب القلب . ثم قال : وكان حقه أن يقول أخبت
 الأصحاب لأنه أراد خبت من يصعبه ؛ وإذا كان اسم الفاعل في مثل هذا يجوز فيه
 الإفراد والجمع كقوله تعالى « ولا تكونوا أول كافرين » أي أول من يكفر :
 وأنشد الفراء :

وَإِذَا هُمْ طَعِمُوا فَأَلَامُ طَاعِمِهِمْ وَإِذَا هُمْ جَاعُوا فَشَرُّ جِيعِ
 فَأَتَى الْأَمْرَيْنِ جِمَا :

(١) يقول : ليت أحبتي واصلوني مواصلة المصائب ، وليت المصائب بعدت
 عني بعدم . يعني أن المصائب ملازمة له فهو يتعنى أن تكون أحبته كذلك وهذا كما
 قال أيضاً :

لَيْتَ الْحَبِيبَ الْمَاجِرِيَّ هَجَرَ الْكَرَى مِنْ غَيْرِ جَرَمٍ وَاصِلِ صَلَاحِ الضَّنَا
 (٢) أَرَاكَ أَظُنُّكَ ، والسلك الحيط الذي ينظم فيه الدر وغيره ، وقوله عليك بدر
 يريد بدر عليك تقدم الجار والمجرور ، والترايب موضع القلادة من الصدر يقول :
 أَظُنُّكَ حَسَبْتَ السَّلَكَ الَّذِي فِي قِلَادَتِكَ جِسْمِي لِمِشَابَهَةِ إِيَّاهُ فِي الدَّقَةِ خَلَّتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 تَرَائِبِكَ بِالْدرِ لِلنَّظْمِ فِيهِ لَكَلَا يَلَامِسُ صَدْرَكَ ، أي أن ولوعك بمشاقق حملك على منافرة
 كل ما يشاكلني ، يشكو مخالفتها إياه ورغبتها عن وصله وهو من معاني التنبؤ البديعة .
 (٣) يقول : لشدة متعنى نعلت حتى لم يبق لي جنان يحسن به فلو ألقيت في شق

تُخَوِّفِي دُونَ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ وَلَمْ تَدْرِي أَنَّ الْعَارَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ ^(١)
 وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَى مُحَجَّلِي يَطُولُ اسْتِغَايَ بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ ^(٢)
 يَهُونُ عَلَى مِثْلِي إِذَا رَامَ حَاجَةً وَتَوَقَّعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِبِ ^(٣)
 كَثِيرُ حَيَاةِ اللَّزَاءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا يَزُولُ وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ ^(٤)

قلم ، لم يخبر بي خط كاتب ، وهذا من مبالغات الشعراء ، وقد اقتنوا في هذا المعنى كل
 الاقتنان فمن ذلك قول بعضهم :

ذُبْتُ مِنَ الْوَجْدِ فَلَوُزَجْتُ بِي فِي مُقَلَّةِ الْوَسْطَانِ لَمْ يَنْتَبِهْ
 وقول الآخر :

فَأَسْتَبِقِ مَا أَجَبْتَنِي لِي فَلَمَّاعِي يَوْمًا أَقِيكَ بِهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ
 مِنْ مُنْهَجَةٍ ذَابَتْ أَسَى فُلُوتَانِهَا فِي الْعَيْنِ لَمْ تَنْتَفِعْ مِنَ الْإِغْفَاءِ

(١) قال الواحدى : الذى أمرت به هو ملازمة البيت وترك السفر ، والذى خوفته
 به هو الهلاك ؛ وتقدير اللفظ : تخوفنى بشئ دون الذى أمرت به : أى تخوفنى بالهلاك
 وهو دون ما تأمر به من ملازمة البيت ، لأن فيها عارا ، والعار شر من البوار ؛
 والضمير فى تخوفنى . للحبيبة ، أو العاذلة : وعبلرة ابن جنى : تخوفنى الهلاك وهو عندى
 دون العار الذى أمرتنى بارتكابه .

(٢) يقول : لا بد لى من يوم مشهور أكثر فيه قتل الأعادى فأسمع بعده صياح
 النوادب عليهم ؛ والأغر فى الأصل : الذى فى وجهه بياض ، والمحجل : قال أبو عبيدة :
 المحجل من الحيل أن تكون قوائمه الأربع يضا يبلغ البياض منها ثلث الوطيف أو
 نصفه أو ثلثيه بعد أن يتجاوز الأرساغ ولا يبلغ الركبتين ، المرقوين — وأغر محجل
 كما ترى من صفات الحيل — استعارها لليوم ؛ يريد يوما مشهورا يمتاز عن الأيام كما
 يمتاز الفرس بالفرقة والتجليل .

(٣) 'العوالى : صدور الرماح : أى الأسنة ؛ والقواضب : السيوف القواطع يقول :
 مثلى إذا رام أمرا لم يبال أن يكون دون الوصول إليه رماح وسيوف : يريد أنه يتوصل
 إليه وإن كان دونه حروب وأهوال .

(٤) كثير : مبتدأ ، ومثل : خبر أول ؛ ويزول : خبر ثان ؛ يحث على الشجاعة

إِلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَى
 عِصَاصَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ ^(١)
 أَنَانِي وَعَيْدُ الْأَذْيَاءِ وَأَنَّهُمْ أَعَدُّوا لِي السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ ^(٢)
 وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَخَذَرْتُهُمْ فَهَلْ فِي وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ ^(٣)

والإقدام وينهى عن الجبن . يقول : إن طول العمر وقصره سيان لأن نهاية كل منهما الزوال ، وما بقي من العيش لا حق بما ذهب فهو في حكمه ، وإذن لا وجه للحرص على الحياة . وقال ابن الرومي :

رَأَيْتُ طَوِيلَ الْعُمُرِ مِثْلَ قَصِيرِهِ إِذَا كَانَ مُنْقَضَهُ إِلَى غَايَةِ تَرَى
 قَالَ الْعَكْبَرِيُّ : وهذا من كلام الحكماء . قل الحكماء : أواخر حركات الفلك كأوائها وناشئ العالم كلاشيء في الحقيقة لا في الحس :

(١) إليك : اسم فعل بمعنى كفى . يقول : كفى عني فإنني لست ممن إذا خشي الهلاك صبر على الدل والهوان . جعل الأفاعي مثلا للهلاك لأنها تقتل بسما دفعة واحدة ، والعقارب مثلا للدل والهوان لأن لسعها لا يقتل ولكنه يتكرر ، فيكون أطول عذابا ، وأمر آلاما وإليك كلمات الشراح . قل ابن جني : لست ممن إذا تخوف عظيمة صبر على مذلة وهوان ، فشبب الأفاعي بالعظيمة والعقارب بالدل . وقال الواحدى : جعل عَصِ الْأَفَاعِي لكونه قاتلا مثلا للهلاك وجعل لسع العقارب مثلا للعار لأنه لا يقتل قال ابن فورجه تعليقاً على هذا : من بات فوق العقارب أدته بكثرة لسعها إلى الهلاك كما لو نهشته الأفعى ، إنما يريد أن العار أيضا يؤدي الإنسان ذا المجد إلى الهلاك لتعير الناس إياه بل هو أشد لأنه عذاب يتكرر والهلاك دفعة واحدة فجعل الأفاعي مثلا للهلاك والعقارب مثلا للعار .

(٢) الأدعياء جمع دعى وهو المنتسب إلى غير أب يريد بهم هنا جماعة يدعون نسب على رضى الله عنه أرادوا به سوءاً وأعدوا له جماعة من السودان ليقتلوه . وكفر عاقب قرية بالشام من أعمال حلب .

(٣) يقول : لو كانوا قد صدقوا في دعوى انتسابهم إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم لجاز صدقهم في الوعيد أيضا فخذرتهم ، ولكنهم إذ كذبوا في نسبهم علمت أنهم لا يصدقون فهل يكون قولهم في وحدي صادقا ؟

إِلَى لَعْمَرِي قَصْدُ كُلِّ عَجِيْبَةٍ
بَأْيِّ بِلَادٍ لَمْ أَجِرْ ذَوَاتِي
كَأَنَّ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ
فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَرْدَنْ فِنَاءَهُ
فَتَى عَمَّتُهُ نَفْسُهُ وَجَدُوهُ
كَأَنِّي عَجِيْبٌ فِي عُيُونِ الْمَجَابِ (١)
وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَّأْ رِكَابِي (٢)
فَأَنْبَتَ كُورِي فِي ظُهُورِ الْمَوَاهِبِ (٣)
وَهُنَّ لَهُ شِرْبٌ وَرُودَ الْمَشَارِبِ (٤)
قِرَاعَ الْأَعَادِي وَأَبْنَدَالَ الرَّغَائِبِ (٥)

(١) يعرض بالذين توعدوه . يقول : لا عجب من قصدهم إلى بهذا الوعيد فإني لا أزال أتعثر بالعجائب حتى لكأنها بذلك تتعجب من صبري وأنا في وعلو همي فهي تيمموني وتنسل إلي من كل حذب .

(٢) ذؤابة النمل ما أصاب الأرض من المرسل على القدم لتحركه ، ويروي بدل ذؤابتى ذؤائبي ، يصف نفسه بكثرة الأسفار يقول : إنني لم أدع موضعاً من الأرض إلا جولت فيه .

(٣) الكور : الرحل ، وطاهر هو طاهر بن الحسين العلوي الذي قال فيه المتنبي هذه القصيدة . وهذا البيت من أبدع ما قيل في حسن التخلص . يقول : كما أن مواهب المدوح لم تدع مكاناً إلا أنه كذلك أنا لم أدع مكاناً إلا أتيت ، فكأنني امتطيت ظهور مواهبه .

(٤) يقول : لم يبق أحد لم ترد مواهب المدوح داره كما ترد الناس المشارب مع أن مواهبه شرب للناس فكان حقها — كما هي العادة — أن يردها الشاربون ولكنها هي ترد الشاربين ، فقوله يردن أي المواهب وهو من ورود الماء ، والفناء الساحة والنزل ، والضمير فيه للخلق والشرب المورد وحظ الوارد من الماء ، وورود : مفعول مطلق ليردن مضاف إلى مفعوله . وعجاجة الخطيب التبرزي : كأنهم قد وردن عليه ورود الناس المشارب لينتفعوا بها : يعني أن هذه منفعة للخلق الذي ترد إليه كما ينفع الماء وارده . وقريب من معنى البيت قول القائل

إذا سألوا شكرتهم عليه وإن سكتوا سألتهم السؤالا

(٥) الابتدال : مثل البذل ؛ والرغائب : جمع رغبة ، وهي الشيء المرغوب فيه . يقول : إن شجاعته وسخاءه غريزتان موروثتان ؛ والأعادي : يروي العوالي ، وهي صدور الرماح .

قَدْ غَيَّبَ الشَّهَادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ
وَرَدَّ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلِّ غَائِبٍ ^(١)
كَذَا الْفَاطِمِيُّونَ النَّدَى فِي بَنَانِهِمْ أَغْرَضَ أَمْحَاءَ مِنْ خُطُوطِ الرِّوَابِجِ ^(٢)
أَنَاسَ إِذَا لَاقُوا عِدَى فَكَاثِمًا سِلَاحُ الَّذِي لَاقُوا غُبَارُ السَّلَاحِ ^(٣)

(١) الشهاد : جمع شاهد ، بمعنى حاضر . يقول : إنه غيب عن وطنه كل من ليس من دينه السفر لأن سخاءه يدعوهم إليه ، وردهم إلى الأوطان بعد أن غمهم بنصه وأغدق عليهم العطاء فاستغنوا عن السفر إلى غيره .

(٢) الندى : مبتدأ ، وأعر : خبر ؛ وأصل البنان : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا : الأكف . وقد روى بدل في بنانهم : في أكفهم ؛ والمدوح من ولد السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج على ابن أبي طالب ، ومن ثم قال : كذا الفاطميون . يقول : إن الجود لا يفارقه حتى إن خطوط الرواجب قد يمكن أن تمحى منها والجود لا يمحي من أكفهم ، وهذا وثقت فرق بين الفاطميين وبين العلويين ؛ فالفاطيون هم أولاد فاطمة من ولها الحسن والحسين ، فكل فاطمي هو من ولد الحسن والحسين ؛ وأما العلويون فهم من ولد على يدخل فيهم الفاطميون وغيرهم كأولاد العباس بن علي وعمر بن علي ومحمد بن علي بن الحنفية ، والرواجب : واحدها راجبة ، وهي مفاصل أصول الأصابع التي تلى الأنامل وقيل : هي بواطن مفاصل أصول الأصابع وقيل هي ظهور السلايات وقيل هي ما بين البراجم من السلايات وقيل هي مفاصل الأصابع ثم البراجم ثم الأشاجع التي تلى الكف ؛ وقال ابن الأعرابي : الراجبة البقعة للمساء بين البراجم ، والبراجم الشنجات في مفاصل الأصابع في كل أصبع ثلاث برجات إلا الإبهام .

(٣) السلاهب : جمع سلهب ، وهو الفرس الطويل . يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث يعد سلاح أعدائهم في نظرهم كأنه غبار خيلهم لا يباؤون به ولا يكثرثون ، بل يشقونه لا يرتدون عن أعدائهم ؛ وخص السلاهب لأنها أسرع وغبارها رقيق وألطف . وقال الواحدى : يجوز أن يكون السلاهب خيل المدوحين ويقال : فرس مسلح أى ماض ، ولذا قال الجوهري : السلهب من الخيل الطويل على وجه الأرض ، ومنه قول الأعرابي في صفة الفرس : وإذا عدا اسلهب ، وإذا قيد اجلعب ، وإذا اتصب اتلاب . « اسلهب : امتد ، واجلعب انبسط ولم ينقبض : واتلاب : أقام صدره ورأسه »

رَمَوْا بِنَوَاصِيهَا الْقِصَى فَجَحَّتْهَا دَوَاىِى الْهُوَادِى سَالِمَاتِ الْجَوَانِبِ ^(١)
 أَوْلَيْكَ أَحَلَى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ وَأَكْثَرُ ذِكْرًا مِنْ دُحُورِ الشَّبَابِ ^(٢)
 نَصَرْتَ عَلِيًّا يَا أَبْنَةَ بَيَوَاتِرِ مِنَ الْفِعْلِ لَا قَلَّ لَهَا فِي الْمَضَارِبِ ^(٣)
 وَأَبْهَرُ آيَاتِ التَّهَامِى أَنَّهُ أَبُوكَ وَأَجْدَى مَا لَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ ^(٤)

(١) الضمير فى نواصيها : للسهاب ؛ وهى جمع ناصية ، مقدم شعر الرأس ؛ ومنه نواصى الناس أى أشرفهم . قالت أم قبيس الضبية :

وَمَشْهَدٍ قَدْ كَفَيْتُ الْغَائِبِينَ بِهِ فِي مَجْمَعٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودٍ
 وَجَتِهَا : أى جئن القسى : أى بلغت السهلاب القسى ؛ والهوادى الأعناق .

ودواى : حال ؛ وأسكن الياء ضرورة . يقول : إنهم استقبلوا رماة أعدائهم بوجوه خيلهم فلم تثن حتى وصلت إليهم ، وقد رميت أعناقها دون أعطافها وأعجازها لأنها صممت على الإقدام لا تنحرف يمنة ولا يسرة ، ولهذا لم تصب سهام الأعداء إلا أعناقها وصلت سائر أعضائها ، وفى سبيل هذا المعنى يقول بعضهم :

شَكَرْتُ جِيَادَكَ مِنْكَ بَرْدَ مَقِيلِهَا فِي الْحَرِّ بَيْنَ بَرِاقِعٍ وَجِلَالِ
 فُجِرَتْكَ صَبْرًا فِي الْوَعَى حَتَّى أَثْنَتْ جَرْحَى الصَّدُورِ سَوَالِمَ الْأَكْفَالِ

(٢) الشباب : جمع شببية ، وهو أيضاً جمع شبة : مثل ضرة وضرائر ؛ أما الشابة فجمعها شواب . تقول : نسوة شبائب وشواب ، قال الراجز :

مَجَازًا يَطْلُبْنَ شَبِيكًا ذَاهِبًا يَخْضِضْنَ بِالْخَنَاءِ شَبِيكًا شَائِبًا
 * يَقْلُنَ كَنَّا مَرَّةً شَبَابِيَا *

يقول : هم أحلى فى القلوب من الحياة إذا أعيدت على صاحبها ، وذكرهم أكثر على الألسنة من ذكر أيام الشباب .

(٣) يريد بلى : على بن أبى طالب كرم الله وجهه . لأن المدوح علوى ؛ والبواتر : السيوف القواطع : والفل ؛ التلم والمضارب : جمع مضرب ، حد السيف . يقول : أتيت من الفعال ما عززت به فعال أليك ، فكان ذلك منك بمنزلة النصر له ، وقد سلمت أفعالك من الصوب فكانت كأنها سيوف قواطع لا فلول فى مضاربها .

(٤) التهامى : يريد به سيدنا رسول الله . قال ابن جنى : قد أكثر الناس القول

في هذا البيت ، وهو في الجملة شنيع الظاهر ، وقد كان يتعسف في الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست أراه مقنعا . ومع هذا فليست الآراء والاعتقادات في الدين مما يقدح في جودة الشعر وردائه . يقول المتنبي : إن أبهر آيات النبي أنه أبوك ، وكونه أباك هو أجدى مناقبكم معشر الفاطميين . أو هو إحدى مناقبكم الكثيرة - على رواية إحدى بدل أجدى - وروى بعضهم البيت هكذا

وأكبر آيات التهامي آية

أبوك : يعني أن علي بن أبي طالب أبا الممدوح هو أكبر آيات سيدنا رسول الله ؛ وهو حسن لو كانت الرواية صحيحة . وقال العروضي : هذا بيت حسن المعنى ، مستقيم اللفظ ، حتى لو قلت إنه أمدح بيت في الشعر لم أبعد عن الصواب ؛ ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم ؛ ومعنى البيت : إن كفار قريش كانوا يقولون إن محمدا صنوبر - أي منفرد أبتر لا عقب له - فإذا مات استرحنا منه ، فأُنزل الله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - أي الكثير ، ولست بأبتر كما قالوا ؛ ما شئت لك : فهو الأبتر فقال المتنبي أنتم من معجزات النبي وآية لتصديقه وتحقيق قوله تعالى وذلك أجدى مالكم من مناقب ، ثم قال : فلن قيل : الأنساب إنما تنحدر بالآباء والأبناء لا بالأمهات والبنات كما قال الشاعر :

بَنُونَا بَنُو أَبْنَانِنَا - وَبَنَاتُنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْأَبَاعِدِ (١)

قلنا : هذا خلاف حكم القرآن العزيز ، قال تعالى « ومن ذريته داود وسليمان - إلى قوله - ويحيى وعيسى » فجعل عيسى من ذرية إبراهيم ولا خلاف أن عيسى من غير أب وأما قوله التهامي ؛ فإن الله أنزل في التوراة على موسى : إني باعث نبيا من تهامة من ولد إسماعيل في آخر الزمان ؛ وأمر موسى أمته أن يؤمنوا به إذا بعث ودل عليه بآيات أخر ، فأنكر اليهود نبوته . فقال صلى الله عليه وسلم : أنا النبي التهامي الأمي الأبطلحي ، فلا أدري كيف تسموا على المتنبي لفظة أفخر النبي بها .

(١) قيل إنه للفرزدق ؛ وبنونا خبر مقدم ؛ وبنو أبنائنا مبتدأ مؤخر أي أن بني أبنائنا مثل بنينا .

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسَبِ كَأَصْلِهِ
فَمَاذَا الَّذِي تُفْنِي كِرَامُ الْمَنَاصِبِ^(١)
وَمَا قَرَّبَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَبَاعِدِ وَلَا بَعَدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَارِبِ^(٢)

(١) النسب : ذو النسب الشريف ، والمنصب : الأصول . يقول : إذا لم تكن نفس النسب مشابهة لأصله في الكرم لم ينفعه الانتساب إلى أصل كرم . يعني : إن كرم الأصل لا ينفع مع لؤم النفس . وكثيراً ما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال :
وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتْ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلَةٍ
وقال أبو يعقوب الحريري :
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْمِ الْقَدِيمَ بِجَادِثٍ مِنْ الْمَجْدِ لَمْ يَنْفَعَكَ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ
وقال البحرى :

وَلَسْتُ أَعْتَدُ لِلْفَتَى حَسَبًا حَتَّى يَرَى فِي فَعَالِهِ حَسَبَهُ

(٢) الأشباه : جمع شبه بمعنى شبيه والبيت كالتثنية لما ذكره في البيت السابق . يقول : إن صحة النسب لا تتحقق إلا بمشابهة الفروع للأصول ؛ فإذا ادعى قوم نسباً وهم أشباه لقوم أباعد عن أهل ذلك النسب فليسوا لهم بأقارب ، وكذلك القول في الأقارب وهذا تعريض بالذين ذكرهم من الأعداء . وإليك عبارة الواحدى : لم أجد في هذا البيت ياناً شافياً ولا تفسيراً مقنعاً وكل تفسير لا يساعده لفظ البيت لم يكن تفسيراً للبيت والذي يصح في تفسيره أنه يقول : الأشباه من الأباعد لا يقرب بعضهم من بعض لأن الشبه لا يحصل القرب في النسب والأشباه من الأقارب لا يبعد بعضهم من بعض لأن الشبه يؤكد قرب النسب . هذا إذا جعلنا الأشباه الذين يشبه بعضهم بعضاً كقوله :

* الناس ما لم يروك أشباه *

فإن جعلنا الأشباه جمع الشبه من قولهم بينهم شبه : فعنى البيت : لم يقرب شبه قوم أباعد أى لا يتقاربون في الشبه ولا يشبه بعضهم بعضاً ولا يبعد شبه قوم أقارب ؛ يريد أنهم إذا تقاربوا في النسب تقاربوا في الشبه . أقول وهذا لعمرى من الواحدى غريب : وغريب أن يلف هذا اللف والمعنى منه قريب ؛ وتحرير لفظ البيت : إن الذين يشبهون قوماً أباعد لا يكونون أقارب والذين يشبهون قوماً أقارب لا يكونون أباعد .

إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ^(١)
يَقُولُونَ تَأْيِيرُ الْكَوَكِبِ فِي الْوَرَى

فَمَا بَالُهُ تَأْيِيرُهُ فِي الْكَوَكِبِ^(٢)
عَلَّا كَتَدَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ تَسِيرُ بِهِ سَيْرَ الدَّلُولِ بِرَاكِبِ^(٣)
وَحَقٌّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِسًا وَيُذْرِكَ مَالَهُ يُذْرِكُوا غَيْرَ طَالِبِ^(٤)

(١) النواصب : الخوارج الذين نصبوا العداء على بن أبي طالب رضى الله عنه . يقول :
إذا لم يكن العلوى تقياً ورعاً كطاهر — وهو المدحوح — كان حجة لأعداء أبي تراب ،
لأنهم يستدلون بنقصه على نقص أبيه : وهذا من قوله عليه السلام الولد سر أبيه ، وفي
المثل من أشبه أباه فما ظلم وقل بعضهم ؛

شريف أصله أصلٌ شريف ، ولكن فعله غير الحيد ،
كأن الله لم يخلقه إلا لتنمطف القلوب على يزيد

(٢) يقول : إن الناس تقول : إن الكواكب تؤثر في الخلق — يريد ما يذهب
إليه النجمون من السعد والنحس — ولكن المدحوح يؤثر في الكواكب ، إذ يجعل
النحوس بحكم النجوم سعيداً بما يفيض عليه من نعمته ؛ وكذلك يجعل السعيد بحكم النجوم منحوساً
بما ينزله به من نعمته ، فلا تستطيع الكواكب أن تحول دون ما يريد . وقال ابن فورجه :
تأثيره في الكواكب إثارته الغبار حتى لا تظهر وحتى يزول ضوء الشمس وتظهر
الكواكب بالنهار . هذا ولك أن تجعل قوله تأثير الكواكب مبتدأ مخنوف الخبر
تقديره يقولون تأثير الكواكب حق أو كائن ولك أن تجعل الخبر الجار والمجرور أى
قوله في الورى :

(٣) الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان ، والدلول النقادة التى تذلل لراكبها .
يقول : إنه استوى على ظهر الدنيا فانقادت له انقياد الدابة للدلول لراكبها تسير به إلى كل
غاية قصدها . هذا ومن روى علا فعلاً ماضياً نصب به كتد ؛ ومن خفض كتد على
الجاره فهي متعلقة بمحذوف تقديره ركب على كتد .

(٤) يقول : خليف به أن يسبق الناس في سبيل المعالي وهو لا يتكلف لذلك جهداً ،
ويدرك ما لم يدركوه من غير ما طلب وسعى ؛ يعنى أنه بلغ ما بلغه بشرف نسبه وما طبعه

وَيُحْدِثُ عَرَانِينَ الْمُلُوكِ وَلِئَانَهَا
يَدُّ لِلزَّيْمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
هُوَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ وَصِيهِ
يَرَى أَنَّ مَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ بِأَقْتَلِ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِيَأْتِبِ^(١)
لِتَقْرِيقِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ^(٢)
وَشِبْهُمَا شَبَهْتُ بَعْدَ التَّجَارِبِ^(٣)
بِأَقْتَلِ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِيَأْتِبِ^(٤)

الله عليه من الفضل وعلو المعة ، وهذا مالا يكتسب ويدرك بالسي والاجتهاد . هذا وقد قال الفراء : حق لك أن تفعل ذلك وحق وإني لمحقوق أن أفعل كذا فإذا قلت حق قلت لك وإذا قلت حق قلت عليك ومعنى قول من قال حق عليك أن تفعل وجب عليك (١) المرانين : الأنوف ، وعرانين : مفعول ثان ليحدثي ؛ والمفعول الأول : نائب فاعل يحدثي - التي يوجد على المدحوح . يقول : وجدير به أن تجعل عرانين الملوك أحذية له يطؤها بقدميه ، ولو هو فعل ذلك لكنت في أجل المراتب لأنها تتصرف بوطائه . (٢) يد : خبر مقدم ؛ والجمع : مبتدأ مؤخر ؛ واليد : النعمة ؛ ومعنى البيت مأخوذ من قول أبي تمام :

إذا العيسُ لَأَقْتَبَى أَبَا دُلْفٍ فَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ
(٣) هو ابن رسول الله لأنه ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ، وابن وصيه لأنه ابن سيدنا علي كرم الله وجهه ، وسيدنا علي هو وصي سيدنا رسول الله . وقوله وشبههما : أي وهو شبههما ، وقوله شبت بعد التجارب : كلام مستأنف . يقول : شبهته بهما بعد تجربتي واختباري إياه ، فليس تشبيهي عبثا . (٤) اسم أن مخنوف هو ضمير الشأن ؛ وما الأولى : نافية بمعنى ليس ، والثانية : بمعنى التي ، والتقدير : يرى أنه ليس الذي ظهر من الإنسان لضارب بالسيف كالعنق ونحوه بأقتل له مما ظهر لظمن عائب . يقول : إنه يرى العيب أشد من القتل ، وهذا من قول أبي تمام :

فَقَى لَا يَرَى أَنَّ الْفَرِيصَةَ^(١) مَقْتَلٌ وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعُيُوبَ الْمُقَاتِلُ
وَقَالَ ابْنُ جَنَى : مَا الْأُولَى زَائِدَةٌ ، وَالثَّانِيَةُ بِمَعْنَى الَّذِي ؛ وَاسْمُ أَنْ مُضَرٌّ فِيهَا .

(١) الفرصة : لحمة عند تنفض الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب وما فرستان ترتعدان عند الفرع .

أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ تَعَزَّ فَهَذَا فِعْلُهُ فِي الْكَتَائِبِ^(١)
لَمَلَّكَ فِي وَقْتٍ شَغَلَتْ فُؤَادَهُ
عَنِ الْجُودِ أَوْ كَثُرَتْ جَيْشَ مُحَارِبِ^(٢)
حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً
سَقَاهَا الْحَجَى سَقَى الرِّيَاضَ السَّحَابِ^(٣)

(١) تعز : يروى تسل ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهي الفرقة من الجيش .
يقول : تأس أيها المال الذي أباده المدوح ، فليست وحدك المباد على يده ، ولك الأسوة
بأعدائه الذين أبادهم مثلك قتلا وأسرآ .

(٢) يقول : لملك أي هذا المال المباد شغلت فؤاد المدوح يوماً ما عن السخاء بفتنتك
أو أطمعت الأعداء في محاربه رغبة فيك ، فاستحققت عقوبته بسبب ذلك فأبادك . كأنه
يلتمس للمال ذنباً عند المدوح حتى استوجب أن يفعل به فعله بالعدو .

(٣) الحديقة : الروضة قد أحرق بها حاجز ، والمراد بها هنا : القصيدة ، والحجى :
العقل ؛ جعل العقل ساقياً لها ، لأن المعاني التي فيها إنما تحسن بالعقل ، فجعل العقل
ساقياً كما تسقى السحاب . وقوله : سقى الرياض السحاب : أراد سقى السحاب الرياض ،
فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول وهو من شواذ الاستعمال وقد جاء كثيراً في
الشعر - كقول أبي حية النخعي :

كَأَخْطُ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا يَهُودِيَّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ^(١)
وَقَوْلُ عَمْرَةَ ائْتُمَعِيَّةَ تَرْمِي ابْنِهَا :
هَمَّا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَحَالَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبْوَةَ فَدَعَا هُمَا^(٢)

(١) يقول : إن رسم هذه الدار دقيق متناسب كخط الكتاب الذي كتبه ماهر
حاذق في الكتابة ؛ وخص اليهودي لأنه من أهل الكتاب ، وقيل : المراد التشبيه
في عدم الانتظام . وقوله يقارب : أي يدنى الكتابة بعضها من بعض ؛ ويزيل : أي
يلعد ما بينها . وكف : مضاف إلى يهودي ، وفصل بينهما يوما ، وهو الشاهد .
(٢) من أبيات في باب الرثاء من حماسة أبي تمام . فصل بين المضاف والمضاف

فَحَيِّتَ خَيْرَ ابْنٍ تَخْلِدُ أَبَـبَـهَا لَا شَرَفَ بَيْتٍ فِي لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ^(١)

وقول جرير :

تَسْقِي امْتِيحًا نَدَى الْمِسْوَاكِ رِيْقَتِهَا كَمَا تَضَعْنَ مَاءَ الْمُرْنَةِ الرَّصَفِ^(٢)
وقول الأعشى في كلمة يمدح بها سلامة ذا فائش :
أُنْجَبَ أَيَّامَ وَالِدَاهُ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنَعِمَ مَا نَجَلَا^(٣)

(١) خير أب : منادى ، أو حال ، وبها : أى بالحديقة المعنى بها القصيدة ؛ وكان من عاداتهم أن يحبوا بالزهور والرياحين ؛ ويجوز أن يكون الضمير في بها : للأرض ؛ وإن لم تذكر ؛ قال الخطيب التبريزي : إذا كان الضمير للأرض كان أمدح . ويعنى بخير ابن : الممدوح ، وبخير أب : سيدنا رسول الله ، وبأشرف بيت : هاشم بن عبد مناف ، إذ أن بيته أشرف ولد لؤى بن غالب .

إليه بقوله : في الحرب ، يعنى أنهما كانا غوثا لمن لا غوث له ؛ ونبوة السيف كلاله ، والمراد هنا : الشدة .

(١) وقوله :

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ عَنْ شَيْءٍ يَرُوقُهُمْ إِلَّا أَرَى أُمَّ عَمْرٍو فَوْقَ مَا وَصَفُوا
كَأَنَّهَا مُرْنَةٌ غَرَّاهُ وَاضِحَةٌ أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي ضَوْءَهَا الصَّدَفُ
والامتياع : الاستياع ؛ والندى : البلل ؛ والمرنة : السحابة البيضاء ، والرصف : جمع رصفة - حجارة مرصوف بعضها إلى بعض ، وماؤها أرق وأصفى من غيره وامتياحا ظرف : أى وقت امتياح أو حال . أى ممتاحة ، والمسواك : مفعول أول لتسقى ، وندى : مفعول ثان مضاف إلى ريقها ؛ وقد فصل بينهما بالمسواك .

(٢) أنجب الرجل . ولد ولد أنجبا ، ونجلاه : ولده ، ووالده : فاعل أنجب وأيام : ظرف لأنجب ؛ وبه : متعلق بأنجب ؛ وأيام : مضاف إلى إذ ؛ وقد فصل بينهما بقوله : أيام ، وبه .

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلاثمائة : وهي من محاسن شعره :

مَنِ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ حُمْرَ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَايِبِ ^(١)
إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شَكَاً فِي مَعَارِفِهَا فَمَنْ بَلَكَ بِتَسْهِيدٍ وَتَعْذِيبِ ^(٢)

(١) من : استفهام ، والجاذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ، تشبه بها النساء في حسن العيون . والأعاريب : جمع أعراب ، وهم سكان الحيام والوبر . وقوله في زى : حال من الجاذر ؛ والعامل فيها معنى الاستفهام ؛ وحمر الحلى : حال بعد حال والجلابيب : جمع جلباب - اللحفة تلبسها المرأة فوق ثيابها - قالت جنوب أخت عمرو ذى الكلب تربيته ، وكان قد قتل :

تَمْشِي النَّسُورُ إِلَيْهِ وَهِيَ لَاهِيَةٌ مَشَى الْمَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْجَلَايِبُ ^(١)

يقول : من هؤلاء النسوة ، الشبهات بالجاذر : وهن في زى الأعاريب ، ومتحليات بالذهب الأحمر ، ومتحطيات النياق الحمر ، ومشمطات في اثياب الحمراء - يعنى أنهن من نساء الملوك ، لأن الحمرة لون ملابس الأشراف عندهم ، والنياق الحمر أكرم النياق لدى العرب .

(٢) شكا : مفعول لأجله : يقول - مخاطباً نفسه - : إن كنت تسأل عنهن لشك بدا لك في معرفتهن ، فمن الذى امتحنك بالسهر والعذاب ؟ يعنى أنهن دهنك بمجهن حق صرت مسهداً معذباً ، فكيف لا تعرفهن ؟ وإنما استفهم عنهن لقوة شبههن بالجاذر حق كأنهن جاذر لا نساء ؛ وهذا من باب تجاهل العارف كما قال ذو الرمة :

أَيَا ظَبِيَّةَ الْوَعْصَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ ^(١)

(١) قوله وهى لاهية : يريد أن النسور آمنة منه لا تخافه لكونه ميتاً ، فهى تمشى إليه مشى المذارى .

(١) جلاجل : روى حلاحل - بالحاء للضمومة - وقال ابن برى : روت الرواة هذا البيت في كتاب سيويه : جلاجل - بضم الجيم لا غير -

لَا تَجْزِي بِي بَضْفِي بَعْدَهَا بَقْرٌ
تَجْزِي دُمُوعِي مَسْكُوبًا بِمَسْكُوبِ^(١)
سَوَائِرِ رَبِّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا مَنِيعَةً بَيْنَ مَطْمُونٍ وَمَضْرُوبِ^(٢)
وَرَبِّمَا وَخَدَتِ أَيْدِي اللَّطِي بِهَا عَلَى نَجِيعٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَصْبُوبِ^(٣)

(١) المراد بالبقر : النساء التي وصفها : يدعو لمن يقول : لا جزيني مقابل الضنا الذي حل بي بعد فراقهن ضنى مثله كما يجزين دموعي دموعا مثلها : يعني لا أورشن الله السقام بعدى كما أورشني بعدهن ، وإن كن قد بकिन لفراقى كما بكيت لفراقهن . قوله لا تجزني : دعاء مجزوم بالدعاء ، لأنه بلفظ النهى ؛ فحكمه فى الجزم حكم النهى كقول مالك بن الرب من كلمة يرى بها نفسه :

يَقُولُونَ لَا تَبْعِدْهُمْ يَدْفِنُونَنِي وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا^(١)

والباء فى قوله بضى : للمقابلة ، وبى : صفة لضى : أى ضنى حال بى أو واقع بى ، وبقر : فاعل تجزني : أى لا تجزني بقر بضى حل بى ضنى يحل بهن ؛ وبعدها : أى بعد فراقها والهاء : راجعة إلى قوله بقر ، وإن كانت متأخرة ، وجاز ذلك لأنها فاعل والفاعل رتبته التقديم ؛ فإذا أخر جاز تقديم الضمير العائد عليه ، لأن النية به التقديم ، وقوله : تجزى دموعي الخ صفة لبقر ؛ وقوله مسكوبا : بدل من دموعي : أى تجزى دموعي مسكوبا منها بمسكوب من دموعها ، وتصيره يقر ههنا : غير لائق .

(٢) سوائر : أى هن سوائر ، والهوادج : مراكب النساء على الإبل . يقول : إنهن من قومهن فى عز ومنعة ، فمن تصدى لمن طعن أو ضرب ، فسارت هودجهن ما بين مطمون ومضروب .

(٣) الوخذ : ضرب من سير الإبل ، وهو سعة الخطو فى المشى . والنجيع الدم . يقول : ربما سارت بهن مطاياهن على دم مصبوب من الفرسان . يريد أنهن فى منعة ، دونهن طعان وضراب قتال ، فالبيت فى معنى البيت السابق .

(١) الاستفهام : فى قوله : وأين الخ بمعنى النفي ، ولذا وقعت «إلا» بعده .

(١٩ — المتن ١)

كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَافِيَةٍ
 أَذَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذِّيبِ^(١)
 أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْفَتِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِي^(٢)
 قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِمِهِمَا
 وَخَالَفُواهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيبٍ^(٣)
 جِيرَانُهَا وَهُمْ شَرُّ الْجَوَارِ لَهَا وَصَحْبُهَا وَهُمْ شَرُّ الْأَصَاحِبِ^(٤)
 فَوَادُ كُلِّ حُبِّ فِي بُيُوتِهِمْ وَمَالُ كُلِّ أَخِيذٍ لِلَّالِ مَحْرُوبٍ^(٥)

- (١) يصف جراته في زيارة الجباب بعد أن ذكر منتهن يقول - مخاطبا نفسه - كم قد زرتهم زيارة لم يشعر بها أحد كزيارة الذئب الغنم يقع فيها ، ويذهب بما يذهب منها على غفلة من الراعى . وقوله : وقد رقدوا ، جملة معترضة بين أذى ومن زورة الذيب .
- (٢) جمع في هذا البيت بين خمس مطابقات : الزيارة والانشاء والسواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والإغراء ولوى . وأنتى : أى أعود ، وأغراء به : ضربه وحضه عليه . يقول : أزورهم والليل لى شفيح لأنه يستترى عنهم ، وأنصرف وكأن الصبح يغرى بى ، إذ يشهرنى ويدلم على مكافى . وهذا البيت - كما ترى - من معجزات المتنبي .
- (٣) يقول : إن هؤلاء الأعراب قد وافقوا الوحش في سكنى البرارى وخالفوها في أن لهم خياما ، يهدمونها لدى الرحيل وينصبونها لدى الإقامة ؛ أما الوحش فلا خيام لها ، يريد أنهم ممن يسكنون البادية ، والمرايع المسارح التى ترتع فيها الوحوش وتسرح ؛ والتقويض : الهدم ؛ والتطنيب : شد الخيام بالأطناب .
- (٤) يقول : هم جيران الوحوش ، بيد أنهم يسيئون جوارها لأنهم يصيدونها ويذبحونها ، وقوله وهم شر الجوار : أى وجوارهم شر الجوار - على حد قوله تعالى « ولكن البر من آمن بالله » والأصاحب : جمع أصحاب ؛ جمع صحب اسم جمع لصاحب .
- (٥) أخيد : أى مأخوذ ؛ والمهروب : الذى ذهب كل ماله . يقول : إن فيهم الجمال والشجاعة : فساؤهم ينهب القلوب ، ورجالهم ينهبون الأموال وقال التبريزى : يريد أنهم ملكوا قلوب الرجال - أى بالسقاء - وأموال الأعداء .

مَا أَوْجُهُ الْحَضَرِ الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ كَأَوْجُهُ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِبِ^(١)
حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطَرُّيَةٍ وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبٍ^(٢)
أَيْنَ الْمَعِزُّ مِنَ الْآرَامِ نَاطِرَةٌ وَغَيْرُ نَاطِرَةٍ فِي الْحُسْنِ وَالطَّيِّبِ^(٣)

(١) الرعايب : جمع رعبية ، وهى المرأة التارة السمينة : والضمير فى به : للحضر
يقول : ليست الأوجه المستحسنات بالحضر كأوجه نساء البدو يفضل نساء البدو على نساء
الحضر ، وبين السبب فى البيت التالى .

(٢) الحضارة - بكسر الحاء ، أو فتحها - الإقامة بالحضر ؛ والبدواة : الإقامة فى
البدو ؛ وانتطرية : للعاجلة . تقول : طرى الطيب : خلطه بالأفاويه ، وطرى الطعام :
خلطه بالتوابل . يذكر السبب فى تفضيل البدويات على الحضريات . يقول : إن حسن
أهل الحضارة متكلف مجلوب بالحيلة والعلاج أما حسن البدويات فهو خلقه ، لا يعرفن
التكلف والحسن المجلوب بالاحتيال .

(٣) المعيز : اسم لجماعة المز - كالكلب والعبد - قال العكبرى : المعيز : اسم
للمعزى ، وهو خلان الضأن ، وهو اسم جنس ، تقول المز والمعيز والأمعوز ، وواحد
المز : ماعز : مثل صعب . وصاحب ؛ والأنثى ماعزة وهى العز والجمع ماعز .
والمز بالفتح والمز بسكون العين لفتان فصيحان قرأ أهل الكوفة ونافع بسكون العين ،
وقرأ الباقر بفتحها . وقال سيويه : معزى منون مصروف ، لأن الألف لللاحق -
لا للتأنيث - وهو ملحق بدرهم على فاعل ، لأن الألف للملحقة تجرى مجرى ما هو من
نفس الكلمة ، يدل على ذلك قولهم : معيز وأريط - فى تصغيرى معزى وأرطى - فى
قول من نون فكسروا ما بعد ياء التصغير كما قالوا دريهم ، ولو كانت للتأنيث لم يقلبوا
الألف ياء ، كما لم يقلبوها فى تصغير جلى وأخرى . وقال الفراء : للمعزى مؤنثة وقال
بعضهم : مذكرة ، وحكى أبو عبيد أن العرب كلها تنون للمعزى فى النكرة ، والآرام :
لطبائى الخالصة البياض . وقوله ناظرة حال : أى فى حال نظرهن وامتداد أعناقهن ، أو
فى حال إقبالهن . وقال بعض التراح : ناظرة : تميز ، وليست اسم فاعل ، والتقدير
من حسن الآرام عيوننا . شبه نساء الحضر بالمعيز ، ونساء البدو بالآرام . يقول : أين
تقع المعيز من الطبائى فى الحسن والطيب أكانت مقبلة أم معرضة ؟ فالطبائى تفضلها حيواناً
وغير حيوان .

أَفْدَى فِطَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا
مَضْغَ الْكَلَامِ وَلَا صَنِغَ الْحَوَاجِبِ ^(١)
وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَامِ مَائِلَةً أَوْ ذَا كَهْنٍ صَقِيلَاتِ الْعَرَاقِبِ ^(٢)
وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوَّهَةً
تَرَكَتْ لَوْنٌ مَشِيبِي غَيْرَ مَحْضُوبٍ ^(٣)

(١) يريد بظباء الفلاة : البدويات نساء الأعراب . ومضغ الكلام : ترك إبطائه ، كأن التكلم يمضغ شيئا : يقول : هن فصيحات مبيّنات ، لا يمضغن كلامهن غنجا وتغننا كنساء الحضرة ، ولا يمضغن حواجهن طلبا للزينة مثلهن ، والحواجيب : جمع حاجب أشجع الكسرة فتولد عنها ياء كما قال الفرزدق :

* نَفَى الدَّانِيَرِ تَنْقَادَ الصَّيَارِفِ ^(١)

(٢) مائلة : شاخصة ؛ وىروى مائلة ، والأولى أظهر . والعراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل . يقول : وليست البدويات كالحضرّيات يجلبن حسنهن بأن يدخلن الحمام فيخرجن منه وقد شددن خصورهن فشخصت أوراكنهن من تحتها وصقلن عراقيبهن .

(٣) أصل التموه : الطلى بماء الذهب أو الفضة ، ثم استعمل بمعنى التدليس والتزوير . وقوله : من هوى ، متعلق بقوله تركت . يقول : ومن أجل أنى لا أحب إلا كل امرأة لا تموه جمالها تركت ياض شيبى دون خضاب : أى لم أموه شيبى كما لم يموهن حسنهن .

(١) صدره :

* تَنَفَّى يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ *

يصف ناقة تسرع في الهواجر فيقول إن يديها لشدة رفعها الحصى تنفياه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كصايل الدنانير ينتقدها الصيرف فينفى رديتها عن جيدها وخصى المهاجرة لتعذر السير فيها والشاهد في الصياريف وروى بدل الدنانير الدراهم فيكون الشاهد في الصياريف والدراهم

وَمِنْ هَوَى الصَّدَقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ
رَغِبْتُ عَنْ شَعْرِ فِي الرَّأْسِ مَكْذُوبٍ^(١)
لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ
مِثْقَى بِحِلْيَةِ الَّذِي أُعْطَتْ وَتَجَرَّبِي^(٢)
فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَا نَفْسِي قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ^(٣)
تَرْعَرَعَ الْمَلِكُ الْأَسَازُ مَكْهَلًا قَبْلَ الْكُتْهَالِ أَدِيًا قَبْلَ تَأْدِيبِ^(٤)

(١) رغب عن الشيء : زهد فيه . والضمير في قوله : وعادته ، يرجع إلى الصدق وهو عطف على هوى . يقول : ومن أجل أني أحب الصدق وقد تعودته لم أجل شعر رأسي مكذوبا : أي مسودا بالخطاب ، إذ هو غير لونه . قوله : ومن هوى ، متعلق برغبت ، ويروى بدل قوله عن شعر في الرأس : عن شعر في الوجه .
(٢) يقول : إن حدثان الدهر ونوائبه أخفت مني الشباب وأعطيني الحلم والتجارب ، فوددت لو أنها باعت ما أخذت مني بما أعطت : أي ردت على الشباب واستردت الحلم . والحلم العقل والأناة . وهذا من قول علي بن جبلة :
وَأَرَى اللَّيَالِي مَا طَوَتْ مِنْ قَوْتِي زَادَتْهُ فِي عَقْلِي وَفِي أَفْهَامِي
وقول ابن المعتز :

وَمَا يُفْتَقَصُّ مِنْ شَبَابِ الرِّجَالِ يُرَدُّ فِي نَهَايَا وَأَلْبَابِهَا
(٣) الحدأة : حدأة السن والشباب . يريد أنه كان حليما قبل تحليم الحوادث إياه . يقول : إن حدأة السن لا تحول دون الحلم ، فالمرء قد يكون حليما في الشباب كما يكون حليما في الشيب — كما قال أبو تمام :

حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا
(٤) ترعرع الصبي : نشأ وشب ، والأساذ : لقب كافور ؛ وهي كلمة فارسية ، من معانيها : اللطم ، والدبر ، والعالم . يريد التنبي أن يؤكد بهذا البيت معنى البيت السابق ، وفيه من البديع حسن التخلص . يقول : إن كافورا نشأ على الاكتهال — أي حلم الكهول — قبل أن يكهل سنا ، وعلى الأدب قبل أن يؤدب : أي أنه ترعرع على ذلك

مَجْرَبًا فَمِمَّا مِنْ قَبْلِ تَجْرِبَةٍ مُهَذَّبًا كَرَمًا مِنْ غَيْرِ تَهْذِيبٍ^(١)
 حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نَهَائَتَهَا وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَآآتٍ وَتَشْيِيبٍ^(٢)
 يُدَبِّرُ الْمَلِكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنَ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ^(٣)
 إِذَا أَتَتْهَا الرِّيَّاحُ النَّكْبُ مِنْ بَلَدٍ
 فَمَا تَهْبُ بِهَا إِلَّا بِتَرْتِيبٍ^(٤)

طبعاً دون أن يفيد من كر الغداة ومر العشي، وهذا دليل على أن الحداثة ليست بمائة من حلم.

(١) قال صاحب اللسان: رجل مجرب كمضرس — بالفتح — جرب في الأمور وعرف ما عنده، كأن الأمور جربته وأحكمتها؛ ومجرب — بالكسر — عرف الأمور وجربها. ثم قال: إلا أن العرب تكلمت به بالفتح. يقول المتنبي: نشأ كافور مجرباً قبل أن يجرب — لما جيل عليه من الفهم — مهذباً قبل أن يهذب — بما طبع عليه من الكرم — ففها وكرما: مفعول لها.

(٢) التشيب في الأصل: ذكر أيام الشباب: وهو يكون في ابتداء القصاد، ثم سمي ابتداء كل أمر تشيباً، وإن لم يكن فيه ذكر أيام الشباب، ويريد بنهاية الدنيا: الملك، لأنه لا شيء إلا والملك فوقه يقول: إن كافوراً أصاب الغاية القصوى من دنياه وهو الملك، ومع ذلك لا تزال همته في بداية أمرها: أي أنه بعيد مرتقى المهمة.

(٣) يريد فسحة رقعة ملكه وتراعى حدودها إلى هذه الأطراف، لا أنها داخلة في ملكه، لأن كافوراً لم يكن من ملكه عدن ولا العراق ولا أرض الروم — الأناضول — ولا النوب، إنما مملكته تحد بهذه البلاد؛ إذ كانت مصر والحجاز والشام لحسب.

(٤) يقول: إنه لهيئته وعظمه في النفوس وغيرها إذا هبت الرياح الموح في بلاده هبت مستوية رزينة مرتبة إعظاماً له وإجلالا، والرياح مثل أراد به البالغة في إعظام الناس إياه وتسكهم التمرد عليه حتى لو كانت الرياح تعقل لاستوت واطردت مهابة له. وعبرة الخطيب اتبريزي: يعظم أمره وسياسته، ولم يرد الرياح بعينها، بل يريد أن الناس له هائبون، حتى الرياح إذا هبت هبت بترتيب واستواء هية له. فالضمير في أتنها: يعود على الملك بمعنى المملكة والنكب: جمع نكباء، وهي الرياح تهب في غير استواء.

- وَلَا تُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إِذَا شَرَقَتْ إِلَّا وَمِنْهُ لَهَا إِذْنٌ بِتَغْرِيبِ^(١)
يُصْرِفُ الْأَمْرَ فِيهَا طَلِيحٌ خَاتِمِهِ وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبٍ^(٢)
يَحِطُّ كُلُّ طَوِيلٍ الرُّمَحِ حَامِلُهُ
مِنْ سَرَجٍ كُلُّ طَوِيلٍ الْبَاعِ يَقْبُوبِ^(٣)
كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصُ يُوسُفَ فِي أَجْفَانٍ يَقُوبِ^(٤)
إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْئَلَةٍ فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبِ^(٥)

(١) هذا البيت في معنى الذى سبقه . يقول : ولا تغرب الشمس عن مملكته بعد أن تشرق إلا بإذنه ، وكل هذا مبالغة .

(٢) طلس الكتاب : طمسه ومحاه ، كطرسه . يقول : إن أمره يمثل مطاع في بلاده حتى لو كتب مكتوباً بأمر من الأمور وختم مكتوبه هذا بالطين — كما هي عادتهم إذ ذاك — ثم انمحي كل ما كتب ولم يبق إلا الحاتم امثل أمره بمجرد رؤية الحاتم إعظماً وإجلالاً . وخاتم : يقال بفتح التاء وكسرهما ، وفيه خاتم وخيتام .

(٣) يحط : ينزل ويضع ، وحامله : فاعل يحط ، والضمير في حامله : يعود إلى الحاتم ، واليعبوب : الفرس السريع الجرى . يقول : إن حامل خاتم كافور ينزل الفارس البطل الطويل الرمح من سرج الفرس السريع الجرى: أى أن الفارس إذا رأى خاتم كافور سجد له إعظماً فنزل عن فرسه ، وللعنى أنه نافذ الأمر مطاع ، وعبرة الواحدى : لم يعرف ابن جنى هذا . فقال مرة : يقتل حامل خاتمه كل فارس فينزل له عن سرج فرسه ومرة : يحط حامل كتابه أعداءه عن سروجهم ، وليس البيت من القتل ولا من إنزال الأعداء في شيء ؛ وللعنى : يريد تفادى أمره واتساع قدرته ، وقال ابن القطاع : الهاء يعود على كافور : أى إذا رآه الأبطال انحطوا .

(٤) يقول : إنه يسر ويتبجح إذا سمع سؤال سائل — يستجديه — ابتهاج يعقوب حين رأى قميص يوسف ، وذلك لكرمه وجوده .

(٥) يقول : إنه لا يرد السائل أياً كان ، فلو صمدت إليه أعداؤه سائلة مستجدية نالت مطلوبها ، فكانت غزته بجيش لا يئلب .

أَوْ حَارَبْتُهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ مِمَّا أَرَادَ وَلَا تَنْجُو بِتَجْبِيبٍ^(١)
 أَضْرَتْ شَجَاعَتُهُ أَفْصَى كِتَابِهِ عَلَى الْحِمَامِ فَمَا مَوْتُ بِمَرْهُوبٍ^(٢)
 قَالُوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ قُلْتُ لَهُمْ
 إِلَى غُيُوثٍ يَدِينُهُ وَالشَّائِبِ^(٣)
 إِلَى الَّذِي تَهَبُّ الدُّوَلَاتُ رَاحَتَهُ وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبٍ^(٤)

- (١) التقدمة : التقدم ؛ والتجيب : الحرب . قال صاحب اللسان : التجيب النصار ، وجب الرجل تجيباً إذا فر وعرد ، وفي الحديث : التمسك بطاعة الله إذا جيب الناس عنها كالكار بعد الفار : أى إذا ترك الناس الطاعات ورغبوا عنها . يقال جيب الرجل . إذا مضى مسرعاً فاراً من شيء . يقول : إذا قصده أعداؤه محاربين ، لم ينجوا من إرادته فيهم فلا يبدىهم الإقدام لأنهم لا يقدرُونَ عليه ولا الحرب لأنه يدركهم لاهالة .
- (٢) أضرت : من الضراوة ، وهى الدربة والعادة ، تقول : ضرى فلان بكذا : لزمه واعتاده ، وضراء ، بكذا : ألهمه به ؛ وفى الأثر : إن للنعم ضراوة كضراوة الحمر : أى إن له عادة طلبة لأكله كمادة الحمر مع شاربها ، ويريد بأقصى كتابه الجبناء الذين لا يشهدون اقتال ؛ والحمام : الموت . يقول : إن شجاعته عودت الجبناء من رجالة لقاء الموت وجراتهم عليه فليس للموت مرهوباً عندهم .
- (٣) الشؤبوب : الدفعة الشديدة من المطر ؛ وأل فى الشائب تقوم مقام الضمير : أى إلى غيوث يديه وشأبيهما . يعرض التنبي - فيما يظهر - بسيف الدولة ، يقول ؛ يلومنى الناس على هجرى الغيث - يعنى سيف الدولة - وهم واهمون فى هذا اللوم ؛ لأننى تركت غيثاً إلى غيوث : أى أننى فارقت كريماً إلى من هو أكرم ... وقال ابن فورجه : أراد أن مصر لا تخطر فيقول : لا مئى الناس فى هجرى بلاد الغيث ، فقلت تعوضت عنها غيوث يديه . وهذا تصف من ابن فورجه ، بدليل البيت التالى .
- (٤) يقول : إني هجرت إلى من يعطى القطاء الجزيل ويهب الهبات الخطيرة ولا يتبع هبته بالن . وهذا تعريض بين سيف الدولة . والدولت : جمع دولة وهو ما يتداول ، فيكون مرة لهذا ومرة لتلك ؛ فطلق على المال والغلبة ؛ والمراد هنا : المال الجزل أو الولايات والممالك .

وَلَا يَرُوعُ بِمَغْدُورٍ بِهِ أَحَدًا وَلَا يُفَزِّعُ مَوْفُورًا بِمَنْكُوبٍ^(١)
 بَلَى يَرُوعُ بِذِي جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ ذَا مِثْلِهِ فِي أَحَمِّ النَّقْعِ غَرِيبٍ^(٢)
 وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرَى وَتَقَرِّبٍ^(٣)
 لَمَّا رَأَيْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَقْدِرُ بِي وَفَيْنَ لِي وَوَفَتْ صُمُّ الْأَنَابِيبِ^(٤)
 فَنَنْ الْمَالِكِ حَتَّى قَالَ قَاتِلُهَا مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْجُرْدِ السَّرَاحِيبِ^(٥)

(١) راعه : خوفه وأفزعه ؛ وبه : صلة مغدور ؛ والموفور : الذي لم يصب في ماله ولم يؤخذ منه شيء ، والمଙ୍କوب : ضده . يقول إنه لا يضر بأحد كي يروع به غيره ولا ينكب أحداً فيتحفه أو يسلب ماله ليفزع به للموفور الذي لم ينكب . يعنى أنه حسن السيرة في رعيته ، عادل لا يظلم أحداً بحال .

(٢) يقول : لا يضر بأحد « إلى آخر البيت السابق » وإنما يروع صاحب جيش صاحب جيش آخر يصرعه على الأرض : أى ينكل بصاحب جيش ليحتر به صاحب جيش آخر ، وهو - أى كافور - في جيش أسود الفبار قد علاه سواد الحديد . وبلى : حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله ، ويجدله أى يصرعه على الجدالة وهى الأرض - وجملة يجدله : صفة لذى جيش ؛ وذامثله : مفعول يروع ذا جيش ، مثل جيشه . وقوله في أم : أى في جيش أم النقع : أى أسود الفبار ؛ والغريب : الشديد السواد ، ومعنى جيش غريب : أسود الحديد . وقال ابن جنى : إذا رآه ملك وقد صنع بملك آخر ما صنع فإنه يخافه ويحذره .

(٣) يقول : إني وجدت ما في الخيل من عدو وجرى أنفع الأشياء التى ادخرتها لأنها حملتني إلى كافور وأخرجتني من بين الفادرين بى كما بين ذلك في البيت التالى . فالسوابق الخيل والتقريب ضرب من العدو

(٤) : لما رأت الخيل حدثان الدهر ونوبه تغدربى - يريد الناس - وفى لى بحملها إياى عن موطن الضرب إلى كافور ؛ وكذلك وفى لى الرماح لأنى استظهرت بها على الوصول إلى مصر . فصم الأنابيب . الرماح ، والصم . الصلاب ، والأنابيب : جمع أنبوب ، وهو ما بين العقدتين من الرمح وما شاكلة .

(٥) يقول : إن خيلنا قطعت المغاوز وفاتها حتى لو كان لها - أى للمغاوز - قاتل لقال ماذا لقينا من هذه الخيل إذ جابتنا بسرعة وذلت الصعب منا ونجت من عوائلنا ،

تَهْوِي مِّنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ لِلْبَسِ ثَوْبٍ وَمَا كَوَّلٍ وَمَشْرُوبٍ^(١)

فالمراد بالمهالك: الفاوز ، والجرد : القصيرة الشعر ، وذلك محمد في الخيل، والسراحيب: جمع سرحوب ، وهو الفرس الطويل . وعبرة ابن جني : ضجت للفاوز من سرعة خيل وقوتها ، وقال ابن فورجه : إذا أطلقت المهالك لم يفهم منها الفاوز ، وإنما تفهم الأمور المهلكة : يعني أن هذه الخيل لم يعلق بها شيء من الهلاك حتى تصببت المهالك من نجاتها بسلامتها منها .

(١) تهوى : أى تسرع ؛ وقوله بمنجرد : يعني نفسه ، والنجرد : الجاد في الأمور الماضية فيها لا يرد شيء ؛ وقوله ليست مذاهبه : أى ليست رحلاته للبس ثوب أو ليست أسفاره لهذا . يقول : إن هذه الخيل تسرع برجل جاد ليست أسفاره طلاباً لمثل كسوة أو طعام ، وإنما طلبته المعالي . وهذا كقوله :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ
وقديما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال امرؤ القيس :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْمَى لِأَذْنِي مَعِيشَةٍ كَفَانِي - وَلَمْ أَطْلُبْ - قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْمَى لِجَدِّ مُؤَثِّلٍ وَقَدْ يَذْرِكُ الْجَدَّ الْمُؤَثِّلُ أَمْثَالِي^(١)
وقال حاتم الطائي :

لَحَا اللَّهُ صُعُوكَا مُنَاهُ وَهَمُّهُ مِنْ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى كَبُوسًا وَمَطْعَمًا^(٢)
وقال آخر :

وَلَيْسَ فِتَى الْفِتْيَانِ مِنْ رَاحٍ وَاعْتَدَى لِشَرْبِ صَبُوحٍ أَوْ لِشَرْبِ غُبُوقٍ
وَلَكِنْ فِتَى الْفِتْيَانِ مِنْ رَاحٍ وَاعْتَدَى لَضَرْ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقٍ

(١) ما - في قوله ما أسمى - مصدرية ومجد مؤثِّل قديم له أصل ، والثائل اتخاذ أصل مال ، وقيل المؤثِّل : المجموع وقيل : المستمر المثبت
(٢) لحاه الله : قبجه وأهلكه . من لحوت العود ، إذا قشرته ، والصعلوك : الفقير الذي لا مال له ، وصعاليك العرب : ذوؤبائها .

يَرَى النُّجُومَ بِعَيْنَيْ مَنْ يُحَاوِلُهَا كَأَنَّهَا سَلَبٌ فِي عَيْنِ مَسْلُوبٍ^(١)
 حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ
 تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلِ غَيْرِ مُحْجُوبٍ^(٢)
 فِي جِسْمٍ أَرْوَعَ صَافِي الْعَقْلِ تُضْحِكُهُ
 خَلَائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الْأَعَاجِبِ^(٣)
 فَالْحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا وَلِلْقَنَاءِ وَإِلَادِ الْجَى وَتَأْوِيهِ^(٤)

(١) السلب : الشيء المسلوب . يريد أنه بعيد مرتقى الهمة . يقول : إنه لطموحه وبعد همته يطمع في إدراك النجوم ، فهو ينظر إليها بعين من يحاول تناولها حتى لكأنها شيء قد سلب منه فلا يستريح أو يحصل عليه ، شأن المسلوب لا تطيب نفسه أو يرجع إليه ما سلب منه .

(٢) يقول : حق ، وصلت إلى ملك محجب — لأن الملوك محجبون لا يبتذلون أنفسهم للناس — يريد أنه وإن كان محجبا فإن نواله دان قريب لمن طلبه غير محجوب عنه ، ويجوز أن يريد بالنفس همته ، وأنها محتجبة عن الناس لا يبلغها كل أحد ، بدليل قوله في البيت التالي : في جسم أروع ، وما أبدع قول أبي تمام :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمَقْصُوعِكَ إِلَى أَمَلٍ إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ
 وقوله يقول مسلم :

كَذَلِكَ الْغَيْثُ يُرْجَى فِي تَحَجُّبِهِ حَتَّى يُرَى مُسْفَرًا عَنْ وَابِلِ الْمَطَرِ

(٣) في جسم : صفة لنفس — في البيت السابق — أو حال منها ، والأروع هنا : الشهم الذكي الفؤاد وفي غير هذا الموضع الذي يروعه حسنه ؛ والخلائق : الأخلاق . يقول : إذا نظر إلى أخلاق الناس وما هي عليه من الحسة والدناءة : ضحك منها هزوا واستصغارا ، لأنه أسمى منهم نفسا وعقلا .

(٤) له : أى لكافور ؛ ولها أى للخيل ، والإدلاج : سير أول الليل ، والتأويب : سير عامة النهار . يقول : إني أحمذك وأحمد خيلي ورماحي وإدلاجي وتأويبي إذ بلفظي إليك — كما ذكر في البيت التالي .

وَكَيْفَ أَكْفُرُ يَا كَافُورُ نِعْمَتَهَا وَقَدْ بَلَّغْنَاكَ بِي يَا كُلُّ مَطْلُوبٍ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَانِي بِتَسْمِيَةٍ
(١) فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبٍ
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحَبُّوبٍ (٢)

(١) الغاني : المستغنى . يقول : أنت مشهور الاسم إذا ذكر اسمك عرفت به ، فلم يحتاج معه إلى وصف أو ذكر لقب ، وهذا كما يروى ، أن رؤبة بن العجاج أتى البكري النسابة فقال : من أنت ؟ قال : أنا رؤبة بن العجاج ، فقال : قصرت وعرفت ، فقال رؤبة يفتخر بذلك :

وقد رفع العجاجُ بِاسْمِي فَادْعُنِي بِاسْمِي إِذَا الْأَنْسَابُ طَالَتْ يَكْفِينِي
(٢) الضمير — في قوله به — يرجع إلى الحبيب ، ولو أمكنه أن يرده إلى الخطاب لكان أحسن ، وهذا أبلغ . يقول : إني أحبك وأنت حبيب لى ، وإني أعود بك من أن لا تحبني ، لأن من نكده الدنيا أن تحب من لا يحبك كما قال القائل :

وَمِنْ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِبَّ وَلَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ

وقال يمدحه في شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة (*) :

أَغْلِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلِبُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْمَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ ^(١)

أَمَّا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى بَفَيْضًا تُنَائِي أَوْ حَبِيبًا تُقَرِّبُ ^(٢)

* قالوا : إن كافوراً كان قد تقدم إلى الحجاب وأصحاب الأخبار ، فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولى أبا الطيب ناحية من الصعيد ، وينفذ إليه قوماً يعرفونه بذلك فلما كثر ذلك وعلم أن التنبئ لا يثق بكلام سمعه حمل إليه ستمائة دينار ذهباً ، فقال أبو الطيب هذه القصيدة يمدحه بها .

(١) يقول : إن بيني وبين الشوق مغالبة لأجلك ، والغلبة للشوق : إذ هو يغلب صبرى ، وإنى أعجب من هذا المجر لتراخيه وطوله ، على أن الوصل لو واقفنا كان أعجب منه لأن من شيم الأيام التفريق . وقال الواحدى : الأغلب الغليظ الرقة الذى لا يطاق ولا يغالب ، فكأنه قال : إن الشوق صعب شديد ممتنع .

(٢) تنائى تفاعل ، من النأى . وهو البعد ، يقال نأى وأنأيته على أفعال ؛ ولكنه نقله إلى فاعل ، كما يقال أبعدته وبعادته وروى الواحدى تنأى بالتشديد يقول : إن الدهر مولع بتقريب من أبغضه وإبعاد من أحبه ، أفلا يغلط مرة فيبعد البغض ويدنى الحبيب ؟ وجعل ذلك غلطاً من الدهر ، لأنه خلاف ما يأتى به الدهر ؛ وأصل هذا المعنى من قول مضرس :

لَعَمْرُكَ إِنِّى بِالْخَلِيلِ الَّذِى لَهُ عَلَى دَلَالٍ وَاجِبٌ لِمُفْجَعٍ

وَإِنِّى بِالْمَوْلَى الَّذِى لَيْسَ نَافِعِى وَلَا ضَائِرِى قُدَّانَهُ لِمُسْتَعٍ

ويقول الطرماح :

يُفَرِّقُ مِنَّا مَنْ نُحِبُّ اجْتِمَاعَهُ وَيَجْمَعُ مِنَّا الدَّهْرُ بَيْنَ الضَّغَائِنِ

ويقول الآخر :

عَجِبْتُ لِمُتَطَوِّحِ النَّوَى مَنْ أَحْبَبَهُ وَإِدْنَاءَ مَنْ لَا يُسْتَلَذُّ لَهُ قُرْبُ

وقال المحدث :

وَمَنْ أَهْوَاهُ يُبْفِضُنِى عِنَاداً وَمِنْ أَشْنَاهُ شِصْ فِي لَهَاتِى

وَلِلَّهِ سَرِيرِي مَا أَقْلَ تَنِيَّةَ عَشِيَّةَ شَرْقِيَّ الْحَدَالِي وَغُرْبِي^(١)
 عَشِيَّةَ أَحْقَى النَّاسِ بِي مَنْ جَفَوْتُهُ وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّتِي أُتَجَبَّبُ^(٢)
 وَكَمْ لِفِظْلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ^(٣)
 وَقَاكَ رَدَى الْأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمْ وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ الْمُحَجَّبِ^(٤)

(١) التنية التلبث والتحك قال الشاعر :

فَ بِاللَّيْلِ وَتَوَفَّ زَائِرٌ وَتَأَى إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرٍ

وتنية : منصوبة على التميز ، وأراد ما أقله تنية ، لحذف لضيق اللقاة والحدالي : موضع بالشام ، وغرب : جبل هناك معروف ، والحدالي : مبتدأ وشرقي : ظرف خبره ، وأصله شرقي — ثلاث ياءات — لحذفت الثانية من ياء النسبة للتخفيف . يتجرب من سرعة سيره ويقول : ما كان أسرع سيري وأقل لبنة عشية كان هذان المكانان على جانبي الشرق : يعني عند رحيله من حلب .

(٢) يريد بأحقى الناس به : سيف الدولة . وعشية : بدل من عشية في البيت السابق — وأحقى : أفضل تفضيل — من حقى به حفاوة : إذا بالغ في إكرامه وإطافه — يقول : إن سيف الدولة كان أحق الناس بي جفوته وغادرته ، وكانت أهدى طريق هي التي أعود فيها إليه فعدلت عنها إلى مصر . قال ابن جني : كان يترك القصد ويتصف خوفًا على نفسه .

(٣) المانوية : أصحاب ماني — القائل بالنور والظلمة ؛ وأن الخير كله من النور والشر كله من الظلمة — يخاطب نفسه يقول : كم للظلمة من نعمة عندك تبين أن المانوية الذين ينسبون الشر إليها كاذبون وليس الأمر على ما زعموا وقد بين تلك النعمة في البيت التالي .

(٤) الردى : الهلاك ؛ والسرى : السير ليلا ، يقول : إن ظلام الليل وقاك فائلة الأعداء وأنت تسير فيما بينهم ليلا فلا يصرونك وزارك فيه المحبوب آتيا لم يخش الرقيب إذ حبه عن عيونه وقال ابن فورجه : الطيف قد يزور نهاراً ، فيكون كقول ابن المعتز :

لَا تَلْقَ إِلَّا لَيْلِي مَنْ تَوَاصَلُهُ فَالشمسُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَاد

هذا وقد ذكر شر النور في البيت التالي

وَيَوْمَ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ أَرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَقَرُّبُ^(١)
وَعَيْنِي إِلَى أُذُنِي أَغَرَّ كَأَنَّهُ مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكَبُ^(٢)
لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ تَجِيءُ عَلَى صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ^(٣)
شَقَقْتُ بِهِ الظُّلُمَاءِ أُذُنِي عِنَانَهُ فَيَطْفَأُ وَأَرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ^(٤)
وَأُضْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ وَأُنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ^(٥)

(١) يقول : ورب يوم طال على طول ليل العاشقين استترت فيه خوفاً من الأعداء أراقب غروب الشمس لأخرج من الكمين وآمن على نفسي . فالواو واو رب ؛ وكنته : أى كنت فيه ، وأيان بمعنى متى

(٢) يقول : إنه كان في مسيره يراعى أذنى فرسه يحفظ نفسه بهما ، وذلك أن الفرس إذا أحس شيئاً من جسد نصب أذنيه حياله فيعلم الفارس أنه أبصر شيئاً . ثم وصف فرسه فقال : كأنه في سواده قطعة من الليل وكأن النمرة في وجهه كوكب من كواكب الليل قد بقى بين عينيه ، وهذا من قول أبي داود :

وَلَهَا جَبْهَةٌ تَلَأُلَا كَالشَّفَرَى أَضَامَتْ وَغَمَّ مِنْهَا النُّجُومُ

والنمرة : البياض في جبهة الفرس وباق : حال من الليل ، وسكن الياء ضرورة ثم حذفها لاتقاء الساكنين ؛ وقوله كوكب : أى كوكب - من كواكبه - أى كواكب الليل .

(٣) الإهاب : الجلد ؛ والرحيب : الواسع . يقول : إن هذا الفرس رحيب الصدر رحيب الإهاب ، ومن ثم كان واسع الخطو سريع الجرى ؛ إذ لو كان ضيق الصدر كان خطوه قصيراً ، وكذلك إذا كان ضيق الجلد ضاق عن مديديه ، ولهذا ترى الحمار يضيق إهابه عن مديديه ، وإذن ففي إهاب هذا الفرس فضلة عن جسمه تجيء وتذهب على صدره الرحيب .

(٤) يقول : شققت ظلام الليل بهذا الفرس فإذا أدنيت لجامه إلى يجذبه وثب وطنى مرحاً ونشاطاً ، وإذا أرخيت لجامه لعب برأسه . فالمراد بطفيان الفرس : شدة النشاط والروح ، والعنان : سير اللجام .

(٥) قفبته : أتبعته ، ومثله حال من الضمير في عنه ، وحين أركب : حال من الضمير

وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ

وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مِّنْ لَا يُجْرِبُ^(١)
 إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيَاتِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغِيبٌ^(٢)
 لِّمَا لَلَّهِ ذِي الدُّنْيَا مُنَاحًا لِّرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدٍ أَلَمٌ فِيهَا مُعَذِّبٌ^(٣)
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَقَتَّبُ^(٤)
 وَبِى مَا يَذُودُ الشُّغْرَ عَنِّي أَقْلُهُ وَلَكِنَّ قَلْبِي يَا أَبْنَةَ الْقَوْمِ قُلُّبٌ^(٥)

في مثله . يقول : إذا طردت به وحشا لحقه فصرعته - قتلته - وإذا نزلت عنه بعد الصيد كان مثله حين أركبه فلم يدركه لقب ولم ينقص من جريه ونشاطه شيء ، مثل ما كان حين الركوب كما قال ابن : المعز

تخال آخره في الشد أوله وفيه عذو وراء السبق مذكور

(١) يقول : إن الخيل بمثابة الصديق قليلة لدى التجربة والامتحان كثيرة في عين من لم يجرب ، فبالطجربة تعرف الكوادن من السوابق ، كما أن الصديق يعرف بالتجربة ما عنده من صدق الود أو مذقه ، وحاصل للمعنى أن الجياد من الخيل قليلة ، كما أن الصديق الذى يستحق الصداقة قليل .

(٢) الشيات : الألوان - جمع شية - يقول : إن مزايا الخيل فيها وراء ألوانها من جريها وعدوها وطباعها ، فإذا لم ترم منها إلا حسن ألوانها وأعضائها لم تر حسنها ومزاياها .

(٣) لحاه الله : دعاء عليه : أى قبحه ولعنه ، وأصله من لحوت العود إذا قشرتة ، ومنأخا : نصب على التمييز . يذم الدنيا ويدعو عليها . يقول : بشئ المنزل الدنيا ، فإن من كان بعيد مرتقى الهمة كان أشد نصبا فيها .

(٤) يقول : ليتنى أعلم هل تغلو لى قصيدة من شكاية الدهر وعتابه بأن يبلغنى المراد وأناال منه ما أطلب فأترك الشكاية ؟

(٥) يذود : يدفع ويطرده ؛ وأقله : فاعل يذود ؛ وفلان قلب حول بصير عارف ذو حيلة قلب الأمور . رروا أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قال فى مرضه الذى مات فيه لا بنيه : إنكما لتبكيان حولاً قلباً إن سلم من هول المطلاع . يقول المتنبي : إن

وَأَخْلَقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَذَحَهُ
وَلَمَّا لَمْ أَشَأْ تُنْصَلِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ^(١)
إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانَ أَهْلًا وَرَاءَهُ وَيَمِّمُ كَافُورًا فَمَا يَتَقَرَّبُ^(٢)
فَتَى يَمْلَأُ الْأَفْئَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً
وَنَادِرَةً أَخِيَانٍ يَرْضَى وَيَنْغُضُ^(٣)

بى من هموم الدهر وما انصب على من حدثانه ونوبه ما أقله يمنع الشعر ويلهى الخاطر
عنه ولكن قلبى حسن التقلب للأمر ؛ فلا يضيق بنوازل الدهر ولا تخدمها خطراته ،
وقوله يا ابنه القوم فان العرب من عاداتهم أن يخاطبوا النساء فسمت سمتهن ، وإنما قال يا ابنه
القوم إشارة إلى كثرة أهلها ، وقال ابن جني : هو كناية عن قولهم يا ابنه الكرام .
(١) يقول : إن خلائق كافور من الظهور وانباهاة بحيث تنبئ عنه لما هو إلا أن
تلى على فأكتب ولا أحتاج إلى جلب معنى أو جلب منقبة فأمدحه شئت أو أبيت إذ لم
أت بشيء من عندي ، وإنما هي أخلاقه تلى على . وقد أخذ الصاحب بن عباد هذا
اللعنى فقال :

وما هذه إلا وليدة ليلة ينور لها شعر الوليد وينضب
على أنها إملاء مجدك ليس لي سوى أنه يُبلي عليّ وأكتبُ
(٢) يمم قصد يقول : إذا اغترب الإنسان وفارق أهله وصمد إلى كافور آنسه ببطايه
وتفقدته إياه حتى كأنه بين أهله لم يفارقهم ؛ وفي هذا اللعنى يقول الأول :

نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطان في زمن المحل
فازال بي إكرامهم وافتقادم وإلطافهم حتى حبتهم أهلي
ويقول أبو تمام :

هم رهط من أمسى بعيداً رهطه وبنو أبي رجل بغير بني أب
(٣) يقول : إن أفضاله مفعمة غللا وحكمة ونوادر غريبة ترى ذلك له في حال
رضاء وغضبه لا يخلو منها في حال وكل من نظر إلى أفضاله استشف منها العقل والساد
وأصالة الرأي . والنادرة : الشيء النادر القريب ، ورواها ابن جني بلدة : أى بديهة .
(٢٠ — اللعنى ١)

إِذَا ضَرَبْتَ فِي الْحَرْبِ بِالسَّيْفِ كَفَّهُ
تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ^(١)
تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى اللَّبَثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أَمْوَاهُ السَّحَابِ فَتَنْضَبُ^(٢)
أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَا لَهُ
فَإِنِّي أَغْنِي مُنْذُ حِينَ وَتَشْرَبُ^(٣)
وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفِّي زَمَانِنَا وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفِّكَ تَطْلُبُ^(٤)

(١) يقول : إن سيفه يعمل بكفه لا بنفسه فإذا نظرت إلى مضاء سيفه وأثره في الوعى استبان لك أن سيفه إنما يستظهر بكفه على القطع ، لا أن كفه يستظهر بالسيف لأن القطع إنما يحصل بقوة الكف لا بجودة السيف الماضى في يد الضعيف لا يؤثر شيئاً — كما قال البحرى :

فَلَا تُفْلِلِينَ بِالسَّيْفِ كُلِّ غَلَاةٍ

لِيَمْضَى فَإِنَّ الْكَفَّ — لَا السَّيْفَ — يَقْطَعُ^(١)

(٢) يقول : إن جوده أفضل من جود السحاب لأن عطاياه إذا مكثت عندك لم تنضب لأنه يعطى الجزيل الذى لا ينفد ، أو لأنه يوالى هباته ويمدها بغيرها . أما ماء السحاب فهو إذا مكث في الأرض وأقام حيناً نضب وذهب في الأرض وجف مكانه ، وقوله على اللبث : أى مع اللبث : حال من عطاياه ؛ وللبث : المكث ؛ ونضب الماء : ذهب في الأرض .

(٣) يعرض المتنبي بتقاضى ما يؤمل . يقول : إني أغنى منذ حين : أى أطربك بدمي ، وأنت تشرب على غنائى : أى تلتذت سماع مديحى ، ومع ذلك تحرمنى الشراب ، فهل في الكأس فضلة أشربها ؟ أى هلا أعطيتنى ما يتوقمه مثلى من مثلك ؟ يعرض بطلب ولاية — كما صرح بذلك بعد .

(٤) يقول : إنك إذ تعطينى تعطينى على ما يليق بالزمان ويتفق وكرمه ، وأنا إنما أطلب ما توجهه همتك ويقضيه كرمك .

(١) قوله فلا تغلين بالسيف : يقال غالى بالشئ وأغلى به إذا اشتراه بضمن غال ؛ وغالى به وغلاه : سام فأبسط وجاوز الحد .

إِذَا لَمْ تَنْطَبِ ضَيْعَةً أَوْ وَلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ^(١)
يُضَاحِكُ فِي ذَا الْعِيدِ كُلُّ حَبِيبَةٍ حِذَائِي وَأَبْيَكِي مَنْ أَحِبُّ وَأَنْدُبُ^(٢)
أَحْنُ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتَاقِ عَنَقَاءَهُ مُغْرِبُ^(٣)
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَبُو الْمَنِيِّ أَوْهُمْ
فَإِنَّكَ أَهْلِي فِي فُؤَادِي وَأَغْدَبُ^(٤)

(١) ناطق به كذا: أسنده إليه؛ والضيفة: ما نسميه الآن «عزبة». يقول: إذا لم تقطعني ضيعة أو تقوض إلى ولاية فإن ما تكسوني إياه بجودك — أى ما يحسنه جودك من آمال — تسلبني إياه باشتغالك عن تحقيق تلك الآمال.

(٢) يقول: أرى كل الناس في هذا العيد فرحين مبتهجين يضاخكون من يحبون أمامى؛ أما أنا ففعل العكس منهم: أبكى من أحب وأنديه — كما يندب الميت — لأنه بعيد عني. يقصد التنبئ أن يجرى الأسود بإعطائه ما يطلب لقاء هذه الألفاق التي يلاقيها من جراء اغترابه.

(٣) العنقاء المغرب قيل: العقاب، وقيل: طائر ضخم ليس بالعقاب؛ وقيل: كلة لا أصل لها: كالغول، وقال ابن الكلبي: كان لأهل الرس نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له دمع، مصعده في السماء ميل فكان ينتابه طائفة كأعظم ما يكون، لها عنق طويل، وكانت تقع منقضة، فكانت تنقض على الطير فتأكلها فجاعت وانقضت على صبي فذهبت به، فسميت عنقاء مغربا، لأنها تغرب بكل ما أخذته ثم انقضت على جارية «وليدة» زرعت، وضمتها إلى جناحين لها صغيرين — سوى جناحيها الكبيرين — ثم طارت بها فشكوا ذلك إلى نبيهم. فدعا عليها. فسلط الله عليها آفة فهلكت. فضربتها العرب مثلا في أشعارها: يقولون ألوت به العنقاء للمغرب، وطاربت به العنقاء: يريدون هلاكه أو ذهابه إلى حيث لا يرجع. قال:

ولولا سليمان الخليفة حَلَّتْ به من يد الحجاج عنقاء مغربُ

ومغرب — من أغرب في البلاد: ذهب وأبعد. يذكر للتنبئ تشوقه إلى أهله، وبعد ما بينه وبينهم. بحيث لا يرجو لقاءهم.

(٤) يقول: إني أوتر لقاءك على لقاءهم حين لا يتيسر لقاء كما معاً لأنك أحب إلى منهم.

وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلَّى الْجَمِيلَ مُحِبٌّ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ^(١)
يُرِيدُ بِكَ الْحَسَادُ مَا اللَّهُ دَافِعٌ وَسُمُرُ الْعَوَالِي وَالْحَدِيدُ الْمُدْرَبُ^(٢)
وَدُونَ الَّذِي يَبْتَغُونَ مَا لَوْ تَخَلَّصُوا
إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ عِشْتَ وَالطُّفْلُ أَشِيبُ^(٣)
إِذَا طَلَبُوا جَزَاكَ أُعْطُوا وَحُكِّمُوا
وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الَّذِي فِيكَ خُيَّبُوا^(٤)

(١) أولاء جيلا : صنعه إليه . يقول : إنما أحببتك وآثرتك على أهلى لما أسديت
إلى من الجميل ، وطابت لى الإقامة بساحتك لما ألقيت فيها من العز كما قال البحترى :
وأحب أوطان البلاد إلى الفتى أرضٌ ينالُ بها كريم المطلب
ومعنى بيت المتنبي مبنى على ما ذكره فى عجز البيت السابق .
(٢) والحديد المذرب : أى الحديد ، ومنه لسان ذرب : أى حاد - يريد السيف -
يقول إن الحساد يريدون بك السوء ، فلا ينالون ما يبتغون ، لأن الله يدفعه عنك ثم
الرماح والسيف .

(٣) يقول : ودون وصول الحساد إلى الذى يبتغون - من الثبات الأمر عليك -
أحوال أى أحوال من جراء بأسك وبطشك هى أمر عليهم من الموت ، ولو هم تخلصوا
منها إلى الموت لبقيت أنت وشاب أطفالهم لشدة ما يقاسون . وقد روى الجماعة بدل إلى
الموت : إلى الشيب . قال الواحدى : أى دون الذى يطلب الحساد - من زوال
ملكك وفساد أمرك - الموت وهو قوله ما لو تخلصوا منه - أى الموت - أى أنهم
يموتون قبل أن يروا فيك ما يطلبون ، ولو لم يموتوا عشت أنت وشاب طفلهم لشدة
ما يرون وصعوبة ما يلحقهم وما يقاسون منك . وقال ابن جنى : دون ما يريدون من
السوء للموت الذى لو تخلصوا منه إلى الشيب لشاب طفلهم ، ولكنهم لا يتخلصون
من الموت إلى الشيب بل يقتلهم .

(٤) يقول : إذا طلبوا عطايك أعطيتهم وجعلت لهم الحكم فيما يطلبون فينالون كل
ما يقرحون ، أما إذا حاولوا أن يحصلوا على الفضل الذى آتاك الله فإنهم لا يدركونه ،
لأنه لا ينال بالاكتماب ، وإنما ذلك شئ آثره الله به . وعبرة ابن جنى : إن راموا
فضلك منعهم منه . قال ابن فورجه - معقبا على عبارة ابن الفتح : كيف يقدر الإنسان

وَلَوْ جَازَ أَنْ يَمْحُوا عُلَاكَ وَهَبْتَهَا ۖ وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ^(١)
وَأَظْلَمَ أَهْلُ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً ۖ لِمَنْ بَاتَ فِي نِعْمَاتِهِ يَتَقَلَّبُ^(٢)
وَأَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَ ذَا الْمُلْكِ مُرْضِعاً ۖ وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ وَلَا أَبٌ^(٣)
وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِينِ لِشِبْلِهِ ۖ وَمَالِكَ إِلَّا الْهِنْدُوَانِيَّ ۖ مِخْلَبُ^(٤)
لَقَيْتَ الْفَنَّا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ
إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنْ الْعَارِ تَهْرَبُ^(٥)

أن يمنع آخر من أن يكون في مثل فضله ؟ وإنما الله القادر على ذلك . وقد أتى به المتنبي على ما لم يسم فاعله فأحسن .

(١) يقول : لست تؤذي من يغل وشح ، فلو كانت العلى توهب لوهبتها ، ولكنها لا توهب . والأصل في هذا المتن قول الأول :

وإن يَقتَسِمَ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَوتِي ۖ فلن يَقسِموا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فَضْلِي
ولله قول أبي تمام :

فَانْفَحْ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيَمِكَ نَفْعَةً ۖ إن كانتِ الْأَخْلَاقُ مِمَّا يُوهَبُ^(١)
(٢) يقول : إن هؤلاء الحاسدين يتقلبون في نعمائك ، فما كان ينبغي لهم أن يحسدوك ، لأن أشد الظالمين ظلماً من تقلب في نعمة إنسان ثم بات يحسده على تلك النعمة .

(٣) ذو الملك : هو علي بن الأخشيد صاحب مصر الذي رباه كافور بعد أبيه . يقول : أنت الذي ربّيته وقت عنه بحفظ ملكه وهو طفل مرضع ، فكنت له أباً وكنت له أمّاً . قوله ربّيت ذا الملك : أي صاحب هذا الملك : قالوا : ولو قال المتنبي وأنت الذي ربّي لكان أحسن ، ولكنه قال ربّيت كما قال كثير :

وَأَنْتَ الَّتِي حَبَّيْتُ كُلَّ قَصِيرَةٍ ۖ إِلَى مَا تَدْرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرِ
(٤) يقول : وكنت لدى الملك كالأسد لشبله تذود عنه وتحميه بسيفك الذي هو لك بمنزلة الحلب للأسد يحمي أشباله به ؛ والعرين : الأجمة ، والشبل : ولد الأسد ، والهندواني : السيف الهندي ، والحلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان .
(٥) يقول . ذبّت عنه الرماح ولقيتها بنفسك دونه ، حمية له وحفاظاً وكرماً

(١) الحيم : الخلق وقيل سعة الخلق ، والحيم الأصل

وَقَدْ يَتْرُكُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ وَيَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَهَيَّبُ^(١)
 وَمَا عَدِمَ اللَّاقُوكَ بَأْسًا وَشِدَّةً وَلَكِنَّ مَنْ لَا قُوَّةَ أَشَدُّ وَأَتَجَبُّ^(٢)
 ثَنَاهُمْ وَبَرَقَ الْبَيْضُ فِي الْبَيْضِ صَادِقٌ
 عَلَيْهِمْ وَبَرَقَ الْبَيْضُ فِي الْبَيْضِ خُلْبٌ^(٣)
 سَلَّتْ سُيُوفًا عَلَّتْ كُلَّ خَاطِبٍ
 عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ^(٤)

لأنك من الشجاعة والإباء بحيث تهرب في الحرب من العار إلى الموت : أى تلقى بنفسك إلى التهلكة ، وتمتاع « تختار » ذلك على المهزيمة . فالتقنا : الرماح . والهيجا : الحرب — تمد وتقصير ،

(١) يقول : إن الموت قد يترك الشجاع للقدام الذى لا يهابه ولا يباله ، ويلقى نفسه إلى التهلكة ، وقد يدرك الجبان الهياة الذى يهاب الموت ويغشاه . فالضمير في يترك : للموت . ويخترم : أى يهلك .

(٢) يقول : وإن الذين يلاقونك في الحرب لم يعدموا بأسا وشدة : أى هم شجعان أشداء ، بيد أنك أشد منهم وأتجب ، ومن ثم تبطش بهم . ومثل هذا لفر ابن الحارث :

سَقِينَاهُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا

(٣) البيض - بالكسر - السيوف ، وبالفتح : جمع يضة ، وهى الخوذة من حديد . والبرق الخلب : الكاذب الذى لا مطرفه يقول : لقد هزمتهم وصرفتهم عنك وسيوفك تفرع خوذهم ، فكان لكل من السيوف والخوذ برق في الآخر ، غير أن برق السيوف في الخوذ صادق لأنها تقطع الجاهم فتسيل دماؤهم بعده ، أما برق الخوذ في السيوف ، فهو خلب كاذب لأنها تبرق ولا تسيل الدم فليس لها أثر . وعجاجة ابن جنى : يريد أن لمع السيوف صادق لأن السيف إذا ضرب به قطع وبلغ البيض ، وبرق البيض - الخوذ - لا يصدق على السيوف لأنه لا أثر للمع البيض في السيوف ، فشبّه بالبرق الخلب الذى لا مطرفه ، والأول تأثيره كالبرق الصادق الذى فيه المطر :

(٤) العود هنا : النبر . قال ابن جنى : يقول ، لما رأى الناس ماصنت سيوفك بأعدائك أذعنوا لك بالطاعة فدعوا لك على منابرهم وربة ورهبة . وقال بعض الشراح :

وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرُمَاتُ وَتُنْسَبُ^(١)
وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحِثُّكَ قَدْرُهُ مَعْدُ بْنُ عَدْنَانَ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ^(٢)
وَمَا طَرَبَى كَمَا رَأَيْتُكَ بِدَعَا لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ^(٣)
وَتَعَذَّلْنِي فِيكَ الْقَوَافِي وَهَمَّتِي كَأَنِّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ^(٤)

يريد أن سيفك تعلم الخطباء الخطبة باسمك في الدعاء : يعنى أنك أخذت البلاد بسيفك ،
فصار كل خطيب بلد يخطب باسمك : أى يدعو لك .

(١) تناهى - بحذف إحدى التائين - أى تتناهى . يقول : إنك فى غنى عن
الأنساب التى يذكرها النسابون لغيرك ، لأن المكرمات تنتهى إليك وتعزى - إذ
كنت أصلاً لها - إليك ؛ وحسبك هذا شرفاً يغنيك محموده عن النسب . وليلحظ أن
هذا شبه غمز فى كافور قد يكون مقصوداً للمتنبى الداهية ، وقد يكون غير مقصود ،
ومن هنا قال التبريزى : ليس هذا مما يمدح به ، ولا سيما الملوك ، لأنه أشبه بنى النسب
عنه . على أن هذا المعنى ينظر إلى قول ابن طاهر :

خَلَاتِقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ مَنَاسِبٌ تَنَاهَى إِلَيْهَا كُلُّ مُجْدٍ مُؤَثِّلٍ
وقوله عما ينسب الناس ، فالناس : فاعل ينسب ؛ والتقدير عما ينسبه الناس : أى
عن النسب الذى ينسبه الناس .

(٢) يقول : ليس هناك من يستحق أن تنسب إليه ، لانك فوق كل أحد . قال
التبريزى : هذا سخرية منه وقد كان المتنبى يقول لو قلبت مدحى فيه كان هجاء .
(٣) فأطرب : عطف على أرجو . يقول : ليس طربى عند رؤيتك بدعا لائى
كنت أرجو أن أراك فأطرب على الرجاء . قال الواحدى : هذا البيت يشبه الاستهزاء به
لأنه يقول : طربت على رؤيتك كما يطرب الإنسان على وؤية القرد وكل ما يستملح
ويضحك منه . . . قال ابن جني : لما قرأت على أبى الطيب هذا البيت قلت له ما زدت
على أن جعلت الرجل أبازنة - وهى كنية القرد - فضحك !

(٤) يقول : إن شعري وهمي يلوماني على أن لم أقصدك قبل غيرك ولم أقصر مدحى
عليك ، فكاننى أذنبت بمدحى غيرك ، فكنت أهلاً لأن الألم . وهذا المعنى من
قول أبى تمام :

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُذْنِبًا يَوْمَ أَتَحِي سَوَالِكَ بِأَمَالِي فَحِثِّكَ تَائِبًا

وقال الواحدى : المصراع الأول هجاء صريح لولا الثانى . قال الخطيب التبريزى :

وَلَكِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ وَلَمْ أَزَلْ
أَقْنَسُ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ وَيُنْهَبُ^(١)
فَشَرْقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ
وَعَرَبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْعَرَبِ مَغْرِبٌ^(٢)
إِذَا قُلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ
جِدَارٌ مُمَلًى أَوْ خَبَاءٌ مُطْنَبٌ^(٣)

ليس في البيت جهاء ومعناه أن همته عدلته كيف قنع بغيره ؛ والقوافي لم صرفها في مدح غيره ؛ وشهد له بذلك بقية البيت . أقول : إن الخطيب لم يقل شيئا ؛ ومالا حظه الواحدى صحيح .

(١) يقول : ولكنه طال طريق إليك ، لجيت كثيرا من البلدان حتى وصلت إليك وكنت في غضون ذلك أطالب بقول الشعر ومدح الناس ، فكان شعري لذلك كأنه ينهب منها . يتندر المتنبي إلى كافور عن مدح غيره .

(٢) يقول : فشرق كلامي حتى بلغ أقصى الشرق حيث لا مشرق وراء ذلك ، وكذلك غرب حتى بلغ أقصى الغرب . وهذا من قول أبي تمام :

فَفَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا
(٣) مطنب : أى مشدود الأطناب . يقول : إذا قلت شعرا لم يمتنع من وصوله إلى

ما وراءه حائط قائم مرتفع ولا خيمة مشدودة بالأطناب . يريد أن شعره قد عم الأرض حتى شمل الحضر سكان الدر ، والبدو سكان الوبر . وهذا كقوله :

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ مِنْ مَقَوَلِي وَثُبْنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبَحَارَا

وقال يمدحه ، وأنشده إياها في شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وهي آخر ما أنشده ، ولم يلقه بعدها :

مَنْ كُنَّ لِي أَنْ الْبَيَاضَ خَضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ^(١)

(١) لك أن تقول أن البياض خضاب مؤولة بمصدر مبتدأ مؤخر ، ومنى : خبر مقدم ، وكنى لي : وصف لمنى ؛ وللى : جمع منية ؛ والقرون : صفائر الشعر ، قالقيس : وهل مالت عليك قرون ليلي كليل الأحصانة في نداها

يقول : إن مشيبي هذا وكون البياض خضاباً لي يخفى به سواد شعري منى كانت لي قديماً : يعنى أنه كان يتمتع بالشيب من قديم ليخفى شبابه بايضاض شعره لأنه أقر وأجل في العين . وجمع المنى نظراً إلى أن ذلك قد تكرر منه مرة بعد أخرى ، فصارت كل مرة منية ، وسمى البياض بالشيب خضاباً لإخفاء السواد به ، كما أن السواد الذى يخفى البياض يسمى خضاباً .

(هذا) . ولا علينا في أن نورد هنا تحقيقاً نحويًا للعلامة العكبرى لمناسبة إعراب * منى كنى لي أن البياض خضاب *

قال العكبرى:

منى نكرة وهى مبتدأ ، وقد يفيد الابتداء بالنكرة إذا أخبرت عنها بجملة تتضمن اسماً معرفة ، كقولك امرأة خاطبتنى ، وكذلك إن أخبرت بظرف مضاف إلى معرفة كقولك رجل خلفك ؛ وإنما منع الابتداء بالنكرة لأن النفس تتنبه بالمعرفة على طلب الفائدة ، وإذا كان الخبر عنه مجهولاً كان الخبر حقيقاً باطراح الإصغاء إلى خبره لأنه لا يعرف من أخبر عنه وشرط الكلام إذا كان المبتدأ نكرة أن يتضمن الخبر اسماً معرفاً أو أن يتقدم الخبر : كقولك لزيد مال ؛ لأن الغرض في كل خبر أن يتطرق إليه بالمعرفة ويصدر الكلام بها ، وهذا موجود ههنا لأنك وضعت زيدا مجروراً لتخبر عنه بأن له مالا قد استقر ، فقولك لزيد مال في تقدير زيد ذو مال ، فالمبتدأ الذى هو مال هو الخبر في الحقيقة ، وزيد هو المبتدأ فى المعنى ، وقوله كنى لي مفيد ، لأن فى ضمن الخبر ضمير التكلم ، وهو أعرف المعارف ؛ ولو قال منى كنى لرجل لم يحصل بذلك فائدة لخلوه من اسم معروف وقوله إن البياض يحتمل الرفع والنصب ؛ فالرفع على إضمار ابتداء

كانه قال إحداهن أن البياض لأنه قد أخبر أن ذلك أيام شببته بقوله ليالى عند البيض وأما النصب فعلى إضمار تمنيت لدلالة منى عليه كما أضمر تتبع فى قوله تعالى « قل بل ملة إبراهيم » وإذا قيل إن التنى مما لم يثبت كالرجاء والطمع فلا يقع على أن الثقلة لأنها للتحقيق ، فهى أشبه باليقين ، وإنما يقع التنى وما شاكله على أن الخفيفة لأنها تخلص الفعل للاستقبال ، فهى أشبه بالطمع والرجاء والتنى من حيث تعلقت هذه المعانى بما يتوقع ، ومنه قول لبيد :

تنى ابتئى أن يعيش أبوها وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر^(١)

قل لا يمتنع وقوع التمنى على أن الثقلة ، كما لم يمتنع وقوع وددت عليها ووددت وتمنيت بمعنى واحد . وفى التنزيل : « وتودون أن غير ذات الشوكة » الآية ويجوز أن يكون منى : منصوبة نصب الظروف ؛ والجملة التى هى كن وأن واسمها وخبرها نعت لها ، فتعلق أن بما قبلها كأنه قال فى منى كن لى أى فى جملة منى ، كما قالوا : أحقا أنك ذاهب وأكبر ظنى أنك مقيم يريدون فى حق وفى أكبر ، وإذا أردت معنى الظرفية فى منى فلك فى أن مذهبان : فذهب سيويه والافخش والكوفيين رفع أن بالظرف ، وكل اسم حدث يتقدمه ظرف يرتفع عند سيويه بالظرف ارتفاع الفاعل ، وقد مثل ذلك بقوله غدا الرحيل وأحقا أنك ذاهب ، قال : حملوه على أفى حق أنك ذاهب ، وإذا كان هذا مذهب سيويه ومن معه فالنية تقارب الظن ، فيحسن أن تقول أكبر منى أنك ذاهب ، فتنبأ أكبر بتقدير فى ، وأنشد :

أحقاً بنى أبناء سلمى بن جندل تهذؤكم ليأى وسط المجالس^(٢)

(١) من أبيات لبيد قالها قرب وفاته وبعده

فقوما فقولا بالذى تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضاع ولا خان عهداً ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

(٢) هذا البيت للأسود بن يعفر شاعر جاهلى ، وهو من أبيات راجعها وراجع سببها فى الأغاني وفى خزائن الأدب فى شواهد المبتدأ والخبر . وبنى منادى مضاف لما

لَيْلِي عِنْدَ الْبَيْضِ فَوَدَّأَيْ فِتْنَةً وَفَخَرُّ ذَاكَ الْفَخْرُ عِنْدِي عَابٌ^(١)
فَكَيْفَ أَذْمُ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي
وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ^(٢)
جَلَا اللَّوْنُ عَنْ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسْلَكٍ
كَمَا أَنْجَابَ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَلَابٌ^(٣)

والمذهب الآخر مذهب الخليل ، وذلك أنه يرفع أسماء الحدث بالابتداء ، ويخبر عنه بالظرف المتقدم حكاه عنه سيويه قال : وزعم الخليل أن التهديد هنا بمنزلة الرحيل في غد وأن أن بمنزلة وموضعها كموضعه .

(١) البيض : النساء ، والفودان جانباً الرأس ؛ والعب : هو العيب . يقول : إن تمنى الشيب كان في الليالي التي كان شعر رأسه فيها لدى النساء فتنة لحسن شعره وسواده ، ولكن يفخرن بوصل ؛ بيد أن ذلك الفخر عيب عندي ، لأنني ممن يعف عن النساء ويرغب عن صالحهن .

* وَالشَّيْبُ أَوْقُرُ وَالشَّيْبَةُ أَنْزَقُ *

وقوله ليالي : منصوب بفعل مضمر دل عليه منى كأنه قال تمت ذلك ليالي فوداي عند النساء فتنة وليالي مضاف إلى الجملة بعده ، وقد فصل بالظرف وهو قبيح
(٢) يقول : فكيف أذم الشيب اليوم ، وقد كنت آتمناه وأشتهيه ؛ وكيف أدعو لنفسي وأطلب لها ما إذا أجبت إليه شكوتي : يعني لا ينبغي أن أشكو الشيب انتهاء وقد دعوته ابتداء . وقد سميت في هذا سمت ابن الرومي في قوله :

هِيَ الْأَعْيُنُ النَّجْلُ الَّتِي كُنْتُ تَشْتَكِي مَوَاقِعَهَا فِي الْقَلْبِ وَالرَّأْسِ أَسْوَدُ
فَالْكَ تَأْسَى الْآنَ لِمَا رَأَيْتَهَا وَقَدْ جَعَلَتْ مَرْمِيَّ سِوَاكَ تَعَدُّ
(٣) جلا : زال وانكشف — من قولهم جلا القوم عن منازلهم : إذا ارتحلوا .

وانجباب : انكشف ، والاضباب : ما يصعد من الأرض إلى السماء ، مثل الدخان : الواحد ضبابة ؛ ويقال أضب يوماً : أي صعد فيه الضباب يقول : إن يياض الشيب كان

بعده ، وتجد في الحزنة تحميها وإفيا لهذا الموضوع الذي تعرض له الإمام العسكري فراجعه إن شئت

وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ
 وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْدِ مِنْهُ حِرَابٌ^(١)
 لَمَا ظَفَرُ إِنِّ كُلَّ ظَفَرٍ أُعِدُّهُ
 وَنَابٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي الْفَمِ نَابٌ^(٢)
 يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا
 وَأَبْلُغُ أَقْصَى الْمُنْصَرِ وَهِيَ كَعَابٌ^(٣)
 وَإِنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي بِي صُحْبَتِي
 إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابٌ^(٤)
 غَنِيٌّ عَنِ الْأَوْطَانِ لَا يَسْتَفِزُّنِي
 إِلَى بَلَدٍ سَأَفَرْتُ عَنْهُ إِيَابٌ^(٥)

كأنه كامن في السواد ، فلما زال السواد عنه بدا وانكشف ، فاهتدى صاحبه إلى كل طريق من الرشد والخير : كالنهار إذا جلا عنه الضباب اهتدى السالك في ضوئه .
 (١) لما ذكر أنه كان يتمنى الشيب — والشيب فيه الضعف والعجز — ذكر أن همته لا تشيب ولا ينال منها الضعف بشيب جسمه ، ولو أن الشرات البيض في وجهه كانت حرايا . والهاء في قوله منه : للجسم .
 (٢) يقول : إن كل ظفري ولم يبق في فمي ناب من الكبر ، فحق لا يكل ظفرها ولا يذهب نابها ، قال العكبري : قوله أعده في موضع جزم ، جواب الشرط ، واختار سيبويه في المضاعف الرفع في موضع الجزم
 (٣) غيرها استثناء ، والكعاب : الجارية يبدو ثديها للنهود . يقول : إن نفسي شابة أبدا لا يغيرها الدهر ، وإن تغير جسمي .
 (٤) يقول : إذا خفيت النجوم بالسحاب فلم يهتد للطريق اهتدى بي أصحابي وكنت لم كالنجم الذي يهتدى به ، يريد أنه خريت خيرا بالفلوات . والصحبة : اسم جمع بمعنى الأصحاب ، ويروى تهتدى صحبتي به .
 (٥) يستفزني : يستخفي ويحركني . يقول : إني غير مولع بالأوطان وجميع البلاد عندى سواء ، فإذا غادرت وطني لم يستخفي حب الرجوع إليه .

وَعَنْ ذَمْلَانَ الْعَيْسِ إِنْ سَاحَتْ بِهِ وَإِلَّا فَنِي أُكُوَارِهِنَّ عُقَابٌ^(١)
وَأَصْدَى فَلَا أَبْدَى إِلَى الْمَاءِ حَاجَةً وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ الْيَعْمَلَاتِ لُعَابٌ^(٢)
وَلِلسَّرْمِيِّ مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابٌ^(٣)
وَلِلْخُودِ مِنِّي سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا
فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ الْقَاءِ تُجَلِّبُ^(٤)

(١) التملان : ضرب من السير ؛ والعيس : الإبل . وقوله : إِنْ سَاحَتْ بِهِ ، كلام مستأنف وجواب الشرط محذوف للعلم به تقديره : سرت عليها ؛ والأكوار : جمع كور ، وهو الرحل . والعقاب : الطائر المعروف . يقول : وأنا غني كذلك عن سير الإبل ، فإن سمحت به سرت عليها ، وإلا فإنني كالعقاب : أجوب الفياقي دون أن أحتاج إلى ما يعملني

(٢) yeemalat : النياق النجبة العملة المطبوعة على العمل ؛ ولعاب الشمس : ما يراه المسافر من أشعة الظهيرة كأنه خيوط تتدلى فوق رأسه . يقول : وأعطش في الفياقي الحارة التي يشتد فيها حر الشمس ويسيل لعابها فوق الإبل ، فلا أبدى حاجتي إلى الماء تصبرا وتجلداً وحزماً، وهذا من قول أبي تمام :

جَدِيرٌ أَنْ يَكُرَّ الطَّرْفُ شَرْراً إِلَى بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَهُوَ صَادِي

(٣) النديم : الذي ينادمك ويجالسك على الشراب . يقول : إنه كتوم للأسرار يضع السر حيث لا يطلع عليه النديم ولا يصل إليه الشراب مع تغلفه في البدن كما قال مسكين الدرمي :

يُظَلُّونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وَسَرْمِ إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَنَ الرِّجَالُ انْصِدَاعُهَا

وقد نظر التنبي في هذا البيت إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

تَغْلُفُ حُبٌّ عِثْمَةٌ فِي فَوَادِي وَبَادِيَةٍ مَعَ انْخِلَافِي يَسِيرُ

تَغْلُفُ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ . وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

(٤) الخود من النساء : الشابة الناعمة . وتجلب : تقطع . يقول : إنما أصحب للمرأة قدرا يسيراً ثم أسافر عنها ، فيكون بيني وبينها فلاة أقطعها إلى غير لقاءها . أو تقول : ثم أبتعد عنها ، وأمن في الابتعاد .

وَمَا الْعَشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبُ نَفْسِهِ فَيَصَابُ^(١)
وَعَبِيرُ فُؤَادِي لِلْفَوَانِي رَمِيَّةٌ وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزَّجَاجِ رِكَابُ^(٢)
تَرَكَنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ شَهْوَةٍ
فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنَ لِمَا^(٣)
نُصَرِّفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرِ قَدْ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِمَابُ^(٤)

(١) الغرة : النور . يقول : إن عشق النساء غرور بهن وطمع في وصلهن إذا وقعا في قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيصاب به . ويرى قصاب — بضمير النفس — فيكون المعنى : إن دواعي العشق تقع أولا في القلب ، ثم تنقاد النفس لهوى القلب ، لأنه يستهوينا ويغلبها على رشدها .

(٢) الفوانى : الحسان ؛ والرمية الطريدة التي ترمى . يقول : إن قلبي لا تصفيه النساء بسهام الحافظين إذلا أصبو إليهن ، وإنما أنا عزهاة عزوف النفس عنهن ، وكذلك لا أحب الحمر ومعاقرتها فبناني ليست مطايا للزجاج : أى لا أحمل كأس الحمر يدي . ويرى للرخاخ — جمع رخ — فيكون المعنى : ولست بمن يلعب الشرطج . قال ابن فورجه : يرد على هذه الرواية : البنان ركاب القدح وأما الرخ فالبنان راكبة له في حال حملها ، وأيضا فإنه كلمة أمجية لم تستعملها العرب القدماء ولا الفصحاء ، والتنزه عن شرب الحمر أليق بالتنزه عن الغزل من اللعب بالشرطج

(٣) اللعب : الملاعبة ومنه حديث جابر : مالك وللعداري ولعابها ؟ والتلاعب — بالتفتح اللعب ، صيغة تدل على تكثير المصدر . ويقال رجل تلعبه — بكسر التاء — وتلاعب وتلعبه : كثير اللعب . يقول : تركنا شهواتنا للرمح : أى لالذة لنا إلا فيها ، يريد أنه فطم نفسه عن الملامح ، وقصرها على الجد في طعان الأعداء .

(٤) نصرفه : أى القنا ؛ والحوادر : الخيل الغلاظ السمان . وتروى حوادر — بالحاء المعجمة — أى كأنها أصابها الحذر لما لحقها من التعب والجراحات ورويت حوادر — بالحاء المهملة والذال المعجمة — يعنى خيلا تحذر الطعن لأنها معودة ومن ثم تميل عنه . والكماط : العقد بين أنابيب الرمح . يقول — على رواية حوادر — : نصرف الرماح وننقلها من حال إلى حال فوق خيل غلاظ سمان قد ألفت الطعن وانكسرت فيها كعاب من القنا ؛ وهذا من قول الجاهلي :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجُ سَابِحٍ
وَحَيْرٌ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ^(١)
وَبَحْرٌ أَبُو الْمَسْكِ الْخَضَمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُبابٌ^(٢)
تَجَاوَزَ قَدْرَ اللَّذِجِ حَتَّى كَانَتْهُ بِأَحْسَنِ مَا يُنْفَى عَلَيْهِ يُعَابٌ^(٣)

وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَلِيلُ شَمَسَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَا بَنَانِيَا
هذا ورواية حواضر هي رواية ابن جنى ، وقد تقدما بعض الشراح بقوله : كيف
يصنفها بالحدرد وقد وصفها بانكسار الرماح فيها ؟ وقد دافع بعضهم عن هذه الرواية
بقوله : يجوز على رواية ابن جنى هذه أن يكون حواضر أى تمل عن الطمن وتحدده
بكثرة ما قد طوعن عليها ، فقد عرفت كيف تحيد عن الطمن . وقوله انقصت فهن
من الطمن كعاب ، يجوز أن يكون فى أول ما طوعن عليها وهى فى غرة من الطمن
فلما كثر الطمان عليها وألفته طارت تحدره وتبطله بميلها عنه . ويجوز أن يكون المراد
تحدرد الطمن وتحيد عنه . ومن كثرة الفرسان الذين يقاتلونها يصيبها من الطمن قليل
وتسلم لحدرها من طمن كثير .

(١) الدنى : جمع دنيا ، والسابح : الفرس السريع الجرى يقول : إن سرج الفرس
هو أعز مكان لأنه يمتطى لطلب العالى أو محاربة الاعداء لدفع شرم ، أو للهرب من
الضيم واحتمال الدل ، وأن الكتاب هو خير جليس لأنه مأمون الجانب فلا أذى ولا شر
ولا يحتاج فى مجالسته إلى مؤنة فضلا أنه يفاد من آدابه وكل ما يحتويه والله قول القائل :

مَا تَعَلَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُتْبِي جَلِيسًا
(٢) بحر : خبر مقدم ، وأبو المسك : مبتدأ مؤخر . والخضم : صفة له ، والخضم :
الكثير للماء ، وزخر البحر : طمى وامتد ، والعباب كثرة الموج وارتفاعه . يقول .
وأبو المسك الخضم بحر يربو على كل بحر جوداً وعطاء ، وهذا كقول الشاعر :

دَعَانِي إِلَى عَمْرِ جُودِهِ وَقَوْلِ الْعَشِيرَةِ بِحَرِ خَضَمِ

وروى : وبحر أبى المسك ، على أن بحر : مبتدأ مضاف إلى أبى المسك والخضم خبره :
أى أن بحر المسك هو البحر الخضم . وروى ابن جنى وبحر - بالجر - عطفا على جليس :
أى وخير بحر أبو المسك .

(٣) يقول : هو فوق كل مدح يثنى عليه به ، فإذا بالفت فى حسن الثناء عليه استحق

وْغَالِبَهُ الْأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَّا لَهُ كَمَا غَالَبَتْ بَيْضَ الشُّيُوفِ رِقَابُ^(١)
وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَّى أَبَا الْمِسْكِ بِذَلَّةٍ إِذَا لَمْ تَصْنِ إِلَّا الْحَدِيدَ ثِيَابُ^(٢)

قدره فوق ذلك ، فيصير ذلك الثناء الحسن كأنه عيب لقصوره عن استحقاقه ، وهذا كقول البحترى :

جل عن مذهب المديح فقد كما د يكون المديح فيه هجاء
وقال ابن جني : هذا من المدح الذي كاد أن يقلب لإفراطه هجوا ، وهذا ضد قول أبي نواس :

وكلهم أثنوا ولم يعملوا عليك عندى بالذى عابوا

(١) عنوا : خضعوا وذلوا : قال تعالى : وعنت الوجوه للحي القيوم « من العنوة » وهي القهر . يقول : وحاول الأعداء غلبه ثم عجزوا عن غلبته فخضعوا له وانقادوا كالرقاب إذا غلبت السيوف آضت مغلوبة

(٢) بذلة : تمييز ؛ اسم من الابتذال ؛ وهو أن يترك المرء صيانة نفسه يقول : وأكثر ما تلقاه مبتذلا نفسه لم يحصنها بالدرع حين لا يصون الأبدان شيء من الثياب إلا الحديد : أى إبان اشتداد الوغى وتكاثر الجيش عليه يعنى أنه لشجاعته وإقدامه لا يتوقى الحرب بالدرع والحديد . فالحديد مستثنى مقدم من الثياب . وهذا كما قال الأعشى :

وإذا تكون كتيبة ملمومة شهباء يخشى الذائدون نهالها

كنت القدم غير لابس جنة بالسيف تضرب موعلا أبطالها^(١)

هذا ، وقد ذهب ابن جني إلى غير ما أوردناه قال : إذا لبست الأبطال الثياب فوق الحديد خشية واستظهاراً ، فذلك الوقت أشد ما يكون تبذلا للطمع فجعل الثياب كما ترى تصون الحديد . قال العروضي يرد عليه : أظن أبا الفتح يقول قبل أن يتدبر ؛ وإنما التني جعل الصون للحديد لا للثياب . يريد إذا لم يصن انثياب إلا الحديد يعنى الدروع ، وإنما يريد التني لانه المستثنى وأنشد بيت الكيث .

ومالي إلا آل أحمد شيمة ومالي إلا مذهب الحق مذهب

(١) كتيبة ملمومة مجتمعة : وشهباء لما فيها من يياض السلاح والحديد ، ونهالها عطاشها ، والجنة ما وراراك من السلاح ، وأبطالها مفعول تضرب ، وموعلا : حال . ورجل معلم إذا علم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها . وسيأتي شرح البيتين .

وَأَوْسَعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَهُ رِمَاءٌ وَطَعْنٌ وَالْأَمَامَ ضِرَابٌ^(١)
وَأَنْفَذُ مَا تَلْقَاهُ حُكْمًا إِذَا قَضَى قَضَاءَ مُلُوكِ الْأَرْضِ مِنْهُ غِضَابٌ^(٢)
يَقُودُ إِلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ وَلَوْ لَمْ يَقْضِهَا نَائِلٌ وَعِقَابٌ^(٣)
أَيَا أَسَدًا فِي جِسْمِهِ رُوحٌ ضَنِيفٌ وَكَمْ أَسَدٍ أَرْوَاهُنَّ كِلَابٌ^(٤)

ومعنى البيت : أكثر ما يليق هذا المدوح في الحرب بإذلا نفسه لم يحصنها بدرع كما تفعل الأبطال ، وذلك لشجاعته وإقدامه ، ومن ثم لا يتوقى الحرب بالدرع . . . وهذا الذى قاله العروضى هو الذى قلناه .

(١) يقول : وأوسع ما يكون صدرا إذا حى الوطيس وأحاط به العدو من كل جانب وكان خلفه الرماء والطعن وأمامه الضراب . ققوله وأوسع : مبتدأ ؛ وقوله وخلفه رماء : جملة حالية قامت مقام خبر أوسع ، والرماء : الرمي ، والضراب : الضرب ؛ ولكنهما تدلان على المفاعلة ، والأمام : منصوب على الظرفية ؛ وقال ابن جنى : المعنى : أوسع ما يكون صدرا إذا تقدم فى أول السكتية يضرب بالسيف وأصحابه من ورائه بين طاعن ورام . فجعل ابن جنى الرماء من أصحاب المدوح ، وليس فى هذا مدح ، لأن كل أحد إذا كان خلفه من يرمى ويطن من أصحابه فصدرة واسع وقلبه مطمئن ، وإنما أراد - كما قلنا - خلفه رماء وأمامه طعن من أعدائه . يعنى : إذا كان فى مأزق متضايق فى الحرب ، وقد أحاط به العدو من كل جانب لم يضيق صدره وإنما تراه أوسع ما يكون صدرا .

(٢) يقول : إذا أراد أمرا لا يرضى به سائر الملوك فذلك الأمر أنفذ أحكامه لأنهم لا يقدرُونَ على خلافه وقد استقادوا له : أى أعطوه مقادتهم . فهما أبرم أمرا نفذ وإن غاضبهم فيه .

(٣) النائل : العطاء . يقول : لو لم يطمعه الناس رغبة فى عطائه ولا رهبة لعقابه لأطاعوه محبة وإجلالا لما اختصه الله به من الفضل

(٤) يقول : أنت أسد قوة وبطشا ، وهمتك همه الأسود - والأسد موصوف بجوار الهمة ، فهو لا يأكل من فريسة غيره كما قال الشاعر :

وكانوا كأنفِ الليث لا شَمَّ مرغما ولا نالَ قط الصيدَ حتى يُعفرا^(١)

(١) أى أنه لا يطمع إلا بما صاده بنفسه .

وقد قال أبو تمام :

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في الملوب لا السلب

ثم قال المتنبي - وأراد ما عداه من الملوك - : وكم من أسد دنىء النفس ساقط الهمة ؟ أى كم من ملك يشبه الاسد في قوة بطشه ولكن روحه روح كلب ؟ هذا وللعلامة العكبرى هنا كلمة في النادى أوردتها لمناسبة إعرابه «أيا أسدا» رأينا أن نوردتها لنفسها ولأننا أخذنا على أنفسنا أن لا نقفل شيئا مما أوردته جميع السراح . قال العكبرى : أيا أسداً : هو نداء منكر ينتصب بفعل مضمر ، ولو رفع ونون لكان أجود ؛ لأنه خصصه ؛ والنكرات إذا خصصت كان حكمها في النداء كحكم المفرد العلم : قال الله تعالى « يا خيال أوبى معه » فلما خصصها بالنداء كان حكمها حكم العلم المفرد ؛ والطير من رفعه جملا . عطفنا على الجبال ، ومن نصبه - وهو المشهور - فله ثلاثة أوجه : الأول : أن يكون عطفنا على موضع الجبال لأنها في موضع نصب ؛ الثانى : أن تكون الواو بمعنى مع ؛ الثالث : أن يكون مفعولا عطفنا على ما قبله وهو قوله تعالى « ولقد آتينا داود منا فضلا » ؛ واختلف البصريون وأصحابنا الكوفيون في النادى ؛ فقال البصريون : هو مبنى على الضم وموضعه النصب ، لانه مفعول . وقال أصحابنا : بل هو معرب مرفوع بغير تنوين ، وحجتنا أنا وجدناه لا يصحبه ناصب ولا رافع ولا خافض ووجدناه مفعولا في المعنى ولم تخفضه ثلاثا يشبهه بالمضاف إلى ياء التكلم ؛ ولم تنصبه ثلاثا يشبه مالا ينصرف فرفعناه بغير تنوين ليكون بينه وبين ما هو مرفوع برفع صحيح فرق . وأما المضاف فنصبناه لأننا وجدنا أكثر الكلام منصوبا فحملناه على وجه من النصب لأنه أكثر استعمالا من غيره . وحجة البصريين على أنه ليس بمعرب بل هو مبنى - وإن كان يجب في الأصل أن يكون معربا - أنه أشبه كاف الخطاب ، وهى مبنية فكذلك ما أشبهها من هذه الأوجه ، فوجب أن يكون مبنيا ؛ ووجه آخر : وهو أنه وقع موقع اسم الخطاب ، لأن الأصل في قولك : يا زيد ، يا إياك ، ويا أنت . لأن النادى لما كان مخاطبا كان ينبغى أن يستغنى عن ذكر اسمه ويؤتى باسم المخاطب ، فيقال يا إياك ؛ ويا أنت ، فلما وقع الاسم النادى موقع الخطاب : وجب أن يكون مبنيا ؛ كما أن اسم الخطاب مبنى . قالوا وبنينا على الضم لوجهين ، أحدهما : أنه لا يخلو إما أن يبنى على الفتح أو على الكسر أو الضم ، بطل أن يبنى على الفتح لأنه كان يلتبس بما لا ينصرف ، وبطل أن يبنى على الكسر

وَيَا آخِذًا مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ وَمِثْلَكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيُهَابُ^(١)
لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ حَقٌّ يُلْطَهُ وَقَدْ قَلَّ إِعْتَابُهُ وَطَالَ عِتَابُهُ^(٢)
وَقَدْ تَحْدِثُ الْأَيَّامُ عِنْدَكَ شَيْمَةً وَتَنْعِمُ الْأَوْقَاتُ وَهِيَ يِيَابُ^(٣)

لأنه كان يلتبس بالضاف إلى النفس ، وإذا بطل أن يبنى على الفتح والكسر وجب أن يبنى على الضم ؛ والوجه الآخر: أنه يبنى على الضم فرقا بينه وبين المضاف إليه لأنه إن كان مضافا إلى النفس كان مكسورا ، وإن كان مضافا إلى غيرها كان منصوبا ، فبنى على الضم لئلا يلتبس بالضاف ، وقلنا إنه مفعول لأنه في موضع نصب لأن تقدير يازيد أدعو زيدا ، وأنلدي زيدا ، فلما قامت «يا» مقام أدعو : عملت عمله ، فدلّت على أنها قامت مقامه من وجهين : أحدهما أنها تدخلها الإمامة نحو يازيده والإمالة لا تدخل الحروف ، وإنما تدخل الاسم والفعل . والثاني أن لام الجر تعلق بها نحو يازيد وبالعمر ، فإن هذه اللام لام الاستغاثة وهي حرف جر ، فلم تكن قد قامت مقام الفعل : لما جاز أن يتعلق بها حرف الجر ، لأن الحرف لا يتعلق بالحرف .

(١) يقول : إن الدهر يخشاك ويهابك ولا يجترى . على أن يتصك حقا ، ومن ثم تأخذ منه كل حقوقك . يعنى : لا تجحفك الأيام شيئا لمنعتك .

(٢) يلطه : يحجده ويمطّل به ومنه قول يحيى بن يعمر في رواية : أنشأت تلطها : أى تمنعها حقها من المهر ، ويروى تطلها وأصله لطلطت حقه إذا جودته وربما قالوا تلطيت حقه لأنهم كرهوا اجتماع ثلاث طآت فأبدلوا من الأخيرة ياء كما قلوا من اللعاع تلعت^(١) . ويقال ألطه على أى أعانه أو حمّله على أن يلط حتى . يقال : مالك تعينه على لطلته . وأعبه : أزال عتبه أى أرضاه . يقول : لنا عند الدهر حق يحجده ويماطل في قضائه ، وقد طال عتابنا له ، فلم يزل عتبنا : أى لم يرضنا بقضاء الحق .

(٣) الشيمة : العادة والخلق ، وتنمر : مطاوع عمرت السكان : إذا صيرته عامرا أهلا ، والياب : الخالي ليس به أحد . يقول : إن الأيام قد تغيرت شيمتها لديك ، إذ أنها ترضى المعائب وتسالم أهل الفضل ، فلا يلحفهم منها سوء لزولهم في كفك وجوارك وهذا خلاف عاداتها من اضطهاد ذوى الفضل ، والأوقات تصير عامرة لهم : بأن يدركوا

(١) اللعاع : هو المندباء ؛ بقل معروف يؤكل ، وتلى اللعاع : أكله

وَلَا مُلْكَ إِلَّا أَنْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وَهُوَ قِرَابٌ^(١)
أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبَعَادِ يُشَابُ^(٢)
وَهَلْ نَافِعِي أَنْ تَرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنَا
وَدُونَ الَّذِي أَتَمْتُ مِنْكَ حِجَابٌ^(٣)
أَقِلُّ سَلَامِي حُبًّا مَا خَفَّ عَنْكُمْ وَأَسْكُتُ كَيْمَا لَا يَكُونُ جَوَابٌ^(٤)
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فُطَانَةٌ سَكُونِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابٌ^(٥)

مطلوبهم مع أنها عند غيرك خراب لا تسمع : يعنى إن أظفرتنى الأيام بطلوبى لديك
فلا عجب فإنها تحدث شيمة غير شيمتها مهابة لك وإجلالا

(١) القرب : قرب السيف وهو عمده . يقول : إنما الملك في الحقيقة والواقع
هو أنت ، لا ذلك السؤدد الذى أنت فيه والذى نلته بعلو همتك وسداد رأيك ، فهو
بالتقاس إليك نافلة وفضلة ، وكأنه قرب وأنت فيه السيف والزية كلها للسيف
لا للقرب . ويروى بدل قوله كأنك سيف : كأنك نصل .

(٢) و (٣) قرت عينه : بردت ، وهو كناية عن السرور ، وضمير كان : يعود إلى
القرب ، ويشاب : يمزج ويخلط ، يقول : إن عيني قريرة بقربك وأنا مبتهيج بذلك لأننى
بلغت ما كنت أود من لقاءك وإن كان هذا القرب مشوباً بالبعد ، لأننى لم أنل منك
ما كنت أرجوه من الصنعة إلى ، وهل ينفعنى أن لا حجاب بيننا وما أرجيه منك محبوب
عنى ؟ وهذا كلام بديع يغزو التنبى به — وبما بعده — الإشارة إلى ما يتوقعه من كافور
من الحصول على ولاية من الولايات .

(٤) حب : مفعول له ، كأنه قال : لحب ماخف عنكم . يقول : لإيثارى التخفيف
عنكم أقلل التسليم عليكم وأسكت عن الكلام كى لا أحوجكم إلى الإجابة : هذا ولك
أن تصب يكون : على إعمال كى ، وتكون ما : زائدة ، وأن ترفعها على أنها لا تعمل ،
وتكون ما : مصدرية .

(٥) يقول : إن فى نفسى حاجات لا ينبعث بها لسانى وأنت من الفطانة بحيث
تدركها دون أن أذكرها ، فسكونى عنها يقوم مقام الإفصاح عنها . وهذا كما يقول أمية
ابن أبى الصلت :

وَمَا أَنَا بِالْبَائِعِ عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً ضَعِيفٌ هَوَى يُبْنِي عَلَيْهِ ثَوَابٌ^(١)
وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَدُلَّ عَوَازِلِي عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابٌ^(٢)

أَأَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَبَاؤُكَ إِنْ شِئِمَّتْكَ الْحِبَاهُ^(١)
إِذَا أَتْنِي عَلَيْكَ الْمَرَّةَ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الثَّنَاءُ
ويقول أبو تمام :

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ تَقَاضَيْتُهُ بِقَرِّكَ التَّقَامِي
ويقول أبو بكر الحواري :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمَ
فَإِذَا رَأَاكَ مُسَلِّمًا عَرَفَ الَّذِي حَمَلْتَهُ وَكَأَنَّهُ مَلَزُومَ

(١) يريد أن يستدرك على نفسه ، يقول : أنا لا أطلب ما طلبته منك رشوة على حي إياك ، لأن الحب الذي يطلب عليه ثواب ضعيف . فقوله ضعيف : خبر مقدم ، وهوى : مبتدأ مؤخر ، ثم ذكر السبب في البيت التالي . هذا : والرشوة ؛ ضم الراء ، وفتحها ، وكسر ها ، والجمع رشى ، ورشى . قال سيويه من العرب من يقول : رشوة ورشى ، ومنهم من يقول : رشوة ورشى ، والأصل : رشى ، وأكثر العرب يقول : رشى . ورشاه يرشوه رشواً : أعطاه الرشوة ، وارثى منه رشوة : إذا أخذها . قال البرد : الرشوة مأخوذة من رشا الفرخ إذا مد رأسه إلى أمه لترقه . وقال ابن الأثير عند ذكره الحديث : لعن الله الراشئ والمرثئ والرائش : الرشوة ، والرشوة الوصلة إلى الحاجة بالمصانة ، وأصله من الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء ؛ فالرائش من يعطى الذى يعينه على الباطل ، والمرثئ : الآخذ ، والرائش : الذى يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا .

(٢) يقول : وإنما أردت بطلب ما طلبت أن أعرف اللائى يلتنى على قصدى إليك أنى كنت مصيباً فى هواك ، وأنتك تفضل على وتبلغنى ما أرجيه منك .

(١) الحباء : ما يحبو به الرجل صاحبه وبكرمه به ، أو هو العطاء بلامن ولاجزاء ويروى حباؤك إن شيمتكم الحياء .

وَأَعْلِمَ قَوْمًا خَالَفُونِي فَشَرُّوْا وَغَرَّبْتُ أَنِّي قَدْ ظَنَرْتُ وَخَابُوا^(١)
 جَرَى الْخُلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنْتَ وَاحِدٌ وَأَنْتَ لَيْتَ وَالْمُلُوكُ ذُنَابٌ^(٢)
 وَأَنْتَ إِنْ قُوِيْتَ صَحَّفَ قَارِيءٌ ذُنَابًا وَلَمْ يَخْطِئْ فَقَالَ ذُنَابٌ^(٣)
 وَإِنْ مَدَّيْحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَذْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابٌ^(٤)

(١) يقول : وأردت أن أعلم الذين خالفوني وصمدوا إلى غيرك من الملوك أني قد ظفرت بقصدي إليك ، وأنهم أخفقوا بعدولهم عنك إلى سواك . وهذا كقول البحتري :

وأشهدُ أَنِّي فِي اخْتِيَارِيكَ دُونَهُمْ مُؤَدَّى إِلَى حَظِّي وَتُتْبِعَ رُشْدِي
 وَالتَّشْرِيقَ وَالتَّغْرِيبَ فِي الْبَيْتِ تَمْثِيلُ ارَادَ بِهِ تَحْقِيقَ الْخَالِفَةِ ، وَلَعَلَّهُ ارَادَ بِهِ الْحَقِيقَةَ .
 (٢) يقول : إن الخلاف جارٍ في كل شيء إلا في أنك واحد ممتاز عن الأشكال ؛ وفي أنك أسد ، والملوك بالقياس إليك ذناب ، وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :
 لو أن إجماعنا في فضل سُودَدِهِ في الدينِ لم يَخْتَلِفْ في الأمةِ اثنان
 ويقول البحتري :

وَأَرَى النَّاسَ مَجْمَعِينَ عَلَى فَضْلِكَ مِنْ بَيْنِ سَيِّدٍ وَمَسُودٍ
 فَالْخُلْفُ بِمَعْنَى الْاِخْتِلَافِ وَأَنْتَ وَاحِدٌ بَدَلَ اشْتِمَالٍ مِنَ الْكَافِ فِي قَوْلِهِ فِيكَ .
 (٣) يقول : إذا صحف القاريء لدى هذه المقايسة لفظ الذناب — المذكورة في البيت السابق — فقال وإنك ليت والملوك ذناب : لم يخطيء ولم يعد الصواب في هذا التصحيف ، لأن من عداك من الملوك كذلك .
 (٤) الكذاب : الكذب ، يقال كذب يكذب كذباً وكذباً وكذاباً وكذاباً .
 قال الشاعر :

فَصَدَقْتُهَا وَكَذَّبْتُهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ

وأنشدوا :

نَادَتْ حَالِيَةً بِالْوَدَاعِ وَأَذَنْتْ أَهْلَ الصَّفَاءِ وَوَدَعَتْ بِكَذَابِ
 وَرَجُلٌ كَاذِبٌ وَكَذَابٌ وَتَكْذَابٌ وَكَذُوبٌ وَكَذُوبَةٌ وَكَذِبَةٌ مِثَالُ هَمْزَةٍ وَكَذِبَانِ

إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَلِمَالُ هَيْنٍ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا لَهُ كُلُّ يَوْمٍ بِلَدَةٍ وَصِاحِبُ^(١)
وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةٌ فَمَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ^(٢)

وكاذبان وكاذبان ومكذبان ومكذبان وكاذبان وكاذبان . قال الشاعر :

فَإِذَا سَمِعْتَ بَأَنِّي قَدْ بَعَثَكَ
بِوَصَالِ غَايَةِ قَلْبِ كَذُّبٍ^(١)

والكذب : جمع كاذب ، مثل رَأَى وَرَكَع . قال أبو داود الرؤاسي :

مَتَى يَقُلْ تَنْفَعُ الْأَقْوَامَ قَوْلُهُ إِذَا اضْمَحَلَّ حَدِيثُ الْكَذْبِ الْوَلَعَةُ
أَلَيْسَ أَقْرَبَهُمْ خَيْرًا وَأَبْصَرُهُمْ شَرًّا وَأَسْمَحَهُمْ كَفًّا لِمَنْ مَنَعَهُ
لَا يَحْسُدُ النَّاسَ فَضَّلَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِذَا تَشَوَّهَ نَفْسُ الْحَسَدِ الْجُشْمَةُ

« الولعة جمع والع وهو الكاذب » يقول : إن الناس يمدحون بالحق وبالباطل لأن
بعضه يكون كاذبا : أما أنت فمدحك الحق الصراح لا كذب فيه وهذا كقول أبي تمام :

لَمَّا كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقِ حَقِّ فَلَمْ آتَمْ وَلَمْ أَتَحَوَّبْ^(١)
وَلَوْ امْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى يَضِيقُ

عَنِّي لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَ كَذِبُ

(١) يقول : لولاك لكان كل بلد بلدي وكل أهل أهلي : أى لولاك لم أقم بمصر
وكنت لا أزال مهاجراً في الأرض أتقل من بلد إلى بلد ومن ناس إلى ناس ، لأن جميع
البلاد وجميع الناس لدى سواء .

(٢) يقول : ولكنك جميع الدنيا الحبيبة إلى والى انصبت عليها آمالي ، فإن

(١) الرواية قد بعته - يعنى جملة - وقبله :

قَدْ طَالَ إِضَاعَى الْخَدَمِ لَا أَرَى فِي النَّاسِ مِثْلِي فِي مَعْدٍ يَخْطُبُ

حَتَّى تَأْوِبْتَ الْبُيُوتَ عَشِيَةً فَحَطَطْتَ عَنْهُ كُورَهُ يَتَثَابُ

فَإِذَا سَمِعْتَ بَأَنِّي قَدْ بَعَثَ الْخُ .

(٢) فلان يتحوب من كذا : أى يترك الحوب ، وهو الإنم ، كيتائم : أى :

يترك الإنم .

ومرّة في صباه رجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه يُعجبان الناس من كبره فقال :

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرْذُ الْمُسْتَفِيرُ أَسِيرَ الْمَنَابَا صَرِيحَ الْقَطَبِ^(١)
رَمَاهُ الْكِتَانِيُّ وَالْعَامِرِيُّ وَتَلَاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعَرَبِ^(٢)
كَلَا الرَّجُلَيْنِ أَتْلَا قَتْلَهُ فَأَيُّكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلْبِ^(٣)
وَأَيُّكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِهِ فَإِنَّ بِهِ عَصَةً فِي الذَّنْبِ

حاولت الذهاب عنك كان ذلك ذهاباً إليك ، وكذلك الدنيا : من أراد السفر عنها سافر إليها ، إذ ليس من سبيل إلى الخروج عنها . فقوله حبيبة حال من الدنيا وإلى متعلق بحبيبة . وقوله فما عنك : أى فمالى ذهاب عنك إلا إليك . وأورد العكبرى حبيبة — بالرفع — وقال إنها مبتدأ ، وإلى : خبر ، وقال ابن جنى : التقدير هى إلى حبيبة . يريد أن حبيبة خبر مبتدأ محذوف . وقال : إن المعنى يريد أنك السلطان ، والسلطان هو الدنيا ، يعنى أنت جميع الدنيا ، فإن ذهبت عنك عدت إليك ، فإن الحى لا بد له من الدنيا . وهذا قريب مما قلناه .

(١) الجرذ : ضرب من الفأر ، والمستفير : الذى يطلب الفارة على ما فى البيوت وغيرها .

(٢) تلاه صرعا ، يقال تله يتله تلا فهو متلول ، وتليل : صرعه ، قال تعالى : « فلما أسلما وتله للجبين » أى صرعه كما تقول كبه لوجهه . يقول : رماه هذان الرجلان اللذان أحدهما من بنى كنانة والآخر من بنى عامر ، وصرعاه لوجهه ، كما تفعل العرب بالقتيل .

(٣) اتلا : تولى وبأشر ، وغل : خان من الغلول : الحيانة فى المغام ، والسلب ، ما يسلب من ثياب القتيل وسلاحه وما إليهما ، وحره جیده . يقول : لقد اشتركتما فى قتله فأيكما انفراد يجيد سلبه وخانه فى ذلك ، وهذا كله من باب التهم والسخرية ولمناسبة كلا وكلتا تقول : ذهب الكوفيون إلى أن كلا وكلتا فهما ثنية لفظية ومعنوية فأصل « كلا » كل ، خففت اللام وزيدت الألف للثنية ؛ وزيدت التاء فى كلتا للتأنيث ، والألف فهما كالألف فى قولك الزيدان ، وحذفت نون الثنية منهما للزومهما الإضافة وذهب البصريون إلى أن فهما إفراداً لفظياً وثنية معنوية والألف فهما كألف رحا

وعصا . وحجة الكوفيين النقل والقياس ؛ فالنقل قول الشاعر :

فِي كِلْتَا رِجْلَيْهَا سُلَامَى زَائِدَةٌ كِلْتَا هَا قَدْ قُرْنَتْ بِوَاحِدَةٍ^(١)

فإفراده كلت يدل على أن كلتا تشية ؛ والقياس أنها تنقلب إلى الياء جرأ ونصبا إذا أضيفت إلى الضمير ، نحو : رأيت الرجلين كليهما والمرأتين كليهما ، ومردت بكليهما ، فلو كانت الألف في آخرها كألف عصا ورحا لم تنقلب كما لم تنقلب ألفاها نحو رأيت عصاهما ومردت برحاهما . فلما اقلبت الألف فيهما انقلاب ألف الزيدان دل على أن تشيتهما لفظية ومعنوية ، وحجة البصريين : أن الضمير يعود إليهما تارة مفرداً حملا على اللفظ ، وتارة مثنى حملا على المعنى ؛ فرد الضمير مفرداً كقوله تعالى « كِلْتَا الْجَبْتَيْنِ آتَتْهُمَا كِلَاهُمَا غِصَّةٌ مِمَّنْ صَارَ لِشَرِّهِمْ كَدْحٌ فَاثِماً » وكقول جرير :

كِلَا يَوْمِي أُمَامَةٌ يَوْمُ صِدَّةٍ وَإِنْ لَمْ نَأْتِهَا إِلَّا لِمَامَا

فقال يوم بالإفراد ، وأما رد الضمير مثنى حملا على المعنى فكقول الفرزدق :

كِلَاهُمَا حِينَ جَدَّ الْجَرَى بَيْنَهُمَا قَدْ أَقْلَمَا وَكَلَا أَنْفِيهِمَا رَابِي^(٢)

(١) قيل : إن هذا البيت من رجز يصف به نعامه ، فضمير رجليها يرجع إلى النعام ، والسلاحي : عظم في فرسن البعير وعظامه صفار طول أصبع أو أقل في اليد والرجل ، والجمع سلاميات ، والفرسن للبعير بمنزلة الحافر للفرس ، والضمير في كلتاها : للرجلين ، والمصراع الثاني : تأكيد للأول ، وقوله قرنت بواحدة : أى من السلاميات .

(٢) من أبيات الفرزدق في جرير ؛ وكان جرير روج بنته أم غيلان من عسيبة ابن أخي امرأته وكان منقوص العضد فحلمها منه أى طلقها فقال الفرزدق :

مَا كَانَ ذَنْبُ الَّتِي أَقْبَلْتَ تَعْتَلُّهَا حَتَّى اتَّعْتَمَتْ بِهَا أُسْكُفَةُ الْبَابِ

كِلَاهُمَا

يا ابن المراغة جهلا حين تجعلها دون القلوص ودون البكر والناث

تعتلها : تجذبها جذبا غنيا ، والضمير لأم غيلان بنت جرير وفي رواية : ما بال لومكها أى لومك إياها ، والأسكفة ، عتبة الباب : أى حتى أدخلتها عتبة بابك ، وكلاهما أى كل من ابنة جرير وزوجها ؛ وجد الجرى : أى اشتد ، وأقلما : أى أقلما

وقال يهجو ضبة بن يزيد العتي (*):

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّةً . وَأُمُّهُ الطَّرْطُبَةُ^(١)

فقال : قد أقلما حملا على المعنى - وقال رابى حملا على اللفظ - وقالوا : الدليل على أن فيهما إفراداً لفظياً أنك تضيفهما إلى التثنية . فتقول : جاءنى كلا أخويك ، ورأيت كليهما ؛ وكذلك حكم كلتا في المضر والمظهر ، فلو كانت التثنية منهما لفظية لما جاز إضافتهما إلى التثنية لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه ويدل على أن الألف لا تكون فيهما للتثنية أنها تعال في قراءة حمزة والكسائى . وإذا أردت التوسع في هذا الباب فارجع إلى كتب النحاة وإلى لسان العرب * كان ضبة هذا فيمن كان مع الخارجى الذى نجم فى بنى كلاب وهو المشار إليه فى القصيدة التى مدح بها دلبى بن لشكروز بالكوفة - وسبب هذه الأبيات القبيحة أن قوماً من أهل العراق قتلوا أبا ضبة هذا وسبوا امرأته - أم ضبة - وفسقوا بها ، وكان ضبة غداراً بكل من نزل به ، واجتاز به أبو الطيب فى جماعة من أشرف الكوفة ، فامتنع منهم ، وأقبل يحاهر بشتهم ، فأرادوا أن يجيئوه بمثل ألفاظه القبيحة ، وسألوا ذلك أبا الطيب فتكلفه لهم على كراهة وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه . قال الواحدى : كان المتنبي إذا قرئت عليه هذه القصيدة ينكر إنشادها - أقول : ولولا أن يقال إننا تصرفنا فى الديوان وأن هذا الديوان أدركه الحداج - إذا حذفنا منه بعض شعر المتنبي فيسيء الناس بنا الظن - لما أثبتنا هذه الأبيات التى ينبو بها السمع .

(١) يقول : ما أنصف القوم هذا الرجل إذ فعلوا بأبيه وأمه ما فعلوا ، والطرطبة : القصيرة الضخمة ، وقيل المسترخية الثديين أو الطويلة الثديين قال الشاعر :

لَيْسَتْ بِقَتَاتٍ سَبْهَلَةٍ وَلَا بِطَرْطُبَةٍ لَهَا هُلبٌ^(١)

عن الجرى ؛ ورابى من الربو وهو النفس العالى المتابع ، وهذا تمثيل يقول : إن بنت جرير وزوجها قد افترقا حين حصلت الألفة بينهما ولم يمضيا على حالهما كفرسين جدا فى الجرى ووفقا قبل الوصول إلى الغاية :

(١) القتاتة النجوم من التت وهو النجمة والكذب الهياً ، ويقال للفارغ النشيط الفرح سهلاً ، وروى عن عمر أنه قال ، إنى لأكره أن أرى أحداً سهلاً لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة . وكل فارغ سهلاً ، والهاب ما غلظ من الشعر .

رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وَبَاغُوا أَلَامَ غُلَّةٍ^(١)
 فَلَا يَمْنُ مَاتَ فَخْرٌ وَلَا يَمْنُ نِيكَ رَغْبَةٍ^(٢)
 وَإِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْتُ رَحْمَةً لَا حَسْبَهُ^(٣)
 وَحِيلَةَ لَكَ حَتَّى عُدِزْتُ لَوْ كُنْتُ تَيْبَةً^(٤)
 وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ إِنَّمَا هِيَ ضَرْبَةٌ^(٥)
 وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْقَذْرِ إِنَّمَا هُوَ سُبَّةٌ^(٦)
 وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْعَا رِإْنِ أُمَّكَ قَحْبَةٌ^(٧)
 وَمَا يَشُقُّ عَلَى الْكَلْبِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ كَلْبَةٍ
 مَا ضَرَّهَا مِنْ أُنَاهَا وَإِنَّمَا ضَرَّ صُنْبُهُ

(١) يقال باك الحمار الأتان : نزا عليها ، والظبة : النعابة جلهم كالخير في غشياتها بفحش .

(٢) يقول : فلا يغر له بأبيه ولا يرغب بأمه أيضاً عما فعل بها .

(٣) يقول : وإِنَّمَا قُلْتُ مَا أَصْفُوكَ رَحْمَةً بِكَ لِمَا أَصَابَكَ مِنَ الْقَدِّ وَالْعَارِ لَا حِجَةَ لَكَ وَغَيْرَ عَلَيْكَ . يريد شدة ما وصل إليه حتى صار بالرحمة أحق منه بالثأمة ، وليلحظ أن ضبة هذا من البناء بحيث لم ير للتنبي بدا من أن يسلك معه هذا السلك ، قد صرح باسمه . . . وإيضاً كان يكفي أن يقول ما أنصف الناس ضبة وأمه الطرطبة ، ولا يقول بعد ذلك : وإِنَّمَا قُلْتُ رَحْمَةً لَا حِجَةَ .

(٤) تيه بكسر التاء - مضارع ، وبه : بمعنى أبه وبالي واكثرث ، وتروى لو كنت تنبه . أى تهطن . يقول : وقلت ذلك حيلة لك حتى يذرك الناس فيما أم بك إذا سمعوا قولى هذا وعرفوا أنك مظلوم .

(٥) و(٦) و(٧) مافي الآيات الثلاثة استفهام إنكارى ، وهى فى البيتین الأولین : ضمير الشأن ، والسبة : العار يسب به ، والقحبة : البنى ، والفاسدة الفاجرة . وهذا من أبى الطيب استهزاء واستهجان لضبة . يقول : لا يعلق بك من قتل أليك عار ، إِنَّمَا ذَلِكَ ضَرْبَةٌ وَقَعَتْ بِأَيْكَ فَمَاتَ مِنْهَا ، والندرسبة تسب به ، فما عليك منه ؟ ولا عار عليك من لجور أمك .

وَلَمْ يَنْكِهَا وَلَكِنْ يَلُومُ ضَبَّةَ قَوْمٍ
وَلَقَبُهُ يَتَشَبَّهُ
لَوْ أَبْصَرَ الْجَذْعَ شَيْئًا
يَا أَطِيبَ النَّاسِ نَفْسًا
وَأُخْبِتَ النَّاسِ أَصْلًا
وَأَرْخَصَ النَّاسِ أُمًّا
كُلُّ الْفُعُولِ سِهَامٌ
وَمَا عَلَى مَنْ بِهِ الدَّاءُ
وَلَيْسَ بَيْنَ هَلُوكٍ
يَا قَاتِلًا كُلَّ ضَيْفٍ
عِجَانُهَا نَاكَ زُبَّةٌ^(١)
وَلَا يَلُومُونَ قَلْبَهُ
وَيُلْزِمُ الْجِسْمَ ذَنْبَهُ
أَحَبُّ فِي الْجَذْعِ صَلْبُهُ^(٢)
وَالَّذِينَ النَّاسُ رُكْبَةٌ^(٣)
فِي أُخْبِتِ الْأَرْضِ تَرْبَةٌ
تَبِيعُ أَلْفًا بِجَبَّةٍ
لِمَزِيمٍ وَهِيَ جَبَّةٌ^(٤)
مِنْ لِقَاءِ الْأُطِيبَةِ^(٥)
وَحُرْقٍ غَيْرُ خُطْبَةٍ^(٦)
غَنَاهُ ضَيْحٌ وَعُلْبَةٌ^(٧)

- (١) العجان : ما بين القبل والدبر . يقول : إنها عجوز كبيرة مهزولة تصيب بعجانها متاع من أتاها فتصكه .
(٢) هذا كناية عن الأير . يقول : لجه ذلك يجب أن يكون مصلوباً في ذلك الجذع .
(٣) يقول : إنه سمح القياد يلين لمن راوده وقد أملت ركبته لكثرة البروك عليها .
(٤) يريد بالفعول : الذين يفعلون بها ، فجعلها تجمعهم وتضمهم كما تضم الجعبة السهام .
(٥) يقول : إن الذين يأتونه كالأطباء له ، ومن كان به داء فعالجه بدوائه لم يجب به . يهون عليه ما يسبه به من الأمر القبيح استجبالاً له .
(٦) الهلوك : البنى الفاجرة . يقول : إن الفاجرة كالجرة المخطوبة إلى أهلها لافرق بينهما إلا الاستحلال بالخطبة .
(٧) غناه : هو غناؤه ، فقصره : أي يكفيه ضييح وعلبة ، والضيح : اللبن للمزوج بالماء ، والعلبة : قدح من جلد يشرب فيه اللبن . يقول : إنه لشحه ولؤمه إذا نزل به ضيف قتله ليتخلص من قراء ؛ ولو كان هذا الضيف معلوكا : يكتفى بقليل من الضيح في علة . ويجوز أن يكون المعنى أنه لما طبع عليه من الغدر يقتل كل من ألم به ، ولو كان معلوكا لآمال معه يطمع فيه

وَخَوْفُ كُلِّ رَفِيقٍ أَبَاتَكَ اللَّيْلُ جَنَبَهُ^(١)
 كَذَا خُلِقَتْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُفَالِبُ رَبَّهُ^(٢)
 وَمَنْ يُفَالِي بِذِمَّتِهِ إِذَا تَعَوَّدَ كَسْبَهُ
 أَمَا تَرَى الْخَلِيلَ فِي النَّخْلِ سُرْبَةً بَعْدَ سُرْبَةٍ^(٣)
 عَلَى نِسَائِكَ تَجَلُّو فَعُولَهَا مُنْذُ سَنَبِهِ^(٤)
 وَهَنْ حَوْلَكَ يَنْظُرُ نَ وَالْأَحْيَارُ رَطْبَهُ^(٥)
 وَكُلُّ غُرْمُولٍ بَغْلٍ يَرَيْنَ يَحْسُدُنَ قُنْبَهُ^(٦)
 فَسَلْ فَوَادَكَ يَا ضَبَّ أَيْنَ خَلَفَ عُجْبَهُ^(٧)
 وَإِنْ يَخْنُكَ لَعْمَرِي لَطَالَمَا خَانَ صَحْبَهُ^(٨)
 وَكَيْفَ تَرْغَبُ فِيهِ وَقَدْ تَبَيَّنَتْ رُعْبَهُ^(٩)

(١) وخوف : عطف على قاتلا - في البيت السابق - أى ويا خوف كل رفيق الخ .
 يقول : هو من الصدر بحيث إذا بايته رفيق في السفر لا يأمن أن يغدر به إذا نام .
 (٢) يقول : إن الله خلقه مجبولا على الصدر والسفال ، ومن ثم لا يزال على ما جبله
 الله عليه لا يستطيع الناس تهذيبه ، لأن الله جل شأنه لا يغالب .
 (٣) و (٤) السرية : الجماعة من الخيل ، وفحولها : كناية عن غرملها . والسنبه :
 الحين والقطعة من الزمان .

(٥) الأحيراج : تصغير أحراج - جمع حر ، وأصله حرح - الفرج
 (٦) القتب : وعاء القضب من ذوات الحافر .
 (٧) ضب : ترخيم ضبة . يقول : أسأل فؤادك يا ضبة أين ترك ما كان فيه من
 العجب والكبر ؟ يعنى حين اختبأ وامتنع منهم بالحسن وهو يسمع الشتم فلا يخرج إليهم .
 (٨) و (٩) يقول : إن خانك فؤادك - أى خذلك في هذا الموقف فلم يطاوعك
 على الإقدام علينا خوفا ورهبا - فلست أول من خان قلبه ، لأنه تعود خيانة
 أصحابه .

مَا كُنْتُ إِلَّا ذُبَابًا نَفَثْتَ عَنَّا مِذْبَةً^(١)
 وَكُنْتُ تَفْخَرُ تِيهَا فَصِرْتَ تَضْرِبُ رَهْبَةً
 وَإِنْ بَعْدَنَا قَلِيلًا حَمَلْتَ رُمْحًا وَحَرَبَةً^(٢)
 وَقُلْتَ لَيْتَ يَكْفَى عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبَةٍ^(٣)
 إِنْ أَوْحَشْتَكَ الْمَعَالِي فَأَيُّهَا دَارُ غُرَبَةٍ^(٤)
 أَوْ آتَسْتَكَ الْمَخَازِي فَأَيُّهَا لَكَ نِسْبَةٍ^(٥)
 وَلَمْ تَعْرِفْتَ مُرَادِي تَكْشَفْتَ عَنْكَ كُرْبَةً^(٦)
 وَلَمْ تَجْهَلْ مُرَادِي فَأَيُّهُ بِكَ أَشْبَهُ^(٧)

(١) يقول : إنك حين اختبأت وتحصنت منا جئنا ما كنت إلا ذباباً طردناه بمذبقتنا
 فهرب ، وروى «عنه» بدل عنا ، والضمير في عنه وفي فيه : يرجع إلى العجب : يعنى
 كيف تريد العجب وقد علمت شؤمه وكنت كالدباب يقتل بالمذبة . وذهب ابن جنى إلى
 أن الضمير يعود إلى القلب فقال : يريد بقيت بلا قلب .
 (٢) يقول : وإذا جدنا عنك فأمنت . عاودك العجب فحملت السلاح ، وهذا
 مثل قوله :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب العطن وحده والنزلاً

(٣) العنان : سير اللجام ، والجرداء من الحيل : القصيرة الشعر ؛ والشطبة : الطويلة .
 (٤) و (٥) يقول : إذا استوحشت من المعالي فلا بدع في ذلك ، لأنك غريب عنها ،
 أما المخازي فإنك تتأنس بها لما بينك وبينها من النسب والقربة .
 (٦) يقول : إن مرادى أن أنه إلى ما فيك من الندر والشع ، فإن عرفت مرادى
 هذا : سررت بما قلت ، لأنه لا يقصدك إنسان بسؤال أو قرى بعد ما أشعته من خلاك
 وقال ابن جنى يقول : أنت مع ما أوضحته من جهالك غير عارف به لجهلك فإذا عرفت
 أنه جهاء زالت عنك كربة لمعرفتك إياه . . وهذا كلام من لم يعرف معنى البيت كما
 قال الواحدى .

(٧) فان الجهل بك أشبه لأنك لست بمن يفهم .

وقال يعزى أبا شجاع عضد الدولة بِعَمَّتِهِ وقد توفيت ببغداد :

آخِرُ مَا الْمَلِكُ مُعَزَّى بِهِ هَذَا الَّذِي أَثَرَ فِي قَلْبِهِ ^(١)
لَا جَزَعًا بَلْ أَنْفًا شَابَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضَبِهِ ^(٢)
لَوْ دَرَّتِ الدُّنْيَا بِمَا عِنْدَهُ لَأَسْتَحْيَتِ الْأَيَّامُ مِنْ عَتَبِهِ ^(٣)
لَعَلَّمَهَا تَحْسَبُ أَنَّ الَّذِي لَيْسَ لَدَيْهِ لَيْسَ مِنْ حِزْبِهِ ^(٤)
وَأَنَّ مَنْ بَغْدَادُ دَارُهُ لَهُ لَيْسَ مُقِيمًا فِي ذَرَى عَضْبِهِ ^(٥)
وَأَنَّ جَدَّ الْمَرْءِ أَوْطَانُهُ مَنْ لَيْسَ مِنْهَا لَيْسَ مِنْ صُلْبِهِ ^(٦)

(١) هذا خبر معناه الدعاء . يقول : جعل الله هذا الحادث آخر ما يعزى به الملك فلا يصاب بشيء بعده . والملك تخفيف الملك . وهذا ، مبتدأ مؤخر وآخر : خبر مقدم .
(٢) جزعا : مفعول له ، عامله أثر ، والأنف الحمية والاستنكاف ، وشابه خالطه .
يقول : لم يؤثر هذا الحادث في قلبه لأنه جزع له فإنه شجاع لا عهد له بالجزع ، ولكنه أخذته الحمية والألفة حين رأى الدهر قد استطاع أن يتطرق حماء ويستبيح حريمه ويغتصبه من يعز عليه

(٣) يقول : لو كانت الدنيا تدرى ما يحوزه من الفضل لأخذها الحياء من عتبه عليها ولكفت عنه أذاها ، وقيل : إن المعنى لعل الأيام لم تعلم من غاب عن حضرته من أهله وأسرته ، ولو علمت لما عرضت لشيء من أسبابه . وقعدل البيت التالى على ذلك .

(٤) يستندر عن الأيام . يقول : لعل الدنيا ظنت أن عمته — وقد توفيت في بغداد بعيدة عنه — لما لم تكن عنده لم تكن من أسرته فسقط عليها .

(٥) الدرى : الكنف ، والعضب : السيف القاطع . يقول : ولعل الدنيا ظنت أن عمته لما كانت ببغداد ولم تكن بحضرتك لم تكن ممن يحميه سيفك فلذلك عرضت لها وأخذتها .

(٦) يقول : ولعلها ظنت أن جد الإنسان بلده ، فمن لم يكن من أهل بلده فليس من صلب جده : يعنى أن عمته لما كانت في غير وطنه ظنت الأيام أنها ليست من عشيرته ومن ثم اجترات عليها ولم ترع حقه . ويروى : وأن حد الرء — بالحاء — فيكون المعنى أن حريمه وطنه ، فمن لم يكن مستوطنا معه لم يكن من عشيرته .

أَخَافُ أَنْ تَفْطَنَ أَعْدَاؤُهُ فَيَجْفِلُوا خَوْفًا إِلَى قُرْبِهِ ^(١)
 لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعِ عَنْ جَنْبِهِ ^(٢)
 يَنْتَسِي بِهَا مَا كَانَ مِنْ عُجْبِهِ وَمَا أَذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ كَرْبِهِ ^(٣)
 نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ ^(٤)
 تَبَخَّلْ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا عَلَى زَمَانٍ مِ مِنْ كُنْبِهِ ^(٥)

(١) أجفل : أسرع في الهرب ، يقول : إني أخاف - إذ قلت هذا - أن تفتن أعداؤه إلى أن الأيام لا ترزأ كل من كان في حماه وقربه فيسرع إلى حضرته خوفا من الأيام وطلبا للسلامة بحصولهم في ذمته واشتغالهم بعزه .

(٢) يقول : لا بد للإنسان من اضطجاع في القبر لا يتقلب معه المضطجع أى يبقى كذلك أبد الدهر ، ولو قال لن - بدل لا - لكان أحسن ؛ لأن لن تدل على التأكيد .

(٣) يقول : ينسى الإنسان تلك الضجعة تبه وإعجابه بنفسه وما أذاقه الموت من البرح والكرب عند احتضاره : أى ينسى تلك الضجعة كل ما لاقاه في حياته وفي مماته .

(٤) يقول : نحن أبناء الموتى لأن آباءنا كلهم ماتوا فلا بد لنا أن نرد الموت كما وردوه ؛ فما بالنا نكره ما لا بد منه ؛ وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

أَلَا يَا ابْنَ الدِّينِ فَتُؤَا وَبَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا بَادُوا لَتَبَقَى
 وأصله قول متمم بن نويرة :

فَمَدَدْتُ أَبَائِي إِلَى عِرْقِ الثَّرَى فِدَعَوْتَهُمْ فَعَلِمْتُ أَنْ لَمْ يَسْمَعُوا
 وَلَقَدْ حَلِمْتُ وَلَا مُحَالَةَ أَنْتَى لِلْحَادِثَاتِ فَهَلْ تَرَانِي أَجْزَعُ ؟

وروى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمرو بن عبيدة يعزبه عن أبيه : «أما بعد» فإننا أناس من أهل الآخرة ، أسكننا في الدنيا أمواتاً آباء أموات ، وأبناء أموات فالعجب لمت يكتب إلى ميت يعزبه عن ميت والسلام .

(٥) يقول : إننا نحرص على أرواحنا ضنا بها على الزمان مع أنها بما كسب الزمان لا من كسبنا نحن ، وقد فسر ذلك في البيت التالى ؛ قال العسكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا كان تناسو الأرواح من كرور الأيام فما لنا نعاف رجوعها إلى أما كتبها .

فَهَذِهِ الْأَذْوَاحُ مِنْ جَوْهَرٍ وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تَرْبَةٍ (١)
لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الْقَدَى بَنِيهِ لَمْ يَنْسِبِهِ (٢)
لَمْ يُرَ قَرْنُ الشَّمْسِ فِي شَرْقِهِ فَسَكَّتِ الْأَنْفُسُ فِي غَرْبِهِ (٣)
يَمُوتُ رَاغِبِي الضَّائِنِ فِي جَهْلِهِ مَوْتَةَ جَالِينُوسَ فِي طَبِّهِ (٤)
وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُصْرِهِ وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرِّهِ (٥)
وَعَايَةُ الْفَرْطِ فِي سِلِّهِ كَفَايَةُ الْفَرْطِ فِي حَزْنِهِ (٦)

(١) يريد أن الإنسان مركب من جوهر لطيف - هو الروح - وجوهر كثيف - هو البدن - فجعل اللطيف من الهواء ، والكثيف من التراب . قال العسكري : وهذا من قول الحكيم : اللطائف سماوية والكثائف أرضية ، وكل عنصر عائد إلى عنصره ، « هذا » ؛ وليس ثم مجال للكلام على الروح وذكر المذاهب الفلسفية فيه ، لأن هذا إنما هو تفسير لشعر المتنبي حسب .

(٢) يقول : لو فكر العاشق الاستهام فيما تصير إليه محاسن معشوقه من البلى والفناء لأقلع عن عشقه ولم تملك تلك المحاسن قلبه . ولك أن تجعل هذا مطرداً في كل معنى من معاني الحياة فتقول : لو فكر الحريص التهاك على جمع المال في منتهى ذلك وأن مصير هذا المال إلى الزوال وأنه ماثت عنه لا محالة : لما تهاك على جمعه ، وهلم . قال العسكري : وهو من قول الحكيم : النظر في عواقب الأشياء يزيد في حققتها ؛ والعشق عمى الحس عن درك رؤية المعشوق .

(٣) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وهذا مثل : معناه . أن كل حادث لا بد أن ينتهي إلى الزوال : كالشمس من رآها طالعة لم يشك في غروبها .

(٤) قوله : في جهله وفي طبه ، حالان . يقول : إن الموت حتم على رقاب العباد لا ينجو منه إنسان : أكان شريفاً أم وضيعاً ، عاقلاً أم جاهلاً . فيموت الراعي الجاهل كما يموت الطبيب الحاذق .

(٥) السرب : النفس . يقول : وربما زاد راعي الضأن عمراً على عمر جالينوس ، وكان آمن على نفسه منه ؛ لأن الطبيب لعله وتقديره لضروب الأدوية وارتباط الأسباب بالسيئات يبقى دائماً قلقاً خائفاً كثير الوسواس .

(٦) يقول : من بالغ في السلم والوعدة كمن بالغ في الحرب والمعاداة والتعريض بالخطر

فَلَا قَصَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ فَوَادُهُ يَخْفِقُ مِنْ رُغْبِهِ ^(١)
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِشَخْصٍ مَضَى كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ ^(٢)
 وَكَانَ مِنْ عَدَدِ إِحْسَانِهِ كَأَنَّهُ أَفْرَطَ فِي سَبِّهِ ^(٣)
 يُرِيدُ مِنْ حُبِّ الْعَمَلِ عَيْشَهُ وَلَا يُرِيدُ الْعَيْشَ مِنْ حُبِّهِ ^(٤)
 يَحْسِبُهُ دَافِنُهُ وَخَسَدُهُ وَتَجِدُهُ فِي الْقَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ ^(٥)
 وَيُظْهِرُ التَّذَكُّيرُ فِي ذِكْرِهِ وَيُسْتَرُّ التَّائِبُ فِي حُجْبِهِ ^(٦)

كلاهما إلى الموت . قال المكبري : وهذا من قول الحكيم : آخر إفراط التوقي أول موارد الخوف ؛ ويقال أفرط : إذا أسرف وجاوز الحد ؛ وفراط بتشديد الراء : قصر . وفي الحديث « لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً » .

(١) يقول : لا أدرك حاجته من يهرب الموت ، يعني إذا كان لا متدوحة عن الموت فلم يخافه الإنسان ؟ يحث على الشجاعة والإقدام ، ويدعو على الهياة الجبان . والضمير في رغبه : للفؤاد :

(٢) هذا ضرب من اللدح الذي يشبه الدم ، يقول : أستغفر الله لشخص مضى كان جوده هو غاية ذنبه : أي لا ذنب له أستغفر الله له لأجله إلا جوده ؛ يعني للرؤية عممة عند الدولة .

(٣) يقول : وكان يكره ذكر إحسانه تناسياً للمعروف ، فمن أحصى فواضله وأياديه كان عنده كمن أسرف في سبه .

(٤) يقول : إنه كان يحب أن يعيش لكسب للعالي لا لحب العيش : فالضمير في عيشه : للرثى ، والتقدير : يريد عيشه من حب العلى ، ولا يريد العيش من حب العيش .

(٥) يقول : إن الذي يدفنه يظن أنه يدفنه وحده ، وهو قد دفن معه المهد والعفاف والبر وسائر فضائله التي هي أصحابه لا تفارقه .

(٦) يقول : إنها في حبها وخدرها أنثى على الحقيقة ، وليس ثم إلا الصون والعفاف وما إليهما عما هو شيمة المخدرات ، أما إذا ذكرت أفعالها ومسايعها — من طلب للعالي وإيثار المعروف وإغاثة الملهوف — فهناك التذكير حقاً ، لأن مثل هذه الأفعال إنما هي من شيم الرجال .

أُخْتُ أَبِي خَيْرٍ أَمِيرٍ دَعَا فَقَالَ جَيْشٌ لِلْقَنَا لَبَّ^(١)
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ مَنْ رُكْنُهَا أَبُوهُ وَالْقَلْبُ أَبُو لَبَّ^(٢)
وَمَنْ بَنُوهُ زَيْنُ آبَائِهِ كَانَتْهَا النَّوْرُ عَلَى قُضْبِهِ^(٣)
فَخَرًّا لِدهْرِ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَمُنْجِبٍ أَصْبَحْتَ مِنْ عَقْبِهِ^(٤)
إِنَّ الْأَمْسَى الْقِرْنُ فَلَا تُخَيِّهِ وَسَيْفُكَ الصَّيْرُ فَلَا تُفْنِيهِ^(٥)

(١) أخت : خبر مبتدأ محذوف : أى هى أخت ، ولبه : أحبيه ، يقول : هى أخت ركن الدولة الذى هو أبو عضد الدولة خير أمير دعا إلى نفسه ، فقال الجيش للمراح أحبيه : أى يدعو الجيش فيحبه بالسلاح . ويجوز أن يكون المعنى : أن عضد الدولة خير أمير دعاه جيش فقال للقنا: لب الجيش . يعنى أنه يجب الصارخ ويثبت للستيف .

(٢) يريد أن عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة وضرب لها للثل بالقلب واللب — أى العقل — فجعل اللب مثاله والقلب مثلاً لأبيه ، والقلب ، وإن كان أبا اللب — أى مصدره — إلا أن اللب أشرف من القلب ، فكذلك عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة ، وإن كان ركن الدولة أباه : قال ابن جنى : لولا حذف المتنبي ماجراً على هذا .

(٣) النور : الزهر ؛ والقضب : جمع قضيب . يقول : إن أبناء عضد الدولة زين لآبائه ، وليسوا بزین له هو ، لاستغنائهم بمزية علائهم عن أن يزين بأبنائهم : يعنى أن أبناءك يزينون آباءك كما يزين النور القضب .

(٤) غفراً : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، واللام فى قوله لدهر : لبيان الفاعلة ؛ كما فى قولهم : تباً لزيد ؛ وللمنجب : الذى يلد النجباء : وعقب الرجل : أولاده . يقول : ليفخر الدهر بكونك من أهله ، ليفخر أبوك الذى صار منجياً بكونك من عقبه .

(٥) الأسمى هنا : الحزن ، وهو مقصور مفتوح ، والقرن : من قارنك ومائلك فى السن أو القوة والشجاعة ؛ وبنا السيف : إذا لم يقطع ويعمل فى الضريبة . يقول : إن الحزن — أى حزن عضد الدولة على عمته — بمنزلة القرن المبالغ لك فلا تحيه بإعائته على نفسك : وأن الصبر الذى تغالب به الحزن بمنزلة السيف فلا تجعله نايًا كليلاً . أى لا تضعه فيغلبك الحزن .

مَا كَانَ عِنْدِي أَنْ بَذَرَ الدُّجَى يُوحِشُهُ الْفَقُودُ مِنْ شُجْبِهِ ^(١)
 حَاشَاكَ أَنْ تَضْمَعَ عَنْ حَمَلٍ مَا
 تَحْمَلُ السَّائِرُ فِي كُتْبِهِ ^(٢)
 وَقَدْ حَمَلْتَ الثَّقَلَ مِنْ قَبْلِهِ فَأَغْنَتِ الشَّدَّةُ عَنْ سَخْبِهِ ^(٣)
 يَدْخُلُ صَبْرُ الْمَرْءِ فِي مَذْهِهِ وَيَدْخُلُ الْإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ ^(٤)
 مِثْلُكَ يَنْبَنِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غُرْبِهِ ^(٥)
 إِنَّمَا لِإِبْقَاءِ عَلَى فَضْلِهِ إِنَّمَا لِنَسْلِيمٍ إِلَى رَبِّهِ ^(٦)

(١) جعله كالبدر ، وأهله وعشيرته كالنجوم حول البدر . يقول : ما كان ينبغي أن تغمض لفقد أحدهم لأن البدر يستغنى بنوره عن الكواكب .

(٢) أراد بالسائر : الذي حمل إليه الكتاب بوفاتها . يقول : حاشاك أن تضم عن حمل ما أطاق حمله الرسول : أى إذا كان الرسول أطاق حمل ذكر وفاتها فأنت أشد إطاقة له ، قال الواحدى : وهذا فى الحقيقة ضرب من المغالاة ، وإنما أراد تسكينه فوصل إلى ذلك من كل وجه :

(٣) يقول : إنك قد حمات الثقل من الأمور قبل هذا الحادث فأغثت قوتك عن جر ذلك الثقل — وذلك أن حامل الثقل إذا عجز عن حمله جره على الأرض ، كما قال عتاب بن ورقاء :

وَجَرَّهُ إِذْ كُلَّ عَنْ حَمَلِهِ وَنَفْسُهُ مِنْ حَفْظِهِ عَلَى شَفَا

واللحنى : أنك صبور على تحمل الشدائد فلا تجزع عن حمل هذا الرزء .

(٤) الإشفاق : الخوف والجزع ، والتلب ، التمسك ، التمسك — ثلثه : فمه وعابه . يقول : إن الصبر مما يمدح به الإنسان والجزع مما يعاب به . يريد : أن يحسن الصبر لديه ليرغب فيه ، ويقبح الجزع ليجتنبهه .

(٥) الصوب : القصد والناحية ؛ والغرب : مجرى الدمع . يقول : مثلك يقدر على صرف الحزن والتغلب عليه بالصبر إذا قصدك ؛ ومثلك يسترد الدمع عن مجراه إلى قراره .

(٦) إيماء : لغة فى إيماء . يقول : يفعل ذلك إيماء إبقاء على فضله لتلاخيص فضله بالجزع ، وإيماء لتسليم الأمر إلى الله ، ورعا وتقوى .

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أَخْفَى بِهِ سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشَبِّهِ^(١)

وقال في صباه يهجو القاضي الذهبي :

لَمَّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ أَبْنَاً لِغَيْرِ أَبٍ
مُمٌّ أَمْتَحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبٍ
سُمِّيتَ بِالذَّهْبِيِّ الْيَوْمَ تَسْمِيَةً
مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ لَا الذَّهَبِ^(٢)
مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتَ وَبِكَ بِهِ
يَا أَيُّهَا اللَّقْبُ الْمُلْقَى عَلَى اللَّقَبِ^(٣)

-
- (١) يقول : لم أعن بقولي : مثلك يثنى الحزن عن صوبه — إنساناً آخر غيرك .
لأنك الفرد الذي لا مثل له ، ولكن المثل قد يذكر في الكلام صلة ويراد به عين
ما أضيف إليه كقوله تعالى : « ليس كمثل شيء » — يريد إنما أردت نفسك لا غيرك .
- (٢) هذا البيت جواب لما في البيت الأول . يقول : لما لم يعرف لك أب ولم يكن
لك أدب تعرف به : سميت اليوم بالذهبي : أي أن هذه النسبة مستحثة لك ليست بموروثة
واشتقاقها من ذهاب العقل ، لا من الذهب : أي إنما قيل لك الذهبي لنهاب عقلك .
- (٣) وبك : هي وبلك ، حذف اللام لكسرة الاستعمال . يقول : إن الذي لقبك
به هو ملقب بك : أي أنت شين وعار للقبك ، فلقبك ملق على لقب — أي على عار
وخزي — قال الواحدى : ومثل هذا الكلام لا يستحسن ولا يستحق التفسير ولا يساوى
الشرح ، ولو طرح أبو الطيب شعر صباه من ديوانه كان أولى به ، وأكثر الناس لم يرو
هذه القطعة ولا القطعة التي أولها :

لقد أصبح الجرذ المستغير أسير المنايا سريع العطب

وقال يهجو وردان بن ربيعة الطائي ، وقد كان أبو الطيب نزل به في أرض
حِصَى مُنْصَرَفَه من مصر ؛ فاستفوى وردان عبيد أبي الطيب ، فجمعوا يسرقون له
من أمتعته ؛ فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه
وأمر النملان فأجهزوا عليه :

لَحَا اللَّهُ وَرَدَانَا وَأَمَّا أَنْتَ بِهِ
لَهُ كَسَبُ خَنْزِيرٍ وَخَرْطُومُ ثَعْلَبٍ^(١)
فَمَا كَانَ فِيهِ الْغَدْرُ إِلَّا دَلَالَةً
عَلَى أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمِّ وَالْأَبِ^(٢)
إِذَا كَسَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَنٍ عَرِيسِهِ
فَيَأْلُومَ إِنْسَانَ وَيَأْلُومَ مَكْسَبٍ^(٣)
أَهَذَا اللَّذِيًّا بِنْتُ وَرْدَانَ بِنْتُهُ
هُمَا الطَّالِبَانِ الرُّزْقَ مِنْ شَرٍّ مَطْلَبٍ^(٤)

(١) الخنزير يأكل العذرة ، وكذلك بنات وردان ، وهي دويبة كرهية الريح .
تألف الأماكن العذرة في البيوت - ولاتفاق الاسمين جملة كالخنزير في أكل العذرة ،
ويريد بقوله : له خرطوم ثعلب ، أنه نأى الوجه . فوجهه خرطوم الثعلب ، وهو أنه
ولفه ؛ ولجاء الله . قبحه ولعنه .

(٢) يقول : إن غدره بي دلالة على أنه ورث الغدر من أمه وأبيه : يعنى
أنهما كانا غادرين ، والغدر موروث له . لاعتى كلالته ؛ وأحسن من هذا ما رواه
ابن جني .

* على أنه فيه من الأم بالأب *

أى أن غدره بي دلالة على أن أمه غدرت فيه بأبيه ، فجاءت به لغير رشده .

(٣) المهن : الفرج - قرفه بأنه ديوث يقود إلى امرأته ويجعل ذلك كسباً له .

(٤) يقول - تجاهلاً واستهزاء - : أهذا هو الذى تنسب إليه بنت وردان -

لَقَدْ كُنْتُ أَنِنِي الْفَدَرَ عَنْ تَوْسٍ طَيِّءٍ
فَلَا تَعْذِلَانِي رَبِّ صِدْقٍ مُكَذَّبٍ (١)

هذه الحشرة الحفيرة القذرة ؟ - ثم قال : هو وهي يلتمسان الرزق من شر مطلب : هي تطلبه من الحشوش - أما كن العذرة - وهو يطلبه من هن عرسه . والذيا : تصغير الذي (٣) التوس والسوس : الأصل . يقول : لقد كنت أقول أن طيئاً لا تعذر وأن آباءهم ليسوا بخدارين ، فلا تلوماني إن قلت : إن هذا قد غدر لأنه ليس من الأصل الذي يدعى إليه من طيء . وقوله : رب صدق مكذب : يعني أنه كان صادقاً في نفي الغدر عن طيء وإن كذبه الناس لأجل وردان بادعائه أنه من طيء . يريد أنه صادق ، وأن وردان ليس من طيء .

قافية التاء

وأنفذ إليه سيف الدولة قول الشاعر :

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا
فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتْ^(١)

(١) الحلة : الحاجة والفقر ، ويقال : في الدعاء للبيت : اللهم اسدد خلته : أى الثمة التى ترك . وأصله من التخلل بين الشيئين . قال الأصمى : يقال للرجل إذا مات له ميت اللهم اخلف على أهله ، واسدد خلته : يراد الفرجة التى ترك بعده من الخلل الذى أبقاه فى أموره ، وفى المثل . الحلة تدعو إلى السلة ، والسلة : السرة . ورجل محل ومخل وأخل وخليل : معدم فقير ؛ قال زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالى ولا حرم

يعنى بالخليل المحتاج الفقير المحتل الحال ، والحرم : الممنوع ، وقوله : من حيث يخفى مكانها يريد : من حيث لا يدركها لحاظ غيره ، وقد أدمج فى هذه الكلمة نزاهة نفسه وصيانة عرضه . وقوله : فكانت قذى عينيه : أبرع كلمة فى معنى الاهتمام بالحاجة ، وتجلت انكشفت وزالت ، والقذى : ما يقع فى العين من غبار ونحوه ، والبيت لعبد الله ابن الزبير الأسدى وقبله :

سأشكرُ عمرًا ما تراخت منيتي أيا دى لم تمنن وإن هى جلت

فنى غيرُ محبوبٍ الفنى عن صديقه ولا مظهرُ الشكوى إذا النمل زلت^(١)
قيل أنه زار عمرو بن عثمان بن عفان يوما ، فنظر عمرو فرأى تحت ثيابه ثوباً رثاً - وهذا هو مغزى قوله : رأى خلقى من حيث يخفى مكانها * فدعى وكيله وقال

(١) قوله سأشكر : فإن العرب تستعمل السين إذا أرادت تكرار الفعل وتأكيداً ولا تريد التنفيس فيه ، ولم تمنن : لم يتبعها من ؛ وزلت نعله : يريد زلت قدمه فى مزلق الدهر فلا يجد مركباً بقيه مصرع السوء .

وسأله إجازته ، فقال أبو الطيب والرسول واقف ارتجالاً :

لَنَا مَلِكٌ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ هُمُ تَمَاتُ لَحْيٌ أَوْ حَيَاةٌ لِمَيِّتٍ ^(١)
وَيَكْذِبُ أَنْ تَقْذَى بَشْيُهُ جُفُونُهُ إِذَا مَا رَأَتْهُ خَلَّةٌ بِكَ فَرَّتْ ^(٢)
جَزَى اللَّهُ عَنِّي سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ فَإِنَّ نَدَاهُ الْغَمْرَ سَتَيْفِي وَدَوْلَتِي ^(٣)

وقال في صباه عند وداعه بعض الأمراء :

أَنْصُرْ بِجُودِكَ الْفَاطِمَةَ تَرَكَتُ بِهَا

فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَنْ عَادَاكَ مَكْبُوتًا ^(٤)

اقترض لنا مالا ، فقال: هيات . ما يعطينا التجار شيئاً . قال: فأرجعهم ماشاءوا ، فاقترض له عشرة آلاف درهم . فوجه بها إليه مع تحت ثياب فقال هذه الأيات .
(١) هم : مبتدأ ، ومات : خبر ، ويطعم : يذوق . يقول : لنا ملك لا يذوق النوم ، إذ ليس بصاحب لهو ، وإنما هم الحرب والجلود ؛ فميت بقتاله الأعداء ، ويحيى بنوالة الأولياء .

(٢) هذا كارد على قوله : فكانت قذى عينه . يقول : هو أكبر من أن تقذه جفونه — أى يتأذى بشيء — فمضى رآته خلة فرت وزالت ولا تمكث حتى يراها ويقذى بها : أى أن صاحب الخلة متى رأى هذا الملك — سيف الدولة — استغنى بتأميله قبل أن يرى خلته ، ومن ثم كان أكبر من أن يرى شيئاً يتأذى به .

(٣) حذف مفعول جزى للتعميم : أى جزاء عنى كل خير ، ونداء : أى جوده ، والغمر : الكثير ، وماء غمر : كثير مغرق ، ويقال رجل غمر الرداء وغمر الخلق : أى واسع الخلق كثير المعروف سخى ، وإن كان رداؤه صغيراً قال كثير :

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقَتْ لِمُضْحَكْتِهِ رِقَابُ الْمَالِ

وكله على المثل :

(٤) مكبوتاً ذليلاً . قال الجوهري : السكبت : الصرف والإذلال . يقال : كبت الله العدو : أى صرفه وأذله ، وكبته : أى صرعه لوجهه . وفي القرآن الكريم « كبتوا كما كبت الذين من قبلهم » . وفيه أيضاً « أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » وقال الفراء : كبتوا أى غيظوا وأحزنوا يوم الحندق كما كبت من قاتل الأنبياء قبلهم . قال الأزهرى : وقال

فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مَرْتَحَلِي وَذَا الْوَدَاعُ فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِيتَا^(١)

وقال مرتجلا يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي :

فَدَنَّاكَ أَتْلِيلُ وَهِيَ مُسُومَاتُ وَبَيْضُ الْمِينِدِ وَهِيَ مَجَرَّدَاتُ^(٢)

وَصَفْتُكَ فِي قَوَافٍ سَائِرَاتٍ وَقَدْ بَقِيَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ صِفَاتُ^(٣)

أَفَاعِيلُ الْوَرَى مِنْ قَبْلُ دُهُمُ وَفِعْلُكَ فِي فِعَالِهِمْ شِيَاتُ^(٤)

من احتج للفراء : أصل الكبت : الكبد ، قلبت الدال تاء — أخذاً من الكبد وهو معدن الغيظ والأحقاد — فكان الغيظ لما بلغ بهم مبلغه أصاب أكبدهم فأحرقها. ولهذا قيل للأعداء : هم سود الأكباد . يقول : انصر بغطايك قصائدني التي مدحتك بها والتي غاظت أعداءك في الشرق والغرب حتى تركتهم أذلاء . ومن نصره إياها أن يصدقها فيما وصفه به من الجود ويعطيه حتى يزيده منها .

(١) نظرتك : أي انتظرتك ؛ والمرتحل : الارتحال . يقول : لقد انتظرت عطاءك حتى قرب ارتحالي عنك ، وهذا وقت وداعي إياك فاختر : إما أن تجود فتكون أهلاً للمدح ، أو تمنع وتحمي فتكون أهلاً للذم . وهذا كقول أحمد بن أبي فنن :

حَانَ الرَّحِيلُ قَدْ أَوْلَيْنَا حَسَنًا وَالْآنَ أَخْوَجَ مَا كُنَّا إِلَى زَادِ

(٢) مسومات : معلمات بعلامات تعرف بها . يقول : فدتك الخيل والسيوف في الحرب حتى تغني هي وتبقى أنت ، إذ يبقى الخير لنا ما بقيت .

(٣) فاعل كثرت : ضمير انقوافي ، وفاعل بقيت : صفات . يقول : لقد وصفتك بقصائد كثيرة ، يد أنه — مع كثرتها — بقيت صفات لك لم أحط بها .

(٤) أفاعيل : جمع أفعال ، جمع فعل ، والدم : السود ، والشيات : جمع شية ، وهي لون يخالف بقية لون الجلد كالغرة والتحجيل . يقول : إن أفعال الناس من قبلك سود بالقياس إلى فعلك ، وفعلك متميز منها تميز الشية من اللون الأسود : أو هي — أفعالهم — تزين بفعلك تزين الأدم بالغرة والتحجيل — كمال يقول أبو تمام :

قَوْمٌ إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا فِيهِ وَغُودِرَ وَهْوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ

وقال يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران :

سِرْبٌ مُحَاسِنُهُ حُرِمْتُ ذَوَاتِهَا ذَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا^(١)
أَوْفَى فَكُنْتُ إِذَا رَمَيْتُ بِمُقْلَتِي بَشْرًا رَأَيْتُ أَرْقَى مِنْ عِبْرَاتِهَا^(٢)
يَسْتَأْقُ عَيْسَهُمْ أَنِ بِنِي خَلْفَهَا تَتَوَهَّمُ الزَّفَرَاتِ زَجَرَ حَدَاتِهَا^(٣)
وَكَانَهَا شَجَرٌ بَدَتْ لِكِنِّهَا شَجَرٌ جَنَيْتُ الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا^(٤)

ومعنى البيت من قول أبي تمام أيضاً :

حتى لو أن الليالي صُوِّرَتْ لَفَدَتْ أفعاله الغرُّ في آذانها شَفَنَا^(١)

(١) السرب : القطيع من الظباء والقطا وما إليهما ، والمراد هنا : جماعة النساء ، وسرب : خبر مبتدأ مخوف : أى الذى اشتاقه أو أصفه مثلاً ، وذواتها : صواحبها . يقول : إن هذا السرب قد حرمت ربات محاسنه لما حيل بينى وبينهن ، وهو قريب الصفات لأن صفاته — أى محاسنه — لا تزال نصب عيني وطى ذكر منى ، ولكن الموصوفات بهذه الصفات — أى أشخاص النساء — بعيدة عني .

(٢) أوفى : أى السرب : أى أشرف ، والبشر : جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد . يقول : إن هذا السرب أشرف على — لما سار — من مكان عال ، أو علا هوادجه للمسير ، فكان بصري إذا وقع على بشرته رأى شيئاً أرق والطف من دموع القلعة ، ولك أن تجعل الضمير فى عبراتها : للبشر . ويراد بالعبرات : العرق الذى يسيل من البشرة ، ويكون المراد أنهم عرقن من الجهد والإعياء ، وروى الخوارزمي : نشزا ، وهو ما ارتفع من الأرض . يقول : إذا نظرت إلى النشز الذى أوفى عليه السرب رأيتَه لطول البعد كأنه سراب ؛ والسراب أرق من العبرات . ويكون الضمير للمقلة .

(٣) يستاق : يسوق . والعيس : الإبل ، والحداد الذين يسوقون الإبل . يقول : إن الإبل كانت تسمع أنينى خلفها فتسرع فى سيرها لأنها تظن زفراتى أصوات الحداة تزجرها لتسرع ، فسائقها — على الحقيقة — أنينى وزفراتى .

(٤) العرب تشبه الإبل عليها هوادجها بالنخل والشجر والسفن .

(١) الشنف كفلس — وحرکه ضرورة — ما يعلق فى أعلى الأذن

لَا سِرَتْ مِنْ إِبْلِ لَوَائِي قَوْفَهَا
وَحَمَلْتُ مَا حَمَلْتُ مِنْ هَذِي الْمَا
لَمَحَتْ حَرَارَةُ مَذْمَعِي سِمَاتِهَا^(١)
وَحَمَلْتُ مَا حَمَلْتُ مِنْ هَذِي الْمَا
لَأَعِفُّ عَمَّا فِي سِرَاوِيلَاتِهَا^(٢)
إِنِّي عَلَى شَفْنِي بِمَا فِي خُرْمَا

يقول : كَانَ هذه الإبل شجر ، يَدُ أُنَى جَنِيَتِ المَوْتِ مِنْ ثَمَرَاتِهَا ، لِأَنَّهَا كَانَتْ سَبَبَ فِرَاقِ أَجْبَتِهِ ، وَرَوَى ابْنُ جَنَى : بَلَوْتُ اللَّرَّ مِنْ ثَمَرَاتِهَا . وَبَلَوْتُ : اخْتَبَرْتُ وَذُقْتُ وَهَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ

(١) لَا سِرَتْ : دَعَاءٌ ، وَمِنْ إِبْلِ . تَمْيِيزٌ : وَقَوْلُهُ لَمَحَتْ : مِنْ الْهَوِّ ؛ وَاللَّامُ : جَوَابُ لَوْ . وَالْمَدَامُ فِي الْأَصْلِ : مَجْرَى الدَّمْعِ مِنَ الْعَيْنِ ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا : الدَّمْعُ وَالسَّاتُ : جَمْعُ سَمَةٍ ، وَهِيَ أَثَرُ الدَّكِيِّ عَلَى الْجِلْدِ . يَدْعُو عَلَى الْإِبْلِ أَنْ لَا تَسِيرَ لِأَنَّهَا فَرَقَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَحِبُّ ، ثُمَّ قَالَ : وَلَوْ كُنْتُ مِنْ رِكَابِ هَذِهِ الْإِبْلِ لَكَانَتْ حَرَارَةُ دَمِي تَمْحُو آثَارَ وَسْمِهَا ، وَقَوْلُهُ : لَوَائِي : حَرَكَةُ الْوَاوِ السَّاكِنَةِ مِنْ لَوْ بِحَرَكَةِ الْهَمْزَةِ وَحَذْفِهَا وَهُوَ كَثِيرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي كَلَامِهِمْ

(٢) الْمَا : بَقَرُ الْوَحْشِ ، وَالْمُرَادُ : الْفَسَاءُ لِلشَّيْبَاتِ بِأَلْفَا حَسَنَ عِيُونِهِنَّ . وَهَذَا دَعَاءٌ أَيْضًا . يَدْعُو أَنْ يَكُونَ حَامِلًا مَا حَمَلَتْهُ هَذِهِ الْإِبِلُ مِنَ الْجَائِبَاتِ ، وَأَنْ تَحْمِلَ الْإِبِلُ مَا حَمَلَهُ هُوَ مِنْ حَسَرَاتِ فِرَاقِهِنَّ .

(٣) الْحَجَرُ : جَمْعُ خَمَارٍ . وَهُوَ مَا تَقَطَّى بِهِ الْمَرَأَةُ رَأْسَهَا ، وَالسَّرَاوِيلَاتُ : جَمْعُ سَرَاوِيلٍ ، فَارْسِيٌّ مُعَرَّبٌ ، وَهُوَ ذَلِكَ الْبَاسُ الَّذِي يَسْتُرُ النِّصْفَ الْأَسْفَلَ مِنَ الْجَسْمِ . وَقَالَ سَيُيُوبُهُ : سَرَاوِيلٌ وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ أَعْجَمِيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ ، فَأَشْبَهَتْ مِنْ كَلَامِهِمْ مَا لَا يَنْصَرِفُ فِي مَعْرِفَةٍ وَلَا فِكْرَةٍ ، فَهِيَ مُصْرُوفَةٌ فِي النِّكَرَةِ ، وَإِنْ سَمِيتُ بِهَا رِجَالًا لَمْ تَنْصَرِفْ ، وَكَذَلِكَ إِنْ حَقَرْتُهَا اسْمَ رَجُلٍ ، لِأَنَّهَا مُؤَنَّثَةٌ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ مِثْلَ عَنَاقٍ ؛ وَمِنْ النُّحَوِيِّينَ مَنْ لَا يَنْصَرِفُ فِي النِّكَرَةِ . وَيَزْعَمُ أَنَّهَا جَمْعُ سَرَوَالٍ وَسَرَوَالَةٍ ، وَيَنْشُدُ :

عَلَيْهِ مِنَ اللَّؤْمِ سِرْوَالَةٌ فَلَيْسَ يَرِقُّ لِمُسْتَعْطِفٍ^(١)

(١) قِيلَ : إِنَّ هَذَا الْبَيْتَ مُصْنُوعٌ وَقِيلَ قَائِلُهُ مَجْهُولٌ : قَالَ السِّيرَافِيُّ : سِرْوَالَةٌ : لَفْظٌ فِي السَّرَاوِيلِ . وَقَوْلُهُ مِنَ اللَّؤْمِ : كَانَ فِي الْأَصْلِ صِفَةً لِسِرْوَالَةٍ . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ صَارَ حَالًا مِنْهُ وَاللَّؤْمُ : شَحُّ النَّفْسِ وَدَنَاءَةُ الْآبَاءِ .

وَتَرَى الْفُتُوَّةَ وَالْمُرُوَّةَ وَالْأُبُوَّةَ فِي كُلِّ مَلِيحَةٍ ضَرَاتِهَا^(١)

ويجتمع في ترك صرفه بقول ابن مقبل يصف اثور الوحشي :
أَتَى دُونَهَا ذَبُّ الرِّيَادِ كَأَنَّهُ فَتَى فَارِسِيٌّ فِي سِرَاوِيلَ رَامِحٍ^(٢)
قال صاحب ابن عباد : كان الشعراء يصفون للآزر تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ؛
حتى تغطي هذا الشاعر للطبوع . . . إلى التصريح . . . وكثير من العهر عندى
أحسن من هذا العفاف . قال بعضهم : هذا مما عابه الأصحاب على المتنبي . . . ، وإنما قال
للمتنبي عما في سرايلاتها ؛ جمع سربال ، وهو القميص ، وكذا رواه الخوارزمي . يريد
للمتنبي : إن مع حبي لو جهن أعف عن أبدانهم ، ومثله لنفطويه — أحد أئمة النحو
وتليذ ثلمب — :

أَهْوَى النِّسَاءَ وَأَهْوَى أَنْ أَجَالِسَهَا وليس لي في خَنَا مَا يَبِينُنَا وَطَرُ
وما أروع قول الباس بن الأحنف :

لَا يُضِيرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفُّ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقُ النَّظَرِ
(١) كل مليحة : فاعل ترى ، والفتوة وما عطف عليها : مفعول أول ترى ؛
وضراتها : مفعول ثان . والفتوة : الكرم والسخاء ، والروة والروءة الإنسانية ،
والأبوة هنا الأئمة وعزة النفس والأبوة أيضاً : الآباء — مثل العمومة والحوولة — وكان
الأصمعي يروي قول أبي ذؤيب :

لَوْ كَانَ مِدْحَةٌ حَتَّى أَنْشَرْتُ أَحَدًا أَحَبُّ أَبَوَتِكَ الشَّمِ الْأَمَادِيحِ
وغیره بروه .

• أَحْيَا أَبَا كُن بِالْيَلَى الْأَمَادِيحُ

يقول : إن هذه المعاني تحول بينه وبين الخلوة بالحسان فكأنها ضرائر لمن ، وقد
زاد ذلك تبياناً في البيت التالي .

(٢) الضمير في دونها : لأتاه ، ودون : بمعنى قدام ؛ وذب الرياد : اثور الوحشي ؛
قال القالي : يقال فلان ذب إذا كان لا يستقر في موضع ؛ ومنه قيل للثور الوحشي :
ذب الرياد . شبه الشاعر ما على قوائم اثور الوحشي من الشعر بالسراويل — وهو من
لباس القيس — ولذا شبهه بقى فارسي وشبه قرنه بالرمح ، ولذا قال رامح .

هُنَّ الثَّلَاثُ الْمَانِمَاتِي لَدَنِي فِي خَلَوَتِي لَا انْخَوْفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا ^(١)
وَمَطَالِبِ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتُهَا ثَبَتَ الْجَنَانِ كَأَنِّي لَمْ أَتِهَا ^(٢)
وَمَقَانِبِ بِمَقَانِبِ غَادَرْتُهَا أَقْوَاتَ وَخَشْيَ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا ^(٣)
أَقْبَلْتُهَا غَرَّرَ الْجِيَادُ كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبْهَاتِهَا ^(٤)
الْثَّابِتِينَ فَرُوسَةً كَجُلُودِهَا فِي ظَهْرِهَا وَالطَّمَنُ فِي لَبَّاتِهَا ^(٥)

(١) يقول : إن الفتوة وما بعدها هي التي تكفه عن لذاته في خلوته لاخوفه من عواقب هذه اللذة : يعنى أنه لو لم يكن للذة عواقب آتية يخشاها لاجتنبها بما طبع عليه من الفتوة والروءة والأفئدة . قال المكبرى : وهذا من قول الحكيم : النفوس المتجوهرة ترك الشهوات البهيمية طبعاً لا خوفاً أقول : وفيه شيخ المعة إذ يقول : - وإن كان أعجب وتفعّل النفس الجميلَ لأنه خيرٌ وأفضلُ لأجل ثوابها

(٢) الواو : واو رب ، والجنان القلب . يقول : رب مطالب فيها الهلاك أتيتها وقلبي هو هو على حاله لم يتغير كأنني لم آتيتها ولم أر أهوالها . يصف نفسه بالشجاعة ورباطة الجأش وأنه لا يبالى بالأخطار .

(٣) المقاب : جمع مقنب - الطائفة من الخيل تجتمع للفارة ، وغادرتها : تركتها ، وأقوات : مفعول ثان لغادرتها . يقول : ورب جيش من الفرسان لقيته بمثل من صحبي فتركته قوتاً للوحوش التي كانت قوتاً له ، يصيدها ويذبحها ويأكلها ، وجمع الوحش على عادة العرب في أكلهم مادب ودرج .

(٤) أقبلتها : أى المقاب التي أهلكها : يقال أقبلته الشيء : أى وجهته إليه وجعلته قبالة مما يليه ، والفرر : جمع غرة ، وهى البياض يكون في وجه الفرس ، والأيدى هنا النعم . شبه بياض غرر خيله بنعم للمدوحين ، ويد النعمة توصف بالبياض مجازاً . وقد جرت العادة في جمع يد النعمة بالأيدى وفي يد العضو بالأيدى ، ولكن التنبي وضع هذه مكان تلك في موضعين : أحدهما هذا البيت . . . وقال ابن القطاع - في قوله أقبلتها غرر الجياد : جعلتها تقبل غرر جيادها التي أوصلتهم إلى أعدائهم وشفّت صدورهم منهم كأنها أيدى بنى عمران المعتادة التقبيل ، ويقال أقبلت الرجل يد فلان : أى جعلته يقبلها . وفي البيت من البديع حسن التخلص كما ترى .

(٥) يصفهم بالإقدام والشجاعة والحدق بركوب الخيل ، يقول : إنهم يثبتون في ظهور الخيل ثبات جلودها عليها حال كونهم في معمرة الحرب والطمعن متابع في لباتها ،

الْعَارِفِينَ بِهَا كَمَا عَرَفْتَهُمْ وَالرَّاكِبِينَ جُدُودَهُمْ أُمَاتِهَا^(١)
فَكَأَنَّمَا تُنْجَتُ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وَلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا^(٢)

وفروسة أى — أى حذقا — تميز ، والتابطين : فى موضع خفض على النعت أو البدل من بنى عمران ، ويجوز أن يكون فى موضع نصب على المدح ؛ ومن روى والطنن — بالرفع — فالواو واو الحال ، ومن رواه بالخفض فمعناه يثبتون فى ظهورها ثبوت الطنن ؛ والتقدير: كبلودها كالطنن : واللبات جمع لبة ، وهى النحر .

(١) كان الوجه أن يقول والراكب جدودهم أماتها : أى والذين ركب جدودهم أماتها ، إلا أن هذا على لغة من يقول : قاموا إخوتك وذها أخواك ، والأمات : جمع أم لما لا يقل ، وتجمع للعائل أمهات ، هذا هو الغالب ، ويجوز العكس . قال الواحدى : **والذى يذكره الناس فى معنى البيت أن هذه الخيل تعرفهم وهم يعرفونها ، لأنها من تتأبجهم تناسلت عندهم ، فجدود المدوحين كانوا يركبون أمهات هذه الخيل ؛ وسباق الأيات قبله يدل على أنه يصف خيل نفسه لاخليل المدوحين بنى عمران — وهو قوله : أقبلتها غرر الجياد — وإذا كان كذلك لم يستقم هذا المعنى ، إلا أن يدعى مدع أنه قاتل على خيل المدوحين فإنهم يقدون الخيل إلى الشعراء . قال ابن فورجه : **والذى عندي أنه يصف معرفهم بالخيول ولا يعرفها إلا من طال مراسه لها ، والخيول تعرفهم أيضاً لأنهم فرسان . هذا كلامه . ولم يوضح ما وقع به الإشكال ، وإنما يزول الإشكال بأن يقال الجياد اسم جنس فى قوله : غرر الجياد أراد جياد نفسه ، وفيما بعده أراد جياد المدوحين . والجياد هم الخيلين جميعاً . وقوله : والراكبين جدودهم أماتها : يريد أن جدودهم كانوا من ركاب الخيل ، يعنى أنهم عريقون فى الفروسية طالما ركبوا الخيل ، فهذه الخيل مما ركب جدودهم أمهاتها . ويشبه هذا قول شيخ المعرة :****

يا ابن الألى غير زجر الخيل ما عرفوا إذ تعرفُ العربُ زجر الشاء والعكر
« العكر : جمع عكرة : القطعة من الإبل : أى أنهم ملوك ما اعتادوا إلا ركوب الخيل وزجرها ولم يكونوا رعاة شاء وإبل . »

(١) **هجت** — بالباء للمجهول — ولدت ، قال الأزهري: يقال تنجت الناقة إذا ولدت فى متوجة ؛ وأتجت إذا حملت ، فهى تتوج ، ولا يقال متج ، وتنجت الناقة : إذا ولدتها ؛ والناجم للإبل كإقابلة للنساء ، وعبرة الجوهرى فى الصحاح : تنجت الناقة على

إِنَّ الْكِرَامَ بِلَا كِرَامٍ مِنْهُمْ مِثْلُ الْقُلُوبِ بِلَا سُيُودَاوَاتِهَا^(١)
تِلْكَ النَّفُوسُ النَّالِيَاتُ عَلَى الْعَلَى وَالْمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا^(٢)
سَقِيَتْ مَنَابِتُهَا الَّتِي سَقَتْ الْوَرَى بِيَدَيَّ أَبِي أَيُّوبَ خَيْرَ نَبَاتِهَا^(٣)

مالم يسم فاعله تنبت ، وقد تنبت أهلها : تنجا . قال الكمي :

وقال المذمرُ لِلنَّاتِحِينَ مَتَى ذُمِّرَتْ قَبْلِي الْأَرْجُلُ^(١)

والتوج من الخيل وجميع الخافر الحامل ، وقد أتجت . وبعضهم يقول : تنبت ، وهو قليل ؛ أما ابن الأعرابي فقد قال تنبت الفرس والناقة : ولدت وأتجت : دنا ولادها ، كلاهما فعل مالم يسم فاعله - ولم أسمع تنبت ولا أتجت على صيغة فعل الفاعل . . والصهوة : مقعد الفارس . يقول : كأن الخيل ولدت تحتم قائمة مستعدة للجري ؛ وكأنهم ولدوا راكبين على ظهورها يصفهم بطول إلفهم للفروسية وطول مراسهم ركوب الخيل .

(١) السويداوات جمع سويداء - حبة القلب - يقول . إن الكرام من الخيل إذا لم يكن عليها فرسان من هؤلاء المدوحين كالقلب دون سوداء . وقال بعض الشراح : ينى أنهم زبدة الكرم ولبابه . فهم من الكرام بمنزلة السويداء من القلب .

(٢) يقول : إنهم يغلبون الناس على العلى فيحزونها دونهم ، والمجد يغلبهم على شهواتهم ؛ فلا يمكنهم من الشهوات المركبة في بني آدم خشية العيب والشين .

(٣) أراد بمنابت هذه النفوس : آباء المدوحين ، وجعل أبا أيوب أكرم نبات تلك للنبات : يعنى أن نفسه أشرف هذه النفوس . ولما جعلهم منابت أثبت لهم السقيا التي تحيي الأرض ، وجعل النبات يسقى للنبات على عكس العادة تقننا وإغرابا في الصنعة . يقول : إن آباء المدوحين الذين أحيوا الناس بجودهم قد حي مجدهم بجود هذا المدوح الذي هو خير أبنائهم . وروى بدل يدي : بندي - بالنون - وعبرة ابن جني : لا أزال لله ظله عن أهله وذويه . قال ابن فورجه : ليس الغرض أن يدعو لقومه بدوام إفضاله عليهم ، ولكن الغرض تعظيم شأنه وعظاته .

(١) المذمر : الذي يدخل يده في حياء الناقة لينظر أذكر جنينها أم أنثى ؟ متى بذلك لأنه تلمس المذمر فيعرف ما هو . والمذمر : هو الكاهل والعنق وما حوله إلى الذفرى . وهو الذى يذمره المذمر . يقول الكمي : إن التذمير إنما هو في الأعناق لا في الأرجل .

رَعَدُ الْفَوَارِسِ مِنْكَ فِي أَبْدَانِهَا أَجْرَى مِنَ الْعَسَلَانِ فِي قَنَوَاتِهَا^(١)
لَا خَلْقَ أَنْتُمْحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ
بِكَ رَأَى نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا^(٢)

كان قويا كالقارح من الخيل . وقال ابن القطاع : المعنى ليست قوائم هذه الخيل من الآلات وراءك : أى ليست مما يكون خلفك فتطردك .

(١) الرعد : جمع رعدة ، والعسلان : الاهتزاز والاضطراب ؛ والقنوات - جمع قناة - الرمح . يقول : إن الارتعاد في أبدان الفرسان من جراء خوفك أظهر وأسرع جريا من الاهتزاز في رماحهم .

(٢) راء : مقلوب رأى ، كما قالوا : ناء ونأى . يقول ليس أحد أسمع منك إلا من كان عارفا بك وبما طبعك الله عليه من الكرم والجود ثم رآك ولم يسألك أن تهبه نفسك ، إذ لو سألك إياها لجدت بها ، فكان تركها لك جودا عليك بها ، وهذا من قول أبى تمام :

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتيق الله سائله

وإليك تحفة نحوية للعلامة العكبرى أوردها مناسبة قول المتنبي : لا خلق : قال العكبرى : ذهب البصريون إلى النكرة التى مع لا مبنية على الفتح كقولك لا رجل فى الدار ، وتقديره : لا من رجل ، فلما حذف «من» من اللفظ وركبت مع لا : تضمنت معنى الحرف ، فوجب أن يبنى ، وبنيت على حركة لأن لها حالة تمكن قبل البناء ، وبنيت على الفتح لأنه أخف الحركات . وذهب أصحابنا إلى أنها نكرة معربة منصوبة بلا ، وحجتنا أنه اكتفى بها عن الفعل ، لأن التقدير فى قولك : لا رجل فى الدار ، أى لا أجد رجلا ، فاكثفوا بلا : من الفعل العامل ، كقولك : إن قتلت وإلا فلا ؛ تقديره وإن لم تقم فلا أقوم ؛ فلما اكتفوا بلا من الفعل العامل : نصبوا النكرة به ، وحذفوا التنوين بناء على الإضافة ، ووجه آخر : أن «لا» تكون بمعنى غير : كقولك زيد لا عاقل ولا جاهل : أى غير عاقل وغير جاهل ، فلما جاءت هنا بمعنى ليس نصبوا بها ليخرجوها من معنى «غير» إلى معنى «ليس» ووجه آخر : إنما عملوها النصب لأنهم لما أولوها بالنكرة - ومن شأن النكرة أن يكون خبرها قبلها ، نصبوا بها من غير تنوين لما حدث فيها من التغيير . كما رفعوا النادى بغير تنوين لما حدث فيه من التغيير . . . ويقال : هات يا رجل ، بكسر التاء أى

غَلَّتِ اللَّذِي حَسَبَ الْعُشُورَ بِآيَةٍ تَرْتِيلُكَ الشُّورَاتِ مِنْ آيَاتِهَا^(١)
 كَرَّمٌ تَبَيَّنَ فِي كَلَامِكَ مَائِلًا
 وَبَيَّنَ عَتَقُ الْخَيْلِ فِي أَصْوَاتِهَا^(٢)
 أَعْيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحَلِّ نِلْتَهُ
 لَا تَخْرُجُ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا^(٣)

أعطى ، وللاثنين هاتيا : مثل آتيا ، وللجمع هاتوا ، وللرأهاتيا بالياء وللمرأتين هاتيا وللنساء هاتين مثل عاطين . وتقول هات لا هاتيت وهات ، إن كانت بك مهاتاة ، وما أهاتيك . كما تقول ما أعاطيك ، ولا يقال منه هاتيت ولا ينهى بها . وقال الخليل : أصل هات من آتى يؤاتى . قلبت الألف هاء .

(١) غلت : هو غلظ ، يقال فى الحساب خاصة . والعشور : جمع عشر - بفتح العين - الطائفة المعروفة من القرآن الكريم تقرأ مرة واحدة . والترتيل : التبيين فى القراءة وبآية : متعلق بظلت ؛ وترتيلك : مبتدأ ؛ ومن آياتها : خبره ؛ والجملة استئنافية . يقول إن الذى عد أعشار القرآن قد غلظ وفاته آية لم يعدها ، وهى ترتيلك للسرور ، فإن هذا الترتيل معجزة فى الإتقان وحسن الأداء : فهو آية من الآيات ينبى أن تلحق بآيات التنزيل فيزيد آية إلى آياته ، ومعجزة إلى معجزاته .

(٢) مائلا : ظاهرا : والعقيق : الكرم ؛ وعتقت الفرس تعتق وعتقت عتقا : سبقت الخيل فنجت ، وفرس عاتق : سابق ، ورجل متاق الوسيقة إذا طرد طريدة سبق بها وأنجاها ، وفرس متاق الوسيقة . قال الأصمى : وهو الذى إذا طرد عليه طريدة أنجاها وسبق بها . قال أبو المثلث يرثى صخرًا :

حامى الحقيقة نَسَّالَ الْوَدِيقَةَ مَعْتَاقُ الْوَسِيقَةِ لَانِكْسَ وَلَا وَاىَ

« الوسيقة : القطيع من الإبل يطردها الطارد » يقول : من سمع كلامك عرف منه كرمك وطيب عنصرك ، كما أن الفرس الكريم إذا سهل عرف عتقه بصهيله . وإنما يعرف كرمه من كلامه ؛ لأن كلامه يدور على أمر بالعطاء ووعد بالإحسان وما إلى ذلك مما يدل على طيب أعراقه ومحاسن أخلاقه .

(٣) أعيا الشيء : أعجز طالبه . والهالة ، الدائرة حول القمر . يقول : لقد بلغت مكانا عليا من المجد والشرف ، فأنت فيه كالقمر فى علو المنزلة وهولك كالهالة . فلست تزايله ،

لَا نَعْذُلُ الْمَرَضَ الَّذِي بِكَ شَائِقٌ
 أَنْتَ الرَّجَالِ وَشَائِقٌ عِلَاتِهَا^(١)
 فَإِذَا نَوَتْ سَفَرًا إِلَيْكَ سَبَقْتَهَا فَأَصَفْتَ قَبْلَ مُضَافِهَا حَالَاتِهَا^(٢)
 وَمَنَازِلُ الْحُمَى الْجُسُومُ فَقُلْ لَنَا مَا عُذِرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا^(٣)
 أَعْجَبَتْهَا شَرَفًا فَطَالَ وَقُوفُهَا لِتَأْمُلِ الْأَغْضَاءَ لَا لِأَذَاتِهَا^(٤)

كما أن القمر لا يزال هائته . قال النراج : وجمع القمر - وإن كان في المعنى واحداً - باعتبار ظهوره في كل شهر ، فحسن الجمع .

(١) شاقه : حمله على الشوق، وشائق : خبر مقدم ، وأنت : مبتدأ مؤخر ، والرجال مفعول شائق ، والتقدير : أنت شائق الرجال وعلاقتها . يقول : لاناوم المرض الذي ألم بك ، لأنك أنت تشوق الرجال وتشوق علاقتها : يعنى أن المرض الذي بك لا يلام على إسمائه بك . فإنك شوقت الرجال إلى زيارتك وشوقت علاقتها أيضاً ، فهي تزورك مثلهم وتنقل إليك عنهم شوقاً إليك . قال العكبرى : وقد كان المدوح مريضاً حين مدحه المتنبى بهذه القصيدة .

(٢) المضاف : مصدر بمعنى الإضافة : يقول : إذا نوت الرجال السفر إليك سبقتها علاقتها فجاءت قبلها شوقاً فأصفت حالات الرجال - أى علاقتها المذكورة - قبل أن تضيفهم ، لأنها وصلت إليك قبلهم . ويروى بدل سبقتها - بالنون - سبقتها - بالتاء - يعنى إذا أراد الرجال سفراً إليك : سبقتها بإضافة أحوالها قبل إصافتك إياها : يريد إقامة العذر للمرض الذي نزل به . وقال ابن القطاع : معناه إذا نوت الرجال سفراً إليك أعددت لها أموراً ، فكأنك ضيفت أحوالها قبل نزولها بك .

(٣) خيراتها . جمع خيرة مؤنث خير أى أفضل ، والضمير للجسوم . يقول : إن الحمى إنما تنزل على الأجسام ، فإذا تركت جسمك - الذى هو أفضل الأجسام - وألمت بغيره فما عذرهما فى ذلك ؟ « هذا » ويقال حمى وحة . قال الضباب بن سبيع لعمرى لقد برّ الضباب بنوه و بعض البنين حمة وسعال

(٤) يقول : لقد أعجبت الحمى بما رأيت فيك من خصال الكرم والشرف فأطالت إقامتها بك لتأمل أعضائك المشتملة على تلك الخصال ، لا لتؤذيك . والأذاة : مصدر

وَبَذَلَتْ مَا عَشِقْتُهُ نَفْسُكَ كُلَّهُ حَتَّى بَذَلَتْ لِهَذِهِ صِحَّتَهَا^(١)
 حَقُّ الْكُؤَاكِبِ أَنْ تَزُورَكَ مِنْ عَلٍ
 وَتَقُودَكَ الْأَسَادُ مِنْ غَايَتِهَا^(٢)
 وَالْجِنُّ مِنْ سُرَاتِهَا وَالْوَحْشُ مِنْ فُلُوتِهَا وَالطَّيْرُ مِنْ وَكُنَاتِهَا^(٣)
 ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً
 كُنْتُ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أُنْبِيَائِهَا^(٤)
 فِي النَّاسِ أُمِّثْلَةً تَدُورُ حَيَاتُهَا كَمَا تَهَا وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا^(٥)

أذى ، فتكون من إضافة المصدر إلى فاعله : أى لتأمل الأعضاء لا لتأذى بها الأعضاء .

(١) لهذه : أى للحمى ، والضمير فى صحتها للنفس . يقول : إنك بذلت كل ما أحبته نفسك ، حتى بذلت لهذه الحمى صحتك . يريد أنه جواد يجود بكل شيء بحبه .

(٢) من عل : من فوق . يقول : حق الكواكب أن تزورك عائدة لك لأنها شريكتك فى العلو ، وكذلك الأساد لأنها تشبهك فى الشجاعة .

(٣) والجن : عطف على الأساد . يقول : إن جميع هذه الأجناس تتألم لعلتك ، لعموم نفعك ، فلو قدرت على عيادتك لجاءت إليك عائدة . والسترات : جمع سترة ، والوكنات : جمع وكنة ، عش الطائر . زاد الجوهري فى جبل أو جدار : والوكر مثله ، وقال الأصمى : الوكنة والوكن : مأوى الطائر فى عش ، والوكر - بالراء - ما كان فى غير عش . وقال أبو عمرو ابن العلاء : الوكنة والأكنة - بالضم - مواقع الطير حيثما وقفت على حائط أو عود أو شجر ؛ وتوكن : تمسكن ، ووكن انطأر : دخل فى الوكن ووكن يفضه : حضنه .

(٤) يقول : قد استأثرت - دون سائر الناس - بالنائب والمحمد . فكنت منهم بمنزلة البيت البديع البشكر الفرد من القصيدة .

(٥) أمثلة : جمع مثال - أى صور ، وتدور صفة لأمثلة . وحياتها : مبتدأ . وكماتها : خبره . يقول : إنهم أشباه الناس وليسوا بناس فى الحقيقة تدور بين الوجود والعدم ، وحياتها كماتها : فى أنه لا غناء فيها ولا نفع ، ومماتها كحياتها : فى عدم اللبالة به .

هَبْتُ النِّكَاحَ حِذَارَ نَسْلِ مِثْلِهَا
 حَتَّى وَفَرْتُ عَلَى النِّسَاءِ بَنَاتِهَا^(١)
 فَالْيَوْمَ صِرْتُ إِلَى الَّذِي لَوْ أَنَّهُ
 مَلَكُ الْبَرِيَّةِ لَأَسْتَقَلَّ هِبَاتِهَا^(٢)
 مُسْتَرْخَصٌ نَظَرُ إِلَيْهِ بِمَا بِهِ
 نَظَرْتُ وَعَثْرَةُ رِجْلِهِ بِدِيَاتِهَا^(٣)

-
- (١) يقول : خفت - إن تزوجت - أن يكون لى نسل مثل هذه الأمثلة ، فتركت البنات موفورة على الأمهات ، لم أتزوج واحدة منهن .
- (٢) يقول : لو كانت الخليقة ملكاً له ثم وهبها لاستقل ذلك بالقياس إلى كرمه . ومن روى وهب البرية : كان المعنى أنه لو عم البرايا بالهبات لاستقلها . والبرية : الخلق تقول : براه الله يبروه بـ روا أى خلقه . ويجمع على البرايا والبريات : من البرى . وهو التراب . هذا . إذا لم يهمز ، ومن ذهب إلى أن أصله الهمز : أخذه من برا الله الخلق يروؤم : أى خلقهم ، ثم ترك فيها الهمز تخفيفاً . قال ابن الأثير : ولم تستعمل مهموزة .
- (٣) نظر : مبتدأ مؤخر ؛ ومسترخص ، خبره مقدم ولك أن تجعل مسترخص خبر مبتدأ محذوف ، ونظر فاعل مسترخص وعثرة رجله : روى بدلها غير رجله : أى غبار رجله . والديات : جمع دية فمن دم القتل . يقول : لو اشترت البرية نظرها إليه بأعينها التى بها لكان رخيصاً ولو فدت عثرة رجله بمثل أثمان دياتها لكان ذلك رخيصاً أيضاً : أى أن دية عثرته أكثر من ديات الخلائق .

قافية الجيم

وقال يمدح سيف الدولة ، وقد صف الجيش في منزل يعرف بالسنبوس وركب
قاصداً سمندو :

لَهَذَا الْيَوْمِ بَعْدَ غَدٍ أَرِيحُ وَنَارٌ فِي الْعَدُوِّ لَهَا أُجِيجُ^(١)
تَبَيَّتْ بِهَا الْحَوَاصِنُ آمِنَاتٍ وَتَسْلَمُ فِي مَسَالِكِهَا الْحَجِيجُ^(٢)

(١) الأريج : الرائحة الطيبة ؛ والأجيج اشتعال النار وتلهبها : أجت النار توج
وتنج أجيجاً. وكذلك اتبعت : على افعلت ، وتأجبت ؛ وقد أجبها تأجباً ، وأجج
بينهم الشر أوقده ؛ والأجوج : المضيء . قاله ابن العلاء ، وأنشد لأبي ذؤيب يصف برقاً :

يُضِيءُ سَنَاهُ رَاتِقًا مُتَكَشِفًا أَغَرَ كِمِصْبَاحِ الْيَهُودِ أَجُوجُ^(١)

يقول : سيكون لهذا اليوم — الذي سرت فيه للحرب — أنباء طيبة تسر الأولياء ،
ونار حرب يضطرم لهيبها على الأعداء ، وعبرة ابن جني : يأتي خبر طيب يسر المسلمين
ويسوء المشركين .

(٢) الحواصن : العقيقات ؛ وتروى الحواصن — أى النساء الرييات لأطفالهن —
وتروى : الحواضر — أى نساء أهل الحضر — يقول : إن نار هذه الحرب
تأمن بها النساء من السي ، ويسلم الحجاج في مسالكهم فلا يتعرض لهم الروم إذ تنتصر
عليهم ، فالضمير في مسالكها : للجميع ؛ والحجيج : الحجاج : جمع حاج ، ومثله غاز
وغزى وناج ونجى ، وناد وندى — للقوم يتناجون ويجمعون في مجلس — وللعادين
على أقدامهم عدى ، والضمير في بها : للنار ومن روى به : فالضمير للأجيج .

(١) يصف سبحانه متابعا ؛ والهاء في سناه : تعود على السحاب ، وذلك أن
البرقة إذا برقت انكشف السحاب ؛ وراتقا : حال من الهاء في سناه ، ورواه الأصمعي
راتق متكشف ، فجعل الراق : البرق .

فَلَا زَالَتْ عُدَاتُكَ حَيْثُ كَانَتْ فَرَائِسَ أَيُّهَا الْأَسَدُ لِلْهَيْجِ^(١)
عَرَفْتُكَ وَالصُّفُوفُ مُعْبَيَاتٌ وَأَنْتَ بَقِيرِ سَيِّفِكَ لَا تَعِيجُ^(٢)
وَوَجْهُ الْبَحْرِ يُنْفَرُ مِنْ يَمِينِهِ
إِذَا يَسْجُو فَكَيْفَ إِذَا يَمْجُو^(٣)

(١) الهيج : الذى هاجه غيره ؛ وفرائس : خبر زالت . لما ذكر الأسد استعار له
الفرصة فقال : لا زالت عداتك أيها الأسد فرائس لك في حيثما كانت .

(٢) لا تعيج : لا تبالي . وكان أبو الطيب مع سيف الدولة في بلاد الروم . فلما
صف الجيش كان أبو الطيب متقدماً ، فالتفت فرأى سيف الدولة خارجاً من الصفوف
يدير رحماً ، فحرفه وجاء إليه وسأله وأنتد . يقول : عرفتك والصفوف معبأة من
خولك وأنت لا تبالي إلا بسيفك . يشير إلى أنه لا يحتفل بجنده وبتعبته ، وأنه شجاع
لا يبا إلا بسيفه ، هذا . ويقال عبأت الجيش عبأ وعبأتهم تعباً ، وقد يترك الهمز فيقال
عبيتهم تعباً : أى رتبته في مواضعهم وهيأتهم للحرب ؛ وقد قلنا : لا تعيج بمعنى لا تبالي .
قال صاحب اللسان : العيج شبه الاكتراث ، وأنتد :

وَمَا رَأَيْتُ بِهَا شَيْئاً أَعِيجُ بِهِ إِلَّا التَّمَامَ وَالْأَمَوْدَ النَّسَارَ

قال ابن سيده : ما عاج قوله عيماً وعيجوجة : لم يكثر له أو لم يصدق ؛ وما عاج
بالدواء عيماً : أى ما انتفع ، وما أعيج من كلامه شئ . : أى ما أحبأ به ؛ وبنو أسد
يقولون ما أعوج بكلامه : أى ما ألفت إليه ؛ أخذوه من عجت الناقة . ويقال : ما عجت بخبر
فلان ، ولا أعيج به : أى لم أشتف به ولم أستيقنه . قال ابن العلاء : العياج الرجوع إلى
ما كنت عليه .

(٣) يسجو : يسكن تموجه ، قال تعالى « والليل إذا سجا » أى سكن بالناس ، ومنه
البحر الساجى ، قال الأعشى :

فَإِذَا ذُنُبُنَا أَنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ وَبَحْرُكُمْ سَاجٍ لَا يُوَارِي الدَّهَامِصَ^(١)
وليلة ساجية : إذا كانت ساكنة البرد والريح والسحاب غير مظلمة .

(١) الدهاميص والدعاميص : جمع دعووص : دوية صغيرة تقوص في الماء ، وكثيراً
ما تكون في المستنقعات .

بأرض تَهْلِكُ الأَشْوَاطُ فِيهَا
 إِذَا مُلِئَتْ مِنَ الرَّكْضِ الْفُرُوجُ^(١)
 تَحَاوِلُ نَفْسَ مَلِكِ الرُّومِ فِيهَا
 فَتَفْدِيهِ رَعِيَّتُهُ الْمَلُوجُ^(٢)
 أَمَّا الْقَمَرَاتِ تُوْعِدُنَا النَّصَارَى
 وَنَحْنُ نُجُومُهَا وَهِيَ الْبُرُوجُ^(٣)
 وَفِينَا السَّيْفُ حَمَلَتُهُ صَدُوقُ^(٤)
 إِذَا لَاقَى وَغَارَتُهُ الْجُجُوجُ^(٥)
 نَمُودُهُ مِنَ الْأَعْيَانِ بَأْسًا
 وَيَكْثُرُ بِالْذُّعَاءِ لَهُ الضَّحِيجُ^(٥)

قال الحارثي :

يا حبيذا القمراء والليل الساج وطُرقٌ مثلُ مُلاء النساج
 وامرأة ساجية : فاترة الطرف . وهو معنى حسن في النساء ؛ وناقاة سجواء : ساكنة
 عند الحلب ؛ وسجى الليت غطاء ، والمتسجى : التغطى ، من الليل الساجي ، لأنه يغطى
 بظلامه وسكونه . يقول : إن البحر يعرف وهو ساكن فكيف إذا ماج وتحرك ؟ وضرب
 هذا مثلاً له إمارآه يدير رمحاً بيده ؛ فشبهه بالبحر المائج .
 (١) الشوط : الطلق من العدو ، قال في اللسان : الشوط الجري مرة إلى غاية ؛
 والجمع أشواط . وقد عدا شوطاً : أى طلقاً ؛ والفروج : ما بين قوائم الفرس . يقول :
 عرفتك بأرض واسعة يتلاشى فيها السير ، وإن كانت تملأ ما بين القوائم عدواً لطلوها
 (٢) تحاول : تطلب ، والضمير للخطاب ، والضمير من فيها للأرض ؛ والملاج : الجافي
 الغليظ من كفار الصم . يقول : تريد أن تأخذ نفس ملك الروم في هذه الأرض
 فتفديه أصحاب الملاج إذ تفنيهم وتستأصلهم .
 (٣) القمرات : الشدائد . يقول : أتهددنا النصارى بالحرب ونحن أبناؤها لا تقارقيها ؟
 كما لا تقارقي النجوم منازلها .
 (٤) لج في الأمر لججاً ولجاجاً ولجاجة : تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه . يقول :
 وفينا سيف الدولة الذي إذا حمل على الأعداء صدق في حملته ، ماجين وما خام عن الفاء
 وإذا أغار عليهم لجت غارته ودامت ، فلا يثنى حتى يستأصلهم ويصف بهم .
 (٥) الأعيان : العيون ، جمع عين ، قال يزيد بن عبد المدان :

رَضِينَا وَالْمُسْتَقُّ غَيْرُ رَاضٍ
بِمَا حَكَمَ الْقَوَاضِبُ وَالْوَشِيجُ^(١)
فَإِنْ يُقَدِّمُ فَقَدْ رُزْنَا تَمَنِّدُو
وَإِنْ يُخْجِمُ فَمَوْعِدُهُ الْخَلِيجُ^(٢)

ولكننى أغدو على مُفَاضَةٍ دِلَاصٍ كَأَغْيَانِ الْجِرَادِ الْمُنْظَمِ^(١)
وبأساً : أى شدة وشجاعة ، وهو مفعول له - أى لبأسه - كما تقول نعوذه بالله
حسناً : أى لحسنه . وقال ابن جنى : بأساً أى خوفاً - من قولهم لا بأس عليك - وهو
أصح فى التركيب ، إلا أن الأول أليق بالمعنى : يقول : نعوذ الممدوح بالله من أن تصيبه
العيون لدى رؤية بأسه ، لأننا لا نخاف عليه غير ذلك .

(١) الدمستق : قائد جيش الروم ؛ والقواضب : السيوف القواطع والوشيج :
عيدان الرماح ، ووشجت العروق والأغصان . اشتبكت ؛ والواشجة الرحم المشبكة ،
وقد وشجت به قرابة فلان ، والاسم الوشيج . يقول : رضىنا بما حكمت به السيوف
والرماح فى الحرب ، ولكن الدمستق لم يرض بذلك ، لأنها حكمت لنا بالفوز والظفر
فرضينا ، وحكمت عليه بالهزيمة والفشل فلم يرض . هذا : والأوجه أن يكون الدمستق
مبتدأ ، خبره : غير راض ، والجملة حال ، وبما حكم : متعلق برضىنا .

(٢) تمنندو : قلعة بالروم يقال هى المروقة اليوم بيلغراد ؛ والخليج : خليج
القسطنطينية . يقول : فإن أقدم على قتالنا فقد قصدنا بلادهم ، وإن هرب وخام عن
لقاتنا لحقناه إلى الخليج .

(١) مفاضة دلاص : يريد درعا .

قافية الحاء

وقال يعتذر إليه وقد تأخر مدحه عنه فظن أنه عاتب عليه :

أَذْنَى أَبْنِسَامٍ مِنْكَ تَحْيَا الْقَرَائِحُ
وَتَقْوَى مِنَ الْجَنَمِ الضَّعِيفِ الْجَوَارِحُ ^(١)
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْضِي حُقُوقَكَ كُلَّهَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامِحُ ^(٢)
وَقَدْ تَقَبَّلُ الْمَذَرَ الْخَفِيَّ تَكْرُمًا
فَمَا بَالُ عُذْرِي وَاقِفًا وَهُوَ وَاضِحُ ^(٣)

(١) القرائح : الطبائع - يقال فلان جيد الطبيعة : إذا كان ذكي الطبع ؛ وجيد القريحة : إذا كان له نظر وفهم ومعرفة ؛ وقيل القريحة : خالص الفريزة - من قولهم ماء قراح : أى خالص - وقريحة البئر : أول ما يخرج من مائها ؛ ورجل قرحان : إذا لم يصبه جدري ولا طاعون يراد خالص الجسد . والجوارح : الأعضاء - اليدان والرجلان والعينان وانهم والأذن - وسميت كذلك لأن أصل الجرح الاكتساب ، والاكتساب يقع بهذه الجوارح من خير وشر . قال تعالى « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » أى كسبتم . وقال « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » أى اكتسبوها . يقول : إذا ابتسمت إلى إنسان انشرح صدره وحي طبعه وقويت جوارحه وإن كان ضعيف الجسم ، لأنه يفرح والفرح يقوى القلب والجسم . يشير بذلك إلى عذره فى تأخر مدحه لأنه كان معتلا .

(٢) يقول : إن حقوقك أكثر من أن يقدر أحد على القيام بقضاؤها ، ومن ذا الذى يرضيك بقضاء حقوقك غير الذى تسامحه وتتساهل معه ؟

(٣) تكرمها : مفعول لأجله ، وواقفا : حال من عذرى . يقول : إنك لكرمك تقبل العذر الخفى . فما بال عذرى واقفا لا يلتفت إليه وهو واضح ؟

وَأِنْ مُحَالًا - إِذْ بِكَ الْعَيْشُ - أَنْ أُرَى
وَجِسْمُكَ مُقْتَلٌ وَجِسْمِي صَالِحٌ^(١)
وَمَا كَانَ تَرْكِي الشُّفْرَ إِلَّا لِأَنَّهُ
تَقَصَّرَ عَنِ وَصْفِ الْأَمِيرِ الْمَدَامُحِ
وقال في صباه وقد بُلِّغَ عن قومٍ كلامًا :

أَنَا عَيْنُ الْمَسُودِ الْجَحْجَاحِ هَيَّجَتْنِي كَلَابُكُمْ بِالنَّبَاحِ^(٢)
أَيَكُونُ الْمِجَانُ غَيْرَ هِجَانٍ أَمْ يَكُونُ الصُّرَاحُ غَيْرَ صُرَاحٍ^(٣)

(١) يقول : إذا كان عيشنا بك فمن المحال أن تقتل ولا أشارك في علتك . وهذا من قول أبي تمام :

وإن يَجِدَ عِلَّةً نَعُمُ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نُعَادُ فِي مَرَضِهِ
قال العكبري : قوله إن محالا : جعل اسم إن نكرة للضرورة لأنها تدخل على
الابتداء والخبر ، ولا يجوز أن يكون الابتداء نكرة إلا في مواضع ليست هذه منها .
(٢) للسود : الذي جعله قومه سيذا . والسيد : الكريم . ولا توصف به المرأة ؛
وجمع الجحجاح بججاجع ، قال الشاعر :

ماذا يَبْدُرُ فَالْمَقْنَقَلُ مِنْ مَرَاذِبَةِ جَجَاجِيعِ
وإن شئت ججاجيع ، وإن شئت ججاجعة ، والماء عوض من الياء المحذوفة لا بد
منها أو من الياء ، ولا يجتمعان . ويظهر أن الجمع في الحقيقة : ججاجيع ، لا الججاجع ،
وإنما حذفت الياء من البيت - ماذا يبدُرُ الخ - ضرورة قاله ابن بري . يقول : أنا نفس
الججاجع - السيد الكريم - أنا تقي وأغضبتني سفهاؤكم بسفها . ولما سماهم كلاباً
سمى كلامهم نباحا . وروى - بدل هيجتني - هجتني : أي تسبتي إلى المهينة . بدل
على ذلك البيت التالي .

(٣) الميجان : الرجل الكريم الحسب النقي ، وامرأة هجان : كريمة من نسوة هجان
وهي الكريمة الحسب التي لم تترق فيها الإمامة تعريفاً . وقول على كرم الله وجهه :
هذا جنائى وهيجانه فيه إذ كل جان يده إلى فيه
معناه : خياره وخالسه ، وأنشد أبو الهيثم :

جَهْلُونِي وَإِنْ عَمَرْتُ قَلِيلًا نَسَبَتْنِي لَهُمْ رُمُوسُ الرِّمَاحِ^(١)

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي :

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ أَغْذَاهُ ذَا الرِّشْلِ الْأَغْنُ الشَّيْحُ^(٢)

وإذا قيل من هِجَانٍ قَرِيشٍ كُنتَ أَنْتَ الْفَتَى وَأَنْتَ الْهَيجَانُ
وكل ذلك مأخوذ من الإبل ؛ والهجان من الإبل : البيض الكرام . قال عمرو ابن
كثوم في معلقته :

ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَذْمَاءُ بَكْرِ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا
« يصف امرأة يقول : تريك ذراعين ممثلتين كما كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد
بعد ، بيضاء اللون ، قفوله : لم تقرأ جنينا : أى لم تضم في رحمها ولدا » .
قال أهل اللغة : يستوى فيه الذكر والمؤنث والجمع ؛ يقال : بعير هجان وناقة هجان ،
وربما قالوا : هجان . قال ابن أحرر :

كَأَنَّ عَلَى الْجِمَالِ أَوَانَ خَفَتْ هِجَانٌ مِنْ نِجَاجِ أَوَارِعِنَا
والصرح : الخالص النسب . يقول : إن الكريم الخالص النسب لا يصير غير كريم
وغير خالص النسب : يعنى أن هجو الهاجى لا يؤثر فيه : لأنه ذكر في البيت الأول
شكواه من السفهاء واللثام ، وذكر في هذا البيت أن سفهم لا يقدر في نسبه ولا يغيره .
(١) يقول : إن أولئك المائبين قد جهلوا قدرى ونسبى وأصلى ، فإن عشت قليلا
عرفتهم الرماح نسبى ، إذ يرون غنائى وحسن بلائى . يتوعددهم ويهددهم بالقتل . وهجارة
الواحدى : يحتمل أنه أراد إذا طاعنتهم ورأوا حسن بلائى استدلوا بذلك على كرم نسبى .
(٢) الجلل : الأمر العظيم ؛ وجللا : خبر « فليك » مقدم . والتبريح : الجهد والشدّة ،
والرشا : ولد الظبية ، والأغن : الذى فى صوته غنة ، وهو من أوصاف الظباء . والشيح
نبات طيب الرائحة . يقول : ليكن تبريح الهوى عظيما مثل ما حل بي وإلا فلا ! ثم قال :
أتظنون غداء من فعل بي هذا الفعل الشيح شأن مثله من ظباء الصحراء ؟ إنما غداؤه
قلوب العشاق ينحلهم ويهزلهم فيورثهم هذا التبريح كما قال بعضهم :

يَرَعَى الْقُلُوبَ وَتَرْتَعَى السِّفْرَ لَأَنَّ فِي الْبَيْدَاءِ شَيْحَهُ

هذا : - وإليك ما أورده سائر الشراح زيادة على ما أورده . قال العكبري : يريد أن من كان في شدة فليك كما أنا - تعظيما لما هو فيه من الشدة - وتم الكلام هنا ، ثم استأنف قولاً آخر متعباً من حسن المشبه أى كأنه ظي في حسنه ، ووقع الشك لوقوع الاشتباه كقول قيس :

فمينالك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق
وقوله أغذاء : هو استفهام معناه الإنكار ، يريد أن الرشا الذى يهواه إنس لا وحش
فيغذى بالشيخ ، وقال ابن جني : المصراعان متباينان ، فذلك أفرد كل واحد بمعنى ،
وقال أصحاب المعاني : قد يفعل الشاعر مثل هذا في التشبيب خاصة ليدل به على ولوه
وشغفه عن تقويم خطابه ؛ كقول جران العود :

يَوْمَ ارْتَحَلْتُ بِرَحْلِي دُونَ بَرْدَعِي وَالْقَلْبُ مُسْتَوْهَلٌ بِالْبَيْنِ مَشْغُولٌ
ثُمَّ اغْتَرَزْتُ عَلَى نِصْوَى لَأُبَشِّهَ إِثَرَ الْحُمُولِ الْفَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولٌ^(١)

(١) جاء في اللسان والقاموس وشرحه : جران العود شاعر من نمير قال الجوهري :
واسمه المستورد ، وقد غلظه الصاغاني . وقال : إنما اسمه عامر بن الحارث - وهو شاعر
إسلامي - ولقب بذلك لقوله .

عَمَدْتُ لِعَوْدٍ فَالتَّحِيْتُ جَرَانَهُ وَلَلْكِيسُ أَمْضَى فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ
خُذَا حَازِراً يَأْخُلُقِي فَإِنِّي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعَوْدِ قَدْ كَادَ يَصْلَحُ
يخاطب امرأته . وأراد بجران العود - والعود البعير المسن - سوطاً قد من
جلد عنق عود نحره ، وهو أصلب مايكون ، ليضرب به امرأته ، وكاتنا قد نشرتا عليه .
والجران . باطن العنق الذى يضعه البعير على الأرض إذا مد عنقه لينام ، والتحيت
أخذت ؛ والكيس ، حسن الثأني في الأمور ، ويأخلى يروى يا جارتى ؛ وقوله فإنني
الح : يقول : فإنني رأيت السوط قد قارب صلاحه للضرب ، وقوله يوم ارتحلت الح
فالبردة المجلس الذى يلقي تحت الرحل ، ويكنى عن الزوجة بالبردة ، ومستوهل .
فازع ، واغترزت . وضعت رجل في الغرز ، وهو الركاب . والنضو . البعير الذى
أنضاه السفر ، والحمول . الإبل ، ومعقول : أى لم يحلل عقله دهشاً .

يريد أنه لشغل قلبه لم يدر كيف يرحل ، ولم يدر أن بعيره معقول ؛ وفي كلامه ما يدل على ولعه بما ذكر من حاله ، وعلى هذا يحمل قول زهير :

* قف بالديار التي لم يَعْفُهَا الْقِدَمُ

ثم قال :

* بلى وغيّرها الأرواحُ والديمُ *

وقال القاضى الجرجاني : بين الصراعين اتصال لطيف ، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبرّحه بين أن الذى أورثه ذلك هو الرشا الذى شكله على شكل الغزلان فى غذائه . وإليك بعد هذا تحفة نحوية للعلامة العكبرى قال : قوله : فليك : حذف النون لسكونها وسكون اتاء فى التبرّح ، ولم يكن حذفها كحذفها من قوله تعالى « ولم تك شيئا » وقوله :

لَمْ يَكْ شَيْءٌ يَا إِلَهَى قَبْلَكَ

لأنها قد ضارعت بالهجر والسكون والفتنة حروف المد حذفت كما تحذفن وهى هنا فى قول المتنبي قوية بالحركة ، لأن سيلها أن تحرك ، فكان ينبغى أن لا يحذفها ، لكنه لم يعتد بالحركة فى النون لما كانت غير لازمة ضرورة ؛ ومثله :

لَمْ يَكْ الْحَقُّ سِوَى أَنْ هَاجَهُ رَسَمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَى بِالسَّرَرِ^(١)
وقد حذفت النون من لكن فى الشعر ضرورة ، أنشد سيويوه .
فَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَأْوُوكَ ذَا فَضْلٍ^(٢)

(١) جاء فى لسان العرب أنه للحسن بن عرفة ، جاهلى ، والسرر لعله يريد الموضع الذى هو على أربعة أميال من مكة قال أبو ذؤيب :

بَايَتُهُ مَا وَقَفْتُ وَالرَّكَابُ وَبَيْنَ الْحُحُونِ وَبَيْنَ السَّرَرِ
(٢) للنجاشى الشاعر وقوله :

وَمَاءٌ قَدِيمٌ الْعَهْدِ بِالْوَرْدِ آجِنٌ يُخَالِ رُضَابًا أَوْ سَلَاةً مِنَ الْعَسَلِ
لَقِيتُ عَلَيْهِ الذُّبَّ يَعْوَى كَأَنَّهُ ضَلِيعٌ خَلَا مِنْ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ

لَعِبَتْ بِمِشْيَتِهِ الشُّمُولُ وَغَادَرَتْ
صَنَامًا مِنَ الْأَصْنَامِ لَوْلَا الرُّوحُ^(١)
مَا بِالْهُ لَأَحْظَتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ وَفُوَادِيَّ لِلْجُرُوحِ^(٢)

وإذا جاز حذف النون من لكن — وقد حذف منها نون أخرى — جاز أن تحذف من قوله: فليك التبريع. وفيه قبح من وجه آخر: وهو أنه حذف النون مع الإدغام وهو غريب جدا، لأن من قال في بني الحرث بلعارت لم يقل في بني النجار بنجار... والأغن الذي في صوته غنة، وهو صوت من الحيشوم، والأغن: الذي يتكلم من قبل خياشيمه، وواد أغن: كثير العشب لأنه إذا كان كذلك ألفه الذباب، وفي أصواته غنة؛ ومنه قيل للقرية الكثيرة الأهل والعشب: غناء، وأما قولهم: واد مغن: فهو الذي صار فيه صوت الذباب ولا يكون الذباب إلا في واد مخصب معشب؛ وأغن السقاء: إذا امتلأ ماء.

(١) الشمول: الحمر. يقول: إن الحمر رنحته قتائل في مشيته وزادت في حسنه حتى تركته كأنه صنم لولا أنه ذو روح. وفي هذا البيت نظر إلى قول ديك الجن: ظَلَلْنَا بِأَيْدِينَا نَتَمَتِّعُ رُوحَهَا فَتَأْخُذُ مِنَّا أقدامنا الحمرُ ثارها وقد جرت عادتهم بأن يسهوا الحسان بالدمى والأصنام ناظرين إلى أن مصورها أبدعوا في تجميلها وانتوا في تزويقها حتى صاروها كأنها الجمال مائلا. ويروى بدل - وغادرت - وجردت: أي صيرته بحيث يجرده منه صنم لحسنه. هذا: وإنما سميت الحمر شمولا؛ قيل لأنها تشمل بريحتها الناس؛ وقيل شبهت بالنمال من الريح لأنها تعصف باللب كما تعصف النمال. (٢) يقول: إن فؤادي هو المجرع بنظري إليه، فما بال وجناته قد احمرت وظهر الدم فيها وفؤادي هو الأنيحدر بذلك؟ وفي هذا المعنى يقول كشاجم:

فقلت له يا ذئب هل لك في أخ
يؤامى بلا منّ عليك ولا بخل
فقال هداك الله للرشد إنما دعوت لما لم يأته سبع قبلي
فلست بآتيه.....
(البيت)

والعسل: جمع عسل كأعمال. والضليع: القوى الشديد؛ والمعوج، والضروب في ضلعه، والظاهر أن هذا هو المراد.

وَرَمَى وَمَا رَمَتْ يَدَاهُ فَصَابَنِي سَهْمٌ يُعَذِّبُ وَالسَّهَامُ تُرْمَعُ (١)
قُرْبَ الْمَزَارِ وَلَا مَزَارَ وَإِنَّمَا يَفْدُو الْجَنَانُ فَنَلْتَقَى وَيَرُوحُ (٢)
وَفَشَتِ سَرَائِرُنَا إِلَيْكَ وَشَفَّنَا تَعْرِيفُنَا فَبَدَا لَكَ التَّصْرِيحُ (٣)

أَرَاهُ يُدْمَى خَدَهُ وَهُوَ جَارِحِي بِعَيْنَيْهِ وَالْجُرُوحُ أَوْلَى بَأْنِ يَدَمِي
وقوله تضرجت : أى تلطخت بالدم . يريد احمرت خجلا ، وأصله من اضرج : إذا
انشق ، كأنه قد انشق جلده فظهر الدم ؛ وفي الضرج بمعنى الشق يقول ذو الرمة
يصف نساء :

• ضَرَجْنَ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبِ حُرْمَةٍ •

أى شققن . وتضرج اثوب الثوب : انشق ، وتقول : تكاد تضرج من اللذ : أى
تنشق ؛ ومنه اضرجت له الطريق : أى اتعت ؛ واضرج ما بين القوم : تباعد ما بينهم ،
وتضرجت عن البقل لثاقته : إذا انتفتحت .

(١) كان الوجه أن يقول : ومارمت يدها ولكنه على لغة من يقول قما أخواك ،
وصابه : لغة فى أصابه ؛ يقول : رمانى بلحظه فأصابنى منه سهم ليس كالسهم للورقة تقتل
فتريح ، وإنما يعذب من أصابه .

(٢) المزار الأول : مكان الزيارة ، والثانى : مصدر بمعنى الزيارة . والجنان : القلب .
يقول : إن دارك أيها الحبيب قريبة منى ، ولكن لاصيل إلى الزيارة خشية الرقاء ،
وإنما تتلاقى بالقلوب ، فيندو قلبى إليك وروح أى أتذكرك فامثلك فى قلبى ؛ فكأننا قد
التقينا - كما قال ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقَى بِالذِّكْرِ إِن لَّمْ نَلْتَقِ
ومثله لأبى الطيب :

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبْدَأُ قُلُوبٌ تَلْقَى فِي جُسُومِ مَا تَلْقَى

(٣) السرائر : بمعنى الأسرار المكتومة . وشفه : أغله . يقول : إن كتمان الهوى
اقتصارنا فيه على التعريف قد أسقمنا وهزلنا ، فذلك هزالنا البادى على ما تجبه الضلوع من
الوجد ، فقام ذلك مقام التصريح .

لَمَّا تَقَطَّعَتِ الْحُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِي أَسَى وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحٌ ^(١)
وَجَلَا الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مُحَاسِنًا
حُسْنُ الْعَزَاءِ وَقَدْ جُلِينَ قَبِيحٌ ^(٢)
فَيْدٌ مُسَلَّمَةٌ وَطَرْفٌ شَاخِصٌ
وَحَشَى يَذُوبُ وَمَذْمَعٌ مَنُفُوحٌ ^(٣)
يَجِدُ الْحَمَامُ وَلَوْ كَوَجْدِي لِأَنْبَرِي
شَجَرُ الْأَرَاكِ مَعَ الْحَمَامِ يَنْوَحُ ^(٤)

(١) الحمول : الأجمال على الإبل ، ويريد بها الإبل التي حملتها ، والطلوح : جمع طلح ، وهو شجر أسفله دقيق وأعلاه كالقبة ، تشبه به الإبل عليها الهوداج . يقول : لما تفرقت الحمول سائرة وكأنها طلوح تقطعت نفسي وجداً وحزناً .

(٢) يقول : كشف الوداع محاسن الحبيب عند الفراق ، فصار الصبر الجميل عنها قبيحاً . وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

وقد كان يذْهِي لِأَبْسُ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يَدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ
ويقول التقي محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات ومنه أخذ أخذ أبو تمام :
والصبر يُحَمَّدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ

وقوله حسن العزاء الخ : تقديره حسن العزاء قبيح ، وقد جلين : أي المحاسن : فأقحم بين المبتدأ والخبر جملة فعلية .

(٣) المراد بالدمع : الدمع . يصف حال الوداع . يقول : لو ترانا عند الوداع ونحن على هذه الحال لرحمتنا ، فهناك يدتشر بالسلام ، وطرف شاخص إلى وجه المودع ، وقلب يذوب حزناً على الفراق ، ودمع مصبوب .

(٤) يجد : من الوجد . وقوله ولو كوجدى : أي ولو كان وجده كوجدى لأنبرى الخ والأراك : شجر معروف . يقول : إن الحمام يحزن عند فراق إلفه ، ولو كان وجده كوجدى لرق له الشجر وانبعث يبكي معه وينوح رحمة ورقة ؛ وقوله لأنبرى ، يريد لاندفع وأخذ . ويقال : برى له يبرى برى وأنبرى : عرض له : وباراه عارضه ، وباريت فلاناً مباراة : إذا كنت تفعل مثل مايفعل .

وَأَمَقُّ لَوْ خَدَتِ الشَّمَالُ بِرَاصِيهِ
 فِي عَرْضِهِ لَأَنَاحَ وَفَى طَلِيحٌ^(١)
 نَازَعَتْهُ قُلُوصَ الرَّكَّابِ وَرَكَبَهَا خَوْفَ الْهَلَاكِ حُدَاهُمُ الْقَسْبِيحُ^(٢)
 لَوْلَا الْأَمِينُ مُسَاوِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَا جُشِّمَتْ خَطَرًا وَرُدَّ نَصِيحُ^(٣)

(١) وأمق : الواو واو رب . يصف مهمها طويلا . والأمق : المكان الطويل .
 والوخذ . ضرب من السير ؛ وخذت هنا . أسرع . والطيح : المعى ، يقال طلع البعير
 أعيا : فهو طليح ، وأطلحته أنا وطلحته : حسرته ، ويقال ناقة طليح أسفار . إذا جهدها
 السير وهزلها ؛ وإبل طلع وطلأ ، والطلع - بالكسر - المعى من الإبل ، يستوى
 فيه الذكر والأنثى ، والجمع أطلاق . قال الخطيئة يصف إبلا وراعيا :

إِذَا نَامَ طَلِيحٌ أَشَمَّتْ الرَّأْسَ خَلْفَهَا هِدَاهُ لَهَا أَنْفَاسُهَا وَزَفِيرُهَا
 « يقول الخطيئة . إن هذه الإبل تنفس من البطنة تنفساً شديداً فيقول . إذا نام
 راعيا عنها وندت تنفست ، فوقع عليها وإن بعدت » يقول : لو أسرع ربح الشمال في ذلك
 المهمة وعليها راكب لأناخ ذلك الراكب وزل والشمال معية ، وإذا كانت الشمال تعي فيه
 فكيف الإنسان أو الناقة ؟ وإنما ذكر العرض ليدل على السعة لأن العرض أقل
 من الطول .

(٢) القلص - جمع قلووس - الناقة الفتية . والركاب الإبل . يقول : خاصمت هذا
 المهمة على الإبل ، فهو يأنى إلا أن ينال منها ويصف بها بطوله ومشقته ، وأنا أنى إلا أن
 أستبقها لمسيرى . ثم قال : وكان ركاب هذه الإبل - لحوفهم الهلاك - يسبحون الله
 ويسألونه النجاة ، فكان التسبيح حذاء للابل مكان الغناء الذى تحدى به . وقل ابن
 جنى : نازعته أخذت منه - من الأملق . أى المهمة - بقطي إياه وأعطيته ما نال من
 الركاب ؛ قل الواحدى : ليس المعنى على ما قال ابن جنى ؛ لأن المتنازع فيها هى القلص ،
 فالبلد يفتنيها ويأخذ منها وهو يستبقها . والمعنى . إني أحب إبقاءها ، والأملق يجب
 إفناءها بالمتنازعة فيها كقول الأعشى :

* نازعتم قُصْبَ الرِيحَانِ مُتَكِنًا *

أى أخذت منهم وأعطيتم ، وهم أخذوا منى وأعطوني .

(١) جشمت : كلفت . يقول : لولا المدوح ما عرضنا إبلنا لهذا الخطر ، ولا ردنا

الناصح الذي كان ينصح لنا وينهانا عن ركوب هذه الأهوال . وإليك درة نحوية للعلامة المكبرى ، قال : لولا الأمير : الأمير مرتفع بالابتداء عند البصريين ، وعندنا أن الاسم مرفوع بها ، لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ذكر لرفع الاسم كما تقول لولا زيد لجئت ، تقديره لو لم يمنعني ، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا لا على لوفصاراً بمنزلة حرف واحد . كقولهم : أما أنت منطلقاً انطلقت معك . تقديره إن كنت منطلقاً انطلقت معك . قال الشاعر :

أبا خراشةً أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأسكلهم الضيع^(١)

أي إن كنت ذا نفر ، حذف الفعل وزاد «أما» عوضاً عنه ، والذي يدل على أنها عوض عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لئلا يجمع بين العوض والموض ، وكقولهم أما لا فاعل هذا ، تقديره إن لم تفعل ما يلزمك فاعل هذا ، حذف الفعل لكثرة الاستعمال وزيدت ما على أن عوضاً عنه فصارنا بمنزلة حرف واحد . ويجوز إيمانها لأنها صارت عوضاً عن الفعل ، كما أمالوا بلى ويا في النداء ، والشواهد كثيرة على أن الفعل بعدها محذوف ، واكتفى الاسم بلولا ، ويدل على أن الاسم بعدها يرتفع بدون الابتداء أنها إذا وقع بعدها «أن» انفتحت كقولك : لولا أن زيداً منعني ، قل الله تعالى :

(١) البيت لباس بن مرداس السلمي الصحابي ، وأبو خراشة كنية خفاف بن نديبة ، ونديبة أمه . وهو صحابي جليل وأحد فرسان قيس وشعرائها ، وهو ابن عم الحنساء . وبعد البيت :

والسلم تأخذ منها ما رَضِيتَ به والحرب يكفيك من أنفاسها جُرْعُ
وتفر الرجل رهطه ، ويقال لمدة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، والمراد بالضبع السنة المجدية ، وأصله أن الناس إذا أجذبوا ضمفوا عن الانتصار وسقطت قوام فعاتت فيهم الضباع والذئباب فأكلتهم . يقول : يا أبا خراشة إن كنت عزيزاً بقوم كثيراً لهم فإن قومي ليسوا بأذلاء ، ثم قال : إن السلم أنت فيها وادع تال من مطالبك ما تريد ، أما الحرب فإنها على العكس من السلم ، وأراد بأنفاسها : أوائلها يحرضه على الصلح ويثبته عن الحرب .

وَمَتَى وَنَتْ وَأَبُو الْمُظَفَّرِ أُمَّهَا فَأَتَاكَ لِي وَلَهَا الْحِمَامُ مُتَبِعٌ^(١)
شِمْنَا وَمَا حُجِبَ السَّمَاءُ بِرُوقِهِ وَحَرَى يَجُودُ وَمَا مَرَّتُهُ الرِّيحُ^(٢)

« فلولا أنه كان من السبعين » ولو كانت في موضع الابتداء لوجب أن تسكر ، فلما فتحت دل على صحة قولنا . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون لولا : أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان محتصاً و « لولا » يختص بالاسم دون الفعل ، وقد يختص بالفعل والاسم . قال الشاعر :

لَا دَرَّ دَرَكٌ إِنِّي قَدْ حَمَدْتَهُمْ لَوْلَا حُدِدْتُ وَلَا عَذْرَى بِمَحْدُودٍ^(١)
ونحن نقول : إن هذا البيت على معنى لولا أنى حدثت ، فصارت مختصة بالاسم دون الفعل .

(١) ضمير ونت : للابل أى تواتت وفترت ؛ وأما قصدها : أى مقصودها وقوله فأتاح لى الخ دعاء وأتاح الله الشيء قدره . يقول : إذا تواتت الإبل فى سيرها وهذا المدح مقصودها فالموت خير لى ولها . يعنى : الموت خير لنا إن تخلفنا عنه .
(٢) شمنا : فعل وفاعل ، وبروقه : مفعوله ، وما حجب السماء . جملة مترضة وشام البرق : نظر إليه يرجو المطر . وقوله : وحرى ، أى وشمنا سحاباً حرى أن يجود : أى

(١) أورد عبد القادر البغدادي هذا البيت فى آيات هذانصها :
قالت أمامة لما جئت زائرهما هَلَا رَمَيْتَ بِيَعِضِ الْأَسْهُمِ الشُّودِ
لَا دَرَّ دَرَكٌ إِنِّي قَدْ رَمَيْتَهُمْ لَوْلَا حُدِدْتُ وَلَا عَذْرَى لِمَحْدُودِ
إِذْهُمْ كَرَّجَلِ الدَّبَى لَا دَرَّ دَرُّهُمْ يَفْزُونَ كُلَّ طُوالِ الشَّيْءِ مَحْدُودِ
فَمَا تَرَكْتُ أَبَا بَشِيرٍ وَصَاحِبَهُ حَتَّى أَحَاطَ صَرِيحُ الْمَوْتِ بِالْجِيدِ
قال قيل إنها لراشد بن عبد الله السلمي الصحابي ؛ وقيل للجموح - أحد بنى ظفر من سليم بن منصور - وحددت أى حرمت ومنعت ؛ وقد حد الرجل عن الرزق : إذا منع منه ، وهو محدود . يقول : قد رميت واجتهدت فى قتالهم ولكنى حرمت النصر عليهم ، ولا يقبل عذر المحروم . والعذرى : اسم بمعنى اللعذرة ، والرجل : القطعة من الجراد والدبى : أصغر الجراد ، والطوال : الطويل .

مَرْجُوْهُ مَنَفَعَةٍ مَّخَوْفُ أَذِيَّةٍ مَّغْبُوقُ كَأْسٍ مَّحَامِدٍ مَّصْبُوحٌ^(١)
 حَنِقٌ عَلَى بَدْرِ اللَّجَيْنِ وَمَا أَتَتْ بِإِسَاءَةٍ وَعَنِ الْمُسَى صَفُوحٌ^(٢)
 لَوْ فَرَّقَ الْكَرَمُ الْمَفْرَقُ مَالَهُ
 فِي النَّاسِ لَمْ يَكُ فِي الزَّمَانِ شَحِيحٌ^(٣)
 أَلَفْتُ مَسَامِعَهُ اللَّامَ وَغَادَرْتُ سِمَةً عَلَى أَنْفِ الثَّنَامِ تَلُوحٌ^(٤)

جديرا به أن يجود — أى يمطر — . ومرتته الريح : استدرته وأصله في الناقة يمسح
 ضرعها لتدر . يقول : شتما بروق للمدوح : أى رجونا عطاءه والسماء لم يحجبها الغيم ،
 ونظرنا منه إلى سحاب حقيق بالجود : أى بالمطرو وإن لم تمره الريح . يفضل على السحاب
 لأن السحاب يحجب جمال السماء ولا يجود إلا إذا استدرته الريح ، أما المدوح
 فليس كذلك .

(١) المغبوق : الذى يسقى بالعنى ؛ والمصبوح : الذى يسقى صباحا . يقول : إنه يحمّد
 في كل وقت ، فكأنه يسقى كأس المحامد غبوقا وصبوحا .
 (٢) البدر : جمع بدرة ، وهى عنبر آلاف درهم . واللجين : الفضة . والمعنى ظاهر .
 (٣) يقول : لو فرق فى الناس كرمه الذى يفرق ماله لصار الناس كلهم أسخياء .
 وهذا ينظر إلى قول منصور الفقيه :

أَقُولُ إِذَا سَأَلُونِي عَنْ سَمَاحَتِهِ وَلَسْتُ تُمِّنُ يُطِيلُ الْقَوْلَ إِنْ مَدَحَا
 لَوْ أَنَّ مَا فِيهِ مِنْ جُودٍ تَقَسَّمَهُ أَوْلَادُ آدَمَ عَادُوا كُلُّهُمْ سُمَحَا
 وَالْأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ — وَإِنْ كَانَ مِنْ بَابٍ آخَرَ — :
 لَوْ قَسَمَ اللَّهُ جُزْءًا مِنْ مَحَاسِنِهِ فِي النَّاسِ طَرَأَ لَتَمَّ الْحَسَنُ فِي النَّاسِ
 وَيَقُولُ أَبُو تَمَامَ :

لَوْ اقْتَسِمَتْ أَخْلَاقُهُ الْفُرُ لَمْ تَجِدْ مَمِييَا وَلَا خَلْقًا مِنَ النَّاسِ عَائِبَا
 (٤) يقول : إن مسامحه أهملت وأسقطت لوم من يلومه على الجود ، فلم يبال به
 ومضى على سخائه ، وروى ابن جني : ألفت — من الألفة — أى أن مسامحه — لكثرة
 ما سمعت اللوم — ألفتها واعتادته فصار شيئا مألوفا لا قيمة له عنده ، وغيره ممن أطاعوا
 النلاثم وأصفت مسامعهم إليه صاروا لثاماً يرى عليهم أثر اللوم كما ترى السمة على الأنف .

هَذَا الَّذِي خَلَّتِ الْقُرُونُ وَذَكَرُهُ
وَحَدِيثُهُ فِي كُتُبِهَا مَشْرُوحٌ^(١)
أَلْبَانًا بِجَمَالِهِ مَبْهُورَةٌ وَسَحَابَانَا بِنَوَالِهِ مَفْضُوحٌ^(٢)
يَفْشَى الطَّمَانُ فَلَا يَرُدُّ قَنَاتَهُ
مَكْسُورَةٌ وَمِنْ الْكَمَاءِ صَحِيحٌ^(٣)

(١) المراد بخلت ههنا : تخلو ؛ وآتى بالماضي : للتحقيق — على حد قوله تعالى « آتى أمر الله » — يقول : هذا الذي تمضي القرون والأدهار ويبقى ذكره ويخلد في الكتب والأسفار . قال الواحدى : المعنى : أن الكتب مشحونة بذكر الكرم ونعت الكرام وأخلاقهم ، وهو المعنى بذلك ؛ إذ الحقيقة منها له ، فذكره إذا في الكتب مشروح . « هذا » : وقوله وذكره وحديثه إلخ . قال العكبرى : قال ذكره وحديث مشروح ولم يقل مشروحان لأن الذكر والحديث واحد ، وقيل هما جملتان : حذف الأولى لدلالة الثانية عليها ، وهذا مثل قوله تعالى : « والله ورسوله أحق أن يرضوه ، وهذا مذهب سيويه ، وأنشد :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ^(١)
وذهب البرد إلى أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، وتقديره : والله أحق أن يرضوه ورسوله . وقال قوم : بل الضمير عائد على المذكور ، كقول رؤبة :
فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلُّيعُ الْبَهَقِ^(٢)
أى كأن المذكور :

(٢) الألباب : العقول ؛ والنوال : العطاء . والمعنى ظاهر .
(٣) يقول : يخوض الحرب فلا يرد رماحه إلا بعد أن لا يبقى من الأبطال صحيح .

(١) لقيس ابن الحظيم [راجع معاهد التنصيص ج ١ ص ٦٧] .
(٢) من أرجوزته التي مطلعها :

وقاتم الأعماق خاوى المحترق *

[راجع أرجوزة العرب للبكرى ، « خزانة الأدب » للبغدادى ج ١ ص ٩٠] .

وَقَلَى التُّرَابِ مِنَ الدَّمَاءِ مَجَاسِدُ^(١) وَقَلَى السَّمَاءِ مِنَ الْمَجَاجِ مُسُوحُ^(٢)
يَخْطُو الْقَتِيلَ إِلَى الْقَتِيلِ أَمَامَهُ رَبُّ الْجَوَادِ وَخَلْفَهُ الْبَطُوحُ^(٣)
قَمَقِيلُ حُبٍّ مُجِبِّهِ فَرَحٌ بِهِ وَمَقِيلٌ غَنِيظٌ عَدُوٌّ مَقْرُوحُ^(٤)
يُخْنِي الْعِدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَمَرَ يَبُوحُ^(٥)

وهذا من قول الفرزدق :

بأيدى رجالٍ لم يَشِيمُوا سِيُوفَهُمْ ولم تكثرُ القتلى بها حينَ سُلَّتِ
« أى لم يعمدوها إلا بعد أن كثرت بها القتلى »^(١) قال الواحدي : وقوله مكسورة
حشو : أراد أن يطابق بينها وبين الصحيح ، لأنه لا فائدة من أن ترد القناة من الحرب
مكسورة ، ولو ردها صحيحة لم يلحقها نقص ، والكساة : جمع كى : الشجاع التسمى
أى التغطى بسلاحه ؛ إذ أنه كى نفسه : أى سترها بالدرع وخلافه .

(١) المجاسد : جمع الجسد ، وهو المصبوغ بالجساد : أى الزعفران ؛ والسوح : جمع
مسح ، وهو ما ينسج من الشعر الأسود . يقول : لكثرة ما يسفك من الدم صبغت
الأرض به حتى كأن عليها مجاسد ، واسودت السماء بالغيار فكان عليها مسوحا .

(٢) رب الجواد : فاعل يخطو ، يعنى الفارس . يقول : قد اكتظت المعركة بالقتلى ،
فترى الفارس يخطو من قتيل إلى قتيل ، ويغلف وراءه فارسا مبطوحا - أى قتيلا أيضا -
ومجوز أن يكون المراد رب الجواد : للمدح .

(٣) القيل : القام . المستقر ؛ قال تعالى : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن
مقيلا » وقال ابن رواحة :

اليوم نصر بكم على تنزيلة ضربا يزيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ
« الهام : جمع هامة ، وهى أعلى الرأس ؛ ومقيله : موضعه ، مستعار من موضع
القائلة » ومقيل الحب ، ومقيل الفيظ : القلب . يقول : إن قلب حبة فرح به مبتهج ،
وقلب عدوه مقروح مكتئب .

(٤) فاعل يخنى ضمير العدو ، يقول : إن عدوه يخنى العدواة خوفا منه . يد أن

(١) قال المبرد : « وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني وتأويله : لم يشيموا لم
يعمدوا ولم تكثر القتلى ، أى لم يعمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين سلت .

يَا ابْنَ الَّذِي مَا ضَمَّ بُرْدُ كَابْنِهِ شَرَفًا وَلَا كَالْجَدِّ ضَمَّ ضَرِيحًا^(١)
نَفْدِيكَ مِنْ سَيْلٍ إِذَا سُئِلَ النَّدَى
هَوْلٍ إِذَا أُخْتَلَطَا دَمٌ وَمَسِيحًا^(٢)

العداوة لا تخفى ، لأن نظر العدو إلى من يعاديه يظهر ما بقلبه من العداوة . قال ابن الرومي :

تَحْبِرُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ وَلَا جِنٌّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ
« لا جن : لا خفاء » وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص انشقى :
تَكَاشِرُنِي كَرْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوِي^(١)
وقال الآخر :

خَلِيلِي لِلْبَغْضَاءِ عَيْنٌ مُبِينَةٌ وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تَرَى وَمَعَارِفُ
(١) البرد : شكل من الثياب . والكاف - من قوله كانه - بمعنى مثل : صفة لموصوف محذوف ، هو مفعول ضم : أى ما ضم برد أحدًا مثل ابنه ولا ضم قبر مثل الجد . وشرفًا : تمييز . والضريح : القبر كله ؛ وقيل الشق في وسط القبر ، واللحد في جانبه ، وسمى كذلك لأنه يشق في الأرض شقا ، وكل ماشق فقد ضرح . قال ذو الرمة :
ضَرَحْنِ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبِ حُرَّةٍ وَعَنْ أَعْيُنٍ قَتَلْنَا كُلَّ مُقْتَلٍ
يقول : ليس في الأحياء مثلك شرفًا ، ولا في الأموات مثل جد أهلك في الشرف .
(٢) المسيح : العرق ؛ سمي مسيحا لأنه يمسح إذا صب . قال الرازي :

يَا رَيْيَهَا وَقَدْ بَدَأَ مَسِيحِي وَابْتَلَّ ثَوْبَايَ مِنَ النَّضِيحِ
« ياريها : يروى ناديتها » وقوله : هول ، أى وهول . فهو عطف على سيل . وكان الوجه أن يقول إذا اختلط دم ومسيح ، ولكنه قال اختلط - على لغة من يقول : قاما أخواك - يقول : أنت سيل عند العطاء : أى مثل المطر ، وهول عند القتال إذا سالت السماء وامتزجت بالعرق .

(١) مطلع أبيات جيدة في بابها يعاتب فيها يزيد هذا ابن عمه - [أما إلى القائل ج ١ ص ٦٨ والخزانة ج ٣ ص ١١٨ سلفية] وفي الأغاني : ودوى صدره مرض وضمّن

لَوْ كُنْتَ بَحْرًا لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ
أَوْ كُنْتَ غَيْثًا ضَاقَ عَنْكَ اللَّوْحُ ^(١)
وَحَشِيتُ مِنْكَ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا
مَا كَانَ أَنْذَرُ قَوْمَ نُوحٍ ^(٢)
عَجْزُ بَحْرٍ فَاقَهُ وَوَرَاءَهُ رِزْقُ الْإِلَهِ وَبَابُكَ الْمَفْتُوحُ ^(٣)
إِنَّ الْفَرِيسَ شَجٍ بَعْطَفِي عَائِدٌ
مِنْ أَنْ يَكُونَ سَوَاءَكَ الْمَدُوحُ ^(٤)

(١) الغيث : السحاب فيه مطر . واللوح : الهواء بين السماء والأرض .
والمعنى ظاهر .

(٢) يقول : لو كنت غيثا لحشيت منك الطوفان الذي أنذر به نوح قومه . فقوله
وحشيت : عطف على قوله ضاق - في البيت قبله - .

(٣) يقول : من العجز أن يقاسى الحر الفاقة مع وجود رزق الإله ، وبابك الذي
لا يحجب عنه طالب : يعنى أن الله قد وسع بك الرزق على الناس ، فمن لم يصمد إليك
ملتسماً الرزق فذلك لعجزه ، كما قال أبو تمام :

خَابَ أَمْرُؤُا بِحَسِّ الْحَوَادِثِ رِزْقُهُ وَأَقَامَ عَنْكَ وَأَنْتَ سَفْدُ الْأَسْمَدِ
وما أجمل قول بعضهم :

وَعَجْزُ بَدِيْ أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ بَعِيشَتِهِ وَسُعُ هَذِي الْبِلَادِ

وعجز : خبر مقدم عن فاقة ، وبحر : متعلق بفاقة ، والضمير في وراءه : للحر ؛
قال العكبري : عجز ابتداء ، وقد تفيد النكرة ؛ وخبره : فاقة ، فالباء متعلقة بفاقة ؛
ويجوز أن تكون فاقة ابتداء ، والخبر عجز مقدم عليه ، وتقديره فاقة بحر عجز ؛ فعلى
هذا تكون النكرة قد تقدم عليها خبرها ؛ وقيل : بل عجز خبر ابتداء محذوف دل عليه
المعنى ، تقديره : القعود عن قصدك عجز بحر ؛ وفاقة ابتداء ثان خبره محذوف تقديره :
به فاقة . قال : ووراءه أى قدامه ، قال تعالى « وكان وراءهم ملك » أى قدامهم -
من الأضداد .

(٤) شج : حزين . والعطف : الجانب . وبعطفي : متعلق بعائد ، وعائد : لاجيء ،

وَذِكْرِي رَائِحَةَ الرِّيَاضِ كَلَامُهَا تَبْنِي الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَتَفُوحُ^(١)
جُهْدُ الْمَقِلِّ فَكَيْفَ بَابْنِ كَرِيمَةٍ تُولِيهِ خَيْرًا وَاللِّسَانُ فَصِيحُ^(٢)

والقريض : الشعر ؛ ويقال : قرضت الشعر أقرضه : إذا قلته ، ومنه قول عبيد بن الأبرص :
حال الجريض دون القريض ؛ « الجريض : النقص ، قاله للنعمان بن المنذر حين أراد
قتله فقال له أنشدني من قولك » وقوله سواءك : فسواك إذا فتحت مدت ، وإن كسرت
قصرت . يقول : إن الشعر لاجيء إلى مستعير بي من أن أمدح به غيرك ؛ إذ لا يستحقه
أحد سواك .

(١) الحيا : المطر . يقول : إن الرائحة الطيبة من الرياض بمنزلة الكلام لها ،
تحاول أن تثني على المطر الذي أحياها فتسطع رائحتها فتكون بذلك قد أثنت على المطر .
وهذا من قول ابن الرومي يصف روضة :

شَكَرْتَ نِعْمَةَ الْوَلِيِّ عَلَى الْوَسْءِ مَيِّئٌ نَمَّ الْعِهَادِ بَعْدَ الْعِهَادِ^(١)
فَقِي تُبْنِي عَلَى السَّمَاءِ ثَنَاءً طَيِّبَ النَّشْرِ شَائِعًا فِي الْبِلَادِ
مِنْ نَسِيمٍ كَأَنَّ مَسْرَاهُ فِي الْخَلْدِ شَوْمَ مَسْرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ
وأخذه السرى الرفاء فقال :

وَكَنتَ كَرَوْضَةٍ سَقِيَتْ سَحَابًا فَأَثْنْتُ بِالنَّسِيمِ عَلَى السَّحَابِ

(٢) جهد المقل : أى ذلك جهد المقل . والجهد : الطاقة والوسع ، والمقل الذى
قلت ذات يده : وتولية : تعطيه . يقول : إن رائحة الرياض جهد المقل لأنها لا تستطيع النطق ،
فكيف ظنك بي إذا أحسنت إلى وأنا شاعر فصيح ؛ أى أننى لا أغادر شعرك
والثناء عليك . والجهد - بالفتح والضم - قال العكبرى ؛ وقال الفراء بالضم ، الطاقة ،
وحجته قراءة الجمهور : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » . والجهد - بالفتح - من
قولهم أجهد جهده فى الأمر : أى ابلغ غايتك ، ولا يقال أجهد جهده - بالضم - والجهد
بالفتح - المشقة ، يقال : جهد دابته وأجهدا : إذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها ،
وأجهد فى كذا : أى جد فيه وبالغ .

(١) الوسمى : مطر الربيع الأول ، لأنه يسم الأرض بالنبات ؛ والولى المطر يأتى
بعد الوسمى ويليه . والعهاد : جمع عهد ، وهو مطر بعد مطر .

وقال يصف لعبة على صورة جارية :

جَارِيَةٌ مَا لِحَسَمِهَا رُوحٌ بِالْقَلْبِ مِنْ حُبِّهَا تَبَارِيحٌ^(١)
فِي كَفِّهَا طَاقَةٌ تُشِيرُ بِهَا لِكُلِّ طَيْبٍ مِنْ طَيْبِهَا رِيحٌ^(٢)
سَأَشْرَبُ الْكَأْسَ عَنْ إِشَارَتِهَا وَدَمْعُ عَيْنِي فِي اتِّخَاذِ مَسْفُوحٍ^(٣)

وأراد الانصراف من عند سيف الدولة ليلا فقال :

يُقَاتِلُنِي عَلَيْكَ اللَّيْلُ جِدًّا وَمُنْصَرَفِي لَهُ أَمْضَى السَّلَاحِ^(٤)

(١) التباريح : الشدائد . يقول : إن القلوب تحبها للطف صورتها . وجارية - كما قال المكبرى - ابتداء ، وروح اسم ما المشبهة بليس ؛ والجار والمجرور الخبر . وقوله تباريح : ابتداء خبره المقدم عليه : وهو الجار والمجرور ، وحرف الجر يتعلق بالاستقرار ، ومن حبا : يتعلق بالابتداء .

(٢) يقول : إن كل طيب يستفيد طيب الرائحة من هذه الطاقة ؛ لأنها أطيب الأشياء ريحا .

(٣) يقول : إنني سأشرب الكأس امتثالا لإشارتها ، برغم أني أكره الخمر : ومن ثم سيسيل دمي على خدي استنشاعا للخمر .

(٤) منصرفي : مصدر ميمي بمعنى انصرافي . قال الواحدي : إن الليل يقول له انصرف ، وهو يميل إلى مجلس الأمير وإطالة اللبث فيه ويعصى الليل وبذلك حصل تنازع وجعل ذلك قتالا . ثم قال : وإذا انصرفت فقد أعتته على نفسي . ويجوز أن يكون المعنى : إن الليل برده ندماء وتفريقه جلساء يعمل على الخلو به ، فأنصرافي أمضى سلاح له وأعون على مراده . وقال المكبرى — في قوله منصرفي — يريد انصرافي ، وإذا زاد الفعل على الثلاثي استوى فيه المصدر واسم الزمان والمكان ، وإذا كان متعديا ساوت هذه الأشياء لفظ المفعول ، فالمنصرف يقع على المصدر ، والموضع الذي ينصرف عنه ، وعلى الوقت الذي يقع فيه ذلك ، وانصرف فعل لا يتعدى إلى مفعول فلو بني مثل هذه الأشياء مثل اجتذب ونحوها — مما هو على أربعة أو أكثر — استوت فيه الأشياء الأربعة المصدر

لَأَنِّي كُلَّمَا فَارَقْتُ طَرَفِي بَعِيدٌ بَيْنَ جَنَفِي وَالصَّبَاحِ^(١)

وجرى حديث وقعة أبي الساج مع أبي طاهر صاحب الأحساء ، فذكر أبو الطيب ما كان فيها من القتل ، فهال بعض الجلساء ذلك وجزع منه ، فقال أبو الطيب لأبي محمد بن طنج ارتجالا :

أَبَاعْتُ كُلَّ مَكْرُمَةٍ طُمُوحٍ وَفَارِسَ كُلَّ سَلَمَةٍ سُبُوحِ^(٢)

والزمان والكان والمفعول ، يقال جبل مجتذب ومجيب من مجتذبى جملك أى اجتذابى وهذا مجتذب جملك أى الموضع الذى يجتذب فيه والوقت الذى كان فيه الاجتذاب .

(١) البيت تمثيل لقوله : ومنصرفى له أمضى السلاح . يقول : لأننى كلما فارقت عينى ، ولم أرك ، لم أتم من شوقى إلى لقاءك ، فطال ليلى وبعد ما بين جفنى والصبح : هذا ؛ ويجوز رفع بين على إخراجها عن الظرفية وجعله مبتدأ وخبره بعيد . قال العكبرى : ويجوز أن يكون فاعلا يعيد ؛ كقول الشاعر :

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَثْرٍ بَعِيدٍ بَيْنَ جَالِيهَا جَرُورِ^(١)

ويجوز نصبه على الظرفية وتقدير المبتدأ محذوفاً : أى بعيد ما بين جفنى ؛ قال الواحدى : ولو قال بين عينى الصباح لكان أظهر ، لأن الصباح إنما يرى بالعين لا بالجنين .

(٢) الباعث : الهوى — من بعث الله الميت : إذا نشره — والطموح : الجروح ، وهى العزيمة المتبعة . والسلبية : الطويلة من الخيل : والسبوح : التى تسبح فى جريها . يقول : يا عبي كل مكرومة تستعصى على غيرك ، ويا فارس الخيل الشديداً الجرى .

(١) الأشطان : جمع شطن ، وهو الجبل الطويل الشديد القتل الذى يستقى به وتشد به الخيل ؛ والجال : كل ناحية من نواحي البئر من أسفلها إلى أعلاها ؛ والجروور البئر البعيدة القمر ، وبين : قال ابن منظور : البين ههنا الوصل ، قال لأن البين فى كلام العرب من الأضداد ؛ إذ يكون بمعنى الفارقة ويكون الوصل كما فى هذا البيت

وَطَائِعَ كُلِّ نَجْلَاءٍ غُمُوسٍ وَعَاصِيَ كُلِّ عَذَالٍ نَصِيحٍ^(١)
 سَقَانِي اللَّهُ قَبْلَ الْمَوْتِ يَوْمًا دَمَ الْأَعْدَاءِ مِنْ جَوْفِ الْجُرُوحِ^(٢)
 وأرسل أبو العشائر بازياً على حَجَلَةٍ فأخذها فقال المتنبي :
 وَطَائِرِي تَتَّبِعُهُمَا الْمَنَايَا عَلَى آثَارِهَا زَجَلُ الْجَنَاحِ^(٣)
 كَأَنَّ الرَّيْشَ مِنْهُ فِي سِهَامٍ عَلَى جَسَدٍ تَجَسَّمُ مِنْ رِيَّاحٍ^(٤)

(١) النجلاء : الواسعة ، والغموس : التي تغمس المطعون في الدم . يقول : إنه كان يطن كل طعنة واسعة تغمس صاحبها المطعون في الدم ، ويعصى كل من يعذله في الجود والإقدام .

(٢) يقول : أمكنني الله من الأعداء حتى أهرق دماءهم وآتي عليهم ، والعرب تقول شربنا دم بني فلان يريدون قتلناهم وأرسلنا دماءهم على الأرض كلاماً . هذا : وسقى وأسقى لغتان فصيحتان نطق بهما القرآن الكريم قال تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً » وقال جل شأنه « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » .

(٣) المراد بالطائرة : الحجلة ، والحجلة : واحدة الحجل ؛ طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين يعيش في الصرود العالية يستطاب لجمه . والزجل ذو الصوت ؛ وأراد بالزجل : جناح البازي — يعني خفيف جناحيه في الطيران . قال العكبري : من رفع زجل يكون الكلام تاماً في النصف الأول ؛ ويرتفع على لا ابتداء ؛ والخبر ، الجار والمجرور وهو متعلق بالاستقرار وقال الواحدى : من نصبه نصبه على الحال إذا جعل المنايا البازي لأنه سبب منايا الطير ، وتتبعها هي وتتبعها . ورواها العكبري تتبعها وقال : يقال تبعته واتبعته وتتبعته . ثم قال : تبعته القوم إذا كنت خلفهم ومروا بك فمضيت معهم وكذلك اتبعتهم وهو اقتلعت وأتبعته القوم على أفعلت إذا كانوا قد سبقوك فلحقهم وأتبعته غيرى يقال : أتبعته الشيء فتبعه ، وقال الأخفش : تبعته وأتبعته بمعنى . مثل ، ردفته وأردفته .

(٤) جعل قصب ريشه سهاما لاستوائها وسرعة مرها ، وجعل جسده جسماً من رياح لسرعة انقضاضه على الصيد ، فالضمير منه : يعود على زجل الجناح ، وفي سهام متعلق بمحذوف تقديره ظهر في سهام ، وعلى جسد : في موضع الصفة ، ومن رياح : متعلق بتجسم .

كَانَ رُؤُوسَ أَفْلَامٍ غِلَاطٍ مُسَخَّنَ بَرِيشٍ جُوءُجُورٍ الصَّحَاحِ^(١)
فَأَقْصَصَهَا بِحَجْنٍ تَحْتَ صُفْرِ لَهَا فِعْلُ الْأَسْنَةِ وَالصَّفَاحِ^(٢)
فَقُلْتُ لِكُلِّ حَيٍّ يَوْمُ مَوْتٍ وَإِنْ حَرَصَ النَّفُوسُ عَلَى الْفَلَاحِ^(٣)

(١) الجُوءُجُورُ: الصدر . شبه سواد صدره بآثار مسح رؤوس أفلام جبر غلاظ في ثوب أبيض ؛ وروى ابن جني : غلاظا — نصباً على النعت للرؤوس — وهو أجود ، لأن المراد غلظ الرؤوس حتى يكون أثر الجبر عريضاً ؛ والصحاح : جمع صحيح ، وروى الصحاح — بفتح الصاد — على النعت للجُوءُجُورِ أو للریش على اللفظ لا المعنى .

(٢) أقصصها : قتلها قتلا وحياً سريعاً . والحجن : جمع أحجن ، وهو المعوج — يريد محالبه — والصفر : أصابعه ؛ والأسنة : نصال الرماح ؛ والصفاح : السيوف ، يريد أن البازي قتل هذه الحجلة قتلاً سريعاً . هذا : ويقال مات فلان قصصاً إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه ، وضربه فأقصصه أى قتله مكانه ، وأقصصه بالرمح وقصصه : طعنه طعناً وحياً . والقصاص داء يأخذ الغنم لا يلبسها أن تموت ؛ وفي الحديث : من أشرط الساعة موتان يكون في الناس كقصاص الغنم . والحجن — بالتحريك — الاعوجاج ، وصقر أحجن الخالب : معوجها ، والمجنن : الصولجان لاعوجاجه .

(٣) لكل حي : خبر مقدم ، ويوم موت : مبتدأ مؤخر ، والفلاح : البقاء والفوز والنجاة ، والفلاح السحور ومنه : حتى خفنا أن يفوتنا الفلاح أى السحور لأنه به بقاء الصوم ، وحى على الفلاح أى أقبل على النجاة .

قافية الدال

وقال يمدح سيف الدولة ، ويرثى ابن عمه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ،
وقد توفى في حمص سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

مَا سَدِكَتِ عِلَّةٌ بِمَوْرُودٍ أَكْرَمَ مِنْ تَغْلِبَ بْنِ دَاوُدَ^(١)
يَأْنَفُ مِنْ مِيتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيدِ^(٢)
وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ الْمَمَاتِ عَلَى غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُودِ^(٣)
بَعْدَ عِثَارِ الْقَنَا بِلَبَّتِهِ وَصَرَبِهِ أَرْؤُسِ الصَّنَادِيدِ^(٤)

(١) سدك الشيء بالشيء : لزمه ؛ والعلة : المرض ؛ والمورود المغموم في لغة أهل
البحر وقد وردته الحمى فهو مورود قل ذو الرمة :

* كَأَنِّي مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ مَوْرُود *
والورد يوم الحمى إذا أخذت صاحبها لوقت ، ويقال : أكل الرطب موردة ، أى محمة

وقال أعرابي لآخر : ما أمار إفراق المورود ؟ فقال : الرضاء . ويروى بمولود .
يقول : ما لزم علة مورودا أكرم من هذا الرجل .

(٢) أصدق المواعيد : الموت . يقول : إنه يأنف من موته على الفراش لأنه شجاع
أخو حروب ؛ وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذَنْ لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدْقِ الْكَزَنِ
(٣) القود : الطوال من الخيل . يقول : مثله في شجاعته وملايسته الحروب ينكر

موته على غير السروج : أى في غير الحروب . يحكى عن خالد بن الوليد أنه قال وهو
يختصر : ليس في جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا ذا أموت
موت الحمار ، فلا نامت أعين الجبناء .

(١) يقول : مثله ينكر موته على الفراش بعد أن كانت الرماح تتعثر بصدرة في
الحرب ، وبعد ضربه رؤس الأبطال . وتعثر الرماح بصدرة : إصابتها إياه ، وجعله

وَحَوْضِهِ نَعْمَ كُلِّ مَهْلَكَةٍ لِلذَّمِّ فِيهَا فُؤَادُ رَعِيدٍ^(١)
فَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مُصِرٌّ وَإِنْ بَكَيْنَا فَفَيْرٌ مَرْدُودٍ^(٢)
وَإِنْ جَزَعْنَا لَهُ فَلَا حَاجِبَ
ذَا الْجَزْرِ فِي الْبَحْرِ غَيْرُ مَفْهُودٍ^(٣)

مطمعونا إشارة إلى أن قرنه يخاف جانبه فيقاتله بالرمح ، وجعله ضاربا إشارة إلى أنه لا يخاف أن يدنو من قرنه . والصناديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع ، ومنه الصناديد من الأمور وهي الشدائد والدواهي ، وكان الحسن يقول : نعوذ بالله من صناديد القدر — أى من دواهي ونوائبه العظام القوالب — ومن جنون العمل — وهو الإعجاب — ومن ملغ الباطل ، وهو التجتر فيه .

(١) الضر : الكثير ، والمراد هنا أصعب مواضع الحروب ، والذمر : الشجاع والرعيد : الجبان . يقول : وجد حوضه كل حومة في الحرب صعبة إذا خاضها الشجاع خاف خوف الجبان .

(٢) صبر : جمع صبور . يقول : فإن صبرنا على قتله فإن الصبر عادة لنا وإن بكينا لم يردده علينا البكاء ، فلا تقع في البكاء ولا غناء . وإن شئت قلت : ففَيْر مردود . أى لم يرد علينا البكاء : أى لا نصاب به ، لاستحقاقه ذلك وشدة الفجعة به .

(٣) شبهه بالبحر وشبه موته بالجزر . يقول : وإن جزعنا لموته فلا حجب ، لأن مثل هذا الجزر لم يعد في البحر إذ المهود في البحر إذا جزر أن يتراجع مأوه حسب ، ولكن لم يعد فيه أن يجزر حتى ينضب ويحف . والمعنى : قد تقع للصاب ، ولكن لم تمهد مثل هذه المصيبة ، وهذا كقول أغنى باهلة :

فَإِنْ جَزَعْنَا فَمِثْلُ الشَّرِّ أَجْزَعْنَا وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعْشَرُ صَبْرٍ
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ قَال :

فَلَمَّا صَبَرْتُ فَأَنْتَ كَوَكْبٌ مَفْشَرٍ صَبَرُوا وَإِنْ تَجَزَّعَ فَفَيْرٌ مَفْنَدٍ
وَأَخَذَهُ الْحَرَمِيُّ قَال :

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ دَمَا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

(٢٥٠ — التتوي ١)

أَيْنَ الْمَبَاتِ الَّتِي يُفَرِّقُهَا عَلَى الزَّرَفَاتِ وَالْوَاحِدِ^(١)
 سَالِمُ أَهْلِ الْوَدَادِ بَعْدَهُمْ يَسْلَمُ لِلْحُزْنِ لَا لِتَخْلِيدِ^(٢)
 فَمَا تَرْجَى النَّفْسُ مِنْ زَمَنِ
 أَحْمَدُ حَالِهِ غَيْرَ مُحَمَّدٍ^(٣)
 إِنَّ نَيْوَبَ الزَّمَانِ تَعْرِفُنِي
 أَنَا الَّذِي طَالَ عَجْمُهُا عُودِي^(٤)
 وَفِي مَا قَارَعَ الْخَطُوبَ وَمَا آتَنِي بِالْمَصَائِبِ الشُّودِ^(٥)

(١) الزرافات : الجماعات ؛ والمراد بالواحد : الأفراد ، كأنه أخذها من مواحيد الجبال ، وهى أكمت منفردات كل واحدة باثثة عن الأخرى . يقول : إن العطاء انقطع بموته وانقطع ما كان يعطى الجماعات والأفراد من المبات .
 (٢) يقول : إن الذى يسلم من القوم التحايين بعد ذهاب أصحابه إنما يسلم ليحزن لفقدهم ، لا ليخلد ، لأنه يتبعهم ، وإن تأخر أجله عن آجالهم .
 (٣) قال ابن جنى : أحمد حاله أن يبقى بعد صديقه وذلك غير محمود لتعجل الحزن : خلفاء الموت والحياة ، أى وإذا كانت الحياة وهى أحمد حالى الزمان غير محمودة لأنها تقطع بالحزن على الراجلين ، فماذا ترجى من الزمان ؟ وقال الواحدى : أى لارضاء عند زمان أحمد حاله البقاء وهو غير محمود لأن محبته بلاء ومؤجله فناء ، وإن شئت قلت أحمد حاله البقاء ، ومن بقى شاب ، والشيب مكروه مذموم . فيكون كما قال محمود الوراق :

يَهْوَى الْبَقَاءَ فَإِنْ مَدَّ الْبَقَاءُ لَهُ وَسَاعَدَتْ نَفْسَهُ فِيهِ أَمَانِيهَا
 أَبْقَى الْبَقَاءُ لَهُ فِي نَفْسِهِ شُغْلًا مِمَّا يُرَى مِنْ تَصَارِيفِ الْبَلَا فِيهَا

(٤) عجم العود : عضة ليعرف أصلب هو أم رخو ؟ وعجبت عوده : بلوت أمره وخبرت حاله . قال :

أَبَى عُودُكَ الْمَجُومُ لِإِصْلَابَةٍ وَكَفَّاكَ إِلَّا نَائِلًا حِينَ تُسَالُ

يقول : قد طالعت صبحى للزمان ، وقد جربنى وعرف صلابتى وصبرى على نوائبه .
 (٥) يقول : فى من الجلادة والصبر ما يقارع الخطوب ويدافعها عن توهينى ، ومن

مَا كُنْتَ عَنْهُ إِذِ اسْتَفَانَكَ يَا سَيْفَ بَنِي هَاشِمٍ بِمَغْمُودٍ^(١)
 يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ يَا مَلِكَ الْأَمْلاكِ طُرّاً يَا أَصِيدَ الصَّيْدِ^(٢)
 قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهَا فَأَنْشُرْهُ وَقَعُ قَنَا اخْطُطْ فِي اللَّغَادِيدِ^(٣)
 وَرَمَيْكَ اللَّيْلَ بِالْجُنُودِ وَقَدْ
 رَمَيْتَ أَجْفَانَهُمْ بِتَنْشِيدِ^(٤)

طول إلفق للمحن ما نفى عن الجزع وصيرني آنس بالمصائب . وعلى هذا يكون : وما آنسى
 عطفا على ما قارع ويجوز — كما قال العكبرى — أن تكون ما — في وما آنسى —
 تعبيرا . وعبرة الواحدى : في ما يقارع الخطوب ويؤنس بالمصائب العظام ، وهو علمه
 بثواب المصابين كما قال صلى الله عليه وسلم « ليودن أهل العافية يوم القيامة لو أن جلودهم
 قرضت بالمقاريض . . . لما يرون من ثواب أهل البلاء » . والذي آنسه بالمصائب رأيه
 الذى يره المخرج منها . . . والخطوب جمع خطب : الشدة تلقى الإنسان . والمصيبة
 إذا عظمت قيل : مصيبة سوداء .

(١) يقول : لما استفانك وهو فى أسر بنى كلاب أغثته واستنقذه من أيديهم ولم
 تكن سيفاً مغموداً عنه .

(٢) يا أصيد الصيد ، يا ملك الملوك . وأصل الصيد : داء يأخذ البعير فى عنقه
 فلا يستطيع معه أن يلتفت يمنة أو يسرة ، واستعمل فى الملك والرجل العظيم صاحب
 النخوة ، وأصيد أفل وصف لا أفل تفضيل والصيد جمعه قال العكبرى : وأصيد
 الصيد ههنا بمعنى ملك الملوك ولا يكون هنا أعظمهم صيداً لأن ذلك يفتح كما يفتح
 أعور العور أى أشد هم عوراً ، لأن الخلق والعاهات لا يستعمل فيها أفل ولأما أفضله .

(٣) اللغاديد : لحمت بين الحنك وصفحة العنق ، وأنشره : أحياءه ، قال تعالى « ثم
 إذا شاء أنشره » ، وقنا الخط : الرماح والخط : موضع بالجمامة تنسب إليه الرماح وجعل
 أسره قبل ذلك موتا قبل هذه الموتة . يقول : لقد مات قبل هذه الموتة بأسر الخارجى
 إياه ، فأنشرتة من ذلك الموت بطعن الرماح فى لغاديد الأعداء حتى استنقذته منهم .

(٤) يقول : وأنشره سيرك ليلا بجنودك لاستنقاذه وقد سهروا خشية هجومك عليهم ،
 فكأنك رميت عيونهم بالسهل ، ورميت الليل بالجنود إذ سرت فيه بجنودك ، فقوله :
 ورميك ، عطف على وقع القنا .

فَصَلِّ بَعْثُهُمْ رِغَالَهَا شُرَبًا يَبْنَ ثُبَاتٍ إِلَى عَبَادِيدِ^(١)
 تَحْمِلُ أَعْمَادُهَا الْفِدَاءَ لَكُمْ فَابْتَقِدُوا الضَّرْبَ كَالْأَخَادِيدِ^(٢)
 مَوْقِفُهُ فِي فِرَاشِ هَامِهِم وَرَبِّجُهُ فِي مَنَاخِرِ السَّيِّدِ^(٣)
 أَفْنَى الْحَيَاةِ الَّتِي وَهَبَتْ لَهُ فِي شَرَفٍ شَاكِرًا وَتَسْوِيدِ^(٤)
 سَقِيمَ جِسْمٍ صَحِيحَ مَكْرُمَةٍ مَنجُودَ كَرْبٍ غِيَاثَ مَنجُودِ^(٥)

(١) الهاء — في رغالها — كناية عن الخيل ، وإن لم تذكر ، والرجال : جمع رعة القطعة من الخيل ، والضمير للجنود ، والشرب : جمع شارب ، وهو الضامر . والثبات : جمع ثبة ، وهي الجماعة ، والعباديد : الفرق ، ولا واحد لها من لفظها . يقول : انصبت عليهم الخيل صباحا زراطلت ووحدا نا .

(٢) انتقد الدرام : قبضا ، والأخاديد : جمع أخدود ، وهو الشق في الأرض ، كنى بما تحمل الأعماد عن السيوف : أى حملوا إليهم السيوف في الأعماد وجعلوها فداء . لأنهم استنقذوه بها ، ولما جعل السيوف فداءً جعل الضرب بها مقبوضاً كما تقبض الدرام والدنانير التي تدفع عادة في الفداء . يعنى : إن فداء أبى وائل كان ضرباً أثر فيهم تأثير الأخدود في الأرض : أى نالتهم جراح واسعة كأنها الأخاديد .

(٣) الفراش : عظام رفاق تلى خف الرأس ، والهام : الرؤوس . والسيد : الدب . يقول : إن هذا الضرب يقع في عظام رؤوسهم فتستنشق الدئاب والوحوش منه رائحة تدلها فتأتى لأكل لحومهم .

(٤) يقول : إن الحياة التي وهبها له بعد تخليصك إياه من الأسر والقتل أفناها في بناء الشرف والسيادة شاكرًا لك تلك النعمة — نعمة الحياة — التي أنعمت عليه بها . ويجوز أن يكون التسويد إقراره بسيادة سيف الدولة ، وشاكرًا : حال من ضمير أفنى ، والتسويد : مصدر سوده أى جملة سيداً .

(٥) المنجود : المكروب ؛ ويقال استنجذنى فأنجذته : أى استعان بى فأعنته ، واستنجذ الرجل أى قوى بعد ضعف أو مرض ، ويقال للرجل إذا ضرى بالرجل واجترأ عليه بعد هيئته إياه : قد استنجذ عليه ، وكان المرئى قد أصابته جراحة في الحرب فبقى فيها إلى أن مات . يقول : أفنى بقية حياته سقيم جسم بسبب هذه الجراحة ، مكروباً لتلك الجراحة ، وهو مع ذلك عون المكروب .

ثُمَّ غَدَا قَيْدَهُ الْحِمَامُ وَمَا تَخْلَصُ مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودٍ^(١)
 لَا يَنْقُصُ الْمَالِكُونَ مِنْ عَدَدِ مِنْهُ عَلَى مُضَيِّقِ الْبَيْدِ^(٢)
 نَهَبٌ فِي ظَهْرِهَا كِتَابَتُهُ هُبُوبٌ أَرْوَاحَهَا الْمَرَاوِدِ^(٣)
 أَوَّلَ حَرْفٍ مِنْ أَسْمِهِ كَتَبَتْ سَنَابِكَ الْخَيْلِ فِي الْجَلَامِيدِ^(٤)
 مَهْمَا يُعَزُّ الْفَتَى الْأَمِيرَ بِهِ فَلَا بِإِقْدَامِهِ وَلَا الْجُودِ^(٥)

(١) الحمام : الموت ، والصفود : القيد . يقول : بعد أن خلصته من أسر العدو غدا أسيراً للموت . ومن قيد بالموت وصفده لم يتخلص منه : هذا ، وجملة قيده الحمام : مبتدأ وخبر في موضع نصب كأنه قال ثم غدا هو ، وروى قده الحمام ، والقيد : الفل والقيد ، وروى قده الحمام أى غدا الحمام قده .

(٢) يقول : من هلك من عشيرتك لا ينتقص به عدلك لأن الفلوات تضيق بأتباعك ومن معك من الجيوش : ومن — في قوله من عدد — زائدة ، وعدد : مفعول ينقص ومنه على : مبتدأ وخبر صفة لعدد ، وعلى هو سيف النبوة .
 (٣) الضمير — في ظهرها — للبيد ، وأرواحها : رياحها ، والمراد : الرياح تجيء وتذهب . قال ذو الرمة :

يَا دَارَ مَيَّةٍ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا عِلْمًا تَقَادُمُ الْعَهْدِ وَالْهُجُجُ الْمَرَاوِدُ
 يقول : إن جيوشه تطلع على الفلوات وتنتشر فيها انتشار الرياح عند هبوبها . يريد أن جيوشه كثيرة فهي تم البيد كما تمها الرياح عند هبوبها ، وهذا على حد قوله :

إِذَا سَارَ فِي مَهْمَةٍ عَمَّهُ وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلٍ طَالَهُ
 (٤) أراد بأول حرف من اسمه : العين ، لأن اسمه على . والسنبك : طرف الحافر ، والجلاميد : الصخور . يقول : إن حوافر الخيل لشدة وقمها على الصخور كانت تطبع فيها أثراً يشبه حرف العين في استدراته وفراغ وسطه .

(٥) يقول : مهما عزاه معز بهذا البيت ، فلا عزاء بجوده وشجاعته : أى لا تقدها فالفتى : فاعل يعز ، والأمير : منصوب بوقوع العزاء عليه ، وتقديره : مهما يعز معز الأمير ، والضمير في به : للبيت . وروى — يعز الفتى الأمير — على أن الأمير صفة للفتى ، والفتى : نائب فاعل يعز البننى لما لم يسم فاعله .

وَمِنْ مَنْ بَقَاؤُهُ أَبَدًا حَتَّى يُعْزَى بِكُلِّ مَوْلُودٍ^(١)

وقال يمدحه ، ويذكر هجوم الشتاء الذي عاقه عن غزو خرشنة ، ويذكر الواقعة :

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدُ
وَإِنْ ضَجِيعَ الْخُودِ مِنِّي لَمَاجِدُ^(٢)
يَرُدُّ يَدًا عَنْ تَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرُ
وَيَنْصِي الْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدُ^(٣)

(١) يقول : أمنيته أن يبقى على الدوام حتى يتقدمه كل من ولد فيعزى بهم قال ابن جني : وهذا دعاء حسن ، كما يقال للمعزى : جملك الله وارث الجماعة ، وهو أجود في المعنى من قولهم : لا أعاد الله إليك مصيبة أبداً .

(٢) الخود : المرأة الناعمة الحسنة الخلق . يقول : إن اللواتي يعذلن هذه المرأة - التي هي صاحبة الخال على خدها - في لأجل محبتها إياي هن حواسد لها على ، لأنها ظفرت مني بضجيع ماجد .

(٣) يرد : أى الضجيع ، والطيف : الخيال في النوم . يقول : إننى أعف عنها مع كوني قادراً على ترك المغاف ، وقد صار ذلك سجية لى حتى صرت أعف عن طيفها أيضاً إذا زارنى في نومي . يصف نفسه بالعفة والرغبة عن مغازلة النساء ، كما قال هذبة :

وَلَمَّا لِلْأَخْلَى لِلنَّفْتَةِ فِرَاشَهَا وَأَصْرِمُ ذَاتِ الدَّلِّ وَالْقَلْبُ آلِفُ

قال ابن جني : لو قدر على أن يقول موضع قادر : يقظان أو مستيقظ لكان أجود في الصناعة ، ولكنه لم يقدر . قال أبو الفضل العروضى : هذا النقد - نقد ابن جني - غير جيد ، وذلك أنه لو قال يقظان أو ساهر : لم يزد على معنى واحد ، وهو الكف في حالة النوم واليقظة ، وإذا قال قادر : زاد في المعنى أنه تركها صلف نفس وحفظ مروءة لا عن عجز ورهبة ، ولو أن رجلاً ترك المحارم من غير قدرة لم يأنم ولم يؤجر ، وإذا تركها مع القدرة صار مأجوراً . قال : والعجب من أبى الفتح يقصر فيما فرض على نفسه من التفسير ويخطئ ثم يتكافى النقد ، وقال في قوله وهو راقد : إن الراقد قادر أيضاً

مَتَى يَشْتَنِى مِنْ لَاعِجِ الشَّقْوِ فِي الْحَشَى
 مُحِبٌّ لَهَا فِي قُرْبِهِ مُتَبَاعِدٌ^(١)
 إِذَا كُنْتَ تَحْشَى الْعَارَ فِي كُلِّ حَلْوَةٍ
 فَلَمْ تَتَصَبَّأَكَ الْحَسَنُ الْخَرَائِدُ^(٢)
 أَلَحَّ عَلَى السُّنْمِ حَتَّى أَلْفَتْهُ وَمَلَّ طَيْبِي جَانِبِي وَالْعَوْدُ^(٣)

أن يتحرك في نومه ويصيح ، وليس هذا بشيء ، ولم يقله أحد ، والقدرة على الشيء أن يفعله متى شاء ، فإن شاء فعل وإن شاء ترك ، والنائم لا يوصف بهذا ولا الغشى عليه ولا يقال للنائم إنه مستطيع ولا قادر ولا مرید ، وأما عصيانه الهوى في طيفها فليس باختيار منه في النوم ، ولكنه يقول لشدة ماثبت في طبعي وغريزتي صرت في النوم كالجارى على عادتي .

(١) اللاعج : المحرق ، يقال : هوى لاعج ، لحرقه الفؤاد من الحب ، ولعج الحب والحزن فؤاده يلعج لعجا ، استحر في القلب ؛ ولعجه الضرب ، آلمه وأحرق جلده ، قال عبد مناف بن ربيع الهذلي .

ماذا يَغْيِرُ ابْنَتِي رُبْعٌ عَوِيْلُهُمَا لَا تَرْقُدَانِ وَلَا بُؤْسَى لِمَنْ رَقَدَا
 إِذَا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قَامْتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيمًا يَسْبِتُ يَلْعَجُ الْجِلْدَا
 « يغير : ينفع ؛ أى لا يغنى بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئا ، والسبت : جلود البقر المدبوعة واحتاج إلى حركة اللام من الجلد فكسره » والحشا : ما اضطمت عليه الضلوع . وقوله في قربه : حال من فاعل متباعد . يقول : متى يجد الشفاء من الشوق المحرق محب لهذه المحبوبة إذا دنا منها بشخصه نأى عنها بعفائه ؛ وعبرة ابن جني : يريد متى تشفى مما بك وأنت كلما قدرت امتنعت ؟

(٢) تصباك ، تدعوك إلى الصبوة ، والخرائد : الحيات . ينكر على نفسه صبوته إلى الحسان مادام يخشى العار في الحلوة بهن . يقول : إذا كنت في الحلوة بهن تتأى عنهن وتعف ، فمالك ولعشق الحسان والزراع إلهن ؟

(١) ألح عليه : لازمه . ويقال : ألح عليه بالمسألة ، وألح الرجل على غريمه في التقاضى إذا واظب ؛ وسحاب ملحاح : دائم ، وألح السحاب بالمكان : أقام به مثل ألح ؛ وألحت

مَرَزْتُ عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ فَحَمَمَتُ
 جَوَادِي وَهَلْ تَشْجُو الْجِيَادَ الْمَاهِدُ^(١)
 وَمَا تُنْكِرُ الدَّمَاهُ مِنْ رَسْمِ مَنَزِلٍ
 سَقَتَهَا ضَرِيبَ الشَّوْلِ فِيهَا الْوَلَايِدُ^(٢)
 أَهْمُ بِشَيْءٍ وَاللَّيَالِي كَانَتْهَا تَطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ^(٣)

الناقة وألح الجمل : إذا لزما مكانهما فلم يبرحا كما يحرن الفرس ؛ وكله من اللزوق .
 والعوائد : جمع عائدة ، وهى التى تعود المريض . يقول : لارمنى السقم فلا يفارقنى حتى
 لقد ألفتة ، وقد ملنى طبيبي وعوائدى لشدة ما بى من السقم .

(١) يقال : فرس جواد للذكر والأنثى . والمحمة : دون الصهيل ، كالنتنح .
 وشجاء يشجوه : إذا أجزنه ؛ وأشجاء إذا غصه . والماهد جمع معهد ، وهو الموضع
 الذى عهدت به شيئا ، وتسمى ديار الأجرة : معاهد . يقول : مررت على دار الحبيب
 فحممت جوادى حينئذ لأنها عرقها . ثم استفهم متعبا فقال : وهل الديار تشجى
 المعبوات كما تشجى الإنسان ؟ ! وقد أخذ أبو الحسن التهامى هذا وزله
 عليه فقال :

بَكَيْتُ فَحَمَمْتُ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جِيَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا
 ثُمَّ زَادَ السَّرَى الرَّفَاءَ عَلَى هَذَا فَقَالَ :

وَقَفْتُ بِهَا أَبْكِي وَتُرْزِمُ نَاقَتِي وَتَصْهَلُ أَفْرَاسِي وَيَدْعُو حَمَامُهَا
 (٢) ما : استفهام إنكارى والفرس الدهاء : السوداء . والضريب : اللبن الخائر
 يحلب من عدة لقاح . والشول : النياق التى بعد عهدها بالتاج لجف لبنها . والوليدة :
 الجارية التى تخدم . نفى التعجب ورجع عنه . يقول : كيف تنكر الفرس الدهاء رسم
 منزل أقامت به تسقى الولائد فيه لبن النياق فألفتة ؟ وقال الواحدى : «ما» ههنا نفى .
 (٣) عن كونه : أى عن حصوله . يقول : أريد الأمر الخطير وأحاول فعله والليالى
 تدافنى عنه وتحول بينى وبينه ، فكانها بذلك تطاردنى عن الوصول إليه ، وأنا
 أطاردها عن حيلولتها بينى وبينه .

وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَانِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ^(١)
وَتُسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ^(٢)
تَثْنَى عَلَى قَدْرِ الطَّعَانِ كَأَنَّمَا مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ^(٣)
مَحْرَمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلٍ عَلَى الْقَنَا مُحَلَّةٌ لَبَّاتُهَا وَالْقَلَائِدُ^(٤)

(١) وحيد: خبر مبتدأ محذوف: أي أنا وحيد؛ ويروى وحيدا - على أنه حال من ضمير أم - يقول: إن مطلوبي عظيم، ومن ثم لا أجد من يساعدنني على ما أطلب، لأن المطلوب إذا كان عظيما قل من ينهض بالمساعدة عليه، والخلان: جمع خليل: كـرغيف ورغفان (٢) الغمرة: الشدة « والسبوح: الفرس التي كأنها تسبح في جريها، يقول: وتعينني على توارد الضمرات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال لها منها أدلة عليها وفي الشطر الثاني من كثرة التكرار - وهو قوله لها منها عليها - ما قد يعاب به ولها خبر مقدم عن شواهد؛ والمحلة: صفة؛ وعليها: متعلق بشواهد؛ ومنها: حال، (٣) الراود: جمع مروود، وهو حديدة تدور في اللجام - من راد يرود: إذا ذهب وجاء. يقول: إن هذه السبوح - اللين مفاصلها - تميل مع الرماح كيفما اتجهت شبه مفاصلها في سرعة استدارتها - إذا لوى عنانها لدى الطعان - يسبح المروود بدور مع حلقاته كيفما أدبرت، كما قال كشاجم:

وَإِذَا عَطَفَتْ بِهِ عَلَى مَوْرُودِهِ لِتُسْدِيرِهِ فَكَأَنَّهُ بَرَكَارُ^(١)

وهنا قال الواحدى: أخطأ القاضى - يريد القاضى أبا الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني - في هذا البيت، وزعم أن هذا من اللقوب، وقال: إنما يصح المعنى لو قال كأنما الرماح تحت مفاصلها مراود؛ وعنده أن المروود مثل المكحلة، شبه الرماح في مفاصلها بالليل في الجفن يفعل فيها كما يفعل الليل في العين، وهذا فاسد، لأنه يخص الفاصل، وليس كل الطعن في الفاصل لأنه قال تثنى على قدر الطعان، وإذا كانت الرماح ومفاصلها كالليل في الجفن فلا حاجة إلى تشبيهها.

(٤) اللبات: أعالى الصدور. ومحلة القلائد: أي مواضع القلائد من الأعناق.

(١) البركار والبيكار: آلة ذات ساقين لرسم الدوائر - البرجل -

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُهَنْدُ فِي يَدَي مَوَارِدَ لَا يُصْدِرْنَ مَنْ لَا يُجَالِدُ^(١)
وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَحْمِلِ الْقَلْبُ كَفَّهُ
عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَحْمِلِ الْكَفَّ سَاعِدُ^(٢)
خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ^(٣)
فَلَا تَعَجَّبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ
وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ^(٤)

يقول : إنه يغوض الحرب فتتال الرماح من صدور خيله وأعناقها ولا تتال من أعجازها لأنه لا يهرب منها .

(١) يقول : وأورد نفسي في الحرب — وسيفي في يدي — موارد مهلكة لا يصدر وأردها حيا ما لم يكن جلدا شجاعا مثلي — أو ما لم يقاتل مثلي — وعبارة ابن جني : من وقف مثل موقفي في الحرب ولم يكن شجاعا جلدا ، هلك . هذا : والواو في والمهند : والحوال ، والمهند : السيف المهندى ، أو السيف المشجود .

(٢) يقول : إن قوة الضرب إنما تتكون بالقلب لا بالكف ، فإذا لم تقو الكف بقوة القلب : لم تقو بقوة الساعد وقوله : على حالة : صلة يحمل .

(٣) يقول : إن من عداه من الشعراء يدعون الشعر ، والقصائد له ، لأن كلامهم لا يستحق أن يسمى شعرا . ولعله يريد أنهم يأخذون شعره ويدعونه لأنفسهم : وإذن : فهو الشاعر في الحقيقة ، أما غيره فهو شاعر باتحال شعره . وعبارة الواحدى : يريد كثرة من يرى من الشعراء الدعين وأن له التحقيق باسم الشاعر لأنه هو الذى يأتي بالقصائد لا هم . قال ابن جني : لو قال : فكلم منهم الدعوى ومنى القصائد لكان أحسن وأشد مبالغة ، لأنها تدل على كثرة فعلهم .

(٤) في هذا البيت من البديع حسن التخلص . يقول إنه في الشعراء كسيف الدولة في السيوف ، فكل منهما منقطع النظير — وإن كاله أشباه ونظائر في التسمية — وهذا كما يقول الفرزدق :

وقد تلتقى الأسماء في الناس والكفى كثيرا ولكن فرّقوا في الخلائق

لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَعِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَضِ
وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّنْعِ غَامِدٌ^(١)
وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدٌ^(٢)
أَحَقُّهُمْ بِالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطَّلَى وَبِالْأَمْنِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ^(٣)

(١) انتضى السيف سله وجرده . يقول . إنه ليس كسيوف الحديد التي تنتضى وتغمد ، وإنما ينتضيه في الحرب كرم طبعه وما آثره الله به من الشجاعة والأفة ، ويغمد ما تعود من العفو والإحسان . هذا : وكما يقال : انتضى السيف . يقال : نضاه أيضاً ، ونضا الحُضَاب : ذهب لونه ونصل ، ونضوت البلاد : قطعها . قال تأبط شراً ولكنني أروى من الخمر هامتي وأنضوا الفلأ بالشاحب التشلشل^(١)
(٢) يقول : لما رأيت الناس دونه في المنزلة تيقنت أن الدهر ناقد لهم يعطى كلا على قدر ما يستحقه ، وهذا على خلاف ما يفعل الدهر ، لأن الدهر يرفع من لا يستحق ، ويحط من يستحق ، فهو على العكس مما قال المتنبي .

(٣) الطلى : الأعناق ، وهذا كالشرح لما ذكره في البيت السابق يقول : إن أحق الناس بأن يتقلد السيف أو يكون صاحب سيف وإمارة : من كان ضارباً للأعناق - أى شجاعاً - وأحقهم بأن يأمن جانب عدوه من هانت عليه الشدائد وغمرات الحروب . وعبارة بعض الشراح : لا يستحق أن يحمل سيفاً إلا من يضرب به الأعناق : وقوله وبالأمن : يروى وبالأمر : أى يتولى أمور الناس ، أو بمنصب الإمارة . هذا : وقد أسلفنا أن الطلى : الأعناق ، وقيل : أصول الأعناق . الواحدة طلية ، ويقال الطلاة أيضاً ، وأطلى الرجل والبحير إطلاء فهو مطل : مالت عنقه للموت أو لغيره قال :

وسائلة تسائل عن أبيها فقلت لها وقعت على الخبير

تركت أباك قد أطلى ومالت عليه القُشمان من النُور

وفي الحديث « ما أطلى نبي قط » أى مامال إلى هواه وأصله من ميل الطلاء أى

(١) يعنى بالمتشلشل الرجل المتخدد اقليل اللحم الخفيف ، والشاحب - على هذا - يريد به صاحب ، وقيل : يريد به السيف . قال الأصمى : هو سيف يقطر منه الدم ، والشاحب : الذى أخلق جفنه .

وَأَشَقُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا الرُّومُ أَهْلَهَا بِهَذَا وَمَا فِيهَا لِمَجْدِكَ جَاحِدٌ^(١)
 شَنَنْتُ بِهَا الْفَارَاتِ حَتَّى تَرَكَتَهَا وَجَفَنُ الَّذِي خَلْفَ الْفَرَنْجَةِ سَاهِدٌ^(٢)
 مُحَضَّبَةٌ وَالْقَوْمُ صَرَعَى كَأَنَّهَا وَلَئِنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ^(٣)
 تَنَكَّسَهُمْ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالُهُمْ وَتَطْفُنُ فِيهِمُ وَالرَّمَّاحُ الْمَسْكَائِدُ^(٤)

الأعناق إلى أحد الشقين ؛ والطلاء : ما طبع من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، وبعض العرب تسمى الحمر : الطلاء . يريد بذلك تحسين اسمها لا أنها الطلاء بينها . وفي الحديث : « سيشرّب ناس من أمق الحمر يسمونها بغير اسمها » يريد أنهم يشربون النبيذ للسكر الطبوخ ، ويسمونه طلاء تخرجاً من أن يسموه خمرأ . والطلاء : القطران ، وكل ما طليت به ، والطلا : الولد من ذوات انظلف والحف والجمع أطلاء .

(١) يقول : إن أشقى بلاد الله البلاد التي أهلها الروم ، وشقاؤها إنما هو بهذا : أى بكونك تضرب الطلى ولا تكثر لغمرات الحروب ، ومع هذا فهم كلهم معترفون بعبدك ولا يمجّدون ما أنت عليه من الشجاعة والإقدام .

(٢) شن الفارة : صبا عليهم وفرقها من كل وجه ؛ والفرنجة : قرية بأقصى بلاد الروم . يقول : ضيّعت الفارة على بلاد الروم فشاع خوفك فيهم جميعاً حتى بات الذي في أقصى بلادهم لا ينام خوفاً وإن كان بعيداً عنك .

(٣) يقول : إن هذه البلاد ملطخة بدمائهم كأنها مساجد مخلقة — أى مطلية بالخلوق : ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران — وهم مقتولون طريحون فيها كأنهم سجد على الأرض ، وإن لم يسجدوا حقيقة . قفوله : محضبة — بالرفع — خبر ابتداء محذوف ، ومن نصبه جعله حالاً من الضمير في تركتها . والقوم صرعى : يروى والخيول صرعى ، وصرعى : جمع صريع : أى طريح ، ومساجد : خبر كان ، والجملة المعترضة : حال .

(٤) يقول : تنزلهم منكوسين من جبالهم التي تحصنوا بها ، فهي لهم بمنزلة الخيول السابقة . وتأتى عليهم بكيدك : يعنى أنه يكيد لهم حتى ينزلوا فيوقع بهم فيقوم فيهم كيدك مقام الرماح . ولك أن تقول والسابقات جبالهم : أى أنك تنزلهم منكوسين من خيولهم التي كأتها الجبال يستعصمون بها فتتكسهم عنها . وعبرة الواحدى : تطعنهم برماح من كيد وتنزلهم عن خيولهم منكوسين ؛ ونكسه : قلبه ، والسابقات : الخيول .

وَتَضَرِبُهُمْ هَبْرًا وَقَدْ سَكَنُوا الْكُدَى
 كَمَا سَكَنَتْ بَطْنُ التُّرَابِ الْأَسَاوِدُ^(١)
 وَتُضْحِي الْحُصُونُ الشَّمَخَرَاتُ فِي الدُّرَى
 وَخَيْلُكَ فِي أَعْنَاقِهِنَّ قَلَانِدُ^(٢)
 عَصَفَنَ بِهِمْ يَوْمَ اللَّقَانِ وَسُقْنَهُمْ بِهَنْزِيْطٍ حَتَّى أَيْبَضَ بِالسَّيِّ آمِدُ^(٣)
 وَالْحَقْنُ بِالصَّفَصَاتِ سَابُورَ فَانْهَوَى وَذَاقَ الرَّدَى أَهْلَاهُمَا وَالْجَلَامِدُ^(٤)

(١) المبر : تقطيع اللحم ؛ والكدى : جمع كدية ، وهى الأرض الصلبة . وأصلها فى البئر يصل إليها الحافر فيقف عندها صلابتها ، فيقال : أكدى أى انقطع ، قال تعالى « وأعطى قليلا وأكدى » قيل أى وقطع القليل ؛ وقيل أمسك عن العطية وقطع ، قالوا : وأصله من الحفر فى البئر ، يقال للحافر إذا بلغ فى حفر البئر إلى حبر لا يمكنه من الحفر : قد بلغ إلى الكدية ، وعند ذلك يقطع الحفر . والأساود : الحيات العظيمة : يقول : وتمن فى تقطيعهم بالسيوف وقد اكتنوا تحت الصخور وفى المغاور والكهوف كما تكن الحيات فى التراب .

(٢) الشمخرات : المرتفعات . والدري : أعلى الجبال . يقول : وتضحى الحصون العالية الشائعة فى رؤوس الجبال وخيلك محيطة بها إحاطة القلائد بالأعناق وروى ابن جنى : القلائد - بالتحريف -

(٣) اللقان : وهزيط من بلاد الروم ، وآمد : بلد بالثغور مما يلي الروم بينها وبين ديار بكر . يقول : عصفت بهم خيلك وأنت عليهم هلاكا يوم أغرت عليهم بهذا السكان وساقهم أسارى حتى أبيضت أرض آمد بكثرة من حصل بها من الأسارى من الجوارى واللمان ، فالضمير فى عصفن للخيل ، وتطلق الخيل ويراد بها الفرسان .

(٤) الصفصا وسابور : حصان منيعان للروم ، وانهى : هوى وسقط . يقول : وألحقن - أى الخيل - أحد الحصنين بالآخر فى التخريب حتى سقط مثله ، وهلك أهل الحصنين وحجارتهم ، لأنه أحرقهما بالنار فصارت الصخور رماداً ، فجعل ذلك هلاكا وقوله : وانهى . قال الواحدى : هو غريب فى القياس ، لأن انفعل إنما يبنى مما التلاى منه تمتد ، وهذا غير متمد ؛ وفى النصيح من الكلام : هوى قال تعالى « والنجم إذا هوى » .

وَعَلَسَ فِي الْوَادِي بَيْنَ مُشَيْعٍ مُبَارَكُ مَا تَحْتَ اللَّثَامِينَ عَابِدُ^(١)
 فَتَى يَشْتَهِي طُولَ الْبِلَادِ وَوَقْتِهِ تَضِيقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالْمَقَاصِدُ^(٢)
 أَخُو غَزَوَاتٍ مَا تُغِبُّ سَيُوفُهُ رِقَابُهُمْ إِلَّا وَسِيحَانُ جَامِدُ^(٣)
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَا لَمْ يَشْفَتْنَهَا وَالثُّدَى النَّوَاهِدُ^(٤)
 تُبْكِي عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ فِي الدُّجَى وَهُنَّ لَدَيْنَا مَلَقِيَّاتُ كَوَاسِدُ^(٥)

(١) غلس : سار غلسا ، أى آخر الليل ؛ وبهين : أى بالخیل ، والمشيع : الجرىء المقدام ، وما تحت اللثامين : الوجه ، واللثام : ما يكون على الوجه . والتلثم عادة العرب في أسفارها ؛ وعنى باللثام الثانى : ما يرسله على الوجه من حلق العقر . ومبارك الوجه عابد لله ، هو سيف الدولة .

(٢) يقول : إنه يمتنى أن تكون البلاد أوسع مما هى والزمان أطول . لأن الأوقات تضيق بما يريد ، وما يقصد إليه من البلاد يضيق بهمه وجيوشه ؛ وهذا كقوله الآتى :

تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ مِلْءُ فُؤَادِ الزَّمانِ إِحْدَاهَا
 فَإِنْ أُنِىَ حَظُّهَا بِأَزْمَنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمانِ أَبْدَاهَا

وعبارة ابن جنى : يشتهى طول البلاد والزمان ليظهر ما عنده من الفضل والكمال وهو مع ذلك تضيق به أوقاته ومقاصده : أى تضيق عن همته .

(٣) أغب فلان القوم وغب عنهم : إذا جاءهم يوما وغاب عنهم يوما ، وسيحان . نهر يبلاد الروم ، وهو غير سيحون . يقول : هو مقيم على غزو الروم لا تفارق سيوفه رقابهم إلا إذا اشتد البرد وجدت أنهارهم ، لأن ذلك يحول دون غزوه إياهم .

(٤) الظبا - جمع ظبة - حد السيف . واللمى : سمرة في الشفة تستملح . ونهد الثدى : ارتفع . يقول : إنه عصف بالروم وآتى عليهم حتى لم يبق منهم إلا النساء ، فقد حمها المعنى النسوى من حد السيف ، وقد أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :

فَمَا أُبْقِيَتْ إِلَّا مُحْطَفَاتٍ حَتَّى الْإِخْطَافُ مِنْهَا وَالنُّهْدُ
 « الإخطاف : الضمور » .

(٥) البطاريق : قواد الروم . يقول : إنه أسر بنات البطاريق فهم سيكون عليهن

بِذَا قَضَتِ الْإِيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ قَوَائِدُ^(١)
وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنْكَ فِيهِمْ عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ^(٢)
وَأَنَّ دَمًا أَجْرَيْتُهُ بِكَ فَأَخِرَ وَأَنَّ فَوَادًا رُغْتُهُ لَكَ حَامِدُ^(٣)
وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ^(٤)
نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتُهُ لَهُنَّتِ الدُّنْيَا بَأَنَّكَ خَالِدُ^(٥)

ليلا ، وهن لدينا في دار الإسلام مطروحات ذليلات لا يرغب فيهن ، وبكاه : بمعنى بكاه والتشديد للبالغة .

(١) وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

مَا إِنْ تَرَى شَيْئًا لَشَيْءٍ حَيًّا حَتَّى تَلَاَقِيَهُ لَأَخَرٍ قَاتِلًا

وهو معنى قديم ، ولكن التنبؤ صاغة أبدع صياغة وأوجز .

(٢) موموق : محبوب . والمقة : المحبة ، وفيهم : صلة موموق ، وعلى : بمعنى مع ، والشاكد : الملقى ، شكده يشكده ويشكده شكدا : أعطاه أو منحه ، والإقدام : الشجاعة . يقول : أنت على قتلك إياهم محبوب فيما بينهم حتى لكأنك تمطيهم شيئا ، وذلك من شرف الشجاعة لأن الشجاع محبوب حتى عند من يقتله .

(٣) يقول : ومن شرف الإقدام أن الدم الذي تسفكه يفخر بأنه سفك يديك ، وأن القلب الذي تخفيه يحمذك إعجابا بشجاعتك ، كما يقول القائل :

فَإِنْ كُنْتُ مَقْتُولًا فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي فَبَعْضُ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

(٤) يقول : إن كل أحد يعرف طرق الشجاعة والكرم ، لأنه لا خفاء بهما ، يد أنه إنما يسلك طريقهما من قاداته نفسه إليهما وكان مطبوعا عليهما . يعني أنك أنت مجبول عليهما ، ومن ثم تفودك نفسك إليهما .

(٥) قال الواحدي : هذا من أحسن ما مدح به ملك ، وهو مدح موجه — أي ذو وجهين — وذلك أنه مدحه في المصراع الأول بالشجاعة وكثرة قتل الأعداء فقال : نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم ما لوعشته لكأن الدنيا منهأة يبقائك فيها خالداً ، وهذا هو الوجه الثاني في المدح — أنه جملة جمالا للدنيا تنها الدنيا يبقائه فيها ، ولو قال : ما لو عشته لبقيت خالداً : لم يكن المدح موجها . وقال الربيعي : المدح في هذا من وجوه :

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لَوَاهُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ^(١)
وَأَنْتَ أَبُو الْمَيْجَاءِ ابْنُ حَمْدَانَ يَا أَبَنَّهُ تَشَابَهُ مَوْلُودَ كَرِيمٍ وَوَالِدُ^(٢)
وَحَمْدَانَ حَمْدُونَ وَحَمْدُونَ حَارِثٌ وَحَارِثٌ لُقْمَانٌ وَلُقْمَانٌ رَاشِدُ^(٣)

أحدها : أنه وصفه بنهب الأعمار لا الأموال . الثاني : أنه كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمالهم خلد في الدنيا . الثالث : أنه جل خلوده صلاحاً لأهل الدنيا بقوله لهشت الدنيا . الرابع : أن قتلاه لم يكن ظالماً في قتلهم لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها فهم مسرورون بقياته ، فلذلك قال لهشت الدنيا : أى أهل الدنيا ، وقال ابن جني : لو لم يمدحه إلا بهذا البيت لكان قد أبقى ما لا يمحوه الزمان .

(١) يقول : أنت للملك بمنزلة السيف ؛ ولكن الضارب بك هو الله ، وأنت للدين راية الله سبحانه الذي عقدها وأحكمها .

(٢) أبو الميجاء : كنية عبد الله بن حمدان ، والد سيف الدولة . والميجاء : الحرب تمد وتقصّر - يقول : يا ابن أبي الميجاء أنت أبو الميجاء . يريد قوة الشبه بينهما ، حتى كأنه هو . وذلك قوله * تشابه مولود كريم ووالد *

(٣) هؤلاء آباء سيف الدولة . يقول : أنت تشبه أباك ، وأبوك يشبه أباه ، وأبوه أباه . . الخ ، أى أن كل واحد من آبائك يشبه أباه في كرمه وسائر محاسنه ، وقد عاب صاحب هذا البيت قال : لم نزل نستحسن جمع الأسماء في الشعر ، كقول الشاعر :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّثَتْ عُرُوشَهُمْ بِقَتِيلَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ

واحتذى هذا الفاضل حذوم فقال : وأنت أبو الميجاء - البيتين - وهذا من الحكمة التي ذكر أرسطو وأفلاطون لهذا الحلف الصالح . قال ابن فورجة أما سبك البيت فأحسن سبك : يريد أنت تشبه أباك ، وأبوك كان يشبه أباه ، وأبوه أباه . فأنت أبوك إذ كان فيك أخلاقه ، وأبوك أبوه - إلى آخر الآباء - فليت شعري : ما الذي استقبحه ؟ فإن استقبح قوله : وحمدان حمدون : فليس في حمدان ما يستقبح من حيث اللفظ ، بل والمعنى ، كيف يصنع والرجل اسمه هكذا وهكذا آباؤه ؟ وبعد : فلملامة المكبري هنا كلمة لمناسبة ترك للتبني صرف حمدون ثبتها هنا - حسباً شرطنا على أنفسنا في هذا التمرح - قال المكبري الكوفي : ترك صرف حمدون وحارث ضرورة ، وهو جائز عندنا ، غير جائز عند بعض البصريين ، وواقنا الأخفش وابن برهان

والفارسي ، وحبشنا : إجماعنا على جواز صرف مالا ينصرف في الشعر ضرورة ، فلذلك جوزنا ترك صرف ما ينصرف في الشعر ، وقد جاء كثيراً في أشعارهم . قال الأخطل : —

طابَ الأزارقُ بالكُتائبِ إذ هَوَتْ بِشَبِيبٍ غائِلةُ النُفُوسِ غَدُورٌ^(١)

فترك صرف شبيب ، وهو منصرف ، وقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

نَصَرُوا بَيْبَهُمْ وَشَدُّوا أَرْزَهُ بِحُنَيْنٍ يَوْمَ تَوَاكَلِ الْأَبْطَالِ^(٢)

فلم يصرف حنينا ، وهو مصروف ؛ وقال الفرزدق :

إِذَا قَالَ غَاوٍ مِنْ تَنُوخٍ قَصِيدَةً بِهَا جَرَبٌ عُدْتُ عَلَى يَزُورٍ^(٣)

فترك صرف زور وهو منصرف ، وقال الآخر :

وَالِ ابْنِ أُمِّ أَنَاسٍ أَرْحَلُ نَاقِي عَمْرٍو قَتْلِبِغٍ حَاجِي أَوْ تَرْحِفٍ^(٤)

(١) من قصيدة للأخطل يذكر فيها ما جرى بين سفيان بن الأبرد نائب الحجاج ،

وبين شبيب بن يزيد رأس الأزارقة — طائفة من الخوارج — وفاعل طلب : يعود

على سفيان المذكور ، والأزارق : مفعول ؛ وغائلة : فاعل هوت ؛ وغدور :

بدل من غائلة .

(٢) تواكل الأبطال : أى تخالطهم واتكلمهم على غيرهم .

(٣) بروى هذا البيت لابن أحرر ، هكذا :

* وَإِنْ قَالَ غَاوٍ مِنْ مَعْدَةٍ قَصِيدَةً *

ويقال أخذ الشيء بزوره : أى بجميعه فلم يدع منه شيئا ، فهو يقول : نسبت إلى

بكلها ولم أقلها ، وقيل بزورا : أى كذبا وزورا .

(٤) بعده :

مَلِكٌ إِذَا تَزَلَّ الْوُفُودُ بِيَابِهِ عَرَفَ أَمَوَّارِدَ مَزْبَدٍ لَا يُنْزَفُ ،

وقد صححنا هذين البيتين على كتاب سيويه ، وشارح شواهد الإمام الشنتمرى

الأندلسى . وقد نسبهما صاحب اللسان لبشر بن أبى خازم ، وأخطأ النساج فورد في

اللسان على غير هذه الصورة الصحيحة . وورد في سيويه أناس — بالتثنية — وهو

خطأ . وعمرو : بدل من ابن أم أناس ، وملك : بدل من عمرو ؛ وترحف — يقال

(٢٦ — التثنية ١)

= وعمرو هو ابن حجر الكندي - فترك صرف أناس ، وهو منصرف وأم أناس هي بنت ذهل بن شيان ، وقال الآخر :

أؤملُ أن أعيشَ وأن يومي بأولَ أو بأهـونَ أو جُبَارِ

أو الثاني دُبَارَ فإن يفتنى فمؤنسَ أو عروبةَ أو شيارِ

فترك صرف مؤنس ودبار ، وهما مصروفان ، فهذه أسماء الأيام في الجاهلية : أول : الأحد ، وأهون : الاثنين ، وجبار : الثلاثاء ، ودبار : الأربعاء ، ومؤنس : الخميس ، وعروبة : الجمعة ، وشيار : السبت ، وقول الآخر :

قالت أُمَيْمَةُ ما لثابت شاخصاً عارى الأشاجع ناحلاً كالنصل^(١)

فترك : صرف ثابت ، وهو مصروف ، وقول العباس بن مرداس السلي :

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في جمع^(٢)

وهذه الرواية جاء في الصحيحين ، وليس بعد الصحيحين شيء يرجع إليه ؛ وقول الآخر :

وقائلة ما بال دؤسرَ بعدنا صحاً قلبه عن آلٍ لى وعن هـندِ

فترك صرف دوسر ، وشواهدنا كثيرة ، وأما القياس فاذا جاز حذف الواو التحركة للضرورة كبيت الكتاب :

أزحف البعير أعياء فرسنه — ما قابل الحافر — بمدح عمرو بن هند الملك ، وأم أناس بعض جداته ؛ والوارد : مناهل النساء المورودة . شبه بها عطايه ، وجهه كالبحر للزبد لكثرة جوده ، ومعنى ينف : يستنفد ماؤه .

(١) الأشاجع : مفاصل الأصابع ، واحدها أشجع . وعارى الأشاجع : أى خفيف اللحم ، وقيل : الأشاجع رؤوس الأصابع : وقيل : عصبها . والنصل : السيف .

(٢) من أبيات لا بن مرداس . يعاتب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أعطى رجلاً من المؤلفة قلوبهم أكثر مما أعطاه ؛ ومنهم عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس : [راجع سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٤٠ التجارية ، والخزانة ج ١ ص ١٤٥ ط السلفية]

أُولَئِكَ أَنْيَابُ الْخِلَافَةِ كُلِّهَا وَسَائِرُ أَمْلَاكِ الْبِلَادِ الزَّوَائِدُ^(١)
 أَحْبَبُكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدَرَهُ وَإِنْ لَأَمْنِي فِيكَ الشَّعْيُ وَالْفِرَاقُ^(٢)
 وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ وَلَيْسَ لِأَنَّ الْعَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدٌ^(٣)

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَلَّ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ^(١)

فجواز حذف النون للضرورة أولى ، والواو من هو متحركة ، والتنون ما كن ، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك ، ولهذا الذي ذكرناه ، وصحته ، واقفنا أبو علي وأبو القاسم بن برهان ، ولم ينكره أبو بكر بن السراج . وحجة البصريين أن الأصل في الأسماء : الصرف . فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير الأصل ، والتبس ما ينصرف بما لا ينصرف .

(١) الزوائد من الأسمان : التي تنبت خلف الأضراس . يقول : إن هؤلاء الذين ذكرهم هم للخلافة بمنزلة الأنياب ، تمتع الخلافة بهم امتناع السبع بنابه ، أما بقية الملوك فهم بمنزلة الزوائد ، لا حاجة للخلافة بهم .

(٢) السبي : نجم خفي من بنات نكش الصغرى ؛ ومنه المثل — أريها السبي وترى القمر — والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه ، فهما فرقدان ، وإنما جمع على إرادة كل نجم يشبههما . جملته بين الملوك كالشمس والبدر ، وغيره من الملوك كالنجوم الخفية ؛ يقول : إني أميل إليك بهوى وإن لأمنى في ذلك من لا يبلغ منزلتك . وعبرة ابن جني : جملته بالنسبة إلى أعدائه كالشمس والقمر إلى السبي والفرقدين .

(٣) الباهر : البارع قال ذو الرمة .

(١) قال الإمام الشنتمرى شارح شواهد سيويه — : يصف الشاعر بغيراً ضل عن صاحبه فيش منه وجعل يبيع رحله ، فبينا هو كذلك سمع منادياً ييشر به — إنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن . والملاط ماولى العضد من الجنب . ويقال للعضدين : ابنا ملاط . ووصفه برخاوته لأن ذلك أشد لتجافى عضديه عن كركرته صدره أو زوره — وأبعد له من أن يصيه ناكث أو ماسح أو ضئب ؛ وهذه كلها آفات وأعراض تلحقه إذا حك بعضده كركرته — ومعنى يشري : يبيع . وهو من الأضداد .

فَإِنَّ قَلِيلَ الْحُبِّ بِالْعَقْلِ صَالِحٌ وَإِنَّ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْجَهْلِ فَاسِدٌ^(١)

وقد بهزت فلا تخفى على أحدٍ إلا على أكو لا يعرف القمر^(١)
وعيش بارد : رغد هنى يقول : إن ذاك الحب إنما هو لظهور فضلك على غيرك
لا لطيب العيش عندك ؛ إذ أن العيش قد يطيب عند غيرك ولكن لا يظهر فضله ظهور
فضلك فلا يستحق الحب ، وعبرة ابن جني : محب لك لفضلك لا للخير الذي
أصيه عندك .

(١) الجهل : الحق . قال العكبرى : يريد : أنا أجلك بعقل فينتفع بي ؛ وغيرى
يحبك بجهل فلا ينتفع به . . ثم قال : ولو قال التنبي بالعلم صالح ، لكان أمدح وأحسن
في صناعة الشعر ، لأن الجهل ضد العلم والعقل ضد الحق :

(١) تقدم أنه من آيات يمدح بها ذو الرمة عمر بن هيرة . وقبله :
ما زلت في درجات الأمر مرتقياً تنبئ وتسمو بك الفرعان من مضراً
[وروى : حتى بهرت] .

انتهى الجزء الأول ، ويليه - بعون الله وتوفيقه - الجزء الثانى وأوله :
وقال يمدح سيف الدولة بعيد الأذى إلخ
لكل امرئ من دهره ماتعودا وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا

فهرست الجزء الأول

صفحة

- ١٥٦ ماذا يقول الذي يفنى ... ذى السماء
١٥٦ إنما التهنئات للأكفاء
١٦٠ ألاكل ماشية الحيزلى
١٦٨ لقد نسبوا الحيام إلى علاء
١٦٩ أسامرى ضحكة كل راء

قافية الباء

- ١٧١ لميكن كل يوم منك حظ ... عجب
١٧١ تحف الأرض من هذا الرباب
١٧٢ فدينك أهدى الناس سها إلى قلبى
١٧٤ لا يحزن الله الأمير فإنى ... بنصيب
١٨٢ فدينك من ربع وإن زدتنا كريا
١٩٩ ألا مالسيف الدولة اليوم عاتبا
٢٠٠ أحسن ما يحضب الحديد به. والفضب
٢٠١ أيدرى ما أراك من يرب
٢٠٤ بفيرك راعيا عبث الذئاب
٢١٥ يا أخت خير أئخ يا بنت خير أب
٢٢٥ فهمت الكتاب أبر الكتب
٢٣٣ أبا سعيد جنب العتابا
٢٣٤ لأحق أن علاؤا ... الأكوبا
٢٣٤ لأى صروف الدهر فيه نعاب
٢٣٧ دمع جرى قفضى فى الربع ماوجبا
٢٥٠ بأبى الشموس الجانحات غواربا

صفحة

- ٣ مقدمة الطبعة الأولى
١٧ » » الثانية
٢٠ سيرة التنبى
٦٨ ترجمة التنبى بقلم أحد معاصريه
٨١ شراح التنبى — ابن جنى
٩٠ الواحدى
٩٥ ابن فورجه
٩٦ ابن القطار الصقلى
٩٧ ابن الإفللى
٩٨ الصاحب ابن عباد
١٠٢ أبو بكر الخوارزمى
١٠٤ العميدى — صاحب الإبانة عن
سرفات التنبى
١٠٥ ابن وكيع
١٠٧ الخطيب التبريزى
١١١ العسكري
١١٢ ابن الشعري
١١٦ القاضى الجرجانى
١٢٦ أبو العلاء المعرى

قافية الهمة

- ١٢٩ القلب أعلم يا عدول بدائه
١٣٤ غذل العواذل حول قلب انتائه
١٣٨ أتسكر يا ابن إسحاق إخنائى
١٤٠ أمن ازديارك فى الدجى الرقباء

صفحة

- ٢٦١ إنما بدر بن عمار سحاب
٢٦٣ ألم ترأيها الملك المرحى... السحاب
٢٦٤ يا ذا للعالي ومعدن الأدب
٢٦٤ ضروب الناس عشاق ضروبا
٢٧٣ المجلسان على التميز بينهما . الأدبا
٢٧٣ تعرض لى السحاب وقد قفلنا . السحابا
٢٧٣ الطيب مما غنيت عنه . . . طيبا
٢٧٤ أيا ما أحيسنها مقلة . . . أعجب
٢٧٤ أعيدوا صاحى فهو عند الكواعب
٢٨٨ من الجآذر فى رى الأرعاب
٣٠١ أغلب فيك الشوق والشوق أغلب
٣١٣ متى كن لى أن البياض خضاب
٣٢٨ لقد أصبح الجرد الستير . العطف
٣٣٠ ما أنصف القوم ضبه
٣٣٥ آخر ما الملك معزى به
٣٤١ لما نسبت فكنت ابنا لغير أب
٣٤٢ لحا الله ورداناً وأما أنت به . ثعلب

قافية التاء

٣٤٥ لنا ملك لا يطعم النوم هم . ليت

صفحة

- ٣٤٥ أنصربجودك ألقاظا تركت بها مكبوتا
٣٤٦ فدتك الحيل وهى مسومات
٣٤٧ سرب محاسنه حرمت ذواتها

قافية الجيم

٣٥٩ لهذا اليوم جد غد أريج

قافية الحاء

- ٣٦٣ بأذى ابتسام منك تحيا القرائح
٣٦٤ أنا عين السود الجحجاج
٣٦٥ جلا كما بى فليك التبريح
٣٨٠ جارية ما لجسمها روح
٣٨٠ يقاتنى عليك الليل جدا . السلاح
٣٨١ أباعث كل مكرمة طموح
٣٨٢ وطائرة تتبعها المنايا ... الجناح

قافية الدال

- ٣٨٤ ماسدكت علة بمورود
٣٩٠ عواذل ذات الحال فى حواسد